الإنسان روح لا جسد

بحث في العلم الروحي الحديث



ملتزم الطبع والنشر
دار الفكر العربي

صورة الغلاف

لوحه عنوانها « هـذا هو الموت ! » من القرن الثامن عشر من عمل الفنان الفرنسي و . بليك الرائي
W. Blake Le Visionnaire

مطبعة نهضة مصر بالفجالة

الإنسان روح لا جسد

بحث في العلم الروحي الحديث

تأليف

الدكتور رءوف عبيد

أستاذ بكلية الحقوق

جامعة عين شمس

طبعة ثانية

مزيدة زيادات كبرى

تقديم روح أمير الشعراء أحمد شوقي

الجزء الأول

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

القاهرة

١٩٦٦

مطبعة نهضة مصر بالفجالة



أحمد شوقى

(١٨٧٠ — ١٩٣٢)

تحيـــة

من روح أمير الشعراء للمؤلف

بربك كيف شيّدتَ المنَـارا

وأزكيتَ الصُباح[١] فصار نارا ؟

ركبتَ الصعب تقتحمَ[٢] الضياء[٣]

فبايعتَ[٤] العلاء والاقتدارا[٥]

وكرّستَ الجهود بدوح عِلمٍ

وعفّ النهجُ فاحتضن الفخارا

---

(١) الصباح : شعلة القنديل .   (٢) تقتحم : ترمى نفسك فيه بشدة وقوة .

(٣) كناية عن عالم الروح   (٤) بايعه : عاهده .   (٥) الاقتدار : القوة .

ومن قيم المعارف بتّ تجنى
فجَمّعتَ اللآلئ والنُضارا[1]

تخـيّرتَ النفائس بالتروّى
وللعـرفان صوّرتَ ازدهارا

تعانق كلُّ مخطوطٍ ينـادى
ويدعو الخُلدَ عِلمًا واختبارا

عشقتَ العِلمَ . عِلمَ الروح حتى
رأيتَ النبع قد بلّ الاوارا[2]

وصار الزادُ بحثـا تجتليه
على الأيام ليـلاً أو نهارا

وعوّدتَ الميولَ على مِرانٍ
بأن تُبدى على البحث اصطبارا

وَطوّعتَ الزمانَ وكم قسوتَ
ليبذل فى المناصرةِ القُصارى[3]

وللنفس العزيزة زِدتَ حزما
يصوغ العلمَ أمجادًا كبارا

(١) النضار : الذهب . (٢) الأوار : العطش .
(٣) القصارى : الجهد والغاية . أى قسوت على نفسك ليبذل الزمان فى مناصرتك غاية جهده .

كم استرخصتَ أعْوَاماً تَقَضّتْ

بالاستيعاب تُعْـتصَرُ اعتصارا

وإذ ضَحّيْتَ فى هممٍ لعمرى

لعـلم الروح سجّلتَ انتصارا

وَنَصّعْتَ الحقائق فى يقــين

يُنافسُ فى نقاوتِهِ العذارى

وَوَثّقتَ القرائن . إذ تجلّتْ

ظواهرها . لمن شادوا القرارا

وراعيتَ الأمانة فى نصوص

أتتك العـــلم بحثاً واعتبارا

وأعلنتَ المراجع حيث فاضت

مراميها نِقاشاً أو حـــوارا

وَوَفّيتَ العهود لذى « حقوق »

مِنَ الرُوّاد مَنْ نَثَرُوا البِذارا

فكنتَ بهم « رؤوفاً » إذ تواسى

مواجعهم وقـد ذاقوا المرارا

فللعِـلم العريق منــا ومون

وكم ضربوا على الحُجَجِ الحصارا

وبثوا الشوك فى عَنَتٍ عساه
يُضيرُ الباحثين . فما أضارا
وسار الركبُ مختالاً يُحاجى
بإيضاح العُجاب . وكيف صارا !
وبالموفور مِن وعى الثِقاة
عَرَفنا الروح شِلمًا . بل وَقارا
وفى الآفاق أشرَىَ فى تأييد
من التوكيد مأمونًا جهارا
وبات الخلدَ للخــلان سلوَى
يناصرهم ويُمْطرهم ثمــارا
وَيَصْدُقُهُمْ مراسمَ ما تأتَى
بإعجازٍ يمينــاً أو يسارا
أخى . أطريك[1] إذ أطرَيتَ علما
جَلِىّ الحق وَضحًا وانتشارا
يحاديكَ الصمودُ ببأس لَيثٍ
تَصَدَّى للشكوكِ ومَن أثارا

---

(١) أطرى فلانا : أحسن الثناء عليه .

وَمِثْلُكَ مَنْ يَغَارُ على المُعَلَّى
حَرِيٌّ فى الحياة بأن يُجارى
فَلُذْ بالعلم و«الحق» اعتِصاما
وَذُدْ شكَّ المناهِضِ[1] إن أغارا
وَخَلِّدْ بالروائع ما نَهَلتَ
من الينبوع.واسْتَروِحِ[2] مرارا
وصَنِّفْ من مآثِرِكَ الغوالى
لعلم الروح ! سِرْ فالركبُ سارا
يناصرك الخلودُ بكل مَجْدٍ
وبالعرفان يهديك اليسارا[3]

أحمد شوقي

* * *

(راجع فى الفصل الأخير من الباب الرابع عدداً وفيراً من أشعار روح شوقى)

(١) المناهض : المقاوم .
(٢) استروح : وجد الراحة
(٣) اليسار : الغنى واليسر

إهـــــداء

بدأ « خلود الروح » موضوعاً فلسفياً عند الأقدمين ، ثم تطور عند المحدثين — بتطور أسلوب المعرفة ذاته — إلى بحث علمى صرف ، وكان ذلك منذ نيف ومائة عام .

ومن المحقق أن الفلسفة والعلم معاً لم يدركا موضوعاً أخطر منه ، ولا أشد تعلقاً بحاضر الإنسان وبمستقبله ، وبعوامل سعادته وشقائه .

فالقارىء الذى يقرأ هذه الصفحات — بما تستحقه خطورة الموضوع من عناية — ثم يقول « بل أريد المزيد من الاطلاع فيه » يخدم نفسه كما يخدم الحقيقة العلمية ، وهى ترفع أبداً قدر من يخدمها .

فإلى هذا القارىء العزيز — فى أكثر من معنى — أهدى رسالة الروح هذه التى لم يدفعنى إلى مشقة تحريرها سوى الإحساس بفداحة مسئوليتى قبله ، عله يجد فيها قدراً من الاقتناع يدعوه إلى مزيد من الاطلاع فى موضوعه الخاص .

ولست أشك فى أنه كلما ازداد فيه اطلاعاً ازداد به اقتناعاً ، وتزود منه اطمئناناً إلى قدره ومصيره ، وعزاء عن آلام حاضره وماضيه وعن فراق أحبابه وذويه ؟

المؤلف

الإنسان روح لا جسد

بحث في العلم الروحي الحديث

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى من هذا المؤلف منذ حوالى عامين ، ورغم الاستقبال الطيب الذى قوبلت به فى كل مكان ، والذى تشير إليه سرعة نفادها ، فقد رأيت أن أتناولها بمراجعة شاملة فى ضوء عدد وفير من المراجع القيمة بشتى اللغات والتى حصلت عليها بمشقة بالغة بعد أن نقبت عنها كثيراً فى بلادنا وفى الخارج ، لاعتقادى أن الاطلاع عليها لازم للوصول بهذا المؤلف إلى المستوى الذى أريده له ، وكيما يحقق غايته المرجوة فى تعريف القارىء العزيز تعريفاً صحيحاً بأهم الجوانب العامة فى علم الروح الحديث .

وقد حرصت فى هذه الطبعة الجديدة على أن أراعى عدة أمور وهى :—

أولا : التوسع فى بيان الأسماء والمراجع العلمية الموثوق فى قيمتها وفى مكانة أصحابها ، وفى أصالة أساليبهم العلمية ، والتى تعالج الجوانب الفاصلة فى مصير هذا العلم ، فهى بمثابة العمد التى يقوم عليها فى علوم الباراسيكولوجى والأنتروبولوجى والفيزياء والرياضة والفلك وغيرها .

وثانيا : الاستزادة من البينات والوقائع الهامة التى تكشفت عنها بحوث عدد وفير من علماء الصف الأول فى الجامعات المعروفة وخارجها . ومنها مثلا بحوث جامعة ديوك بأمريكا فى الإدراك عن غير طريق الحواس Extra Sensory Perception وتأثير العقل — أو إن شئت الروح — فى المادة تأثيراً مباشراً Psycho-Kinesis .

وذلك بالإضافة إلى البينات الوساطية — الفيزيقية والعقلية — التى أفسحت لها هى الأخرى مكاناً فى الطبعة الحالية يتجاوز كثيراً مكانها فى

الطبعة السابقة مزيدة بعشرات من الصور واللوحات الجديدة ، المأخوذة من المراجع العلمية المحايدة . فإن هذه البينات وتلك تمثل مجتمعة الإطار الخارجي المحسوس لهذه المعرفة الجديدة والأسانيد العلمية الكفيلة بأن تطمئن « متشكك . وأن تقنع كل من يبحث عن الاقتناع الموضوعي المحايد من أورب سبله وأدعاها للوصول إليه .

وثالثاً : راعيت التوسع في الناحية الوصفية لعالم الروح لأنها تمثل ناحية نجح هذا العلم في تبديد الكثير من غموضها ، وإلقاء أضواء جديدة عليها ، ويهم كل قارىء ولا ريب الاستزادة من المعرفة فيها ، بعد إذ نجحت البحوث الدقيقة في إثبات أن الموت بمعنى التلاشي خرافة كبرى وأنه ليس أكثر من مجرد تغير من حالة إلى حالة ، مماثل لبعض التغيرات التي تعرفها علوم الحياة ، بل حتى ظواهر المادة والطاقة في الفيزياء الحديثة . وهو تغير حاسم في مصير الإنسان لأن من شأنه أن ينقل النفس من مستوى منخفض إلى مستوى آخر مرتفع من مستويات الوجود غير المحدود خاضع لأسلوب آخر أرقى من أساليب الحياة التي نعرفها وأرقى .

رابعاً : وقد حرصت أيضاً على أن أوفى الجوانب الفلسفية حقها من العناية على هدى ما خطته أقلام أبرز فلاسفة الروحية وعلمائها ، وما تنادى به الأرواح الراقية من تعاليم راقية لاعتقادي أن هذه الجوانب الفلسفية تمثل أروع ما تكشفت عنه من نتائج البحوث المضنية التي جرت في نطاق هذه الروحية التجريبية .

وإذا كان من رأى شيشرون مشرع الرومان ومحاميهم العظيم « أن الدفاع عن الفلسفة أجل خدمة يؤديها الإنسان لوطنه لأن الفلسفة تثقف العقل وتهذب النفس وتغرى بالتزام الفضيلة وتقى المرء شر الضلال » . فإن هذا القول لا يصدق على أمر قدر صدقه على هذه الروحية العلمية بالذات .

ففلسفة هذه الروحية التجريبية هي الجوهرة الثمينة التي تزين جيدها ، بل هي ضوء الفجر المنبثق منها والذي سيكون له أحسن الأثر — إن عاجلا أو آجلا — في تغيير اتجاه العقل البشري إلى وجهة روحية جديدة تمثل

وحدها طريق النجاة من كثير مما تعانيه الإنسانية الآن من متاعب، وما يكتنفها من أخطار التخبط فى دياجير المادية والإلحاد، أو التردى فى هاوية الجمود الفكرى والاستبداد.

ولعل هذا الاعتبار الأخير كان من أهم العوامل التى دفعتنى إلى أن أتحمل راضياً مشقة مواصلة البحث فى موضوع الروح رغم دقته المفرطة، وعناء التوسع فيه رغم مشاغلى الكثيرة فإنى مقتنع تماماً بصحة عدد من البحوث الجادة الأمينة فيه وما تكشفت عنه من حقائق هامة، لعل أهونها شأناً يزرى بأخطر ما وصل إليه علم العلماء حتى الآن، وكلها تتضافر فى توكيد هذه الحقيقة الأولية التى عبر عنها الشاعر العربى ببساطة عند ما قال « فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان ».

فلا غرابة إذا ما أخذت هذه المعرفة الحديثة تكتسح تدريجياً — ولكن فى إصرار شديد — كل العقبات المصطنعة التى حاول البعض أن يضعها فى طريقها عن اطلاع ناقص، أو عن تسرع فى الحكم على الأمور أو عن غير ذلك من عوامل الخطأ والعثار فى الرأى. حتى لقد أصبحت المكابرة فى حقائق الروحية الحديثة ليست أكثر من حماس للجهل ومن دعوة مرفوضة من أساسها للانطواء وللتخاف طالمارفضنا أمثالها من قبل أياً كان مصدر الدعوة وحجة الداعى.

وهذه المعرفة ستتبوأ مكانها اللائق بها فى بلادنا أسرع بكثير مما قد يتصور هذا البعض من المعترضين بغير ما بحث ولا تجريب. ويدفعنى إلى الاعتقاد بذلك ما نلمسه من نهضة بلاد العروبة العزيزة فى كل مكان، بعد إذ نفضت نهائياً غبار الجمود كيما تلحق بركب التقدم العلمى الحديث إلى المدى الذى تجاوز ما كان يتوقعه أشد الناس تفاؤلا منذ سنين قلائل. كما يدفعنى إليه إيمانى الراسخ بروحانية الشرق الأصيلة... هذا الشرق الذى كان مشرق الإيمان بالخلود ومهبط الرسالات الروحية العظمى التى أضاءت مشعل العرفان للإنسان منذ أقدم الأزمان.

وبالنظر إلى الزيادات الضخمة فى جميع أبواب هذه الطبعة الثانية

وفصولها ومباحثها أراني مضطراً إلى أن أوزع موضوعاتها على جزئين بعد جزء واحد فى الطبعة السابقة ، وبحيث يغلب على موضوعات الجزء الأول الطابع التاريخى والتجريبى، ويغلب على موضوعات الجزء الثانى الطابع النظرى والفلسفى بغير إمكان الفصل التام بين الطابعين ، لأن البحث الحديث فى الروح هو فى واقع الأمر مزيج من علم وتجريب ونظر وفلسفة فى وقت واحد وفى بوتقة واحدة .

ولا يسعنى إلا أن أسجل هنا عجزى عن تصوير شعور الشكر والعرفان لروح أمير الشعراء أحمد شوقى الذى تفضل فبعث من سماء خلده بتحية شعرية لعملى المتواضع تحسب من غرره بل من آياته التى تفيض رقة وعذوبة وتنبض بالحياة وبالجمال . ألا حياك الله يا شوقى فقد رفعت رأس الشعر العربى عالياً وكانت قصائدك العصماء درراً مشرقة فى جبينه ومفخرة له على مدى الأجيال . وها هى تصبح الآن خير نداء يوجهه عالم البقاء إلى عالم الفناء حاملا إلى الورى بشرى الخلود وفرحة الانتصار المحتوم على فناء الأعضاء فى إعجاز من القريض هيهات أن تدانيه بلاغة البلغاء .

وأتقدم بالشكر الجزيل أيضاً إلى الصديق العزيز النطاسى البارع الدكتور سلامة سعد وإلى السيدة الفاضلة قرينته وسيطة هذا الإلهام الرائع من روح أمير الشعر والشعراء .

وكذلك أتقدم بشكرى العميق إلى جميع سادة الفكر والقلم الذين غمرونى بمناسبة ظهور الطبعة الأولى بثناء جم لا أستحق منه شيئاً ، مؤكداً لهم أننى سأحاول أن أكون عند حسن ظنهم بى . فإذا لم يعوزنى التوفيق فحسبى جزاء رضاء القارىء عما يقرأ ، وإلا فحسبى ما بذلت من جهد فى خدمته ، وما ترسمت من غاية فى خدمة أخطر حقيقة وصلت إليها جهود العلماء ، وأكثرها ارتباطاً بالإنسان فى حاضره وفى مستقبله على السواء .

والله ولى التوفيق ؟

رءوف عبيد

باب تمهيدى

فى علم الروح
بين أنصاره ومناوئيه

الناس أعداء ما جهلوا . عصر البحث العلمى للروح . عقبات فى الطريق كانت متوقعة . خلود الروح يصبح حقيقة علمية . لعلم الروح رسالة جليلة من ناحيتى المعرفة والعزاء . ومن ناحية الإيمان بالله وبناموسه الخلقى . ومن ناحية الاطلاع على الحركة الفكرية والعلمية . ومن ناحية تقدير قيمة الإنسان . لم أتردد إذن؟!..
موضوع المؤلف الحالى . تبويب

* * *

الناس أعداء ما جهلوا

لو أن أى إنسان قال أمامى قبل سنة ١٩٤٧ إن الحياة بعد الموت حقيقة مقررة ، وأن الصلة بين عالمى الروح والمادة قد ثبتت علمياً لرميته فوراً بالتعلق بالخرافات الساذجة التى لا يصح قبولها فى القرن العشرين ، عصر العلم والعرفان ، ولرميته بالتالى بكل ما يمكن أن يرمينى به الآن - سراً وجهراً — أعداء هذا النوع من المعرفة ... فما الذى جرى كيما أمسك بالقلم للكتابة فى نفس هذا الموضوع مقدراً خطورته ، شاعراً أن الكتابة فيه رغم مشقتها البالغة أمانة فى عنق على أن أؤديها الآن للقارىء ومسئولية كبرى ؟ . . .

إن الذى جرى هو أنى بحثته — بحثاً كافياً فيما أعتقد — طيلة هذه السنين الطويلة على اعتبار أنه مجرد دعوى مطروحة على محكمة العلم ، والبينة على من ادعى . فحصلت فيه على قدر من المعرفة أقنعنى أن من واجبى أن أكتب فيه لأنه جدير بعناء هذه الكتابة ، بعد إذ تبينت أن العداوة لأى

أمر كثيراً ما يكون سببها الوحيد الجهل به ، فالناس دواماً أعداء ما جهلوا ، اعتداداً بما يعرفون من أمور ، وما أضال ما يعرفون .

وعداوة أى أمر جديد — كبيراً كان أم صغيراً — قابلها الرواد الأوائل للكشوف العلمية وقاسوا منها الأمرين ، ومنهم من دفع حياته ثمناً لها . فعندما أخذ سقراط يدعو مواطنيه إلى نبذ بعض آرائهم القديمة وإلى معرفة نفوسهم جوزى بكأس السم . وعندما اكتشف جاليليو حركة الأرض حول نفسها وحول الشمس لاقى أهوالا مريرة من عناد معاصريه ، انتهت — فيما يقال — بإعدامه . وعندما اكتشف باستير دنيا الميكروبات — وهو أعظم كشف فى تاريخ الطب — كان عليه أن يخوض حرب حياة أو موت مع معاصريه من كبار الأطباء حتى دعاه أحدهم إلى المبارزة . وعندما تحدث داروين عن ناموس التطور لقى من صنوف التهكم والنقد المرير الشىء الكثير .... وهكذا كانت الحال دائماً على مر السنين والقرون بفعل الغيرة والعناد والأحقاد ...

وحتى بالنسبة للكشوف الصغرى التى تقل شأناً عما تقدم كانت دائماً تقابل بمعارضة شديدة عند أهل العلم أنفسهم ، فالمحافظة على القديم طبيعة عندهم مأثورة . فمثلا أنكر التخدير عند بدء ظهوره الفسيولوجى الفرنسى ماجندى Magendi رغم أنه كان عضواً فى أكبر معهد علمى فرنسى وهو « السكوليج دى فرانس » وله عدة مؤلفات فى الجهاز العصبى . كما أنكر التليفون بويو Bouillaud الذى كان عضواً بأكاديميتى الطب والعلوم . وأنكر خصوم جالفانى Galvani اكتشافه الكهرباء ، وأنكرت الهيئات الطبية اكتشاف ادوارد جنر Jenner المصل الواقى من الجدرى ، ثم تقبله العالم أجمع ...

وذلك إلى الحد الذى دفع مكتشفاً عظيماً مثل إديسون Edison إلى أن

يصرح « بأن الناس يكرهون كل ما هو جديد .. بل كل ما قد يدعوهم إلى التفكير » ... وهذه الآن حقيقة اجتماعية مسلم بها، فقد تبين أن كراهية كل أمر جديد Le misonéisme من نواميس السلوك الإنسانى فى كافة ميادين الحياة ، لما يسببه الأمر الجديد من ضرورة تحمل ألم الاستعاضة عن الإحساس القديم بإحساس آخر جديد ، أو بفهم آخر لهذا الأمر المستقر من أمور الحياة . كما تبين أن الإنسان محمول بدافع من كبريائه إلى أن ينكر صحة كل أمر يسمو على إدراكه ، ولكن هل إنكار الأمر الصحيح ينفى صحته ؟ وأى أمر عميق من أمور الحياة أمكن لعقل الإنسان الواهن أن يدركه إدراكاً صحيحاً حتى الآن ؟

عصر البحث العلمى للروح

وفى سنة ١٨٤٨ حدثت ظواهر معينة فى قرية هيدسفيل Hydsville قرب مدينـــة روشستر Rochester بولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية ، مثلها حدث ويحدث أحياناً نادرة فى أمكنة مختلفة دون أن يعنى أى إنسان ببحثه بطريقة علمية منظمة ، لكن إزاء الحيرة التامة فى تعليل هذه الظواهر هناك تدخلت الجهات المسئولة فى بحثها فشكلت لها ثلاث لجان رسمية متوالية ، كما ساهم فيها عدد من العلماء الباحثين المجربين الذين انتهوا متفرقين ومجتمعين إلى نسبة هذه الظواهر إلى كائنات غير منظورة هى أرواح الموتى ممن انتقلوا إلى العالم الآخر .

ومن أشهر من بحثوا هذه الظواهر غير المألوفة — فى مبدئها — وانتهوا إلى نسبتها إلى الأرواح القاضى جون وورث إدموندز John Worth Edmonds (١٨١٦ — ١٨٧٤) الذى كان فى وقت ما رئيساً للمحكمة العليا بنيويورك ، رئيساً لمجلس الشيوخ الأمريكى والذى كتب فيها « بياناً إلى الجمهور » فى جريدة نيويورك كورير New York Courier فى أول أغسطس سنة ١٨٥٣ ذكر فيه أنه بحث الطرقات التى كانت تحدث فى قرية هيدسفيل لمدة أربعة شهور مخصصاً لها جلستين أسبوعياً مستعيناً بحوالى عشرة من العلماء

وخبير فى الكهرباء ومبيناً فيه خطورة هذا الكشف الروحى من ناحية أنه « يظهر الإنسان واجبه ومآله ولا يتركه بعد الآن غامضاً مشكوكاً فيه »[١] . ثم وضع فيه مؤلفاً ضخماً فى جزئين عنوانه « الروحية »[٢] .

ثم تلاه جيمس مابس Mapes عالم الكيمياء والعضو بالمجمع العلمى الأمريكى . وبعد أن بحثها نشر نتيجة بحثه بالتفصيل . ثم تلاه روبرت هير Robert Hare (١٧٨٠ — ١٨٥٨) أستاذ الكيمياء بجامعة بنسلفانيا ، وبعد طول معارضة لها تحقق منها بنفسه ونشر فيها مؤلفاً عنوانه « تحقيق تجريبى لظواهر الروح »[٣] ، كما حاضر فيها فى المؤتمر الروحى الذى عقد بنيويورك فى سنة ١٨٥٤ .

وقد ازداد اقتناع ثلاثتهم — إدموندز ومابس وهير — بعد تجارب أخرى كافية مع الوسيط دانيل دنجلاس هوم Daniel Dunglas Home وهو الذى خضع أيضاً لتجارب عالم الكيمياء سير وليام كروكس William Crookes (١٨٣٢ — ١٩١٩) . هذه التجارب التى ساهمت فى بناء اقتناعه الكامل الذى حفزه إلى أن يقدم إلى المجمع العلمى البريطانى فى سنة ١٨٧٤ تقريره التاريخى — الذى يعبر عن نبل مقدمه وشجاعته — وعنوانه « بحوث فى ظواهر الروحية »[٤] .

وبعد هؤلاء أقبل نفر من أبرز علماء الفيزياء والسيكولوجيا والبيولوجيا والفلك والرياضة على البحوث الروحية ، وأخذ الاهتمام بها يتزايد شيئاً فشيئاً فى بلاد العالم المختلفة ، حتى نشأت حركة واسعة النطاق للبحث فى الروح ، سرعان ما كان لها صداها فى أغلب بلاد العالم ، بما فى ذلك بلادنا المصرية ، فشملت بلاد الحضارة المعروفة ، وفى نفس البيئات العلمية التى قادت

---

(١) راجع نص هذا البيان فى مؤلف سير أرثر كونان دويل عن تاريخ الروحية ج ١ . ص ١٢٥ — ١٣٢ .

(٢) Spiritualism.

(٣) Experimental Investigation Of The Spirit Manifestations.

(٤) Researches In The Phenomena Of Spiritualism.

خطى هذه الحضارة وحملت مشاعلها منذ منتصف القرن الماضى حتى الآن .

والأسماء فى هذه الحركة كثيرة ، ومما يسترعى الانتباه فيها أن أفضل روادها هم بأنفسهم أفضل رواد العلوم المادية الذين أثبتوا أصالة فى منطقهم وعمقاً فى نظرتهم للأمور، كما أثبتوا أنهم فى مجال التجريب والملاحظة يمثلون مستوى خاصاً من القدرة عليهما ، مما يبعث على الثقة الكافية فى قيمة بحوثهم وفيما انتهوا إليه من نتائج إيجابية . فمنهم مثلا :

— السيكولوجى الشهير فردريك و.ه مايرز Frederic W. H. Meyers (١٨٤٣ — ١٩٠١) الذى يعد من علماء النفس المعدودين بسبب بحوثه العميقة فى العقل الباطن .

— وسير ألفرد رسل والاس Alfred Russell Wallace (١٨٢٣ — ١٩١٣) وهو يعد فى البيولوجيا نداً لداروين ، وشريكاً له فى نظرية التطور عن طريق الانتخاب الطبيعى .

— وسير وليام باريت William Barrett (١٨٤٥ — ١٩٢٦) وهو من علماء الطبيعة البارزين فى تاريخها .

— ولورد رايلى Rayleigh (١٨٤٢ — ١٩١٩) ولا يقل شأناً عن سابقه ، وقد نجح فى عزل غاز الأرجون لأول مرة .

— وسير أوليفر لودج Oliver Lodge (١٨٥٢ — ١٩٤٠) وكان يعد من أشهر علماء اللاسلكى فى العالم ، وظل يواصل بحوثه فى موضوع الأرواح لمدة جاوزت نصف قرن ، حتى بنى اقتناعاً متكاملا فى هذا الشأن .

— ومنهم الفيلسوف وعالم السيكولوجيا وليام جيمس William James (١٨٤٢ — ١٩١٠) وقد سلم فى مؤلفاته بصحة تجارب الجمعية البريطانية للبحث الروحى S. P. R.[1] ، التى كان عضواً فيها ورئيساً لها وشيد عليها دعائم فلسفة روحية خلدت اسمه .

---

(١) Society For Psychical Research

— ومنهم الفيلسوف هنرى برجسون Henry Bergson — أبرز فلاسفة هذا القرن بغير منازع — (١٨٥٩ — ١٩٤١) وقد كان رئيساً للجمعية الآنفة الذكر فى سنة ١٩١٣ وسلم بصحة تجاربها وأسس عليها فلسفة روحية من الطراز الأول .

— ومنهم فلكى وفيلسوف بارز وهو كامى فلاماريون Camille Flammarion (١٨٤٢ — ١٩٢٥) .

— ومنهم عالم الفسيولوجيا الشهير شارل ريشيه Charles Richet (١٨٥٠ — ١٩٣٥) الحائز على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا .

— ومنهم العلامة سيزار لومبروزو Cesar Lombroso (١٨٣٥ — ١٩٠٩) ، وهو من أشهر علماء علم الإجرام ومؤسس مدرسة فيه لعبت دوراً قوياً فى تطوير القانون الجنائى ودفعه إلى الأمام .

وغيرهم كثير من أصحاب الأسماء البارزة ممن واصلوا بحوثهم فى هذا الشأن لعشرات من السنين التى بلغت الثلاثين عاماً عند كروكس وريشيه وجاوزت الخمسين عند لودج ، وانتهوا فيها إلى نتائج حاسمة ونهائية بشأن إمكان الاتصال بأرواح من نسميهم موتى وبالتالى الإيمان بخلود الإنسان .

— وبعد هؤلاء اتسعت حركة البحث العلمى فى الروح حتى شملت العشرات ثم المئات من أفضل علماء القرنين الماضى والحاضر فى شتى البلاد ممن سنشير إلى عدد منهم خلال صفحات هذا المؤلف — بجزئيه — بعد إذ أصبحوا من دعائم هذا العلم ودعاته .

— ومنهم عدد من ذوى الأسماء اللامعة فى الأدب وفى الصحافة مثل سير وليام.ت.ستيد William T. Stead (١٨٤٩ — ١٩١٢) الذى كان نقيباً للصحفيين فى بلاده . ومثل الروائى الشهير سير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle (١٨٥٩ — ١٩٣٠) الذى أمضى حياته باحثاً وكاتباً وخطيباً فى موضوع الأرواح . ومثل الصحافى هانن سوافر

Hannen Swaffer الذى كان كسلفه ستيد نقيباً للصحفيين وكان مثل دويل باحثاً فى هـــذا الموضوع وكاتباً وخطيباً حتى انتقاله إلى عالم الروح منذ سنين قلائل .

* * *

وقد ساعدعلى انتشار الاقتناع بعالم الروح — بالإضافة إلى انتشار المواهب الوساطية ونموها بالمران مع الاهتمام المتزايد بفحصها — أن تكشف العلم المادى المعاصر عن حقائق كثيرة جاءت مؤيدة فى مجموعها لصحة وجود عالم للروح متداخل مع عالم المـادة ، ولصحة ما كانت تقول به أرواح كثيرة منذ منتصف القرن الماضى من أوصاف شتى لعالم الروح هذا :

— فمثلا قبل أن تظهر نظرية أينشتين فى النسبية فى مطلع القرن الحالى كانت الأرواح منذ أواخر القرن الماضى — ومن بعدها المشتغلون بالعلم الروحى الحديث — تتحدث عن عالم رباعى الأبعاد وبالتالى تختلف فيه فكرة الزمان والمكان عن عالمنا ، وعن معلومات شتى عنه أصبحت عن طريق معادلات أينشتين حقائق رياضية .

— وقبل أن تظهر بحوث سير أوليفرلودج وكومبتون ومجموعة ضخمة من علماء الفيزياء عن الأثير كانت الكتب الروحية تتحدث عن هذا الأثير بوصفه حقيقة مقررة . وعن طبيعة المادة الصلبة التى نلمسها بوصفها لا تعدو أن تكون أثيراً فى رتبة اهتزاز معينة خاضعاً لتأثير العقل المباشر فيه بحيث يبدو لهم كما لو كان وهماً من صنع العقل يخبو مع الموت ، كيما تظهر لهم مادة صلبة جديدة واقعة تحت تأثير العقل فى مستواه الجديد . . .

— وقبل أن تنبىء بحوث إدنجتون ولودج وغيرهما من علماء الطبيعة عن وجود جسدين لكل جسم صلب أحدهما مادى والآخر أثيرى ، كانت المراجع الروحية مجمعة على وجود جسدين لكل كائن أحدهما مادى والآخر أثيرى .

— وقبل أن نتحدث بحوث سير جيمس جينز وراسل عن هذا العالم المادى الذى نعيش فيه بوصفه عالماً بالفكر المطلق متوقفاً أولا على إحساسنا به كانت البحوث الروحية تتضمن هذا المعنى بصور شتى .

— كما كان اكتشاف الاتصال اللاسلكى وتقدمه عاملا هاماً فى تذليل كثير من الاعتراضات النظرية التى كانت تثار فى الماضى حول وجود عالم الروح هذا . إذ عن طريق هذا الكشف الجديد أصبح من المفهوم التحدث عن أطوال الموجات ، وكيف أن لكل شىء رتبة تردد أو اهتزاز وبالتالى طول موجة ، كما أصبح من المفهوم التحدث عن العقل الكونى العام بوصفه جهازاً للإرسال ، وعن عقل الإنسان بوصفه جهازاً صغيراً للاستقبال محدود القدرة بمستوى صاحبه .

— كما أصبح واضحاً أن المادة الصلبة فى حقيقتها عبارة عن فراغ اهتزازى ، ولذا تخترقها موجات اللاسلكى دون عناء . . . كما أصبح من المفهوم لهذا السبب التحدث عن تأثير مباشر للعقل فى المادة ، بل التحدث عن العقل الذى هو وراء كل مادة والذى يتفاعل دوماً مع الكتروناتها وبروتوناتها ، أى مع كهاربها السالبة والموجبة فيؤثر فيها ويتأثر بها ، حتى أصبح تلازمهما أمراً مسلماً به فى الفيزياء الحديثة .

— كما كان اكتشاف التنويم المغناطيسى ، وما أسفرت عنه بحوثه من إمكان استقلال الوعى عن الجسد فى الزمان والمكان ، ومن إمكان استقلال الإحساس عن أدوات الإحساس المادية من أقوى المقدمات التى مهدت للوصول إلى « احتمال » دوام الحياة بعد موت الجسد المادى كحقيقة علمية مرتبطة بباقى الحقائق التى وصل إليها علم الإنسان (الانتروبولوجى) .

— كما جرت فى نطاق علم النفس بحوث أخرى متصلة وثيق صلة ببحوث علم الروح — أو هى جزء لا يتجزء منها — مثل بحوث الإدراك عن غير

طريق الحواس Extra Sensory Perception وتأثير العقل المباشر فى المادة سواء أتم أيهما فى غيبوبة الوسيط أم فى غير غيبوبته . وهى بحوث تجرى فى نطاق العلم الروحى كما تجرى على نفس الصورة فى نطاق « الباراسيكولوجى » فى البلاد الانجلوسكسونية وفى نطاق علم ما وراء الروح La Métapsychique فى البلاد اللاتينية .

ـ وهذه البحوث وتلك تجرى منذ عشرات من السنين على أقوى صورة فى جميع بلاد الحضارة . وقد احتضنتها عدة جامعات عريقة ومعاهد عليا ووصلت ـ كلها ـ إلى نتيجة واحدة إيجابية حاسمة : وهى أن فى الإنسان عنصراً روحياً متميزاً بغير ما ريب عن عنصره المادى . ومنها ما وصل صراحة وبشكل حاسم إلى الاعتراف بوجود صلات متعددة الجوانب بين عالمين : أحدهما مادى منظور والآخر غير مادى ولا منظور ...

أساطين الإنكار

هكذا وصلت كشوف المادة والنفس وما وراء النفس والروح مجتمعة إلى أن تجعل من الكشوف الوساطية الحديثة حقائق علمية تقبلتها فى النهاية أفهام الفلاسفة والعلماء بعد إذ قاومتها كثيراً ، كما تقبلت من قبل بمشقة بالغة حقائق أخرى كثيرة أقل منها شأناً بكثير ، وذلك لمجرد خروج هذه الحقائق عن مجال الإحساس أو التصور الإنسانى .

وأصبح شأن الحقائق الروحية من هذه الناحية شأن حركات النجوم والكواكب طبقاً لنظام رياضى محكم يعجز العقل عن مجرد تصوره ومثلها حركات الكترونات الذرة وبروتوناتها ونيوتروناتها . . وكلها تدور فى أفلاك لها مرسومة طبقاً لنفس النظام الرياضى العجيب . بل أصبح شأنها شأن تحول البذرة إلى زهرة والزهرة إلى ثمرة ، والشرنقة إلى فراشة . . . فكل ذلك ـ لو تأملناه جيداً ـ لوجدناه يتعالى بغير ماريب عن مستوى

أفهامنا وإن لم يتعالَ ، عن مستوى إحساسنا . لكن تعالى أية ظاهرة عن مستوى إحساسنا أو أفهامنا لا ينال مع ذلك من صحتها ، سواء اعترفنا بها أم أنكرناها ، وعرفناها أم جهلناها ، وعللناها أم عجزت عقولنا الواهنة عن الوصول إلى التعليل الذى يروى الغليل .

فالمشكلة لم تعد الآن فى إقناع الخاصة من الفلاسفة ، بل هى فى إقناع الإنسان المثقف العادى بموضوع يتعالى بغير ما ريب على الإحساس بل على قدرة التصور الإنسانى . كما تتعالى كل حقائق الكون الخطيرة على هذا وعلى ذاك ، حتى وإن بدا الإنسان مدفوعاً بفطرته إلى الاعتقاد بالروح والتعلق بالحديث فيها عن فهم أو عن غير فهم . . .

أما عن موقف الفلاسفة والعلماء الكبار من موضوع الأرواح ، فهؤلاء قد اقتنعوا الآن وانتهى الأمر ، وخفتت نهائياً أصوات المكابرين أو كادت ، وبدأت علوم الحياة وخصوصاً علما النفس والبيولوجيا — بل وعلوم المادة غير الحية أيضاً ، تتخذ لها فى بطء — ولكن فى ثبات — محاور روحية صريحة على ماسنوضحه فى بعض أبواب هذا المؤلف ، ولم يصمد على المكابرة إلا حفنة من المكابرين وصفهم برجسون الفيلسوف بأنهم من « أشباه العلماء » .

وذلك يبشر بغروب عصر غبى كئيب هو عصر التعبد لصنم جديد قديم اسمه « المادة الصلبة » والإيمان بقدرتها الخالقة المزعومة للحياة ، كما يشرق عصر الاعتراف بالروح وبقدرتها الخالقة الحقيقية بوصفها أصلا للحياة مع الاعتراف بالله مصدر كل قدرة . . . أليس الله تعالى روح العالم و باعث كل حياة فيه . . . ؟ . . .

وهكذا صدق على كشوف الروحية الحديثة ما لاحظه سير الفرد راسل والاس عالم البيولوجيا فى شأنها من أنه فى كل مرة وُصِفَ أى كشف جديد بأنه غير معقول ثبتت فيما بعد صحته ، فأصبح غير المعقول مع الوقت معقولا ومقبولا . . .

أما أساطين الإنكار حتى الآن فليسوا أكثر من أبناء مدرسة متداعية، هي مدرسة تعليل الحياة بالمادة ، وهي في نفس الوقت مدرسة الحكم على الأمور بحواس الإنسان الواهية ، وهم في ولائهم لهذه المدرسة يكابرون في الحقائق الدامغة ، ويناقضون — على غير وعي منهم — حتى حقائق المادة كما ثبتت في ضوء أحدث كشوف الفيزياء والرياضة معاً ، لأنها تتطلب منهم عناء جديداً وفهماً متطوراً لا يقدرون على تحمل تبعاته الجسام ، كما يرفضون أن يتصوروا أن ثمت ذكاء أعلى من ذكاء الانسان وقدرات تتجاوز قدراته بكثير .

فهم في النهاية أسرى لحكم الحواس أو التصور المحدود الأفق لا لحكم المنطق ، ولا لحقائق الحياة سلموا بذلك أم رفضوا التسليم ، ومهما اندفعوا في إنكارهم محاولين تعزيزه بنظريات مادية ملتوية غامضة مفرطة في التوائها وغموضها ، على حسبان أنها قد تسعفهم في رفض مواجهة البينة الواضحة البسيطة على دوام الحياة بعد الموت ، هذه الحقيقة التي لم تصمد أية حقيقة أخرى لعشر معشار ماصمدت له هذه الأخيرة ، وماخضعت له من تحقيق جاد ومن اختبار لم ينقطع طيلة قرن ونيف من الزمان بمعرفة علماء يعتبرون في ذروة المقدرة على التحقيق والاختبار وانتهوا جميعهم إلى الاقتناع التام بها .

وهؤلاء الهاربون من الاقتناع هم في نفس الوقت أسرى لعقيدة أخرى خاطئة ، وهي أن بحوث علم الروح ينبغي أن تجرى على نفس نمط بحوث المادة غير الحية وبنفس طريقتها ومنطقها وتخضع لنفس قوانينها ، وإلا فهي محض وهم وخداع . إذ فاتهم أن دراسة الروح هي دراسة لقوانين الطبيعة في جانب هام منها ، فمن يريد أن يصل إلى أية معرفة عن هذه القوانين ينبغي أن يخضع لها أولا ، وأن يقف منها فحسب موقف المراقب المستنتج لا موقف الآمر الناهي كما يريدون أن يفعلوا بمنطقهم هذا الذي لامنطق فيه . . .

ولإظهار ذلك يكفي أن يقارن القارىء بين الحجج الايجابية التي لايحيط بها حصر الآن ، والتي تضمنتها بحوث مئات من أفضل علماء القرنين الماضي

والخاصة . والتي لا يحوي منها هذا المؤلف بجزئيه إلا نتفاً قليلة منها كأنها قطرات من ماء مأخوذة من بحر عرم... من جانب وبين معارضتهم المرتجلة التي لا يعززها سوى قدرة — قد يحسدون عليها أحياناً — على ارتجال القول المرسل ، كيما يدرك تماماً أن عصر الصراع بين الإثبات والنفي قد انتهى أمره منذ زمن بعيد لصالح الإثبات ، بحيث أصبح الإنكار انحيازاً إلى دعوى خاسرة فصلت فيها نهائياً محكمة العلم ، فلم يعد الدفاع عنها إلا ثرثرة فارغة وجهداً مضيعاً . ولا يقل عن ذلك في الفراغ والضياع جهد الوقوف في تحفظ في غير ما إثبات ولا إنكار .

فكما انتهى أمر مرحلة الإنكار فقد انتهى أيضاً أمر مرحلة مثل هذا التحفظ المحايد ، الذي كان يعد في وقت ما موقفاً علمياً محموداً ، ولكنه أصبح الآن موقفاً بالياً من التعنت لا يمت بصلة ما إلى علم صحيح ولا إلى حياد محمود . بعد إذ انتقلت بالفعل علوم الحياة إلى مرحلتها الجديدة في البحث في قوانين الروح ، التي أصبحت تصاغ على أساس من التسليم بها قوانين النفس والبيولوجيا والفيزياء والانتروبولوجيا ، على أوسع نطاق وعلى أقوى صورة . فبدت أثبت جانباً وأصلب عوداً مما كانت عند ما كان « العلم الرسمي » يجهل أو يتجاهل قيمة هذه الكشوف الوساطية الخطيرة التي غيرت وجه التاريخ الإنساني في تقدم العلم والعرفان .

فالحياد الآن عند المطلع اطلاعاً كافياً مكابرة لا تقل في خطئها — وفي ضررها — عن خطأ المنكرين من غير المطلع ، في أن كليهما يقف موقفاً عدائياً غير علمي ولا مشروع ، فهو موقف عدو لا يرحم ولا يريد لرحمة الله أن تنزل على قلوب الناس بشيء من سكينة ولا من عزاء ....

لذلك كله نجد أن أفضل علماء المادة في عصرنا الحالي هم بأنفسهم أفضل المقتنعين بعالم الروح ، وأقواهم حديثاً عنه . وقد وصل إليه أغلبهم عن

طريق دراستهم للأثير ولحقيقة المادة الصلبة . إذ حطموا عالم المادة الصلبة بنظرياتهم وبمعادلاتهم الرياضية كما يقيموا بطريقة علمية صرفة أسساً رياضية لعالم الروح هذا على ما سنبينه فى عدة مناسبات لاحقة .

عقبات فى الطريق كانت متوقعة

ولم يقبل العلماء الماديون وكبار الفلاسفة والمفكرين على بحوثهم فى موضوع هذه الكشوف الوساطية الخطيرة بدافع من حماس لعقيدة عرفتهم من قبل ، ولا دفاعاً عن نظرية متفقة مع آرائهم السابقة . بل كانوا على العكس من ذلك يمثلون ذروة منطق عصرهم المادى فى أكثر أيامه ازدهاراً بالكشوف المادية وزهواً بها . وكان قد انتهى الرأى فيه إلى أن المادة الصلبة هى كل شيء ، وأنها تكفى وحدها لتعليل الحياة ، لأن المادة الخامدة غير الواعية قادرة بخواصها الذاتية على أن تخلق الحياة والوعى ! ...

فكان كل من يجرؤ على الخروج على هذه « البديهية العلمية » يتهم وقتها بأنه كافر بحقائق العلم الصحيح ، مدافع عن أمر غير معقول ولا مقبول . وكانت دعوى الحياة بعد الموت حينذاك ظاهرة البطلان فى العلم المادى لا تستحق عناء البحث فيها .

فلما ظهرت نتائج البحوث الروحية لم تجد ترحيباً عند جل علماء المادة ولا عند علماء النفس ولا عند جل المفكرين باسم العقيدة . فأما علماء المادة فقد قاومها أغلبهم لأنها كانت بمثابة دعوة صريحة لتحطيم كل البنيان المادى الذى شادوه بأنفسهم من قبل ، ولإقامة بنيان آخر جديد لفهم حقيقة المادة الصلبة والطاقة لم يكونوا قد استعدوا بعد لقبوله من الناحية النظرية .

وأما علماء النفس فقد قاومها عدد كبير منهم لأنها كانت دعوة موجهة إليهم للتخلى عن نظرياتهم القديمة التى شيدت فى جوهرها على أسس آلية أو مادية لا محل فيها لإيمان بحياة تلى الموت ولا لإله مزعوم ، ولا تعرف قوة أخرى خارج قوة المخ والحواس الفيزيقية للإنسان .

وأما المفكرون تحت لواء العقيدة فقد قاوموها — بوجه عام — لأنها كانت دعوة موجهة إليهم هم أيضاً كيما يتخلوا عن بعض نظريات الماضى — وما أعظم سلطانها على النفوس — ويعيدوا صياغتها على أساس علمى بعيد عن غرور التعصب . وقد كان الغرور منذ القدم قتالا المعرفة وعدواً لكل تقدم ولأية فضيلة حقيقية ...

وبعبارة أخرى كانت الدعوة إليهم صريحة كيما يقيموا فقهاً مترابطاً متسامحاً موضوعياً جديداً إلى المدى الذى ينبغى أن تختلط فيه حكمة الحكماء بعلم العلماء . فلا يعتبران بعد بابين للمعرفة منفصلين بل باباً واحداً ، ما دام العلم والحكمة معاً هما عبارة عن البحث فى قوانين الله تعالى . باباً يصمد لنفس وسائل التمحيص والبحث المتحرر التى تصمد لها أية معرفة مسخرة لخدمة الإنسان ورفعة شأنه .

ظهور الروح يصبح حقيقة علمية

فإذا كان قد أقبل — فى النهاية — مئات من أفضل العلماء ومن أفضل المفكرين تحت لواء العقيدة فى أنحاء مختلفة من العالم على هـذا النوع من البحث التجريبى فى الروح فإنما قد أقبلوا بدافع من رغبة فى الوصول إلى الحقيقة العلمية فى هذا الموضوع الخطير من أقرب أبوابها ، وهى فى نظرهم أثمن من كل حقيقة أخرى تستحق عناء البحث فيها .

واتبعوا فى ذلك كل الأساليب العلمية التى ألفوها من دقة فى الملاحظة والفحص والنقد ، ومن استعانة بكل أساليب التحليل المنطق والاستقراء والاستنتاج ، ومن تقليب للأمور على كافة وجوهها ، ومن تأنٍ تام فى دراستها وفى استخلاص نتائجها ، ومن تحفظ شديد فى قبولها وإعلانها . وهذه هى نفس الأساليب التحليلية الناقدة التى نادى بها ديكارت وغيره من الفلاسفة والتى أوصلت العلوم المادية إلى ما وصلت إليه من كشوف رائعة كانت تعد إلى عهد قريب ضرباً من الإفراط فى الوهم وفى الخيال .

وانتهى هؤلاء العلماء بعد سنين طويلة من بحث شاق متواصل إلى أن الأمر فيه من الجد أكثر مما فيه من الخرافة ، ومن الصواب أكثر مما فيه من الخطأ ، فصدق عليهم قول القائل « إن النفوس الضعيفة تؤمن بالمجهول إيماناً أعمى ، والنفوس القوية تنكر وجوده ، أما النفوس العظيمة فهي التي تقف من المجهول موقفاً جدياً » .

وتبين بعد هذا الموقف الجدى للعلماء أن الأمر على أية حال جد خطير ، وأنه أجل شأناً من أن يترك لأى كاتب يخوض فيه إثباتاً أو نفياً . أو أن يصبح نهباً لأى أديب أو متأدب يتصور أن السجال فيه محض مباراة كلامية يفوز فيها أقدرهم على فنون الكلام المرسل وعلى أساليب الهجوم فيه والدفاع .

ولم تكن هذه البحوث تجرى فى جو مريض لأصحابها ، بل كانوا هدفاً مستمراً لحملات عنيفة سداها الجهل والعناد ولحمتها رغبة استجداء انفعالات جماهير العصر المادى . والجماهير عدوة بطبيعتها لكل جديد ، لذا قال الأقدمون بحق « الويل لمن يحاول أن يعلم الناس أكثر مما يستطيعون أن يتعلموا » . وكانت الوسيلة الأساسية فى هذه الحملات الصاخبة هى اتهام الباحثين فى عقولهم وفى سلامة تقديرهم .

بل لقد بلغ الأمر بالمعارضين إلى حد تلفيق الأقوال ونسبتها زوراً إلى بعض العلماء والباحثين ، وإلى كبار الوسطاء الذين حطموا بموهبتهم العظيمة عمد الإيمان بسلطان المادة تحطيماً كاملا ، لنشرها فى صحافة لم تبتغ إلا التماس الشهرة عن هـــذا الطريق ، طريق إثارة روح الطرافة والاستغراب عند الجماهير لما تقرأ أن هؤلاء العلماء الكبار بلهاء ، بجانب وسطاء أذكياء ضحكوا عليهم وخدعوهم ، حين تمكن الصحفى الأريب من كشف حيلهم لأول وهلة ، وهم الذين خدعوا لسنين طويلة عباقرة العلم التجريبى وأساطين البحث والاستنباط . . . والجماهير بطبيعتها سريعة التصديق سهلة القياد .

ثم جاء دور نفر من المفكرين تحت لواء العقيدة يتصور أن من واجبه — أبداً — محاربة كل بحث جديد ، فانبرى منهم من انبرى للهجوم على كل من يبحث فى هذا الموضوع متهما إياه بالمروق والعصيان . وبلغ هذا الهجوم الدينى فى أوروبا ذروته فيما بين عامى ١٨٥٢ ، ١٨٦٢ بحجة الحرص على العقيدة الدينية من أن تتزعزع ، ثم أخذ يضعف تدريجياً لما تبين أن هذه الكشوف تثبت على العكس من ذلك أهم حقيقة دينية ، وهى حقيقة الحياة بعد الموت بما تتضمنه من ثواب ومن عقاب .

بل ابتدأ هذا البحث الجديد يكتسب بالتدريج أنصاراً عديدين له من بين رجال الدين وانتهى بحصوله على عدة اعترافات من رجال الأديان بوجه عام بصحته وبمشروعيته بعد بحث هذه الظواهر جيداً .

وهكذا أصبح العلم الروحى الحديث بفضل صفوة من رجال العلم والعقيدة العصريين من ذوى الأذهان المتفتحة مؤسساً على أسس علمية دينية فى نفس الوقت ، واختفت الهوة — أو كادت — بين العلم والعقيدة فى شأن حقائق الروح من جانب ، وبين كافة الأديان والأجناس من جانب آخر ، ولم يعد لهذه الهوة من وجود حقيق إلا فى أذهان نفر من الجامدين البعيدين عن جوهر العلم والعقيدة معاً .

للعلم الروحى رسالة جليلة : من ناحيتى المعرفة والعزاء

وللعلم الروحى الحديث رسالة جليلة من جوانب متعددة . فهو قد أثبت من جهة أولى أخطر حقيقة كونية أدركها عقل الإنسان بالفطرة ثم بالفلسفة النظرية ، ثم بالتجربة العملية . فهو بالتالى يطمئنه ـ بطريقة لا تقبل الشك ـ على قدره وعلى مصيره .

وهو يفتح ذهنه على أمور كثيرة كانت غامضة فى الحياة ، ولا يمكن أن يفك مغاليقها إلا هذا البحث المعملى فيما وراء الطبيعة ، الذى هو بمثابة رأس

قنطرة إلى عالم بل إلى عوالم غير محدودة تعيش فيها كائنات بشرية غير منظورة منا ، كانت تعيش بين ظهرانينا . وسنكون من سكانها يوماً لأن هذا هو مصيرنا المحتوم ، فينبغى أن نستعد له منذ الآن إذا أردنا حسن العاقبة ونعم المصير .

وهو ينشىء صلة يتمناها كل إنسان مع أحبائه وذويه ممن فصلهم عنه جبروت هذا الموت العاتى الذى ما تعود أن يرحم صلات ذوى القربى ولا عواطف يريد لها أصحابها أن تكون أبقى من الحياة ويشعرون أنها أقوى من الموت .

وهو يفتح أفاقاً للبحث جديدة فى التاريخ وفى اللغات القديمة وفى الفلسفة وفى الكشوف العلمية ، وفى القيم الاجتماعية والخلقية بوجه عام .

وهو يدعم الإيمان بالله تدعيماً تاماً ، بعد موجة مخيفة من الإلحاد اجتاحت الفكر الغربى فى القرنين الماضيين .... فإذا بظلام الإلحاد يروح بدداً إزاء نور الفجر ، وإذا بالعلم الحديث يتجه فى القرن العشرين اتجاهاً واضحاً وصريحاً نحو الإيمان بهذه القدرة الخالقة التى أصبح العلم لا يعرف لها حدوداً . وأصبح البحث فى الروح وسيلة من بين وسائل العلم الأخرى لاستكشاف جزء ضئيل من عظمة هذا الناموس وطريقاً للوصول إلى حقائق كثيرة أقلها شأناً يزرى بكل ما وصل إليه عقل الإنسان الهزيل من حقائق حتى الآن .

وهذا هو المعنى الذى عبر عنه علماء كثيرون ، وقال فى بعضه الشاعر والكاتب جيرالدماسى Geraldmassy إن « الاتصـــال بالأرواح Spiritisme صار لى كما صار للكثيرين غيرى توسعة فى أفق العقلى ومنفذاً لى إلى السماء وتحولا لإيمانى بالغيب إلى عقيدة بمشاهدات محققة لا يمكن أن تشبه الحياة بدونه إلا بالمرور فى قاع سفينة مغلقة النوافذ وليس مع السائر سوى بصيص من لهب شمعة ، ثم سمح له فجأة بأن يصعد إلى سطح السفينة فى ليلة

سطعت فيها الكواكب كيما يتأمل لأول مرة هذا المنظر العجيب للسماء وهى تتلألأ بعظمة الله ».

نعم إن السماء تتلألأ بقدرة الله الناطقة فى الكواكب المضيئة ، والتى تنطق بها أرواح «الموتى» الذين فقدناهم نخيل إلى حواسنا القاصرة أن الموت نهايتهم ، فإذا هو بداية الحياة الحقيقية لهم ، التى يغذيها النشاط المتدفق بحب المعرفة . كما يغذيها الأمل والعاطفة بمشاعر حية وقوية لا نعرف منها هنا إلا ظلالا باهتة وبصيصاً ضئيلا ستطفئه إن عاجلا أو آجلا ريح الموت التى تبدو الآن عاتية رهيبة .

فهذه المعرفة الجديدة تخفف الكثير من رهبة انتظار الموت عند الإنسان — وهو أبداً يخشى المجهول — إذا ما تحقق بنفسه أن ريح الموت هذه لا تطفىء شيئا ، بل تزيد شعلة النفس قوة وضياء ، وتختطف الزهرة الذابلة من هنا كيما تضعها فى جنة للخلد أكثر رونقا وبهاء .

وفى هذا الشأن يقول سير أوليفرلودج Oliver Lodge عالم اللاسلكى المعروف بعد أن ظل يواصل بحث هذا الموضوع لمدة أكثر من نصف قرن فى محاضرة له فى سنة ١٩٣٤ :

« إننى دائما أتسلم رسائل ممن هم فى حزن عميق لفقدهم طفلا أو شاباً أو شابة ... فأؤكد لهم أن الأحوال على ما يرام مع ذويهم هناك . لقد وضع الأطفال تحت رعاية قلوب رحيمة . إن الحجاب بين العالمين جد رقيق ، ومن الممكن إذا كانت الظروف مؤاتية الاتصال بهؤلاء الذين نسميهم أمواتاً . إذ أنهم لا زالوا يهتمون بعطفنا وحبنا ثم يبادلوننا هذا الشعور بأقوى منه ، ولا يؤذيهم سوى حزننا المتزايد .

« إنهم لا يعتبرون أنفسهم أمواتاً ، بل أحياء موفورى الحيوية ، محررين من هذا الجسم الثقيل ، قادرين على التنقل فى حرية فى حالتهم الجديدة هذه مستعملين الجسد الأثيرى الذى هو فى حوزتهم دائماً » .

كما يقول العالم الروحى جيمس آرثر فندلاى James Arthur Findlay وهو صاحب خبرة عشرات من السنين فى هذا الموضوع ، وكان مديراً المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن منذ إنشائه «إن الموت — كما أنبئت — سهل وبسيط كالذهاب إلى النوم والتيقظ . فجسمنا الأثيرى ينسل من جسمنا الفيزيقى حاملا العقل . ثم نصحو فى هذا الوسط الجديد فنجد أن أصدقاءنا وذوى قربانا على استعداد لمساعدتنا وإرشادنا فى حياتنا الجديدة .... ويعود الجسم الفيزيقى إلى الأرض ، أما الجسم الأثيرى وهو الذى يهيمن عليه العقل فيستمر فى تأدية وظائفه فى هذا العالم الأثيرى .... وتبقى الشخصية وهى بمعزل عن المادة الفيزيقية ، وسنظل نفكر كما نفكر الآن ، لأن كمية العقل الصغيرة التى لدى كل مناهى نفسها التى تؤثر فى الجسم الأثيرى وحده »[1] .

فإذا تركنا كلام العلماء الأرضيين وأردنا أن نعرف ما الذى تقوله الأرواح الراقية نفسها عن الموت وجدنا الروح الحكيم سيلفر بيرش Silver Birch أى الشجرة الفضية يقول « أريد ، وقد عشت فى عالم الروح سنين كثيرة ، أن أخبر المحزونين المكلومين أن الموت لا يمكن أن يفرق بين أولئك الذين وصلت بينهم المحبة . فالمحبة تخترق كل الحجب والتخوم وهى دائماً تبلغ ما تريد . لا تنتحبوا لأن من تحبونه قد انتشل من عالم الشقاء والصراع والجهل وأدخل فى حياة أكبر تظهر فيها بأسلوب أغزر الصفات الفطرية للإنسان . . . جففوا دموعكم حيث لا داعى للحزن لأن من تحبون قريب منكم دائماً . الموت لا يذهب بالمحبة ، فالمحبة غير متناهية والروح الأعظم غير متناه كذلك . . . »

فهل ثمت عزاء يمكن أن يبدد ظلام الحزن مثل الاقتناع الحتمى

(١) « على حافة العالم الأثيرى » ترجمة المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير طبعة ٣ ص ٤٤ .

بأن الموت هي عملية انتقال سهلة إلى عالم أرق من عالمنا وأرقى ؟ ... ومن الاقتناع بأن أرضنا أرض منفى وأحزان بالنسبة للنفوس الوديعة الطيبة؟!... حتى أن الحزن عند الروحيين يعد كفراً بالله وبرحمته، وإنكاراً لحقيقة يعرفونها جيداً وهي أن «يوم الوفاة أفضل من يوم الولادة»، لأن الولادة اعتقال الروح في مكان سحيق، أما الوفاة فهي انطلاق لها — بعد ضيق — إلى آفاق من النور يعجز خيالنا المحدود عن إدراكها، كما تعجز الشرنقة وهي تزحف في الجحور عن أن تدرك ماتصير إليه حالها عندما تتطور إلى فراشة جميلة تحلق فوق الزهور . . .

لذا كان العلم الروحي رسالة عزاء — لا تدانيها أية رسالة أخرى — لمن يعوزهم العزاء على من ظنوا أنهم قد وسدوهم الثرى وهم لا يدرون أنهم قد أودعوهم السماء . . . . ما دام هذا العلم يأبى الاعتراف بالموت وبالفناء .

فبعده من ناحية الايمان بالله تعالى وبناموسه الخلقي

والعلم الروحي إلى ذلك دعوة قوية للتحلي بمكارم الأخلاق وتعزيز لإيماننا بالله في عظيم عدله وحكمته ورحمته . ألم يلاحظ الفيلسوف عمانوئيل كنط E. Kant أن الإيمان بالله ليس مسألة علاقة بين الله والطبيعة، أو بين الله وهذه الأكوان المادية، ولكنه مسألة علاقة بين الله وضمير الإنسان؟

«فمن ضمير الإنسان إذن نستمد الدليل على وجود الله. وفي ضمير الإنسان شعور أصيل بالواجب الأدبي وقسطاس مستقيم يوحي إليه أن يعامل الناس كما يحب أن يعاملوه . وهذا الوحي الذي أودعه الله النفس الإنسانية ضمين بإسعاد منهم من يطيعونه وحسن الجزاء لهم من الله . ولكنهم لا يسعدون في كثير من الأحيان، وقد يسعد الآثمون ويشقى العاملون بالواجب في هذه الحياة . فلا بد من عالم آخر يتكافأ فيه واجب الإنسان وجزاؤه، وهذا هو البرهان الأدبي على خلود الروح وحرية الإنسان»[١].

---

(١) كتاب «الله» للأستاذ عباس محمود العقاد ص ١٩٩ .

ومتى كان البرهان الأدبى على ذلك مستمداً من الإيمان بالله وبعدالة ناموسه الخلق ، فإن البرهان إذا كان علمياً مستمداً مما يراه الباحث ويحققه بنفسه يكون أدعى إلى التمسك بإيمانه بالله وبعدالة ناموسه الخلق ، فهل فى فى ذلك أدنى ريب ؟ . . . وإذا كان البرهان الفلسفى يناسب الفلاسفة فإن البرهان العلمى يناسب كل مثقف ، بل يناسب كل إنسان يريد أن يعزز هذا الإيمان ويحافظ عليه ، كما يريد أن يعزز معه إيمانه برسالة السلام والمحبة بين جميع الأجناس والأديان .

ولعله لذلك قال المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى وهو يعرض قضية العلم الروحى الحديث ويدافع عنها فى دائرة معارفه (القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين) « للقارىء أن يتأمل فى سيرة رجلين أحدهما منكر للخلود يظن أن من مات تحلل جسمه وأمحى أثره وزال وجوده وبطل كل ما بلغه من محصول عقلى وارتقاء نفسى ، وكمال صورى وأدبى ، والآخر مثبت له يعتقد بأن الموت انتقال من دار أعمال إلى دار جزاء يرى فيها كل عامل ثمرة ما عمل من خير وشر ، وتنفتح له من باحات الجمال المعنوى ما يدوم عروجه فيه إلى كمال لا يحد بحد ، ولا يتقيد بقيد .

للقارىء أن يتأمل فى حال أولهما ليرى هل يعقل أن تكون له شكيمة ترده عن هوى ، أو تصده عن غى ، أو تصرفه عن باطل ، أو تزجره عن إتيان قبيح ... أنا ممن يعتقد أن للروح قدرة ذاتية على كبح جماح صاحبها لأنها من عالم علوى تنزع بفطرتها إلى الكمال ، ولكن قلما يصل إنسان إلى إنالة روحه سلطانها على جسده ، لأن هذا الأمر يحتاج لرياضة نفسية قاسية لا تسهل إلا لمن يعتقد بالخلود .... فعقيدة الخلود هى مطمأن نفسه وسكن خواطره ومعتصم اندفاعاته ، بها تمتد أشعة أمانيه إلى مالا نهاية ، ولا تقف مراميه عند حد فتجد فطرته متسعاً لمواهبها ، ومضطرباً لعواطفها فيصبح فاضلا لا لأنه يخاف عذاباً ، بل لأنه يجد لذة الفضيلة أكبر من لذة الرذيلة فيميل للأولى[1] . ... » .

(١) جزء ٤ ص ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

والاطلاع فى هذا الموضوع يضىء للقارىء جانباً من أجمل نواحى الحركة الفكرية والعلمية ، بل والأدبية أيضا فى العالم إلى المدى الذى يتعذر تحقيقه عن أى طريق آخر . هذه الحركة الروحية التى لا تزال تعانى من الجمود فى بلادنا ، بل ومن التخلف الذى لا يقل مداه عن قرن كامل من الزمان يكاد يمثل كل تاريخها حتى الآن ! ...

وذلك مع أن البحث فى الروح بأسلوب معملى حديث ألقى أضواء جديدة على مشكلات فلسفية قديمة ، منها بوجه خاص مشكلة معنى الإيمان بالله وبناموسه الخلقى ، ومعنى الضمير الذى كان فى الماضى مجرد كلمة فأصبح الآن حقيقة نفسية أو بالأدق عقلية ، بعد إذ اتضح أن عقل الإنسان يسجل عليه كل شاردة وواردة من خواطره . كما ألقى بالتالى أضواء جديدة على ظروف الحياة بعد الموت ، بما فيها من ثواب ومن عقاب ، بالإضافة إلى تعرضه لمشكلات هامة كثيرة فى شأن معنى الزمان والمكان ، ومدى حرية الاختيار فى تصرفات الإنسان ، وفى شأن الألم والإلهام والأحلام وغيرها . . هذه الأضواء التى يحرم نفسه منها من لا يطلع فيه .

وإنسان القرن العشرين من حقه - ومن واجبه أيضاً - أن يربط بين آرائه الموروثة والمكتسبة وبين حقائق القرن الذى يعيش فيه وفلسفاته ، لأن هذه وتلك تساهم معاً بغير ماريب فى بنيان عقله وعاطفته ، وترسم له بالتالى خطوط سعادته وشقائه مجتمعة ، فلا أقل من أن يستمد عناصر هذا الارتباط من كل باب للمعرفة فتحه له أسلوب البحث العلمى وكان فى الماضى مغلقاً أو شبه مغلق بفعل الجهالة وحدها ، وعرف الإنسان طريقه إليه عندما عرف كيف يستخدم العقل فى تمحيص ظواهر الطبيعة ودراسة سننها غير المحدودة والتى تتكشف شيئاً فشيئاً لمن يحاول البحث عنها وفيها .

ثم إن الإنسان - كما يقول الفيلسوف كنط Kant - خاضع فى حياته المادية

والروحية معاً لجمهورية واحدة كبرى « فإن نفسه تتصل فى حياتها الحاضرة بعالمين فى نفس الوقت ولكنها لا تدرك منهما إدراكاً واضحاً إلا العالم المادى طيلة اتصالها بجسده مكونة بذلك وحدة شخصية ، ولكنها باعتبارها عضواً فى العالم الروحى تتلقى التأثيرات الخالصة ذات الطبيعة غير المادية وتعطيها » . كما يقول أيضاً «سيجىء الوقت الذى يثبت فيه أن نفس الإنسان متصلة فعلا بعالم الأرواح اتصالاً وثيقاً لا ينحل ، وأن هذا العالم يؤثر فى عالمنا ويطبعه بطابع عميق». وهذا هو نفس ما قرره وأكده علماء وفلاسفة كبار من أمثال وليام جيمس William James وغيره على ماسيجىء فى صفحات هذا المؤلف .

علم الروح يقدر الإنسان حق قدره

وللعلم الروحى دوره الخطير فى تقدير قيمة الإنسان واحترام مشاعره البناءة وعقله الباحث عن الحقيقة أبداً . ولا أعتقد أن ثمت فلسفة أخرى يمكنها أن تزعم أنها تحترم قيمة الإنسان وتقدرها حق قدرها مثلما يفعل بحث علمى يقوم على أن الإنسان روح لا جسد وأنه خالد لا يموت ، وأنه يسير حثيثاً فى طريق التقدم والكمال بالغة ما بلغت ضآلة قدره بحسب مظهره الخارجى الآن — وفى ماضيه السحيق — من ناحيتى الخلق أو المعرفة .

قرأت كلمة معناها أن حياة إنسان واحد تبدو لا قيمة لها فى خضم الحياة مع أن هذا الكون كله لا يساوى شيئاً بجانب حياة إنسان واحد . . . . كم هى إنسانية هذه الكلمة ! لكنها لا تبدو على حقيقتها إلا للروحى الذى يعلم أن أى كوكب فى هذا الكون مهما كان حجمه عرضة للزوال لأنه من مادة صلبة ، أما أى روح إنسانية فإنها لا تقبل الزوال لأنها شعلة قدسية انبثقت من جوهر الحياة الكونيـــة ، التى صنعت الكواكب والنجوم ، كيما تختفى هذه وتلك عند اللزوم وتنمو فى رونقها شعلة النفس الخالدة ! ...

ثم هل هذا الكوكب الذى نعيش فيه يعد فى صحيفة الكون شيئاً

مذكوراً ؟ . . . إن الكون عبارة عن نظام يضم ألوف الملايين من المجرات وكل مجرة منها تحتوى على ألوف الملايين من النجوم . وعند الحافة الخارجية لمجرة منها تسمى « طريق التبانة » يوجد نجم متوسط الحجم معتدل الحرارة ازداد لونه اصفراراً بسبب الشيخوخة هو شمسنا التى ندور حولها — وسط خضم هائل من الحركة فى كل اتجاه — بسرعة حوالى ١٨٠٠٠ كيلومتر فى الساعة . .

ولقد أظهر الإحصاء الذى أجرى لقطاعات مختارة من «طريق التبانة» هذا بمعرفة علماء الأرصاد بجامعة هارفارد أن هناك أكثر من مايونى نجم منفرد. وعلى أساس هذا الإحصاء — ولاعتبارات تتعلق بالقوة المحركة — قدروا أن هذه المجرة وحدها تحوى حوالى مائة ألف مليون نجم . وكيما يحصلوا على صورة لأطراف الكون قدروا أن الكرة الأرضية قد انخفض حجمها إلى حجم نقطة حبر عادية قطرها نصف ملليمتر بدلا من قطرها الحالى وهو ١٢٧٤٠ كيلو متراً ، أى انخفضت إلى أقل من واحد على ٢٥ ألف مليون من حجمها الأصلى ، فإن كل أبعاد الكون تنكمش بنفس هذه النسبة . وعندئذ وصلوا إلى هذه النسب الناطقة بضآلة الأرض : — المسافة من الأرض إلى الشمس تصبح حوالى ستة أمتار — المسافة إلى أقرب نجم آخر تصبح حوالى ١٦١٧ كيلومتراً — قطر طريق التبانة يصبح حوالى ٣٧,٦١٥,٠٠٠ كيلومتر — المسافة إلى مجرة أخرى يطلق عليها «مجرة المرأة المسلسلة» تصبح حوالى ٧٣٢,٣٧٠,٠٠٠ كيلو متر .

فهل يعد كوكبنا بعد ذلك شيئا مذكورا ؟... وهل يتصور عقل عاقل أن تكون الحياة كلها قد تركزت فيه وأنها تزحف حثيثاً إلى فناء تدريجى محتوم ، وأن كل هذا الكون مسخر لخدمته كما يتصور الرأى المادى ؟... إن أى باحث روحى يعلم أن هذا الكوكب لا يعد شيئا مذكوراً وأنه عرضة للتلاشى إذا أرادت له ذلك حكمة الله ، أما حياة أى إنسان فقد أرادت لها حكمة الله الخلود .

فهل يمكن لأية فلسفة أخرى أن تقدر الحياة الإنسانية هذا التقدير ، وتقيم الدليل عليها تلو الدليل ؟ . . .

وليس قدر الإنسان فى خلوده فحسب ، بل أيضا فى خضوعه لنواميس عاقلة عطوفة عليه تعرف له قدره تريد له النجاة أبداً ، أو بالأدق تريد له التطور المستمر إلى مستوى متزايد من الارتفاع عن طريق الارتقاء التدريجى — الذى يتوقف على إرادة الإنسان تحديد سرعته ومداه — فى تكوينه العقلى والعاطفى والخلقى ، والذى يجىء بسبب الخبرة التى يكتسبها حتماً من المشاهدات ومن التجارب المتواصلة التى تفرضها عليه حياته التى لا تتوقف ، لو عرف كيف يستفيد منها فى بنيان حاضره ومستقبله ، عند تنقله من مستوى إلى آخر من مستويات هذا الوجود غير المحدود بحكم قوانين موضوعية محايدة . . . فهل هنالك ما هو أعدل من ذلك ؟

وهل يمكن لفلسفة أخرى غير فلسفة الروح أن تقيم — بالإضافة إلى ذلك — بنياناً موضوعياً متماسكاً للمحبة بين البشر من جميع الأجناس والأديان، أساسه خضوعهم جميعاً لهذا الناموس الواحد المشترك الذى لا يعرف محاباة ولا تمييزاً ، ولا فضلا لإنسان على آخر إلا بالتقوى ، وهى تمثل منبع الشمائل الطيبة فيه ؟

لذا يأخذنى العجب من الموقف السلبى الذى وقفه من حركة البحث فى الروح علماؤنا وقادة الفكر عندنا حتى الآن، حين أنها اجتذبت عدداً كبيراً منهم فى الخارج اجتذاباً قوياً إحساساً منهم بمدى خطورة الحقائق التى تكشفت عنها، وبمدى اتصالها بحركة العلم المادى ، وفى نفس الوقت بالتكوين الفكرى والروحى للإنسان . هذا إلى وثيق صلتها بالقيم الخلقية السائدة والتى ينبغى أن تسود .

ولمن يشك فى ذلك له أن يقلب صفحات أى كتاب من الكتب القيمة التى عالجت هذا الموضوع سواء من زواياه العلمية أم الفلسفية أم الاجتماعية فإنه سيتحقق بنفسه من مدى خطورته وعمق أثره ، وسيدرك فورا أية جناية

يجنيها علينا الصمت والجمود فى هذا الميدان الذى كان فى عصور نهضتنا هو ميداننا ، وهو نبراسنا ، وهو تراثنا الأصيل من الأولين ...

أليس الشرق هو مهبط الرسالات السماوية التى تهدف إلى النهوض بالروح لا بالمادة ، عن طريق تعزيز عاطفة المؤمن وإيمانه وضميره؟ . . . فضلا عن تقريب أخطر حقائق الكون إلى فهمه ومعرفته ؟.. فهل أصبحنا أكثر تعلقاً بالمادة وعزوفاً عن الروح ممن تعودنا أن نقول إنهم بناة حضارة مادية ودعاة تشكك وإلحاد ؟ . . . إنه حزن — وحزن عميق — نسجله هنا من موقف حملة الأقلام وقادة الفكر الذين يعلق الوطن عليهم آماله فى النهوض به وتذليل العقبات الجسام من طريقه .

لمَ أتردد إذاً ؟ !

فإذا كنت بعد اطلاع كاف — وتجريب — قد اقتنعت بجدية هذا البحث وبخطورته البالغة ، وبأنه جدير بأن أحمل عناء الدفاع عن نتائجه البعيدة المدى أمام ضميرى ، وأمام قارىء أقدر فداحة مسئوليتى قبله ، لا أجد ثمت مبرراً للتردد إلا خشية معارضة محتملة من نفر من الجامدين أو الأدعياء ، معارضة ليس من النهج العلمى فى شىء أن يحسب الباحث لمثلها حساباً ، وقد آثر أن ينشر بحثه خدمة للحقيقة العلمية وحدها كما اقتنع بها — بعد لأى وطول عناء — لا خدمة لانفعالات هذا النفر من المعارضين الذى لا يمكن أن ينزل إلى مستوى بحث هذه الأمور ، ولا أن يرتفع إلى مستوى التسليم بالعجز فيها .

وهذا النفر لن أناقشه بنفسى كثيراً ، بل سأدع لبحوث لفيف كبير من خيرة علماء القرنين الماضى والحاضر مهمة مناقشته . وسأشق طريقى للأمام تاركاً فى كل صفحة منه بينة قوية أو عدة بينات لها قيمتها ، لمن يريد أن يعرف فيه شيئاً جديداً بطريقة موضوعية محايدة ، أما المكابر فلا حيلة لأحد فيه ، ولن تخسر الحقيقة العلمية شيئاً بعدم اقتناعه بها ..

لقد كان بمقدورى أن أقول لمثل هذا النفر كما قال من قبل إدوين فردريك

باورز E. F. Bowers الأستاذ بجامعة مينيابوليس لأمثاله فى الخارج – «إن هذا الكتاب تحد للجهل والتطرف وروح التعصب الناكرة الكارهة ما تجمع من البينات الدالة بشكل قاطع على بقاء الشخصية بعد الموت»[1] .

فإن كنت لا أفعل فلأن التحدى قد يصح فى ميدان الحرب أو السياسة. أما فى ميدان البحث العلمى فإن الباحث يدخل محراباً قدسته المعرفة الصحيحة فلا ينبغى له أن يدع للتحدى أى مكان فى وسائله ولا فى غاياته ، طالما كان جاداً فى طلب البحث عن الحقائق والاستضاءة بنورها ، للوصول إلى معرفة ذاته وهى أثمن ما يستحق عناء البحث فيه، بدلا من أن يخبط خبط عشواء فى طريق الظلام والأوهام ... ثم يصر على التخبط على مدى الأيام والأعوام

ولا أحب أن يتصور أى إنسان أن البحث فى الروح شائك كما يقال أحياناً، لأن البحث عن الحقيقة العلمية لا يعرف — ولا يعترف — بالأشواك فى طريقه ، ولا يعوقه شىء عنها ، إذ المعرفة الصحيحة هى أثمن ما يستحق عناء البحث فيه ، وهى تمثل فى النهاية كل ما يملكه الإنسان من مجد ومن كرامة .

كما لا أحب أن يهون إنسان من قيمة البحث فى هذا الموضوع أو يقلل من شأنه ، لأن المعرفة الروحية ستصبح إن عاجلا أو آجلا مصدراً لعلوم الحياة وأصلا لعلم النفس بوجه خاص يعوض به ما فاته من تخلف ، وتضىء به علوم الحياة كثيراً من الجوانب الغامضة فى علوم الجماد بعد إذ أصبح تقدم علوم الجماد على علوم الحياة « إحدى الكوارث التى عانت منها الإنسانية — على ما لاحظه الدكتور ألكسيس كاريل Alexis Carrel الحائز على جائزة نوبل فى الطب —... فالبيئة التى ولدتها عقولنا واختراعاتنا غير صالحة لا بالنسبة لقوامنا ولا بالنسبة لهيئتنا . . إن القلق والهموم التى يعانى منها سكان المدن العصرية تتولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية » .

---

(١) فى « مؤلفه ظواهر حجرة تحضير الأرواح » .

ثم يضيف قائلا : « إننا ضحايا تخلف علوم الحياة عن علوم الجماد . . إن العلاج الوحيد الجائز لهذا الشر المستطير هو معرفة أكثر عمقاً بأنفسنا . . إننا لا نملك وسيلة أخرى لمعرفة القواعد التي لا تلين لوجوه نشاطنا العضوى والروحي وتمييز ما هو غير مشروع عما هو مشروع . وما دامت الأحوال الطبيعية للحياة قد حطمتها المدنية العصرية فقد أصبح علم الإنسان أكثر العلوم ضرورة »[1] .

وجوهر علم الإنسان الآن هو علم الروح بعد إذ تبين أن « الإنسان روح لا جسد » وانه أعظم بكثير مما كانت تصوره مدارس المادة بوصفه قطعة من جماد لا تختلف عن غيرها إلا بوظائفها العضوية ، أو كائناً يحبو على قدمين لا يختلف كثيراً عن تلك التي تحبو على أربع .

فإذا كان الأمر كذلك فلمَ أتردد في نشر نتيجة بحثي هذا ؟ . . . ولمَ أتراجع متخلياً عن مسئوليتي قبل القارىء الذي أقدر أن من حقه أن يعرف من هذا الأمر الخطير شيئاً صحيحاً بطريقة موضوعية محايدة ؟ ولحساب من يكون التراجع ؟

إن اعتراضات المعترضين لا تضيرني في شيء كما قلت ، كما لا تضير موضوعاً علمياً صرفاً ثبتت أقدامه بصفة حاسمة ونهائية في أرقى البيئات العلمية ، وأخذ يشق طريقه للأمام على نحو يبعث على الاطمئنان التام أننا إزاء علم حديث ، لكنه في أساسه الأول قديم قدم الحضارة الإنسانية ، بل قدم الإنسان ، وهو يشعر أبداً أنه أكثر من مجرد جسد مادى يحوله الموت إلى حفنة من تراب أو إلى بقعة من سراب . .

وسأتحفظ غاية التحفظ في اختيار البينات فلن أجعل منها عماداً لهذا المؤلف إلا البحوث التي جرت على منهاج علمي سليم وبواسطة علماء مبرزين ، من بينهم عدد ممن قادوا أوضح خطى التقدم العلمي الرائع منذ منتصف

---

(١) في مؤلفه « الإنسان ذلك المجهول » L'homme Cet Inconnu ترجمة الأستاذ عادل شفيق ص ٣١ ، ٤٣ .

القرن الماضى حتى الآن فى نواحى العلوم الأخرى من فيزياء وكيمياء وسيكولوجيا وفلك وبيولوجيا وفسيولوجيا وغيرها . وتم عدد منها داخل معاهد علمية راقية عريقة تقدم كل الضمانات المطلوبة لدرء شبهة التسرع فى تكوين الرأى أو الخطأ فيه. كما سأتحفظ فى إيراد البيانات المختلفة مراعياً فيها الدقة التى ينبغى أن تكون رائد كل من يتصدى للدفاع عن حقيقة علمية لا يخدمها شىء الآن قدر التحفظ فى قبول أصولها وعرض أسانيدها .

ولا أريد أن أقف طويلا هنا عند اعتراض بعض ذوى النوايا الطيبة ممن يقولون ، ولمَ لا نقف عند الروح كما بحثها فلاسفة العرب من أمثال ابن سيناء وابن رشد وابن القيم الجوزية والغزالى وغيرهم ؟! . . فالجواب يسير وهو أن هؤلاء فلاسفة كبار ، ولكن لمَ لا نقف فى الكيمياء أيضاً عند ابن حيان ، أو فى الطب عند ابن سيناء أو عند هيبو قراط ، وقد كان الطب يجهل فى أيامهما حتى دورة الدم ، كما كان يجهل الميكروبات وبالتالى وسائل مكافحتها ، والهورمونات والفتيامينات ووظائف أهم الأعضاء ؟ . . . بل لمَ لا نقف فى الفلك عند بطليموس وقد كان ينكر حركة الارض . . . ويؤكد أن الأرض لا يمكن أن تدور حول نفسها مع أنه يعد أحسن علماء الفلك من الإغريق ؟ . . .

فمثل هذا الاعتراض لا يستحق فى الرد عليه أكثر من ذلك ، ومن عبارة فى محلها قالها عالم الفيزياء سير أوليفر لودج وهو يرد على معارضيه فى البحث الروحى قائلا فى مؤتمر «جمعية تقدم العلوم» عقد فى لندن فى سنة ١٨٩١ «إن الحد الفاصل بين العالمين المادى والروحى قد قرب أن ينهار كما انهارت فواصل كثيرة غيره ،.وبذلك سنصل إلى إدراك سامٍ لوحدة الطبيعة . إن الأشياء الممكنة لا حد لها كما أن الوجود نفسه لا حد له ولانهاية ، وما نعلمه الآن منه لا يساوى شيئاً بالنسبة لما غاب عنا علمه . وإن إرادة قصر بحوثنا على المجالات التى افتتحناها نصف افتتاح يعتبر خيانة لعهود الرجال الذين كافحوا للحصول على حرية البحث وتخييباً لأقدس آمال العلم فينا » .

فأى تراجع فى البحث العلمى هو فى حقيقته خيانة لجهود الأقدمين والمحدثين معاً من العلماء والباحثين ، ونذير انهيار لركب الإنسانية الذى يسير إلى الأمام قدماً بفضل جهود من لا يعترفون بإمكان إيقاف عقارب الساعة أو إرجاعها إلى الوراء . ومن يفعل ذلك ربما يخدع نفسه ، لكنه لا يوقف سير الزمن الذى هو كالسيف إن لم نقطعه قطعنا . . .

ولنستعيد فى هذا الشأن بعض مارد به المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى — وهو من أصحاب التفاسير القيمة — على المعارضين فى مؤلفه «كتاب الأرواح» ، ويدور كله حول صحة العلم الروحى الحديث والدفاع عنه ونفى شبهة التعارض بينه وبين العقيدة ، عندما قال (فى ص ٥ — ٧ من طبعة ١٣٣٨ هـ و ١٩٢٠ ميلادية) :

« فهل نقف أمام هذا الحادث صامتين ، إنه لعيب فاضح ، وخطأ واضح وشين مبين . نحن أحق بهذا العلم من الغربيين . إن الأمر الجلل يعوزه كتب تؤلف ومجامع تحشد ، وعلماء تنتقد . أنا لست فى كتابى هذا أثبت العلم الروحى فحسب ، فلقد سبقنى إليه من نشروا الفكرة وأذاعوا أمره بين إخوانى المصريين ...

« أنا لست فى كتاب الأرواح أسرد الحوادث المنقولة «سبهللا» ولكنى أجد ذلك يطابق مانص عليه الغزالى وغيره بطريق الكشف ، وكيف قال إن عذاب القبر على هذا الأسلوب ، وستراه مفصلا فى الكتاب .

« ... فليتعاون الكتّاب على نشره فإن فيه سلوة المحزونين وإيقاظ الغافلين وتعليم الجاهلين واتباع الإيمان باليقين ورقى الأخلاق وتقليل النفاق وضعف الشقاق وذهاب الأحقاد والوثوق بحياة جديدة فلا يفزع الناس أشد الفزع من الممات ويقل بكاء الباكيات ويسهل احتمال النكبات وأشد الأزمات ، علماً بأنها طهارة للروح وإنماء للأخلاق ودروع سابغة وأجنحة بها تطير إلى العلا ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ... »

وفى ص ٤٧ من نفس الطبعة « اعتراض على المؤلف كيف يستدل

بكلام الفرنجة الذين يدعون إحضار الأرواح ؟ . . والإجابة على ذلك بأن العلوم جميعاً تؤخذ من أربابها وليس الدين بمانع من ذلك » .

* * *

ثم إن اعتراضات المعترضين التى كانت تثار ضد هذا النوع من البحث فى مقتبل أيامه قد أضحت برمتها غير مقبولة الآن بعد خضوعه طيلة هذه السنين — وقد قاربت قرناً وربعاً من الزمان — لكل وسائل البحث الدقيق والتجريب المتواصل ، وبعد إذ انحازت إليه صفوة من علماء ماديين كانوا من قبل مؤمنين بقوة المادة كل إيمان ، ومنكرين الروح كل إنكار ، فكانوا يتمنون عند ما بدأوا بحوثهم فيه أن يثبتوا أنه وهم مطلق وخرافة باطلة . لأن العقيدة العلمية إذا تمكنت من عقل صاحبها أضحت فى قوة العقيدة الدينية ، ومن هنا جاء التشابه بين رجل العلم ورجل الدين من ناحية التعلق الشديد بالقديم ورفض كل جديد كبر شأنه أو صغر .

لكن الاقتناع بحقيقة الحياة بعد الموت بعد التحقيق الطويل الذى أجروه وبعد الظواهر الحاسمة التى رأوها غلبهم على أمرهم كما صرحوا بذلك ، فانحازوا إلى هذا العلم بعد تقليب الأمور على كافة وجوهها . وكان انحيازهم له فى حذر وأناة — رغم تدفق البينات وقوتها — لأنه كان انحيازاً إلى الحقيقة العلمية وحدها كما عرفتهم فى بحوثهم فى العلوم المادية ، وكما عرفوها فى بحوثهم الروحية . بل كان انحيازاً لأخطر حقيقة كونية أخضعها العلم التجريبى لوسائله وأساليبه المعملية ، لذا تم فى بطء شديد واحتياط بالغ .

وقد كبدهم هذا الاقتناع الكثير من هجوم الجهلة والأغبياء ، لكن العلماء ضربوا عن الهجوم صفحاً وساروا فى طريقهم لا يبغون إلا خدمة وجه الحقيقة دون أى اعتبار آخر . . إذ الرجل الشريف الأمين هو أنبل ما خلق الله ، فلم يتراجع هؤلاء العلماء عن نشر مؤلفاتهم حاملة نتائج بحوثهم مطبوعة بكل طابع البحث المحايد المتأنى الناقد الجدير بالاعتبار ، والذى يلفت نظر أى قارىء بمجرد تصفح أى مؤلف منها . وهى تعد الآن بالآلاف لا بالمئات ،

وبكل اللغات ، وتكفى لإقناع أى إنسان يبحث عن الاقتناع العلمى السليم كأشد ما يدل عليه اللفظ . .

بل إن ثمت حقيقة أخرى لاحظها الأديب الإيرلندى شودرموند Shaw Desmond — أحد كبار الباحثين فى موضوع العلم الروحى — وهى « أن ملايين من البشر من جميع الأجناس والأوطان قد اقتنعوا الآن بصحة البينات التى قدمها العلماء ، واقتنعوا قبل أى اعتبار آخر بالبينة التى استمدوها من عقولهم ومن ضمائرهم ، ومعها ذلك الشعور بالسلام الذى يتجاوز كل معرفة »[1] .

موضوع المؤلف الحالى

النتيجة الهامـــة التى يخرج بها الباحث فى موضوع الروحية هى أن « الإنسان روح لا جسد » وهو العنوان الذى اخترته كيما ألخص تحته — تلخيصاً محدوداً على أية حال — بعض المعلومات العامة التى تلزم من قد يجد فى نفسه ميلا كافياً إلى مزيد من الاطلاع فيه .

قد يعترض البعض ابتداء على هذا العنوان قائلا « لمَ لا تقول إن الإنسان روح وجسد معاً فتكون أقرب إلى الواقع » ؟ ... لكن الواقع هو أن الإنسان فى العلم الروحى روح فقط . ذلك أن الجسد الأرضى إن هو إلا رداء بال يحبس الروح ويذلها إلى حين ... فهل يصح أن نعرف شخصاً بالرداء الذى يرتديه ولو كان من أفخر نوع ، فما بالك إذا كان من تراب ؟ ! ..

وهل يصح أن نعرف درة ثمينة بصندوق من طين يحتويها إلى حين ؟ ... أو أن نعرف طائراً جميلا بقفص من عظام بالية يغلق عليه سبيل الانطلاق ؟ . . لذا كان من الشائع فى هذا العلم القول بأن الإنسان روح لها جسد ، لا جسد له روح . وأقرب من ذلك إلى الصواب فى رأيى أن أقول إن الإنسان — وهو يمثل الذات الواعية الناطقة فينا — محض روح . أما الجسد المادى فهو المظهر

(١) فى مؤلفه « كيف تحيا عندما تموت ؟ » How You Live When You Die ? طبعة خامسة ص ١٦ .

الخارجى الذى به نتعارف إلى حين ، فلا صلة له بتعريف هذه الذات ، ولا هو ملك لها، بل هو ملك لأمه الأرض التى منها جاء وإليها يعود ...

وإذا أردنا أن نستعمل لغة الرياضة ، وقلنا إن الروح — لا الجسد — هى التى تمنح الإنسان شخصيته أى طابعه العقلى والخلق ، وهذا واضح بذاته لا يثير أدنى شبهة ، فإن الجسد بدون الروح لا يساوى شيئاً عندئذ . وتكون النتيجة المحتومة هى أن الروح بدون الجسد لا تنقص شيئاً يذكر بالتالى ، وتكون هى جوهر الإنسان . فالروح هى صانعة الجسد ، كما هى صانعة مصيرها فى حدود نواميس الطبيعة . وهى ليست متكافئة معه فى الجوهر حتى أضعها معه على قدم المساواة وأقول « بل الإنسان روح وجسد » . ومن هنا جاء عنوان مؤلفى هذا وهو « الإنسان روح لا جسد » .

ولست أطمع فى أن أعطى القارىء الإلمام المطلوب بهذا الموضوع المتسع النطاق فى مؤلف واحد — ولو كان فى جزئين — إذ لعل ما كتب فيه يملأ مكتبة تزيد محتوياتها — الآن — عن أية مكتبة عامة فى القانون أو فى الطب أو فى غيرهما من العلوم ، ونواحيه متشعبة ومتداخلة فى علوم أخرى كثيرة على ما سأبينه فيما بعد . بل إن الظواهر الوساطية فى ذاتها متنوعة وكل منها قد يتطلب فى عرضه مؤلفاً من عدة أجزاء . فما بالك بمن يريد أن يتعدى دراسة الظواهر الوساطية إلى ما هو أهم فى رأيى منها ، وهو دراسة المعلومات الروحية فى ذاتها ومدى صلتها بالحقائق العلمية الثابتة وبالمعتقدات المستقرة فى الأذهان ، وإلى حقيقة الثواب والعقاب ، وإلى بعض المعرفة بآراء الأرواح وفلسفاتها ، فإن هذه وتلك مجتمعة قد تتضمن من أسباب الموازنة وعناصر الحكم العام للموضوع فى جملته أو عليه أكثر مما تتضمنه دراسة أى نوع من الظواهر الوساطية على حدة وبالطريقة المعملية التى جرت وتجرى بها فى البيئات المعنية ببحثها .

وبعبارة أخرى إنى أبتغى جولة سريعة فى نواحٍ متعددة من موضوع البحوث الروحية الحديثة بقصد التعريف العام بها ، فإن نجحت فى إقناع

القارىء بجدوى هذا النوع من المعرفة ، وبصحته ، فقد أديت واجبي والحمد لله ، وإلا فعليه هو أن يوالى البحث والاطلاع فى المراجع المختلفة على النحو الذى يروقه ، إن كان يجد فى نفسه نزوعاً إلى مزيد من المعرفة فيه .

تبويب

هذا وقد رأيت أن أوزع موضوعات هذا المؤلف — بجزئيه — على تسعة أبواب متتابعة على النحو الآتى :

الباب الأول : عجالة عن الروح عند الأقدمين .

الباب الثانى : فى نشأة العلم الروحى الحديث .

الباب الثالث : فى بعض الأسماء والمراجع فيه .

الباب الرابع : فى بعض البينات والوقائع .

الباب الخامس : فى موقع عالم الروح .

الباب السادس : فى ظروف الحياة فيه .

الباب السابع : فى الثواب والعقاب .

الباب الثامن : فى بعض المشكلات الفلسفية الأخرى التى يعالجها هذا العلم .

الباب التاسع : فى الروح بين العلم والاعتقاد .

وبحيث يكون تناول موضوعات الأبواب الأربعة الأولى فى الجزء الأول ، وموضوعات الأبواب الخمسة الأخيرة فى الجزء الثانى منه .

الباب الأول

عجالة عن الروح عند الأقدمين

تمهيد

الإيمان بالروح قديم قدم الإنسان ، بما فى ذلك الاعتقاد بخلودها وبالثواب وبالعقاب . وكلما تتبع الباحثون تاريخ المجتمعات البشرية وجدوا الإيمان واضحاً بهذا الخلود ، بل وجدوا علامات كثيرة من التشابه فى وصف الحياة الآخرة وربطها بالحياة الدنيا . ومن الاعتقاد بأن هذه الحياة الآخرة فيها كل مظاهر الحياة الدنيا مع تفاوت كبير فى ظروف السعادة أو الشقاء .

فذلك هو ما التقت عنده معتقدات الأقدمين وأساطيرهم وأشعارهم فى شتى الحضارات المندثرة . وعند من يعرفون كيف أن الإلهام قد يوجه الحياة فى كافة مستوياتها ، وكيف أن عقول العباقرة والفلاسفة والشعراء كثيراً ما تكون هى « أجهزة الاستقبال » لهذا الإلهام الكونى العام يبدو مفهوماً أمر تشابه المعتقدات المختلفة عند شتى شعوب الأرض فى شأن طبيعة الحياة الأخرى ، لا فى شأن التسليم بها فحسب .

وفى هذا الشأن يقرر الدكتور حسن عثمان الأستاذ بجامعة القاهرة فى ترجمته العربية لكوميديا الشاعر دانتى اليجييرى عن «الجحيم» « لم يكن دانتى بطبيعة الحال أول من تناول فى «الكوميديا» عالم ما بعد الحياة ولقد تناولت ثقافة البشر هذه الناحية منذ أقدم العصور ، من سيبيريا إلى الهند وبابل ومصر وسوريا وفارس واليونان وروما واسكندناوة وأيرلندا والأندلس .

نجد مثلا المصريين القدماء قد عرفوا فى ديانتهم الجحيم المظلم بما يحتويه من ألوان العذاب ، وتصوروا الفردوس بما فيه من أنواع النعيم والسعادة الأبدية . وعندهم أوزيريس يزن أعمال الناس ويدفع بهم إلى الجزاء العادل .

وفى ديانة البابليين تهبط عشتروت إلى الجحيم حيث عذاب الزمهرير والجوع والعطش والبرص لتبعث تاموز إلى الحياة .

وعند اليهود أرض الظلام التى تقع تحت الأرض وتلاقى الأخيار والأشرار على السواء .

وفى ديانة الفرس جحيم ومطهر وفردوس، والإنسان ميدان معركة بين أهورا مازدا إله الخير وأهريمان ملك الظلمات والعالم السفلى .

وفى ديانة الهند يهبط يودهيشتيرا إلى الجحيم حيث رائحة الإثم والجثث والديدان والهوام والطيور والكواسر وأمواج اللهب ويصعد البطل أرجنا إلى السماء مأوى المؤمنين حيث الأزهار الجميلة والغوانى تحت الأشجار الخضراء والأنغام السماوية ويصل البطل محاطاً بالملائكة وصفوة البراهمة إلى حضرة رب الأرباب .

ويذكر هوميروس فى الإلياذة عالم الموتى والأبالسة وأنهار الجحيم وأبواب السماء ونعيم الفردوس . ويتكلم فى الأوديسية عن زيارة أوليسيس للعالم السفلى وحديثه مع أشباح الموتى .

وتحتوى ثقافة الأوترسكيين على عالم ما بعد الحياة وما يشمله من الشياطين والرعب والفزع . وبعض رسوم مقابرهم تعتبر كمقدمات لجحيم دانتى . . . . »[1] .

وهكذا يصدق على إيمان مواكب الشعوب بالروح وبالخلود، ما لاحظه أحد الحكماء من أنه « مما كتبه قدماء الفلاسفة من جميع الأجناس ، وما أنشده فطاحل شعراء جميع الشعوب وما جاء به حكماء جميع الأمم نستطيع أن نجمع آثار هذا الإشراق الذى جاء الإنسان وهو تفتح الوعى الروحى .

لقد تحدث عنه هذا بطريقة، وذاك بأخرى، ولكن الجميع رددوا نفس القصة — قصة واحدة لا تختلف . كل الذين أشرق عليهم هذا النور ولو

(١) الكوميديا الالهية « الجحيم » راجع بوجه خاص ص ٥٥ — ٦١.

خافتاً باهتاً ضعيف الضياء يرون نفس المعالم . وقرب الشبه بين ما تصنعه الأنشودة والشعر والتعاليم مهما بعد العصر واتسعت الحقبة بينها . إنها أنشودة الروح التي إذا سمعت مرة لا تنسى ، سواء أنشدها المتوحش على صوت آلته البدائية ، أو عزفها المتحضر على أوتار الآلة العصرية المتقنة .

إنها هي التي انحدرت من مصر الفراعنة ، أو من الهند ، أو من أثينا وروما ، من القديس المسيحي في الكنيسة والدير ، من الفيلسوف الصيني ومن قصص الهندي الأحمر وهو يروي أسطورة النبي البطل ، إنها واحدة النبرات متشابهة النغم . ولكن صوتها يزداد ارتفاعاً كلما مر الزمن بانضمام المنشدين الجدد ، كل بما في يده من قيثارة أو غيرها من آلات النغم إلى الفرقة العظمى »[1] .

والاعتقاد بإمكان الاتصال بين الأحياء و «الأموات» ليس بدوره أمراً جديداً على الفكر الإنساني ، بل إنه يمثل عقيدة كانت معروفة وشائعة في مجتمعات كثيرة ، ثم اندثرت في أمريكا وأوربا تحت تأثير ذيوع الآراء المادية ، إلى أن بعثت من جديد في منتصف القرن الماضي تحت تأثير طرقات منزل « ويكمان » في قرية هيدسفيل بالولايات المتحدة الأمريكية.

فيروي المؤرخ « فسك » مثلا أن الاتصال بأرواح الموتى كان من أول العبادات التي عرفها أجدادنا على اختلاف أجناسهم التي عاشت في إفريقيا وآسيا والصين واليابان وفي الشعب الآري الأوروبي وفي قبائل الهنود الأمريكيين . كما يروي «آلين» أيضاً في « تاريخ المدنية » أن القبائل المتوحشة في كل العالم ذات إلمام بالنفس الإنسانية وعالم الروح والخلود بوجه عام . . وأن الوفاة ما هي إلا خلاص الجسم عن طريق هذه النفس العجيبة التي يعتقدون أنها تظل في مكان ما قريب ، وأن الحب والكره في هذا العالم ينتقلان إلى العالم الآخر . . . . » .

---

(١) « فلسفة اليوجا » تأليف يوجي راما شارا كا ، ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد ص ١١١ .

ويضيق المقام هنا عن تتبع هذه العقيدة فى البلاد المختلفة عند الأقدمين، بل يكفى فى مؤلف خصصناه «للعلم الروحى الحديث» أن ننبه الأذهان — فى عجالة — إلى أن هذا الموضوع قديم، وكل ما فعله العلم الحديث هو أنه رضى أخيراً أن يتواضع قليلا ويبحثه بالأساليب العلمية الحديثة، فكانت المفاجأة الكبرى أنه جاز الامتحان بنجاح فى الوقت الذى كان قد استقر فى أذهان الباحثين أنفسهم أنه محض خرافة اندثرت مع تقدم العرفان إلى غير رجعة. فاضطر الباحثون العلميون إلى أن يراجعوا آراءهم المادية ويعيدوا صياغتها من جديد، فإذا بها بعد هذه الصياغة الجديدة أثبت قدماً وأقوى على النقد وعلى مواجهة كشوف العلم المادى نفسها، التى أخذت تترى فى تدفق مثير منذ عرفت الحقائق الروحية سبيلها إلى الأذهان، وفى تضامن تام مع التسليم بصحة هذه الحقائق

وذلك إلى المدى الذى يدفع بعض الباحثين الروحيين إلى الاعتقاد بأن عالم الروح كان وراء هذه النهضة الروحية العلمية الباهرة، كما كان من قبل وراء كل نهضة روحية عرفها الإنسان، فعالم الروح قديم قدم الحياة، وعالم المادة ظل باهت له، وأولهما خالد لا يفنى وثانيهما عرضة للفناء «ويمكن الآن اعتبار أثير الفضاء — كما يقول جيمس آرثر فندلاى مدير المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن — هو حلقة الاتصال الكبرى التى توحد ما بين عالم المادة وعالم الروح، لأن مادة الأثير مشتركة بين العالمين. وكلاهما محصور داخل هذه المادة، وكلاهما جزء منها، وكلاهما مكون منها. والعالمان جزء من كون واحد، والحياة فى كليهما مقيدة به. فهنا فى العالم المادى الذى نعيش فيه إنما نحس فقط بنوع من الاهتزازات المنخفضة الدرجة، أما فى عالم الروح حيث تؤدى الحياة وظائفها أيضاً فإن الوعى يتأثر بنوع من اهتزازات أعلى درجة.

«وكلما أوغلنا فى البحث سنزداد اقتناعاً بهذه الآراء، لأنه من أحاديثى مع أولئك الذين يحيون تلك الحياة، سنعلم أن عالم الروح حقيقى ملموس جميل كهذا العالم المادى الذى تدركه حواسنا المحدودة، بل إنه فى الواقع

أكثر منه فى هذا الصدد »[1].

فالصلات بين العالمين قديمة قدم الحياة وهى أقوى مما نتصور « أقول بكل مافى وسعى من قوة — يقول الأستاذ إدوارد راندال Edward C. Randall — المحامى الأمريكى والبحاثة الروحى إن الحياة كلها مستمرة وأنه لا شىء ضائع البتة ، وإن التواصل ممكن بل إنه قد تم فعلا بطرق كثيرة مع أولئك الذين فى الحياة الأخرى . وقد كان همى أن أوجد الحالة التى تستطيع بها الأرواح أن تغلف أعضاءها التنفسية بمادة فيزيقية فتستطيع أن تكلمنا ونحن فى حياتنا الأرضية . وقد كان من حسن حظى أنى سمعت صواتها مئات المرات ، فكان ذلك خير طرق التواصل كلها . . وقد أمكن الحصول من هذا المصدر على معارف عظمى وحقائق غابت عن العلماء ... »

* * *

وفيما يلى سنمر مروراً سريعاً على موضوع الروح من ناحية الاعتقاد فى خلودها فى عصور مختلفة من التاريخ وفى آداب مختلف الحضارات وفلسفاتها ، متوخين أن نقدم هذه العجالة بترتيب تاريخى على النحو الآتى :

الفصل الأول : الروح عند الفراعنة .
الفصل الثانى : الروح عند الهندوس .
الفصل الثالث : الروح عند الإغريق والرومان .
الفصل الرابع : الروح عند فلاسفة المسيحية .
الفصل الخامس : الروح عند فلاسفة الإسلام .
الفصل السادس : الروح فى عصور أحدث مما تقدم .

---

(١) « على حافة العالم الأثيرى » طبعة ثالثة ص ٤٤ .

الفصل الأول

الروح عند الفراعنة

إذا كان الأمر كما تقدم فى شأن عمق الصلة بين العالمين المادى والروحى فلا غرابة أن نجد أن الفراعنة منذ القدم يعرفون الكثير عن الروح فى بعثها ونشورها وثوابها وعقابها وحياتها . ويصورونها على جدران قبورهم ومعابدهم تحيا هناك حياة مادية أشبه ماتكون بالحياة الأرضيـة النقية فى الحدائق والمروج المدعوة حقول « يارو » الدائمة الخضرة الوفيرة الخيرات يعمها السلام والأمن والطمأنينة وينال كل فرد منها نصيبه . كما أن هناك أرواحاً أخرى تعلو طبقات الجو حتى تبلغ الشمس وتعيش أزلية[1].

وكانوا يؤمنون بأن الروح عندما تغادر جسدها المادى تكتسى بجسد جديد أرقى من الجسد المادى وأرق ولا يقبل الفناء وكانوا يطلقون عليه وصف « كا » ، وكل ذلك منذ أول عهدهم بحضارتهم العريقة التى ترجع إلى خمسة آلاف سنة قبل الميلاد .

وإلمامهم الدقيق بحياة الروح يدفع بعض الباحثين فى العلم الروحى الحديث إلى الاعتقاد بأنهم كانوا على صلة مستمرة بالأرواح عن طريق وسطاء الاستشفاف البصرى والسمعى وغيرهم ، وأنهم أخذوا أسباب حضارتهم العظمى عن هؤلاء الوسطاء لا عن العلماء الأرضيين بالمعنى الذى نفهمه الآن لهذا اللفظ . ويقال إن الفراعنة كانوا يفضلون اختيار كهنتهم من بين هؤلاء الوسطاء ، وأن الاتصال بالأرواح كان يتم فى المعابد عادة عن طريق هؤلاء الكهنة الوسطاء . وأن الكهانة كانت محصورة فى أسر معينة ، لأن موهبة الوساطة الروحية تكثر عادة فى أسر معينة ، وعرضة لأن يتلقاها الإنسان

---

(١) راجع « تاريخ مصر القديمة » لجيمس هنرى بريستد ترجمة الدكتور حسن كمال ص ٤٢ .

أحياناً عن طريق قوانين الوراثة الطبيعية شأن الملامح والصفات والكثير من المواهب الأخرى كالموسيقى والرسم والأدب .

وكان الفراعنة يؤمنون أيضاً بإمكان التنبؤ بالمستقبل وبقيمة وحى « الآلهة » . ويذكر المؤرخون الإغريق فى هذا الشأن وحى « آمون رع » الذى يرجع تاريخه إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد وكان يظهر فى شكل طيف يمثل الإله متحدثاً إلى الناس ، مستمعاً إلى أسئلتهم ومجيباً عنها . ويقال إن الإسكندر الاكبر عندما زار معبده قال له الطيف « سوف تملك جميع البلاد وتخضع لك جميع الأديان » .

كما يذكرون أيضاً وحى «عين شمس» الذى كان الناس يقدمون إليه لاستشارة كهنته . ويقول بعض المؤرخين الإغريق إن الامبراطور الرومانى تراجان رأى قبل أن يدخل حرب برشيا أن يستشيره فبعث إليه وفداً لهذا الغرض فأجاب الكهنة إجابة صامتة بأن أرسلوا إلى تراجان غصن كرم مكسوراً دون أى تعليق ، وقد خسر تراجان هذه الحرب وقتل فيها . . .

وفى الجملة لقد كانت الظواهر الوساطية معروفة عند الفراعنة ، وكانت الصلات بين عالمى الروح والمادة مسلماً بها عندهم كحقيقة أولية لعبت دوراً واضحاً فى توجيه أسلوب حياتهم هذه الوجهة الدينية البارزة فى كل ماخلفوه من شتى مظاهر حضارتهم العظمى ، وفى كل ماحصلوا عليه من علم ومن عرفان .

فلم يكن الإيمان بعالم الغيب عندهم مجرد عقيدة دينية بقدر ماكان جزءاً لا يتجزأ من أسلوب حياتهم اليومية التى يعتقد عدد من العلماء والباحثين أنها كانت سبيلهم للوصول إلى جل علومهم ومعارفهم ، التى لا تزال تحير الألباب وتثير أسئلة عديدة دون أن تظفر حتى الآن بأى جواب حاسم . ومن قبيل ذلك اهتمامهم الشديد بتحنيط أجداث موتاهم ، فقد كان ذلك صدى لإيمانهم الثابت فى الخلود، ولكنهم كانوا لا يفهمون مصدر الأجساد التى تلازم الروح فى رحلتها الأبدية ، لأنهم كانوا فيما يبدو لا يعلمون بعد شيئا يذكر عن الأثير وعن تأثير العقل المباشر فى المادة، وهما محور علم الروح فى طوره المعاصر .

وقد أشارت عدة كتب تلقاها بعض الوسطاء المعاصرين إلى كل ذلك. ومنها مثلا كتاب «أول فرعون» الذى تلقته من عالم الروح الوسيطة الملهمة دجمار أوكونر Dagmar Oconnor[1] .

وكان الفراعنة يطلقون على أرواحهم الراقية وصف الآلهة ومن هنا تعددت عندهم الآلهة، وأخذوا يرمزون إليها برموز شتى — لأنها كانت فيما يبدو تختار لنفسها أسماء رمزية مستعارة كما تفعل الأرواح الراقية فى عصرنا هذا، مثل «هوايت هوك» أى الصقر الأبيض أو «هويت إيجل» أى النسر الأبيض أو «سيلفر بيرش» أى الشجرة الفضية ... ونحوها .

إلى حد أنهم — على حد ظنى الخاص — كانوا يرسمون أرواحهم هذه فى صورة صقر أو نسر حقيق على قبورهم ومعابدهم كناية عنها . ومع الزمن اكتسبت الرسوم قيمة خاصة فى أذهان الناس فقدسوها دون أن يفطنوا إلى أنها مجرد أسماء رمزية مستعارة لأرواح راقية . . وكل شىء فى الأديان يكتسب مع الوقت قداسة خاصة، فينسى الناس الجوهر ويتمسكون بالمظاهر ويبتعدون عن الخالق لأنه بعيد عن حواسهم القاصرة، ويتعلقون بما هو قريب من حواسهم المادية وأفهامهم فى صورة نبى أو ولى أو قديس، أو حتى فى صورة رموز أو أشياء يضفون عليها القداسة ويعلقون عليها الأهمية الكبرى فى عباداتهم وطقوسهم . وظلت الحال على هذا المنوال، إلى أن تنبه أخناتون إلى هذا الخلط بين رموز الأرواح الراقية وبين الإله الواحد خالق هذا الكون فدعاهم إلى عقيدة التوحيد على ماترويه كتب التاريخ .

وقد انتقلت نفس هذه الطريقة فى التعبير عن الأرواح الراقية بالآلهة من الفراعنة إلى اليهود ثم إلى الأغريق ثم إلى الرومان .. على ما سيلى فيما بعد .

---

(١) وهو كتاب رائع من الناحيتين التاريخية والقصصية معاً نقله الى العربية صديقنا الدكتور على راضى الأستاذ بكلية العلوم . وقد أوضحت هذه الآراء أيضاً قصة «الفرعون المجنح» تأليف جون جرانت Joan Grant وقد نقلها إلى العربية الاستاذ إبراهيم العفيفى، وفيها حديث عن وسطاء الاستشفاف والتخاطر عند الفراعنة والصلات بين عالمى الروح والمادة عندهم .

الفصل الثانى

الروح عند الهندوس

فى آسيا يعلم الناس الكثير عن الروح وعن عالم الروح وعن إمكان الاتصال بين عالمى الروح والمادة . وتعتبر أقدم الديانات فى العالم أجمع الآن هى الديانة الفيدية ، وهى الشكل الفطرى الأول للدين الهندوسى المأخوذ عن كتب الإله « فيدا Vedas » الأربعة المكتوبة باللغة السنسكريتية والمنسوبة إلى وحى نزل من السماء على براهما .

وهذه الكتب هى ساما ورج وياجور وأثارفا . وتشرح الفيدات طبيعة براهما الإله الخالق الذى هو « أتما » أو النفس الخالدة فى الإنسان ، وتصور الكون كنسيج متطور من كيان الله ، كما تجعل امتزاج الفرد مع الله صورة لامتزاج النفس مع الروح .

والفيدنتا تلخص الفيدات الأربعة وقد أعجبت كثيراً من مفكرى الغرب وفلاسفته . وقد وصفها المؤرخ فكتور كوسان قائلا إننا « حينما نطالع بإمعان فلسفة الشرق — وخصوصاً الهندية منها — فإننا نقف على كثير من الحقائق العويصة التى تكرهنا على أن ننحنى إجلالا للفلسفة الشرقية ، ونرى فى هذا المهد للجنس البشرى موطناً لأسمى ضروب الفلسفة ... » كما يقول فيها شليجل : « إن أسمى فلسفة أوروبية وهى مثالية التفكير كما وضعها فلاسفة الإغريق تبدو — متى قورنت بالحياة والنشاط الزاخرين للفلسفة الشرقية المثالية — كبصيص ضوء ضئيل مقابل فيض كامل من ضوء الشمس ... » .

وهى مؤسسة على عقيدة خلود الروح والعودة إلى التجسد والإيمان بإله واحد . وبالسماء التى تصعد إليها الأرواح الصالحة فيتلقاها « ياما » الذى يرفعها إلى الجنة حيث تنعم بكل اللذائذ الأرضية التى تكون قد اكتملت

وأصبحت أبدية وقد وصف أحد هذه الكتب السماء الفيدية بأنها «المقام المقدس والمقر النهائي للآلهة الخالدة. وموطن الضوء الخالد الذي هو الأصل والقاعدة في كل ما هو كائن. وحيث تتحقق الرغبات بمجرد أن تنشأ».

وهذا الوصف هو تقريباً ما تصف به الكتب الروحية الحديثة عالم الأثير، مع أن كتب فيدا هذه تتجاوز في قدمها حتى تاريخ الفراعنة الأقدمين، مما يحمل على الاعتقاد بأن وسطاء الهندوس قد تلقوها بدورهم عن طريق الإلهام من أرواح راقية تسكن عالم الأثير بحسب الوصف الحديث.

والديانة البرهمية غاصة بالحقائق الصحيحة الكثيرة عن الروح في حياتها الأرضية والسماوية وبالنصائح الخلقية التي يؤدي اتباعها إلى خلاص الروح في حياتيها معاً وإلى استحقاق النعيم في عالم الملكوت. كما تؤمن بأن الروح الإنسانية نفحة إلهية، وأن الموت يعطي الروح جسداً شفافاً نورانياً ينتقل إلى الملأ الأعلى، وأن هذا الجسد وإن كان مادياً في مظهره إلا أنه من طبيعة غير ترابية، بل أرق من أجسادنا الفانية. وفي علم الروح الحديث ما يتفق مع هذه المعاني أيضاً. وتؤمن المذاهب السائدة في البوذية بوجود جنات حول جبل «ميرو» الذي سفحه من الذهب المرصع بالأحجار الكريمة ومقسم إلى عدة طبقات في كل طبقة أهلها من الصالحين على حسب درجاتهم وفوقها جنات أخرى كثيرة حتى تنتهي إلى جنة علوية في السماء يحيا فيها الأبرار في سعادة مطلقة.

ويعتبر مذهب اليوجا الهندي بوجه خاص من المذاهب الشرقية الهامة في الفهم العميق للروح إلى حد أنه يثير دائماً اهتمام الباحثين الروحيين في الغرب والشرق عند معالجة موضوع الأرواح[1].

والإيمان بالروح وبالخلود يبلغ ذروته عند اتباع هذا المذهب بوجه

---

(١) راجع فيه «فلسفة اليوجا» الذي ترجمه إلى العربية الأستاذ عريان يوسف سعد.

خاص، بما يستتبعه الإيمان من وجوب اتباع أنظمة صارمة من الزهد والتقشف وضبط النفس للوصول إلى المواهب الروحية القوية، حتى أن جبابرة الروح فى الهند ممن يحققون الخوارق الوساطية التى تحير ألباب علماء الغرب يكثرون عادة عند اتباع هذا المذهب، الذين لا يصرفهم شىء من أعراض الدنيا الزائلة عن مشاغلهم الروحية .

ويروى المؤرخون أن الإسكندر الأكبر عندما ذهب إلى الهند فاتحاً أراد عند ما وصل إلى تاكسلا بشمال الهند أن يرى دندامس المعلم اليوجى الهندى العظيم فبعث إليه أونسكريتوس أحد طلبة مدرسة ديوجينس الإغريقية ليأتيه به .

وقال أونيسكريتوس بعد أن عثر على دندامس فى مخبئه فى إحدى الغابات « تحية وسلاماً اى معلم البراهمة ! إن الاسكندر إبن الإله العظيم زفس وسيد الخلق أجمعين يطلب منك أن تذهب إليه ، فإن فعلت أجزل لك العطاء ، ولكن الويل لك إن أبيت فسوف تدفع رأسك ثمناً لهذا الإباء ! » .

وتلقى الحكيم اليوجى هذه الدعوة الإلزامية برباطة جأش ورد عليها رداً طويلا ساخراً نقتطف منه ما يلى « إن الإسكندر ليس إلهاً ، إذ هو لابد ذائق الموت . وكيف يكون مثله سيداً للكون فى حين أنه لم يتربع بعد على عرش السلطان الداخلى ، ولم يدخل للآن حياً إلى الهاوية ولا يعلم سير الشمس فى أقطار الأرض الوسطى ، ولم تسمع الدول المتاخمة ولو قدراً يسيراً عن اسمه ؟ . . .

ثم استطرد الحكيم الهندوسى قائلا « وإذا أطاح الإسكندر برأسى فلن يقوى على تحطيم نفسى . ورأسى الذى يصمت سوف يبقى ويخلف الجسد كرداء ممزق على الأرض التى جبل منها . وكروح أصعد حينئذ إلى الله الذى سوانا جسداً ، ووضعنا على هذه الأرض لكى نثبت له فى وجودنا عليها ما إذا كنا نحيا فى طاعته . والذى يتطلب منا حينما نقف أمامه أن نقدم

حسابا عن أعمالنا . إذ أنه ديان جميع المعاصى كما أن أنات المظلوم ستصبح عقاباً للظالم .

« دع الإسكندر يرهب بهذا الوعيد أولئك الذين يطمعون فى الثراء أو يخشون الموت . اللذين هما سلاحان مفلولان بالنسبة لى . فالبرهميون لا يتعشقون الذهب ولا يرهبون الردى . اذهب وقل للاسكندر : إن دندامس ليس بحاجة إلى شىء مما لك ، وبالتالى يرفض أن يجىء إليك . أما إذا كنت فى حاجة إلى دندامس فتعالَ أنت إليه » .

وتلقى الإسكندر بانتباه عميق جواب اليوجى على لسان أونيسكريتوس وأحس برغبة متزايدة فى رؤية دندامس الذى كان رغم عريه وتقدمه فى السن الخصم الوحيد الذى وجد فيه مدوخ الأمصار نداً حقيقياً له[1]، وهو فى الواقع الروحى أكثر من ند بكثير .

* * *

وديانة كونفشيوس (القرن السادس قبل الميلاد) الشائعة فى الصين واليابان تعرف أيضا الكثير عن حقائق الروح والخلود والصلات بين العالمين مع الاعتقاد بأن أرواح آبائنا وأجدادنا توجه تصرفاتنا بما يضيق المقام عن التعرض له هنا[2] .

---

(١) « فلسفة الهند فى سيرة يوجى » للحكيم برمهنسا يوجا ننندا ترجمة الأستاذ زكى عوض المحامى ص ٤١٢ — ٤١٠ .

(٢) راجع كتاب بوتييه عن الصين ص ١٣٦ وما بعدها . وفيه يقول بأن كونفشيوس كان يعتقد بأن للروح غلافاً جسدياً يخالف الجسد العادى ولا يقبل الفناء ، كما كان يقول بأن الأرواح تحيط بنا من كل جانب وأن لها قدرة على اتخاذ مظهر جسدى .

الفصل الثالث

الروح عند الإغريق والرومان

إذا انتقلنا إلى الإغريق وجدناهم فى أزهى أيام نهضتهم الفلسفية العظمى يكثرون من الحديث عن الأرواح ويصفونها بالآلهة . ومن هنا كثرت أساطيرهم عن آلهة الحكمة ، وآلهة الجمال ، وآلهة الحب والصيد والخمر والحرب ...

وتحدث أكبر فلاسفتهم وشعرائهم ومؤرخيهم عن الأرواح كحقيقة واقعة لا تثير شبهة . ومنهم بوجه خاص سقراط وأرسطوطاليس وأفلاطون وسوفوكليس وهوميروس ويوربيدين وفرجيل وبلوتارك وهيرودوت وبطليموس وهوراس ويوسفوس وماكز يموس أوف تير وتاليس[1] ... وغيرهم .

وكانت نحلتا الأورفية والفيثاغورية تؤمنان بخلود النفس وتعتقدان أنها جوهر إلهى نزل وسكن فى الجسد ، أو بالأدق سجن فيه ، ولا بد أن تقضى النفس مدة العقوبة قبل أن تغادر الجسد[2] ، ويكاد يكون هذا بعينه مذهب العودة للتجسد Reincarnation السائد عند غالبية الروحيين .

وكان سقراط يؤمن بخلود النفس وعندما حكم عليه بالموت صرح لاثنين من أتباعه هما سيمياس Simias وسيبس Cébés قائلا « نعم إنى أعترف أنه لولا اعتقادى أنى سوف أذهب أولا صوب آلهة أخرى حليمة ورحيمة، ثم بعد ذلك نحو رجال ماتوا هم أفضل من رجال هذه الحياة الدنيا لكان

---

(١) كان تاليس يقول إن العالم مشحون بالأرواح والشياطين وأنهم يتجولون بين أيدينا ومن خلفنا وأنهم يروننا رغم أننا لا نراهم . وتاليس هذا من فلاسفة القرن السابع قبل الميلاد .

(٢) راجع عن النحلة الأورفية كتاب « فى عالم الفلسفة » للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى

من الخطأ الفاحش ألا تثور نفسى ضد الموت . . . » وهذه الواقعة رواها أفلاطون عن سقراط فى محاورة فيدون Phédon.

كما يروى أفلاطون عن سقراط أن أستاذه كان يعتقد أن الفيلسوف الحق هو الذى لا يشغله عن التفكير فى الموت شاغل ، إذ أن الموت هو وسيلة تحرير الفكر ، وأن النفس لن تستطيع أن تدرك شيئاً على حقيقته إلا إذا قطعت كل صلة تصلها بالجسد ، إذ هو عائقها عن المعرفة الحقة ، وهو عاجز عن تفهم معانى العدل والخير والجمال « إذ طالما بقيت لنا أجسادنا ، وظلت نفوسنا مختلطة شديد اختلاط بذلك الشيء الردىء ، فإننا لن ندرك موضوع رغبتنا إدراكاً كافياً ، وإن هذا الموضوع لهو الحقيقة . . . »[1] .

ولذا كان سقراط يؤمن أن الفيلسوف الحق هو الذى ينبغى أن يطلب الموت ، ويعتقد العامة أن اتصال النفس بالجسد حياة وانفصالها عنه موت ، ولذا يخافون الموت مع أن حياتهم فى حقيقتها موت وموت الفلاسفة فى حقيقته حياة ، لأن الإنسان العامى يتعلق بمطالب الجسد ويغفل مطالب النفس وهما العلم وطلب المعرفة ، فهو ذو نفس ميتة ولو كان على قيد الحياة ، أما الفيلسوف فيعد نفسه للحياة عن طريق الموت ، وذلك بأن يعمل على استقلال النفس عن البدن ومطالبه بالزهد فيها وبالبحث عن المعرفة لا عن طريق الحواس الخداعة ، بل عن طريق العقل والفكر ، وبالبحث عن الوجود الحقيقى فى الحق والخير والجمال والشكل والصحة .

كما كان سقراط كثيراً ما يبرهن على خلود النفس بعد الموت وعندما صدر الحكم الظالم بإعدامه قال « إنى لمغتبط بهذا الموت كل الاغتباط لأن الإله (يقصد روحه المرشدة التى كان يصفها بهذا الوصف على طريقة الإغريق) لم يعطنى إشارة سيئة عندما برحت دارى ولا عندما اعتليت هذه المنصة كيما أتولى الدفاع عن قضيتى . ومن عادة الإله أن يعطينى هذه الإشارة السيئة

---

(1) Phédon 69, b.

كلما هددنى شرما ، وأخذ قرب احتضاره يبين لأتباعه كيف أن للأشياء عوداً على بدء ، فالحياة يتبعها الموت والموت تتبعه الحياة .

وكان سقراط يعتقد أيضاً أن لكل روح روحاً تحفظها وتلهمها ما قد ينفعها فى دنياها ، وعليه فمن الجائز أن يقوم الأحياء بمخاطبة الأرواح أثناء وجودهم فى هذا العالم . كما كان يؤكد أن روحاً كانت تخاطبه وترشده فى أمور دنياه منذ كان طفلا صغيراً وكان يسمع صوتها ويأتمر بأمرها حتى بعد أن أصبح رجلا كبيراً[1] . وكان سقراط يعتقد أيضاً بأن إلهاً خيراً يعين الناس عندما يكونون فى شك من أمر مستقبلهم ، لذا كان ينصح أصدقاءه باستشارة الوحى ولا سيما وحى « دلفى » ، عندما كان معبدها مع معبد « دودونا » من أهم مراكز التنبؤ عند الإغريق بفضل تفوهات الغيبوبة التى كانت تصدر عن كاهنات المعبدين[2] .

وتولى أفلاطون بعد سقراط إضافة الأدلة الفلسفية الكثيرة على خلود النفس ، مثل برهان الحياة والحركة ، وبرهان الضدين ، وبرهان التذكر ، والبساطة والتركيب ، والبرهان الخلقى ، بما يضيق المقام عن ذكره . ويكفى مثلا أنه فى برهان الضدين يقول « إن صلة الحياة بالموت لشديدة الشبه بتلك العلاقة التى توجد بين اليقظة والنوم فكما أن المرء ينتقل من اليقظة إلى النوم ومن النوم إلى اليقظة كذلك ينتقل من الحياة إلى الموت ومن الموت إلى الحياة . والانتقال من أحد الضدين إلى الآخر أمر لا مفر منه ، إذ لو كان الانتقال فى اتجاه واحد فقط لاختل التوازن فى الطبيعة .

ويترتب على ذلك أنه من الواجب أن تظل نفوس الموتى حية فى مكان خاص حتى تكون منبعاً ومبدأ لكل حياة جديدة . ولو لم يكن هناك انتقال

---

(١) راجع كتاب بونمير « الروح ومظاهرها خلال التاريخ » .

(٢) راجع كتاب « التنبؤ بالغيب قديماً وحديثاً » للأستاذ أحمد الشنتناوى ص ١٨ — ٢٢ .

من الموت إلى الحياة لا تنهى كل ما فى الوجود إلى العدم . كما هى الحال تماماً لو استقر المرء فى نومه إلى مالا نهاية »[1]

ومحاورة فيدون — وهى من أمتع ما كتب أفلاطون — تمثل ليلة إعدام سقراط ومحورها خلود النفس . ويشير إليها أفلاطون فى الخطاب السابع «فإذا كانت النفس إلهية خالدة فليس لها أصل نشأت عنه ولا تخضع للفساد . وإذا كانت النفس إلهية فعلينا أن نتعلق بها وحدها لأن الفلسفة هى التشبه بالإله بقدر الطاقة الإنسانية . ولكن الإنسان ليس نفساً فقط ، بل هو نفس وبدن ، ولكل منهما مطالب ، ولذلك لن يكون الإنسان ما دام على قيد الحياة ومتصلا بالبدن حكيماً بل محباً للحكمة أى فيلسوفاً فقط ، وإذا انفصل عن البدن عند الموت بلغت النفس الحكمة . فالموت للرجل الصالح مطية لحياة أفضل لأنها حياة النفس »[2] .

وكان أفلاطون يعتقد أيضاً أن الموت هو الوسيلة التى بها يتيسر للفيلسوف أن يفكر جيداً «وذلك لأن حياة الفيلسوف عند أفلاطون هى حياة متجهة دائما إلى تأمل الصور أو المثل ؛ ولا يتيسر تأمل الصور تأملا حقيقياً ما دامت النفس سجينة فى البدن ، فلا بد من الخلاص من البدن — أى لا بد من الموت — حتى يكون فى مقدور المرء أن يتأمل الصور دون أن يشوه عليه هذا التأمل مشوه فكأن الموت فى نظر أفلاطون إذاً جسر ومعبد ينتقل بنا من حياة النفس فى البدن إلى عالم الصور ، هو ابتداء أولى من أن يكون نهاية ، لأنه ابتداء للحياة الروحية الحقيقية ، حياة النفس ، حياة تأمل للصور ، هو على وجه العموم باب يفتح على الأبدية ... »[3] .

كما كان أرسطو يتحدث عن العقل فيرى فيه شيئاً خالداً مستقلا عن

---

(١) الدكتور محمود قاسم « فى النفس والعقل عند لفلاسفة الإغريق والإسلام » طبعة ٣ ص ٥٤ .

(٢) عن كتاب « أفلاطون » للدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ص ٩٢ .

(٣) عن « الموت والعبقرية » للدكتور عبد الرحمن بدوى طبعة ١٩٦٢ ص ١٥ ، ١٦ .

الجسد وكان يعتقد بالتالى بوجود عالم عقلى مغاير لعالم الحس والمادة « ولا يستطيع المرء القول بأن هذا العقل يفكر تارة ولا يفكر تارة أخرى. فمتى فارق الجسد فإنه يصير على غير ما كان عليه ... وهو وحده الذى لا يموت وهو الخالد ... فى حين أن العقل المنفعل قابل للفساد »[1] .

وهذا الرأى يوافق ما يقول به علم الروح الحديث من أنه وإن كانت الذاكرة تبقى بعد الموت ، إلا أنها لا تبقى فى كل جوانبها بل يلحقها نوع من التغيير يمس جوانبها السطحية ولا يمس الذكريات العميقة الدفينة فيها. أو بعبارة أخرى أن الذاكرة تبقى على حالها بقدر اتصالها ببقاء الشخصية بعد الموت ولا تبقى بقدر بعدها عن هذه الشخصية . لذلك كانت أحسن البينات على ثبوت بقاء الشخصية هو ما يجىء عرضاً ، أما امتحان الروح فى ذكرياتها الأرضية فقد ينجح أو لا ينجح بحسب قوة هذه الذكريات ومدى عمق ما تركته من أثر فى العقل الباطن . وفى هذا الموضوع بحوث كثيرة فى ضوء علم الروح الحديث أضاءت بعض جوانب ما قد يتبقى من الذاكرة بعد الموت وما قد يندثر منها بسبب عملية انسلاخ الجسد الأثيرى — وهو موطن العقل والذاكرة — عن الجسد المادى .

وقد تحدث فى هذا الشأن أيضا إسكندر الأفروديسى وهو من شراح أرسطو فذهب إلى أن العقل الفعال « ليس من أجزاء النفس ولا من وظائفها ، بل هو الإله الذى يتمثل فى نفوس البشر ، ويحل محلهم فى تفهم معانى الأمور وصنع المعقولات .. وهو غير قابل للفساد ، بل هو كائن إلهى خالد ، بل هو الذى يخلق العقل المادى بصفة خاصة .

وفعل مثله تمستويس Themistuis وهو أيضا من شراح أرسطو الذى كان ينكر أن أرسطو كان يرى أن العقل الفعال هو الله الذى يفكر

---

(١) D. Anima III 430, a—20—25.

فى نفوس البشر ، لأن هذا العقل جزء منا ، أو هو حقيقتنا بعبارة أصح . كما كان يرى أن العقل المادى بدوره غير قابل للفساد ، وينسب إلى أرسطو أنه يتحدث فحسب عن فناء العقل المشترك الذى يكون به الإنسان مكوناً من نفس وجسد ، والذى هو محل الانفعالات كالغضب والشهوة[1] .

وهذا الفهم الإغريقى العميق لخلود الروح ، ولقيمة المعرفة فى سعادتها ، وللتمييز بين موت الجاهل وموت العالم ، ولوجود عالم عقلى مغاير لعالم المادة ، وصل إليه أحسن فلاسفة الإغريق بالفطرة السليمة وحدها ، أو بالأدق بالإلهام الراقى وحده . ولم يفعل علم الروح الحديث أكثر من إثباته بأدلة تجريبية على ما سيلى فى عدة مواضع وبخاصة فى الموضع الذى خصصناه للكلام فى وصف عالم الروح وفى الثواب والعقاب .

* * *

وكان الرومان يعرفون الروح أيضاً ويتحدثون عنها لكن بطريقة لاتعد شيئاً إلى جانب طريقة الإغريق ، لأن حضارة الرومان كانت محض حرب واستعباد للشعوب . فسرعان ما تقوضت أركانها غير مخلفة وراءها سوى المآسى والدماء ، حين خلفت حضارة الإغريق تراثاً روحياً فلسفياً لا يزال العالم يستضىء بهديه حتى الآن ، ولا يزال يبهر أبصار الفلاسفة والمفكرين رغم قدم العهد به .

ومع ذلك فها هو مثلا شيشرون Ciceron خطيب الرومان ومشرعهم المعروف يقول فى خطبة له « أليست غالبية السموات كلها مملوءة بالبشر ؟ هؤلاء الآلهة أنفسهم نشأوا هنا فى الأسافل ثم صعدوا إلى السماء» ! . . . .

(١) Duhem. Système du Monde t. IV P. 283.

الفصل الرابع

الروح عند فلاسفة المسيحية

من يراجع سيرة مؤسس المسيحية يجد أنه كان روحياً فى حياته مثلما كان فى تعاليمه الصارمة التى عاش فيها بكل خلجات نفسه . ولا نريد هنا أن نعطى أى التفات لمن يرون فى المسيح أسطورة من نسج الخيال « فلو لم يظهر يسوع حقاً لكان واضعو الأناجيل — كما يقول جان جاك روسو — عظماء مثله » . وقد استرعى نقاء حياته أنظار الفلاسفة الذين عنوا بالتأمل فيها مثلما استرعاها عمق تعاليمه ، ومنهم أمثال بلزاك ورينان وأندريه مورياك فى فرنسا وجوزيبى بابينى فى إيطاليا وإميل لودفيج فى ألمانيا وغيرهم .

فلم يكن المسيح معلماً فحسب ، بل كان مثالا حياً لتعاليم حية تطالب الإنسان كقاعدة ذهبية أن يعامل الناس بما يحب أن يعاملوه به . « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم بهم أيضاً ، لأن هذا هو الناموس والأنبياء » (متى ٧ : ١٢) .

وكان المسيح هو « النموذج » لتعاليمه كما قال باراسيلز Paracelse . فكان يمثل نقاء الروح فى إشراقها بالمحبة وبالوداعة ، وعامل الناس بأفضل مما عاملوه به . وربما لذلك لم يدركوا قدره فعاش غريباً عن العالم . بل خسر العالم كيما يربح نفسه أمام اكتمال الناموس « إذ ماذا ينتفع الإنسان — كما قال — لو ربح العالم كله وخسر نفسه ، أو ماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه ؟ » (متى ١٦ : ٣٦ ولوقا ٩ : ٢٥) .

وكانت تعاليمه فى تعريف الناس بإله المحبة ، وبالخلاص عن طريقها ، من البساطة ومن البعد عن الطقوس إلى المدى الذى يحمل الفلاسفة على الشك

فما إذا كان المسيح قد قصد برسالته أن يؤسس ديناً ويحيط نفسه باتباع . بل الأقرب إلى فهمهم أنه أراد أن يعرّف الإنسان بنفسه كما يبحث فى دخيلتها أولا عن إرثه السماوى . وقد بذل نفسه عن رسالته « لأن من أراد أن يخلّص نفسه يهلكها » كما قال (متى ١٦ : ٣٥ ، ١٠ : ٣٩) . ولأنه كان يعلم جيداً — مثلما حسب بولس الرسول من بعده — أن « آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا »[١] .

« ويسوع — كما يقول إميل لودفيج — إذا ما كان واقفاً على سفينة بدا كصخرة ساندة لأولئك الجالسين القرفصاء على الشاطىء أو المستلقين عليه ، فيحدثهم عن رسالته بالرموز والأمثال الطريفة المقتبسة من حياتهم اليومية النقية . والأمثال كان يراها خير وسيلة لتثقيف الجموع ، ولم يحجم عن تشخيص الرب بالصور القولية تقريباً لأذهان الجمهور مع أن تصوير الرب محرم على اليهود ، فيجعل من الرب ملكاً جالساً على عرشه مالكاً للكرم قارياً للضيف سيداً للعبيد .

هنالك يرى يســـوع بعين بصيرته ما لكلامه من الأثر فى قلوب البسطاء ، ويسوع يجيب عن أسئلة هؤلاء ويشفى من يأتون بهم من المرضى ... »[٢]

ثم يقول لودفيج « ويشعر جميع الذين يقتربون من يسوع بحبه لهم ، ويسوع لم يظهر ليبغض الناس بل ليحبهم ، وما كان ليسعى إلى مقاتلة أحد ، وكل ما كان يعلنّــه أهل بحر الجليل الفقراء الهادئين فصدره وقلبه ، وما كان علماء البلد يقابلون ما يلقيه فى الأفئدة بغير الشك الذى هو وليد التعليم ....

ويفيض فؤاد يسوع الذى هو معدن الحب رأفة وحناناً ، ويقابل يسوع بالمحبة أباه الرب الذى أنعم عليه بها والجميع أبناء للرب ، وأكثر

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية : أصحاح ٨ عدد ١٨ .
(٢) « ابن الإنسان » ترجمة الأستاذ عادل زعيتر طبعة ١٩٤٧ ص ٥٨ .

الناس معرفة بالآب الرب هم الخالصو النية السليمو السريرة الرحماء الأميون الذين يشابهون الأولاد فى أفكارهم ، ومن يعتمد على كرم الرب ينل حمايته ويعش تحت رعايته . والرب يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين . فمن يعتقد هذا لا يلبث أن يملك ملكوت السموات على الأرض فيجد كنزاً فى حقل هذا العالم ....[1] » .

* * *

وقد خاطب السيد المسيح الأرواح الراقية وغير الراقية معاً . فخاطب من الأرواح الراقية موسى وإيليا عندما تجليا له وكان مع تلاميذه (لوقا ٩ : ٢٩ — ٣٦) . كما خاطب الأرواح الشريرة عندما كان يأمرها بأن تغادر المرضى والمجانين . بل خاطب إبليس فوق جبل التجربة عندما أراد أن يجربه فرده كسيفاً مهزوماً (متى ٤ : ١ — ١١) .

وكان المسيح — ولا يزال — هو المعالج الروحى الأول . وحقق معجزات أخرى كثيرة غير العلاج الروحى ، لم يقل أبداً إنها خاصة به ، بل يقول الكتاب إنه « دعا تلاميذه الإثنى عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف » (متى ١٠ : ١ ومرقس ٦ : ٧) . كما خاطب تلاميذه قائلا « الحق الحق أقول لكم من يؤمن بى فالأعمال التى أنا أعملها يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها » (يو ١٤ : ١٢) .

وقد حقق تلاميذه معجزات كثيرة بدورهم ، كما نجح رسل المسيحية فى تحقيق مثلها . وكان من مفهوم القداسة عند الأقدمين القدرة على تحقيق « المعجزات » وعلى الاتصال بالعالم غير المنظور بوسيلة أو بأخرى بالإضافة إلى طهارة الروح .

فمن يتابع موقف عدد كبير من رجال الكنائس من الحركة الروحية

---

(١) المرجع السابق ص ٨٦ .

منذ بدء ظهورها يأخذه العجب من الموقف العدائي الذي وقفه بعضهم، والموقف السلبي الذي وقفه — ولا يزال يقفه — بعضهم الآخر، مما أثار مشاعر الروحيين وأطلق ألسنتهم بالنقد لهذا الموقف الذي ذكرهم بمواقف مرة لبعض رجال الكنيسة من عدد من الكشوف العلمية في القرون الوسطى. مثل موقف بعضهم من جاليليو عندما اكتشف كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس، ومن نيوتن عندما كشف قانون الجاذبية «لأنه كان يحاول خلع العناية عن عرشها»!

وهذا تاريخ محزن من الصراع بين القديم والجديد يطول شرحه الآن ولا يتسع له المقام، خصوصاً بعد إذ انتهى أمر الصراع بين العلم والعقيدة بانتصار حرية البحث العلمي على وصاية العقيدة انتصاراً نهائياً وفي كل مكان..

وقد أعدت الجمعية الأهلية المستقلة للروحية بلوس أنجيلس بالولايات المتحدة الأمريكية قائمة طويلة بالمواضع التي وصفت الظواهر الروحية بالكتاب المقدس. وتشمل هذه القائمة معجزات المسيح والتلاميذ، وظواهر التجسدات، والكتابة التلقائية والمباشرة والأصوات المباشرة، والغيبوبة الوساطية، والشفاء الروحي، وتحريك الأشياء، والجلوبات الروحية، والطرح بالجسد وبالروح، والرؤى الصادقة، وغير ذلك من الظواهر الوساطية مبينة بمواضعها في العهدين القديم والجديد كيما يرجع إليها من يشاء للتأكد من مطابقتها لظواهر العلم الروحي الحديث في جملتها وتفاصيلها. وهذه القائمة تهدف إلى تبيان مشروعيتها واتفاقها مع ما هو مدون اتفاقاً ملفتاً للنظر.

كما عني ببحث الموضوع من الزاوية الدينية عدد من الباحثين الروحيين من أمثال الدكتور أرثر .ج. ولز Arthur G. Wells مدير «كلية العلم الروحي

الأمريكية » فى مؤلفه « الحياة الآن وإلى الأبد »[1] . ومثـــل الأساقفة درايتون توماس Drayton Thomas وموريس إليوت Maurice Elliott وشارل تويديل Charles Tweedale وستانتون موزس Stainton Moses وغيرهم من رجال الدين الذين مارسوا عملياً بحث الظواهر الروحية فانتهوا إلى التسليم بمشروعيتها وبصحتها وأصبحوا من كبار الروحيين على ما سنبينه عندما نتكلم عن بعض « الأسماء والمراجع » .

وكان قدوتهم فى الدفاع عن قيمة الظواهر الوساطية هو القديس بولس نفسه، والمعتبر فى المسيحية فيلسوفها الأول، لما أعلن صحة المواهب الوساطية ومشروعيتها إعلاناً لا شبهة فيه فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس قائلا :

« فأنواع مواهب موجودة ولـكن الروح واحد . وأنواع خدمة موجودة ولـكن الرب واحد . وأنواع أعمال موجودة ولـكن الله واحد الذى يعمل الـكل فى الـكل . ولـكنه لكل واحد يعطى إظهار الروح للمنفعة فإنه لواحد يعطى بالروح كلام حكمة . ولآخر كلام علم بحسب الروح الواحد . ولآخر إيمان بالروح الواحد . ولآخر مواهب شفاء بالروح الواحد . ولآخر عمل قوات (معجزات) . ولآخر نبوة . ولآخر تمييز الأرواح (جلاء بصرى) . ولآخر أنواع ألسنة . ولآخر ترجمة ألسنة . لـكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لـكل واحد بمفرده كما يشاء[2] » .

وفى الأصحاح الرابع عشر يقول أيضاً قولا لا يحتاج لأى تعليق « اتبعوا المحبة ولـكن جدوا للمواهب الروحية . وبالأولى أن تتنبأوا ،

---

(١) Life Now And Forever.
راجع بوجه خاص الفصل الثانى منه .

(٢) الأصحاح الثانى عشر . راجع من عدد ١ الى عدد ١١ .

لأن من يتكلم بلسان لا يكلم الناس بل الله لأن ليس أحد يسمع ، ولكنه بالروح يتكلم بأسرار . وأما من يتنبأ فيكلم الناس ببنيان ووعظ وتسلية .. فالآن أيها الإخوة إن جئت إليكم متكلما بألسنة فماذا أنفعكم إن لم أكلمكم إما بإعلان أو بعلم أو بنبوة أو بتعليم ..؟ » ثم يقول أيضاً :

« وأرواح الأنبياء خاضعة للأنبياء لأن الله ليس إله تشويش بل إله سلام ... إذاً أيها الأخوة جدوا للتنبؤ ولا تمنعوا التكلم بألسنة . وليكن كل شيء بلياقة وبحسب ترتيب[1] » .

وفى الأصحاح الخامس عشر من نفس الرسالة يتحدث بولس عن الجسد الأثيرى وقيامة الأموات قائلا :

« ولكن إن كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أنه ليس قيامة أموات.فإن لم تكن قيامة أموات فلا يكون المسيح قد قام . وإن لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضاً إيمانكم . ونوجد نحن أيضاً شهود زور لله لأننا شهدنا من جهة الله أنه أقام المسيح ، وهو لم يقمه إن كان الموتى لا يقومون .

لكن يقول قائل كيف يقام الأموات وبأى جسم يأتون . يا غبي الذى تزرعه لا يحيا إن لم يمت . والذى تزرعه لست تزرع الجسم الذى سوف يصير ، بل حبة مجردة ربما من حنطة أو أحد البواقى . ولكن الله يعطيها جسماً كما أراد . ولكل واحد من البذور جسمه ..وأجسام سماوية وأخرى أرضية ، لكن مجد السماويات شيء ومجد الأرضيات آخر . . »

ثم يقول بولس فى وضوح يقطع السبيل على كل مكابر فى شأن قيامة الإنسان حال رقاده الأخير مباشرة : —

هكذا أيضاً قيامة الأموات . يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد . يزرع

---

(١) راجع الأصحاح كله لأنه خاص بالمواهب الوساطية .

فى هوان ويقام فى مجد . يزرع فى ضعف ويقام فى قوة. يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً. يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى، وكما لبسنا صورةالترابىسنلبس أيضاً صورة السماوى : هو ذا سر أقوله لكم: لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير . . أين شوكتك يا موت ؟ أين غلبتك يا هاوية ؟ أما شوكة الموت فهى الخطيئة وقوة الخطيئة هى الناموس . . [1] »

وفى رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس يقول بولس فى الأصحاح الرابع « لذلك لا نفشل. بل وإن كان إنساننا الخارج (الجسد المادى) يفنى فالداخل (الجسد الروحى) يتجدد يوماً فيوماً . لأن خفة ضيقتنا الوقتية تنشىء لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً . ونحن غير ناظرين إلى الأشياء التى ترى بل إلى التى لاترى ، لأن التى ترى وقتية وأما التى لاترى فأبدية» (عدد ١٦ — ١٨) .

ثم يقول فى الاصحاح الخامس من نفس الرسالة « لأننا نعلم أنه إن نقض بيت خيمتنا الأرضى (الجسد الترابى) فلنا فى السموات بناء من الله . بيت أبدى غير مصنوع بيد فإننا فى هذه (الأجساد الترابية) أيضاً نئن مشتاقين إلى أن نلبس فوقها مسكننا الذى من السماء (الجسد الروحى) إلى أن يقول « فإذا نحن واثقون كل حين وعالمون ونحن مستوطنون فى الجسد فنحن متغربون عن الرب . لأننا بالإيمان نسلك لا بالعيان ، فنثق ونسر بالأولى أن نتغرب عن الجسد (الترابى)ونستوطن عند الرب » (عدد ١ — ٨).

وكأن بولس فيلسوف المسيحية الأولى لم يناد فحسب بقيامة الأموات عقب الرقاد الأخير مباشرة ، وبخلود الروح ، بل نادى أيضاً كما سبق أن قلنا بتنمية المواهب الروحية ، ونادى بحرارة بذلك « للبنيان وللوعظ » أى للنشر الايمان بالله وبالخلود وبالعقيدة .

---

(١) والأصحاح كله عن نفس هذا الموضوع .

ثم انظر بولس وهو يتحدث فى رسالته إلى العبرانيين قائلا «لذلك نحن أيضاً ، إذ لنا سحابة من الشهود مقدار هذه محيطة بنا، لنطرح كل ثقل والخطيئة المحيطة بنا بسهولة ،ولنحاضر بالصبر فى الجهاد الموضوع أمامنا . . » (١٢:١) فأية سحابة من الشهود هذه التى يتحدث عنها بولس ؟ ...

وكما فعل بولس فعل أيضاً يوحنا البشير ، الذى قال هو أيضا قولا صريحا لا شبهة فيه « أيهـا الأحباء لا تصدقوا كل روح ، بل امتحنوا الأرواح هل هى من الله لأن أنبياء كذبة كثيرين قد خرجوا إلى العالم[1] » . وامتحان الأرواح لا يتأتى إلا بالاتصـال بها أولا . . . هل فى ذلك أدنى ريب ؟ . . . وامتحان الأرواح واجب بديهى فى علم الروح الحديث كيما «تعرف روح الحق من روح الضلال» على حد تعبير يوحنا.

وفى أعمال الرسل نجد عشرات من الإشارات الصريحة إلى الظواهر الوساطية التى يضيق نطاق هذا البحث دون التعرض لها هنا . وإنما يكفى أن يقرأ القارىء هذه الآية « فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته وقال لهم أيها الرجال اليهود والسا كنون فى أورشليم أجمعون ليكن هذا معلوماً عندكم واصغوا إلى كلامى، لأن هؤلاء ليسوا سكارى (يشير إلى عدد من الجالسين الذين أخذوا يتحدثون بلغات غريبة عنهم« بعظائم الله »— على حد وصف الكتاب— فتحير الجميع وارتابوا قائلين ماعسى أن يكون هذا.. ؟!) كما أنتم تظنون لأنها الساعة الثالثة من النهار . بل هذا ما قيل بيوئيل النبى : يقول الله ويكون فى الأيام الأخيرة أنى أسكب من روحى على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ، ويرى شبابكم رؤى ويحلم شيوخكم أحلاماً . وعلى عبيدى أيضاً وإمائى أسكب من روحى فى تلك الأيام فيتنبأون ، وأعطى عجائب فى السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل دماً وناراً وبخار دخان ...) (أصحاح ١ : عدد ١ — ٢٠) .

---

(١) رسالة يوحنا الأولى الأصحاح الرابع عدد ١ — ٦ .

بل إن فى أقوال المسيح إشارات عابرة فسرها بعض المفسرين على أنها تتضمن تنبؤاً صريحاً عن الحركة الروحية المعاصرة بكل ما فيها من عزاء حقيقى دائم ، ومع ذلك فلم يتقبلها العالم كحقيقة وضعية للحياة إلا بعد مشقة وعنـاء عن « عدم رؤية وعدم معرفة » . ومن ذلك قول المسيح « إن كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم إلى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم . لا أترككم يتامى ... » (يو ١٤ : ١٥ — ١٨) . فكيف نعلل إذاً موقف بعض المعارضين من رجال الكنيسة عندما يتحدون الآيات الصريحة فى ألفاظها ومعانيها ؟!! ...

* * *

فى هذا الشأن يقول الأديب الكبير شو دزموند Shaw Desmond :

« لا أخال بولس الرسول كان يقدم على التكلم مع الموتى لو كان هذا التكلم خطأ كبيراً . لقد كان الرجل نفسه روحياً بكل ما تعنيه كلمة روحى — الحقيرة فى نظر بعضهم — من معـان . وإذا عنى القارىء بقراءة النصوص الروحية من أمثال الآية العاشرة من الأصحاح الثانى عشر من الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس والأصحاح الرابع عشر من الرسالة الأولى لأهل كورنثوس فسيجد أننى لم أقل إلا الصدق ، وهناك عدا ذلك إثنا عشر نصاً أخرى فى الرسائل تثبت نفس الشىء .

ولا فائدة فى أن نقول لقسيس أو لرجل من العوام يكون قد أعد عقله للإنـكار إن مخاطبة الموتى ليست أمراً باطلا بل هى أمر روحى حقيق . لـكن إذا حاول إنسـان أن يبحث مسألة ما مع عقل مغلق فلا هو ولا الله بقادرين على إقناع ذلك العقل . ولئن كان لأمثال هؤلاء الحق المطلق فى أن يتمسكوا بآرائهم — مثل مالى ومالك من الحق فى أن نتمسك بها — فليس لهم الحق فى ان يرفضوا مواجهة البينة .

وإذا كانت أمثال هذه العقول المغلقة تقول إن من الخطأ أن نكلم عالم الأرواح فإن يسوع وبولس إذن قد أخطآ ، لأن كليهما قد تكلما فعلا مع عالم الأرواح ، وكثيراً ما تكلما ، اللهم إلا إذا كنا لا نثق فى أن ما هو مدون بخصوص ذلك فى العهد الجديد أمر حقيق .

لكن ترى ما هى الفكرة الحقيقية الكامنة وراء مثل هذا الرفض لمواجهة الحقائق ؟ وددت لو أقف على ما يدور بخلد هؤلاء الناس . فحين كان لك الحق منذ ألفى سنة فى أن تكلم موتاك فإنه ليس لك الحق الآن أن تتحدث إليهم . ولعل سبب ذلك هو الظن بأننا من معدن روحى يختلف عن معدن أولئك الكبار الذين ذكرتهم .

وإذا كان التكلم مع الموتى منذ ألفى سنة حقاً مباحاً فإن التكلم معهم الآن حق كذلك . ولما كانت الروحية أساس كل ديانة فى العالم تقريباً ، وكان الاتصال بالروح يتم إما بالصلاة والابتهال وإما مباشرة ، فإنه يتضح لكل ذى عقل سليم أن هذا الاتصال أمر قائم وحقيقة أبدية . واليوم الذى ينعدم فيه الاتصال بين العالمين معناه نهاية الدين . ولكن لما كان هذا الاتصال لم ينعدم قط ولن ينعدم أبداً ، كذلك فإن الدين باق لا ينعدم .

والواقع أنه يوجد مائة برهان على صدق الاتصال بالروح ولا يوجد برهان واحد ضد هذا الاتصال . وإذا وجد أى اعتراض ضد هذا الاتصال فثق بأن الذى قدم ذلك الاعتراض هو المتدين المتزمت الذى يخشى المباراة السليمة للروحية ... » .

إلى أن يقول دزموند :

« والذى أعرفه أنه يوجد فى كنيسة انجلترا وحدها نحو ثلاثمائة قسيس كانوا وما زالوا يعتنقون الروحية ، وبعض هؤلاء القساوسة يشغل مناصب رفيعة فى الكنيسة ، وقليل منهم كان له من الشجاعة والمقدرة أن يقف

بجوارى منذ بضع سنين فى لندن كما يشهد علنا بصحة اعتقاده فى الروحية ، وكثيرون يخشون أن يعلنوا للجمهور صدق العقيدة التى يعتنقونها ويعتقدون فى صحتها . . . وأذهب إلى أبعد من ذلك فأقول إن فى هذه الكنيسة عينها يوجد الآن عشرات من القساوسة الذين أخبرونى أنا وغيرى أنهم روحيون فى قلوبهم ، لكنهم يخشون الإفصاح خوفاً من أساقفتهم الذين هم سراً أعداء لما نادى به السيد المسيح وأثبته من أن النفس الإنسانية تحيا بعد الموت ...»[1] .

* * *

وفى هذا الشأن يتحدث الدكتور حسن عثمان الأستاذ بجامعة القاهرة قائلا «كذلك نجد تراث العصور الوسطى مليئاً برؤى القديسين وقصص المغامرين الذين تناولوا عالم ما بعد الحياة . ومن هؤلاء مثلا القديس يوحنا — ورؤيا القديس بولس ... وللأيرلنديين رحلات خيالية إلى العالم المجهول مثل رحلة القديس براندان ومن ذلك رحلة الفارس أوين التى تعرف باسم مطهر القديس باتريك .. .

وفضلا عن ذلك فقد وجد فى إيطاليا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر جماعة من كتاب الرؤيا (المشاهدة) وصفوا الحياة فى عالم ما بعد الحياة ، مثل الراهب يواكيمو دافلورا .... والراهب البريجو . .. وكذلك تناول القديس توماس الأكوينى الجحيم والمطهر والسماء ووفق فى ذلك بين المسيحية وفلسفة أرسطو .... » .

ثم يشير المؤلف أيضاً إلى رؤى بونفوزين داريفا من ميلانو والمركيز أوجو دى براندبرج وماتيلدا دى مجدبورج وماتيلدا دى ها كنبورن عن الجحيم والفردوس[2]» .

---

(١) راجع « أحاديث فى الروحية للعلامة شو دزمند » مترجمة عن الانجليزية فى مجلة «عالم الروح » عدد أكتوبر سنة ١٩٥٥ ص ٢ .

(٢) المرجع السابق ص ٥٧ ، ٥٨ .

وكان آباء الكنيسة الأوائل مثل أوريجانوس Origéne وسان كليمان السكندرى Saint Glement كثيراً ما يتحدثون عن هجرة الأرواح إلى العالم الآخر وقيامة الأجساد الأثيرية بعد الموت مباشرة ، وهذا هو جوهر البحث الروحى الحديث كما هو جوهر كل عقيدة دينية عرفها الإنسان فأوريجانوس الذى عاش فى القرن الثالث الميلادى يقول مثلا « ما زالت كل النفوس التى غادرت هذه الدنيا محتفظة بحبها للذين فيها يضعون أنفسهم لأجل تخليصهم ومساعدتهم بصلواتهم وشفاعتهم عند الله . ويستشهد على ذلك بأن أرميا النبى كان يصلى دائماً من أجل الشعب . كما يقول أيضاً « فى رأيى أن كل الآباء الذين رقدوا قبلنا يحاربون فى صفنا ويساعدوننا بصلواتهم » . . . . ثم جاء عصر فيه رأت مجامع نيقية والقسطنطينية أن تفصل ما بين البحث فى الروح وما بين العقيدة الدينية لغير حكمة مفهومة .

ولعل معارضو البحث الروحى من رجال الدين المسيحى — ومن يقف منه موقفاً سلبياً حتى اليوم — يرون أيضاً أن هذه القرارات أولى بالاتباع من النموذج الذى أعطاه السيد المسيح ومن تعاليم بولس الرسول ويوحنا البشير وغيرهما ، وأن قرارات المجامع التى كان يمليها أباطرة الرومان إملاء من عندهم أولى بالعصمة من العهدين القديم والجديد معاً ، وأن بعض تفاسير متسرعة غير علمية قيلت فى عصور من الظلام الفكرى أولى بالاتباع من آيات صريحة حاسمة ، كانت كفيلة بأن تدفع عجلة هذا البحث العلمى كله للأمام وتبارك خطواته .... لو عرف رجل العقيدة قدر الحقيقة العلمية فى تعزيز الإيمان المستنير وتثبيت أقدامه ، وتفوقها فى ذلك على التسليم الأعمى والجمود الممقوت .

ولسنا نريد أن نقف طويلا عند هذا الموضوع ، لأننا نهدف إلى البحث فى العلم الروحى الحديث لا فى العقيدة . ولولا شبهة غامضة ليس لها ما يبررها كانت — ولا تزال — قائمة عند بعض الجامدين منذ ظهور هذه الكشوف

لما وجدنا أنفسنا فى حاجة حتى إلى هذه الكلمات القليلة فى موضوع واضح كل الوضوح من الناحية الدينية .

وذلك خصوصاً لأن موقف الكنيسة الآن قد تحول — فيما يبدو — تحولا حاسماً ونهائياً فى شأن موضوع الأرواح إلى الحد الذى قد يعبر عنه قول الدكتور جورج سيرل رئيس الكنيسة الكاثوليكية فى سانت بول بنيويورك من «أن حقيقة وجود أرواح كما تنادى به الروحية الحديثة لم يعد موضع سؤال اليوم حتى بين رجال العلم إذ أن هؤلاء قد أجروا فيها الأبحاث. فكل من يعتبر ظواهرها سفسطة أو كذباً أو خداعاً ماهو إلا شخص متأخر ليس إلا » . كما قال ج.ج. فرانكو فى سيفلتا كاثوليكا « لا يوجد فى يومنا هذا من ينكر الحقائق الروحية ما عدا القلائل الذين يعيشون وأقدامهم فى الأرض وعقولهم فى القمر ... » .

بل إن الدكتور جودفرى روبرت Godfrey Rupert مبعوث البابا بيوس العاشر الذى سافر خصيصاً إلى أمريكا لمخاطبة الكاثوليك الأمريكان فى شأن موضوع الأرواح قد أعلن بياناً مطولا على لسان البابا ونيابة عنه جاء فيه « أن الكنيسة تسلم بحقيقة الظواهر الروحية وبالأرواح المحدثة لها ؛ نعم إنها سلمت فى الواقع بصدق ذلك كله ... والمسألة الآن هى استكشاف طبيعة الروح » ثم أضاف البيان أن البحث فى الروحية دراسة جديدة وهو لذلك دراسة خطرة ، والمعرفة المبتورة قد تسبب أخطاراً شديدة ... » والإشارة إلى خطر المعرفة المبتورة لا ينازع فيه إنسان ، لكنه لا يعادل على أية حال خطر تجاهل الحقائق العلمية أو المكابرة فيها ، وهى خطة بعض المتحدثين باسم العقيدة حتى الآن .

الفصل الخامس

الروح عند فلاسفة الإسلام

القرآن الكريم يفيض — كالإنجيل — بالآيات التى تتحدث عن الروح فى خلودها وثوابها وعقابها ، كما يفيض بالظواهر التى تتفق مع العلم الروحى الحديث ، ومثله الأحاديث النبوية الشريفة .

وسنعالج فى مناسبة لاحقة، عندما نتكلم فى انتقال العلم الروحى الحديث إلى بلادنا ، كيف أوضح بعض العلماء والباحثين أن الظواهر الوساطية أو الروحية واردة فيهما ، وكيف أمكن التوفيق تماماً بين علم الروح الحديث وبين العقيدة عند علماء كبار مثل المرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، وهو من أصحاب التفاسير المشهورة فى العالم الإسلامى ، ومثل العلامة محمد فريد وجدى فيلسوف الإسلام فى دائرة معارف القرن العشرين ، وغيرهما كثير . إنما فى هذا الباب الحالى الذى خصصناه للكلام فى « عجالة عن الروح عند الأقدمين » يكفى أن نبين كيف عالج أكبر فلاسفة الإسلام الأقدمين موضوع الروح من أمثال الفارابى وابن سيناء والغزالى وابن رشد وابن باجة وابن طفيل وابن القيم الجوزية وابن خلدون وغيرهم . .

فها هو مثلا الفيلسوف أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان الفارابى[1] يقول فى كتابه « الثمرة المرضية » إن الروح الذى لك من جوهر عالم الأمر ، ولا يتعين بإشارة ، ولا يتردد بين سكون وحركة . فلذلك تدرك المعلوم الذى فات والمنتظر الذى هو آت وتسبح فى عالم الملكوت وتنتفش من خاتم الجبروت » . وهو نص صريح يفرق به بين عالمين : عالم الروح وعالم الجسد .

---

(١) ولد حوالى سنة ٢٠٩ هجرية وتوفى حوالى سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ م) .

كما حاول الفارابي التوفيق بين تعريف كل من أفلاطون وأرسطو للنفس «فمن جهة يقول كأفلاطون إن النفس العاقلة هي جوهر الإنسان عند التحقيق وأنها لا تفنى بفناء البدن، وأن المعرفة الحقة هي سبيل الصعود إلى العالم العلوي. لكنه يقول من جهة أخرى تبعاً لأرسطو بأن النفس صورة وكمال للبدن، وأنها لا توجد قبله. وأن المادة هي سبب الاختلاف بين أفراد النوع الواحد . . »[1]

وها هو الفيلسوف الطبيب أبو علي الحسين بن عبد الله بن سيناء[2] الذي يعد إمام فلاسفة المسلمين في دراسة النفس يقيم الأدلة الكثيرة على وجود النفس وعلى خلودها بعد الموت فيقول « تأمل أيها العاقل في أنك اليوم في نفسك هو الذي كان موجوداً في جميع عمرك، حتى أنك تتذكر كثيراً مما جرى من أحوالك. فأنت إذن ثابت مستمر لا شك في ذلك. وبدنك وأجزاؤه ليس ثابتاً مستمراً، بل هو أبداً في التحلل والانتقاص. ولهذا يحتاج الإنسان إلى الغذاء بدل ما تحلل من بدنه ... فذاتك مغايرة لهذا البدن وأجزائه الظاهرة والباطنة. فهذا برهان عظيم يفتح لنا باب الغيب، فإن جوهر النفس غائب عن الحس والأوهام »[3].

كما يقول أيضاً « ... ولو كانت القوة الناطقة قوة جسمانية لكان لا يوجد أحد من الناس (على مر السنين) إلا وقد أخذت قوته تنقص، ولكن الأمر في أكثر الناس على خلاف هذا. بل العادة جرت في الأكثر أنهم يستفيدون ذكاء في القوة العاقلة وزيادة بصيرة. فإذن ليس قوام القوة المنطقية بالجسم والآلة، وإذن هي جوهر قائم بذاته »[4]

---

(١) الدكتور محمود قاسم « في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والاسلام » طبعة ٣ ص ٧٥، ٧٦.

(٢) ولد في سنة ٣٧٠ هـ (٩٨٠ م) وتوفي في سنة ٤٢٨ هـ (١٠٣٧ م).

(٣) « رسالة في معرفة النفس الناطقة وأحوالها » ص٧ لنشرها الدكتور محمد ثابت الفندي.

(٤) « النجاة مبحث القوى النفسانية ص٧١ ».

كما أقام البراهين على أن الصلة بين الروح والجسد صلة عرضية، فلا يؤدى فناء الجسد إلى فناء الروح . ففى رسالته « معرفة النفس الناطقة وأحوالها » ، يقول « اعلم أن الجوهر الذى هو الإنسان فى الحقيقة لا يفنى بعد الموت ولا يبلى بعد المفارقة عن البدن ، بل هو باق ابقاء خالقه تعالى . وذلك لأن جوهره أقوى من جوهر البدن ، لأنه محرك البدن ومدبره ومتصرف فيه . والبدن منفصل عنه تابع له ، فإذن لم يضر مفارقته عن الأبدان وجوده ... » إلى أن يقول :

« ثم إن الإنسان فى نومه يرى الأشياء ويسمعها بل يدرك الغيب فى المنامات الصادقة بحيث لا يتيسر له فى اليقظة . فهذا برهان قاطع على أن جوهر النفس غير محتاج إلى هذا البدن ، بل هو يضعف بمقارنة البدن ويقوى بتعطله . فإذا مات البدن وخرب تخلص جوهر النفس عن جنس البدن »[1].

ثم يجىء دور فيلسوف آخـــر هو الإمام أبو حامد الغزالى (سنة ٤٥٠ — ٥٠٥ هجرية) فنجده يتحدث عن النفس والروح ويفرق بينهما . « فالنفس لديه هى ذلك الجوهر الذى يجمع بين العالمين وهما عالم العقل أى العالم الإلهى وعالم الحس أى العالم المادى . وقد وصف الغزالى هذين العالمين على نحو قريب جداً مما فعل أفلاطون بل ذهب إلى أن العالم الثانى ظل وخيال للعالم الأول ، إذ يقول إن الرحمة الإلهية جعلت عالم الشهادة على موازنة عالم الملكوت ، لأنه لا يوجد شىء فى العالم الأول إلا وهو مثال لشىء من ذلك العالم . وربما كان الشىء الواحد مثالا لأشياء من عالم الملكوت ، وربما كان للشىء الواحد من الملكوت أمثلة كثيرة من عالم الشهادة »[2].

وسنبين فى الجزء الثانى — عند ما نتحدث عن « ظروف الحياة فى عالم الروح » — كيف أن المعلومات الحديثة لا تخرج عن رأى

---

(١) ص ٩ ، ١٠ .

(٢) « مشكاة الأنوار » طبعة مصر سنة ١٩٠٨ ص ٤٥ ، ٤٦ . والدكتور محمود قاسم المرجع السابق ص ١٠١ .

الإمام الغزالى فى الكثير من هذه الناحية ، بل ومن ناحية الثواب والعقاب على ماسنبينه فى باب آخر ، مما يشير إلى صدق ما لاحظه الباحثون فى الروح عن الغزالى من أنه كان ملهماً من أحسن الملهمين الروحيين قبل أن يكون مفسراً .

كما كان الإمام الغزالى يرى أن الجسد منزل أو مسكن للروح ، وأنها تحل به لعناية إلهية ، أى كيما تزود لآخرتها من هذا العالم ، وتظل فى ذلك الجسد لمدة محددة لا تقبل زيادة ولا نقصاً ثم ينقضى أجلها[1] .

ويقرر أيضاً أن سعادة الإنسان لا تكمل إلا بعد الموت ، وهناك تختلف حظوظ الناس منها ، فإن النفوس التى تشغل بالبدن فيلهيها ويصرفها عن الشوق وعن طلب الكمال الذى قدر لها ، وعن الشعور بلذة هذا الكمال لا تستطيع التخلص بعد الموت مما لحقها من ثقل البدن وشهواته .. وتجد أن هناك نوعاً عظيماً من التضاد بين العالم الذى غادرته والعالم الذى انخرطت فى سلكه وحينئذ يشتد بها الأذى . ومع ذلك فإن هذا الأذى لا يدوم أبد الدهر لأنه لم يكن ذاتياً بل يرجع إلى أسباب عارضة . وإذن فلا تخلد هذه النفوس فى العذاب أبد الدهر ، وإنما تنمحى ذنوبها شيئاً فشيئاً حتى تصفو وتدرك السعادة التى قدرت لها[2]. كما قال الغزالى بأن البعث معناه إيجاد لمثل ما كان لا لعين ما كان ، وأن جمع جميع الأجزاء محال وليس ضرورياً حتى يحتج باستحالته[3]. وهذا هو — فى جملته — ما أقرته أبحاث الروحية التجريبية على ما سيلى فى مناسبته .

كما يقول الغزالى أيضاً عن الروح إن للطيفة الربانيـــة الروحانية (الروح) علاقة مع القلب الجسمانى ، وقد تحيرت عقول أكثر الخلق فى

---

(١) « رسالة إلى ملكشاه » ص ٦٣ .

(٢) الدكتور محمود قاسم المرجع السابق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ .

(٣) « تهافت الفلاسفة » ص ٣٦ .

إدراك وجه علاقتهما ، فإن تعلق الروح بالقلب يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام والأوصاف بالموصوفات، أو تعلق المستعمل للآلة بالآلة أو تعلق المتمكن بالمكان [١] .

« وهكذا فى الوقت الذى يرمز النفخ من الروح الإلهية فى الجنين المتقبل لها ، إلى بداية الاتحاد بين الجوهر والعرض فى الإنسان ، فإن الموت يرمز إلى عودتهما إلى الانفصال ، وكل ما يبقى بعد الموت هو الجوهر . ولا يعنى الموت بالنسبة إلى جوهر الإنسان إلا اللحظة التى يتخلص فيها من العرض. ولكن ما خلق كاستعداد عنده فى جوهره يتحول فى هذه اللحظة إلى شىء واقع . ويعكس الواقع الفعلى لروحه بعد الموت الآثار المتجمعة لمعرفته ، والأعمال التى قامت بها الروح أثناء وجودها فى الجسد . وهذا يعنى بعبارة أخرى أن جوهر الإنسان هو قدرته على المعرفة . ولكن هذه الطبيعة تسلم نفسها للتكيف عن طريق المعرفة الفعلية والتجارب التى يكتسبها فى حياته ، وهذه الطبيعة هى « الغريب » الذى يفد إلى هذا العالم لاكتساب المعرفة والخبرة بأعمال الله .

والذى يكتسبه هذا « الغريب » يولد اتجاهات وصفات تشبه اتجاهات وصفات الملائكة أو الحيوانات أو الشياطين ونزعاتها ، وبالرغم من أن هذه الصفات تصبح جزءاً لا يتجزأ من طبيعة الإنسان الأساسية فى نموها إلا أنها مكتسبة . وكل ماهو أصيل فى هذه الطبيعة هو الفطرة أو ميل الإنسان إلى المعرفة ، وإلى معرفة الله . لكن هذه الفطرة مرنة تتكيف فى نموها الفعلى تبعاً للعلاقات التى تتأصل بينها وبين الشهوات والغضب . وهكذا تعكس هذه العلاقات المتأصلة الأحوال الفعلية لطبيعة الإنسان الأساسية ، وعلى ضوء هذه الفطرة وحدها يمكن وصف هذه الطبيعة بأنها تحمل خصائص الملائكة أو الحيوانات أو الشياطين .

---

(١) « الأحياء كتاب شرح عجائب القلب » ص ١٣٥٠ .

وعلينا دائماً أن نذكر الفرق الهام بين طبيعة الإنسان الأساسية كطاقة وميل ، وبينها ككيان ينمو بصفات معينة لنفهم إصرار الغزالى على العلاقة الوثيقة بين طلب المعرفة وبين الرياضة الخلقية فى نمو الإنسان .

وما هى إذن طبيعة الروح التى هى الطبيعة الأساسية للإنسان ؟.. ، إنها « اللطيفة الربانية التى تحل فى الجسم وتقيم فيه ونعبر عنها بعبارات مختلفة حسب حياتها وأعمالها المختلفة فى البدن . لكن اللطيفة نفسها التى يشير إليها أى من هذه العبارات هى فوق مستوى الفهم العادى . فهى من عالم الأمر ولذلك تتحدى أى تعريف أو وصف . وعلى الإنسان أن يكتشف طبيعتها بنفسه وبمفرده . ويلجأ الغزالى أحياناً إلى الاستعارات وأخرى إلى التشبيه وثالثة إلى التعابير الرمزية عند ما يتحدث عن الروح ... »[1] .

ثم يجىء دور فيلسوف قرطبة القاضى أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد (سنة ٥٢٥ — ٥٩٥ هـ) . وهو أبعد فلاسفة الإسلام ذكراً وفى نفس الوقت يعد من أكبر شراح أرسطو . وهو يقول فى « تهافت التهافت » « إنا ندرك النفس وأشياء كثيرة . ولا ندرك حدها ، ولو كنا ندرك حد النفس مع وجودها لكنا نعلم ضرورة من وجودها أنها فى جسم أو ليست فى جسم ، لأنها إن كانت فى جسم كان الجسم ضرورة مأخوذة فى حدها وإن لم تكن فى جسم لم يكن الجسم مأخوذاً فى حدها . فهذا هو الذى ينبغى أن يعتقد . . . . »[2] .

وانحاز ابن رشد صراحة للإمام الغزالى قائلا « وما يقوله هذا الرجل جيد . . ولا بد فى معاندتهم أن توضح النفس غير فانية كما دلت عليه الدلائل العقلية والشرعية . وأن يوضح أن التى تعود هى أمثال هذه الأجسام

(١) « الإنسان عند الغزالى » للدكتور على عيسى عثمان . تعريب الأستاذ خيرى حماد ص ١٢٠ ، ١٢١ .

(٢) « تهافت التهافت » طبعة بيروت ، ص ٥١٧ .

التي كانت في هذه الدار لا هي بعينها ، لأن المعدوم لا يعود بالشخص[1] .
فهو يتحدث عن الجسد الأثيري ، وهو مثل الجسد المادي ، وهو الذي يعود بالنفس إلى الدار الآخرة .

كما أن ابن رشد أقام البراهين عديدة على خلود الروح في كتابه « الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة » ، وفيه يبين كيف أن الإنسان لم يخلق عبثاً وإنما كيما يدرك الكمال في العلم والفضيلة ، وليس إدراك ذلك ممكناً في هذه الحياة الدنيا لأنها عابرة ، فلا مفر من التسليم فعلا بوجود حياة أخرى تعود إليها النفس كيما تلقى جزاءها ، وهذا أول دليل على خلود الإنسان ، والدليل الثاني استمده من طبيعة الصلة بين الروح والجسد وأنها صلة عابرة ، إذ ليس الجسم سوى آلة تستخدمها النفس ، ووسيلة إلى إدراك ما يحتوى عليه عالم الحس . وهو يرى أن الخلود لجميع النفوس دون أية تفرقة ، وسواء أكانت نفوساً شقية أم سعيدة .

ومن يراجع أقوال فلاسفة آخرين مثل أبي بكر محمد بن يحيى الشهير بابن باجة[2] ، ومثل أبي بكر محمد بن عبد الملك الشهير بابن طفيل[3] ، يجد الكثير من حقائق الروح ومن البيانات عن خلودها وعن عوامل سعادتها وشقائها .

ثم يجيء دور عالم معروف في الروح وهو الإمام شمس الدين أبي عبد الله ابن القيم الجوزية[4] . ومن يرجع إلى كتاب « الروح لابن القيم » يجد الكثير من البيانات عن أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء . وفيه يبين كيف أن الأرواح قسمان : أرواح معذبة وأرواح منعمة . فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور

---

(١) المرجع السابق في آخره .
(٢) توفي في سنة ٥٣٣ هجرية (١١٣٨ م) .
(٣) توفي بمراكش في سنة ١١٨٥ ميلادية .
(٤) توفي سنة ٧٥١ هجرية .

والتلاقى ، والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا وما يكون من أهل الدنيا فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها . [1] ويبين كيف أن الشواهد كثيرة على تلاقى أرواح الأموات ، وكيف أن الأدلة أكثر من أن نحصيها ، إلا الله تعالى والحس والواقع من أعدل الشهود بها فتلتقى أرواح الأحياء والأموات كما تلتقى أرواح الاحياء [2] .

ويصف ابن القيم الروح بأنها « تأخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فإنها تتأثر وتنتقل عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل عنها فيكتسب البدن الطيب والخبيث من طيب النفس وخبثها [3] » .

ثم ينتقل ابن القيم إلى المسألة التاسعة عشرة وهى « ما حقيقة النفس وهل هى جزء من أجزاء البدن أو عرض من أعراضه أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرد ؟ وهل هى الروح أو غيرها ؟ وهل الأمارة واللوامة والمطمئنة نفس واحده لها هذه الصفات أم ثلاث أنفس ؟ » .

وبعد أن يستعرض شتى الآراء فى هذه الأمور ينتهى إلى ترجيح الرأى القائل إن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس ، وهو جسم نورانى علوى خفيف متحرك ينفذ فى جوهر الأعضاء ويسرى فيها سريان الماء فى الورد وسريان الدهن فى الزيتون والنار فى الفحم . فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقى ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة الإرادية . وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم

---

(١) طبعة سنة ١٩٥٧ ميلادية ص ١٧ .

(٢) ص ٢٠ .

(٣) ص ٣٨ .

الأرواح. ثم يقول « وهذا القول هو الصواب فى المسألة وهو الذى لا يصح غيره وكل الأقوال سواه باطلة ، وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة، ونحن نسوق الأدلة عليه على نسق واحد»[1] .

ثم ها هو العلامة المشهور ابن خلدون الذى ولد فى تونس — وكان سياسياً وسفيراً فى الأندلس وتوفى بالقاهرة سنة ١٤٠٦ م وهو قاض للقضاة — يتحدث عن بعض أنواع من الجلاء البصرى ويصفه بأنه « إدراك يتعلق بالروح لا بالبصر » كما يتحدث فى مؤلفه « تاريخ العالم » الذى أصبح يعرف فيما بعد « بمقدمة ابن خلدون » عن مس الجان ويعزو إليه بعض حالات الجنون . كما يقول « إن الروح تؤثر فى الجسم المادى كما تتولد الحرارة بالضحك أو الحزن» . ويشير إلى اتحاد الروح بالشىء المادى « وكيف تتجلى فيه الطبائع السماوية العليا والطبائع الدنيوية السفلى » ...

* * *

فما رأى السادة المعارضين — فى بلادنا أيضاً — تحت لواء العقيدة ؟...
إنى لا أزعم المقدرة على النقاش، لكننى اكتفى بالإشارة إلى بعض المراجع من أقوال الأقدمين وبحوثهم فى الروح لمن يريد المزيد من الاطلاع فيها وفى غيرها بحثاً عن الاقتناع . وسأبين مراجع المحدثين فيما بعد عند ما أعالج موضوع انتقال العلم الروحى الحديث فى بلادنا مع فتاوى لفيف من أفضل رجال الدين الذين يملكون حق الإفتاء الصحيح فيه . وسيدرك القارىء — على الفور — إلى أى مدى كانت البحوث العصرية فى الروح امتداداً طبيعياً لمعرفة بدأت منذ القدم، وما كان لها أن تتوقف عند عصر معين لأن عجلة العرفان لا تعرف التوقف، وسيدرك أيضاً كيف أن الجمود فى هذا الميدان مضرة كبرى شأن الجمود فى علوم الطب أو الفيزياء أو الكيمياء أو الفلك أو غيرها .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

الفصل السادس

الروح فى عصور أحدث مما تقدم

إذا انتقلنا إلى عصور أحدث من عصور الرسالات السماوية نجد أحسن شعراء هذه العصور قد تحدثوا عن الروح وخلودها وعن اتصالها بالبشر ، وكتبوا فيها ببلاغة «الشاعر» بها والواثق مما يقول . ومنهم مثلا شكسبير الذى ملأ رواياته بظهور الأرواح والأشباح وبآلامها ومباهجها وبرضاها وبغضبها ، وبوجه خاص فى روايات مكبث والملك لير وهملت . ومن الشعراء الذين تحدثوا عنها أيضاً تنسون وباكون وملتون ولونجفلو ووردزورث وفيكتور هيجو وغيرهم . ومن يتجول فى الأدب العالمى الراقى يأخذه العجب من الدور الضخم الذى تقوم به الأرواح فى هذا الأدب ، ويزداد هذا الدور قوة كلما ازداد الشعر أو الأدب روعة ، حتى ليبلغ ذروته فى شعر شكسبير أشهر شعراء التاريخ .

* * *

وإذا انتقلنا إلى الهند وجدنا فيلسوفها وشاعرها العظيم رابندرانات طاغور (١٨٦٢ — ١٩٤١) يتحدث كثيراً عن الروح فى عمق وبلاغة رائعة فهو مثلا يقول : «لقد حذرت من يستمعون إلىّ وأعيد تحذيرهم مرة أخرى من أن ينخدعوا بذلك الرأى الذى يقول إن معلمى الهند ومرشديهم يشيرون إلى نبذ الحياة والنفس حيث الفراغ والحياة السلبية ، فقد كان مقصدهم تحقيق الروح أو بعبارة أخرى الوصول إلى الحياة بالمعنى الصحيح . وقد كان المسيح يعنى ذلك عندما قال « طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض » . وإنه ليعنى هذه الحقيقة وهى أن الإنسان حين يتخلص من كبريائه يصل إلى ميراثه الحق ، وليس عليه أن يناضل بأكثر من هذا ليحتل مكانه فى الحياة . فالخلاص أمامه حيث سار بحق روحه الخالدة ، إلا أن كبرياء النفس هى التى

تدخل فى وظيفة الروح الصحيحة ، وهى تحقيق نفسها بعقد الأواصر بينها وبين العالم وبينها وبين إله العالم[1] » .

ثم يقول عن عودة الروح إلى موطنها الأصلى «أجل إن المسافرين سيفدون زرافات ووحداناً ويسعون إلى ميراثهم الصحيح فى ذاك العالم. وستتسع دائرة وعيهم إلى الأبد وسيبحثون على الدوام عن وحدة أسمى وأسمى ، ويقتربون دائماً من مركز الحق الذى يشمل كل ما فى الوجود ... » .

ويقول أيضاً : «كما أن الطفل فى رحم أمه يجد قوامه باتصال حياته بحياتها التى هى أوسع من حياته فكذلك روحنا تجد غذاءها فى الخير فحسب ، ذلك الخير الذى يعد بمثابة الإدراك لوشائجها الباطنة والممر الذى يوصلها إلى اللانهائى الذى يحيطها ويغذيها. لذلك قيل « طوبى للجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون » . فالحق هو غذاء الروح المقدس ولا يشبع الإنسان ويجعله يحيا حياة اللانهاية ، ويساعده على المسير إلى الأبد شىء سواه إننا ننحنى إجلالا لك يا من تنبعث عنه مسرات حياتنا ، وننحنى لك يا من ينبعث عنه خير روحنا ، وننحنى لك يا من هو الخير والخير الأسمى ، يا من فيك نتصل بسائر الأشياء فى الأمن والتوافق والإحسان والحب » ....

كما يقول أيضاً : « وإذا كان ثم كسب متواصل فى الحياة ، وكانت تلك الحياة لا تنتهى بنا إلى الفراغ والعدم ، بل إلى الامتلاء والوفر فإن هذه المظاهر السلبية وأعنى آلامها المبرحة وتضحياتها تزيد فى نفاستها . وقد تبين أنها كذلك لمن أدركوا عظمة الناحية الإيجابية فى النفس وتقبلوا مسئولياتها بشغف وتحملوا التضحيات فى غير ما إحجام» ...

ويقول طاغور : « من واجب النفس أن تطرح سنها على الدوام وتمد حدوده فى عالم النسيان والموت لكى تحقق شبابها الخالد ، ويجب أن تنبثق شخصيتها فى العالم الشامل آناً بعد آن ، وتمر منه كل لحظة على الدوام حتى تتجدد حياتها الفردية. وعليها أن تساير النغم الأبدى وتلمس الوحدة الجوهرية فى

---

(١) «مختارات من طاغور» للأستاذ طاهر الجبلاوى ١٩٦١ (دار الفكر العربى) ص ١١١ .

كل خطوة ، وبذلك يظل انفصالها فى توازن بين الجمال والقوة . إننا نشاهد فى كل مكان قصة الحياة والموت أو تحول القديم إلى الجديد . . . وإن نفسنا ينبغى أن تعرف أنها تولد جديدة فى كل لحظة من لحظات حياتها ويجب أن تتحرر من الأوهام التى تحبسها فى قشرتها وتظهرها فى مظهر الكبر وتثقلها بعبء الموت . فالحياة شباب أبدى . وإنها لتكره الشيخوخة التى تعرقل سيرها ولا تنتمى للحياة فى حقيقتها ، وإنما تتبعها كما يتبع الظل المصباح»[1].

* * *

وهذا الذى ذكرناه عن الروح حتى الآن إنما يمثل فى جملته الروح فى جانبها الفلسفى ، وذلك منذ عهود التاريخ الغابرة إلى عهد الإغريق . وقد قصدنا بهذه المتابعة التاريخية ربط الحاضر بالماضى ، ولذا فقد تابعنا تطور الروح بعد الإغريق فى المسيحية ثم فى الإسلام حتى وصلنا بها إلى فيلسوف الهند طاغور الذى توفى فى سنة ١٩٤١ ، كيما نبين كيف أن الروح الإنسانية — كحقيقة خالدة مستقلة عن الجسد المادي وخاضعة لنواميس خاصة — لم تكن محل شك عند أحسن فلاسفة التاريخ بين قدمائهم ومحدثيهم .

ثم ظهر فى معالجة الروح أسلوب جديد ، متفق مع أسلوب العصر العلمى وهو أسلوب البحث التجريبى الذى جاء مؤيداً لهذه الحقيقة الفلسفية ، بأدلة مستمدة من تمحيص ظواهر معينة لا شك أنها بدورها قديمة قدم الإنسان، لكنها لم تكن تظفر فى الماضى بالتحقيق العلمى المطلوب. وإنما خضعت لهذا التحقيق على نطاق واسع بعد أن ألف عقل الإنسان أن يمحص كل ظاهرة طبيعية مهما بدت ضئيلة الشأن ، وكان ذلك هو مصدر جل كشوفه العلمية الضخمة . ألم يكتشف نيوتن قانون الجاذبية من تأمله فى سقوط تفاحة على الأرض ؟ ألم يكتشف جيمس وات قوة البخار من تأمله فى علة تحرك غطاء إناء به ماء مغلى ؟ ألم يكتشف أينشتين قانون النسبية من

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٠ ، ١٣٨ ، ١٤٠ .

تأمله فى الفضاء الخارجى وكيف يبدو لأبصارنا كروياً مع أن أمواج الضوء تسير فى خطوط مستقيمة؟! . . .

وهكذا بدأ بحث العصر العلمى للروح تحت وطأة طرقات وظواهر بدت فى مبدئها تافهة ضئيلة الشأن فى كوخ المدعو ويكمان فى قرية صغيرة على بعد حوالى عشرين ميلا من مدينة روشستر بولاية نيويورك فى شهر مارس من سنة ١٨٤٨، لكنها على ضآلة شأنها أبت أن تنقطع إلا بعد أن اجتذبت انتباه العلماء والباحثين — رغماً عنهم وعن كل معلوماتهم المادية — ودفعتهم دفعاً إلى بحثها، وتقصى مصدرها بكل ما لديهم من سبل صارمة مادية للتحقيق .

وكأن يد القدر الرحيم أرادت أن تكون هذه الدقات الخافتة بمثابة النذير الذى أيقظ ضمائر الغافلين، أو بمثابة المعول الرهيب الذى قوض عمد العصر المادى — فى نفس بيئاته — كما تقيم على أنقاضه عصراً روحياً باذخاً ما كان أشد المتفائلين يتصور له قياماً، بكل هذا التأثير الدافق على النفوس .

فالعلم الروحى الحديث إن هو إلا مجرد طور جديد من التفكير الإنسانى فى الروح طابعه البحث التجريبى الصرف، وهو لذلك أكثر إقناعاً من أطواره القديمة، لما فيه من بنيان علمى متماسك هو الطابع للتطورات الحديثة فى الطب والفيزياء والكيمياء والقانون والرياضة . . . . بالمقارنة مع أطوارها القديمة . لذلك كان أعصى من غيره على النقد، وأقدر على نفع الإنسان فى تقدمه المستمر فى كافة مناحى الحياة بل فى تكوينه العقلى والروحى ... أليس التقدم سنة النشوء والارتقاء؟ . . . ولمَ نؤمن بتقدم واضح فى نواحى العلوم كلها ولا نؤمن بتقدم مماثل فى بحث الروح؟! . إن بديهيات المنطق تأبى التفرقة، وذلك ما سيبين بوضوح بعد إذ نعالج موضوع «نشأة العلم الروحى الحديث» .

الباب الثاني
في نشأة العلم الروحي الحديث

تمهيد

في الباب السابق تعرضنا لموضوع « الروح عند الأقدمين » في عجالة سريعة أوضحنا فيها ذيوع الاعتقاد في الخلود في جميع العصور وفي كافة الجماعات الإنسانية ، وهذا الذيوع في ذاته لا يمر بغير مغزاه الواضح . وقد قال فيه المفكر بوريس جنكنز Burris Jenkins « إن ذيوع فكرة الحياة التي لا تنتهي في العالم في جميع العصور وبين جميع الشعوب قد يشير بذاته إلى أن لها أساساً صحيحاً . فالأفكار هي أكثر الأشياء صدقاً في العالم ، ولا تنتشر من تلقاء نفسها وبدون حقيقة من ورائها ، فلكل فكرة أساسها ، وفكرة الحياة التي لا تنتهي كائنة في تاريخ الإنسانية بقدر ما يمكننا الرجوع إلى الوراء ، فكيف يكون الأمر كذلك ؟ إن ذلك لا يمكن أن يحدث من تلقاء نفسه ، فلا بد أن وراءه سبباً ، وأساساً ، وسنداً من الواقع »[1] .

وهذا السند من الواقع تكفل بإثباته وبدراسته على نحو علمي بعيد عن الارتباط مقدماً بأي اعتقاد سابق أو بأي رأي خاص « العلم الروحي الحديث » الذي خصصنا الكلام في جوانبه الرئيسية صفحات هذا المؤلف .

ويطلق وصف « العلم الروحي الحديث » على البحوث التي بدأت في النصف الثاني من القرن الماضي إثر حدوث ظواهر هيدسفيل التي أشرنا إليها أكثر من مرة وإذا كان الأسلوب العلمي في بحث ظواهر الطبيعة المختلفة وتمحيصها قد نجح في الكشف عن قوانين الطبيعة وتسخيرها لخدمة التقدم ، فلا شك أن استخدام هذا الأسلوب نفسه يمكن أن يجيء بنفس النتائج عند

---

(١) راجع « الكتاب الذهبي عن الخلود » طبعة ١٩٥٤ ص ٥ .
The Golden Book Of Immortality

اتباعه فى بحث موضوع الروح وبوجه خاص موضوع الظواهر الوساطية .

ذلك أن من شأن الأسلوب العلمى النقد بغير هوادة للتمييز بين الغث والثمين فى معلومات الأقدمين والمحدثين معاً .. كما أنه يحسن التفكير التحليلى المترابط فى استخلاص النتائج من المقدمات التى تصمد للنقد ، وذلك ما تعجز عنه بداهة الفلسفة النظرية الصرفة .

ويتطلب الأسلوب العلمى أيضاً ما هو أثمن من كل ذلك ، وهو محاولة الربط بين هذه النتائج و بين أوليات العلوم الأخرى توصلاً إلى الحقيقة العلمية وحدها ، والتى يعتبرها الباحثون الجادون أثمن من كل حقيقة أخرى. فليس لديهم أثمن من الصواب ولا أجدر بالبحث عنه من أقرب سبله ، وهو سبيل الملاحظة والتجريب الناقد فى يقظة وتحليل صحيح للأمور .

فهم يعلمون جيداً — كما كان ينادى ديكارت صاحب المنهج التحليلى الناقد — أنه ليس مما يتفق مع طبع العالم أو الفيلسوف أن يسلم بصحة شىء لم يتحقق منه ، ولا أن يركن إلى الثقة بالحواس ، فلا يكون اطمئنانه إلى ماتلقاه فى طفولته من أحكام هوجاء أكثر من اطمئنانه إلى مايقضى به العقل الناضج . كما أنهم يعلمون جيداً أنه للبحث عن الحقائق ينبغى التخلص أولا من الأحكام السابقة واطراح جميع الآراء التى سلم العقل بصحتها من قبل ريثما يحقق مدى صحتها بعد إعادة النظر فيها .

وينبغى كيما نعالج « نشأة العـــلم الروحى الحديث » أن نتحدث فى موضوعين متتابعين : —

— أولهما : موضوع هذا العلم .

— وثانيهما : الظواهر التى نشأ عن ملاحظتها ، وهى الظواهر التى يطلق عليها « الظواهر غير العادية أو غير المألوفة » ، ويطلق عليها عادة « الظواهر الوساطية » .

الفصل الأول

فى موضوع العلم الروحى الحديث

يطلق على العلم الروحى الحديث بالانكليزية Psychic Science كما يطلق عليه بالفرنسية Science Psychique . ومن الخطأ الواضح أن يتصور أى إنسان أن هذا الوصف يشير إلى علم النفس ، فإن علم النفس يعبر عنه بالسيكولوجيا (Psychology بالانكليزية و Psychologie بالفرنسية) .

أما أى بحث يشير إلى Psychic Science أو ما يقابله بالفرنسية فهو يشير بغير أدنى شبهة إلى علم الروح. وقد اصطلح البحاث على ذلك فى العالم أجمع منذ عرف البحث الحديث فيه طريقه إلى الوجود ، فأطلقوه على مؤلفاتهم ومعاهدهم وجمعياتهم وهيئاتهم ومؤسساتهم ودوائرهم ومجلاتهم، وكل ما يتناول بطريق مباشر أو غير مباشر البحث فى الروح ، بما فى ذلك ثبوت الحياة بعد الموت وحصول الاتصال بين الأحياء « والأموات » .

فأصبح لهذا التعبير Psychic Science معنى اصطلاحى محدد يشير إلى هذا النوع من البحث ولا يشير إلى بحوث السيكولوجى أو علم النفس . والكلمتان Psychic و Pyschology مشتقتان معاً من الكلمة اللاتينية Psyché أى العقل أو النفس . فأصبحت الأولى تدل على علم الروح وحده ، وأصبح الاشتقاق القديم Psychology يدل على علم النفس وحده بمفهومه التقليدى ولأن المعنى الاصطلاحى لكلمة Psychic يشير الآن إلى الروح — لا إلى النفس — ويقوم على التسليم « باحتمال » بقائها بعد الموت وبإمكان الاتصال بها ، فإن الترجمة الصحيحة لكلمة Métapsychique ينبغى أن تكون « ما وراء الروح » لا ما وراء النفس .

والتعبير الانكليزى Spiritualism الذى يقابل التعبير الفرنسى

Spiritisme يشير إشارة مباشرة إلى الاتصال بالكائنات غير المنظورة، وهو يعد على هذا الوضع فرعاً من الأصل العام وهو «علم الروح» ، الذى يتناول بالإضافة إلى هذا الاتصال فروعاً من البحث متنوعة، مثل تاريخ العلم الروحى ومثل دراسة الظواهر الوساطية ، ومثل فلسفة الروح. ومثل دراسة الأرواح فى الأديان والفلسفات المقارنة ، ومثل الفيزياء والفسيولوجيا والبيولوجيا بقدر اتصالها بعلم الروح ، وفى النهاية كل ما يتصل بأبحاث خلود الإنسان وما يترتب على هذه الأبحاث من نتائج . فالعلم الروحى أصل ، أما الاسبرتزم فهو فرع منه ينصب على دراسة الاتصال بالأرواح مباشرة .

ويستعمل بعض كتاب العربية وصف علم «تحضير أو استحضار الأرواح» كمقابل للفظ الأجنبي « اسبرتزم » بالفرنسية و «اسبرتيوالزم» بالانكليزية . . وهو وصف يعوزه التوفيق فيما يبدو لنا، لأنه يشير إلى أن الروح قد تخضع لإرادة إنسان ما ، وهذا غير صحيح لأن الروح لا تؤمر وليس لأى إنسان أن يزعم أن له عليها أى سلطان ، ودور الوسيط هو — فحسب — دور من يمكنه الاستسلام لقوة واعية غير منظورة قد تريد طواعية أن تظهر نفسها بصورة ما للجالسين — عن طريق السيطرة على جانب من وعى الوسيط متى أمكنها ذلك . وهذا الاتصال يكون لتحقيق هدف راقٍ عند الأرواح الراقية وغير راقٍ عند الأرواح غير الراقية . . أما دور الوسيط فهو سلبي بحت .

وهذه التسمية غير الدقيقة « علم تحضير أو استحضار الأرواح » طالما جنت على البحث الروحى فى بلادنا ودفعت بعض الوسطاء أو أدعياء الوساطة إلى إيهام البسطاء أن بمقدورهم تحضير أو استحضار أى روح يطلبونها . مع أن حضور الروح يتوقف على جملة عوامل : منها إرادة الروح نفسها وظروفها ، ثم قدرتها على أن تظهر نفسها باستخدام موهبة الوسيط إن كان يتمتع حقاً بأية موهبة وساطية . وقد يمكن للروح أن تستخدمها بحسب معلوماتها الخاصة ومرانها ، وقد لا يمكنها هذا الاستخدام مهما بذلت من جهد .

وفى جميع الجلسات الناجحة يلزم وجود أرواح مرشدة أو حارسة على كفاية خاصة قد تكون إحداها بمثابة «وسيط أثيرى» بين الوسيط الأرضى وبين الروح راغبة الاتصال . وكل ذلك لايجىء جزافاً ، بل يحتاج إلى مران وتنظيم وبيئة جادة وإلمام كاف بالموضوع للحكم على نجاح المحاولة أوفشلها . فدور وسيط الأرواح لا يعدو دور وسيط التنويم المغناطيسى ، وكل الفارق هو أن الأخير يخضع لإرادة منوِّم لم يتخلَّ عن جسده المادى بعد ، أما الأول فيخضع لإرادة منوِّم قد تخلى عن جسده المادى « بالوفاة » .

وكل مجرب فى الظواهر الوساطية يعلم جيداً كيف أنه قد يمضى أحياناً سنين طوالا لمحاولة الاتصال بروح شخص معين عبثاً، حين قد يتصل بأرواح كثيرة لم تخطر أسماؤها على باله من قبل . لأن نجاح عملية الاتصال الروحى لا يتوقف على مدى علم أى من العلماء الأرضيين ، كما لا يتوقف على إرادة الوسيط أو قدرته ، فهى عملية أكثر تعقيداً مما يتصور البعض لأنها خاضعة لنواميس طبيعية ليس للعلم المادى عليها أى سلطان .

بل إن تسمية البحث فى الأرواح بوجه عام بأنه «العلم الروحى» لا ينبغى أن تنصرف إلى معنى ادعاء العلم بطبيعة الروح بمعنى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للإنسان هنا وهناك ، فهذه لا يعرف أحد عنها شيئاً بعد ، ولم يدع أى عالم أنه قدر أن يعرف كنهها[1].

فهذا العلم ينصب مباشرة على دراسة الروح بمعنى الجسد غير المادى للكائنات الحية لأنه حجر الزاوية فيه . وهذا الجسد غير المادى متداخل فى الجسد المادى ويشغل معه نفس الحيز من الفراغ كتداخل الماء فى العود الرطب ، وهو الذى يحمل الروح فى الكائنات الحية ويستمد منها الحياة ، كيما يهبها — إلى حين — للجسد المادى عن طريق حبل أثيرى يراه الوسطاء أحياناً يصل بين الجسدين المادى وغير المادى . فالجسد غير

(١) وهذه الحقائق كلها تعطى تفسيراً كافياً فى نظر الباحثين فى الروح للآية الكريمة :— « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » .

المادى أو الأثيرى بخصائصه الطبيعية وأهمها عدم قابليته للفناء ، وتأثيره المباشر فى الأثير هو محور علم الروح الحديث ، الذى كان يصح أن يوصف أيضاً بأنه علم دراسة « الجسد الأثيرى » أو علم « دراسة العالم الأثيرى أو ما وراء المادى » .

ولعل بعض الأوصاف الأجنبية لهذا العلم أقرب إلى الدقة من وصف علم الروح . فهو يطلق عليه فيها — كما قلنا — بالفرنسية Scienee Psychique كما يطلق على الاتصال بالأرواح وصف اسبرتزم المستمد من كلمة esprit لا من كلمة âme وهى النفس الناطقة فى الإنسان التى ينصرف إليها هى أيضاً لفظ الروح العربى فى المفهوم الدارج له . ومع ذلك فقد آثرنا ترجمة Science Psychique بعبارة « العلم الروحى » لأنه أصبح وصفاً شائعاً معروفاً . واستعمال أى وصف آخر له قد يبعد الذهن عن حقيقة موضوعه . خصوصاً وأننا تعودنا أن نستعمل كلمة « روح » العربية فى التعبير عن أكثر من معنى . فنحن نستعملها بمعنى النفس الناطقة فى الإنسان ، كما نستعملها أيضاً بمعنى الجسد الأثيرى .

فوصف « العلم الروحى » هو الوصف العام الذى تبحث تحته ظواهر الوساطة الروحية ، فضلا عما قد ترسله الأرواح من بيانات شتى عن ظروف حياتها هناك ، وعن فلسفاتها وآرائها بالإضافة إلى النظريات التى توضح الصلة بين عوالم « الأمر » و « الشهادة » فى ضوء نظريات الاهتزاز وأمواج الأثير . أما الروح التى قد يرى البعض أن البحث فيها محظور فهى الشعلة القدسية التى تهب الحياة للإنسان . ولست أعتقد أن أحداً من العلماء زعم لنفسه إمكان إخضاعها للتجريب ، أو أنه وصل إلى حقيقة كنهها . وهكذا كان البحث فى الروح فى بلادنا ضحية أمرين مجتمعين حتى الآن : أولهما وصفه بأنه علم « تحضير للروح » ، مع أن الروح لا تخضع لإرادة أى محضّر ، وثانيهما أن كلمة روح تستعمل فى أكثر من معنى .

الفصل الثانى

فى الظواهر الوساطية بوجه عام

لم ينشأ العلم الروحى الحديث عن رغبة فى دراسة سر الحياة الإنسانية نبتت لدى أى عالم ، بل نشأ عن محض دراسة معملية لظواهر تعرف الآن باسم الظواهر الوساطية أو فوق العادية أو غير المألوفة ، وهى لا تخضع لسلطان أى إنسان كما قلنا . بل إن الوسيط نفسه لا يعلم كيف تحدث ولا متى ، أو لماذا تحدث أحياناً ، ولا تحدث أحياناً أخرى . وليس لظهور الوساطة سن معينة ، فقد تظهر مبكرة وقد تظهر متأخرة ، وقد تتطور مع الوقت وقد تنمو وقد تضعف . وقد يفقد الوسيط موهبته الطبيعية لسبب لا يعلمه ، وقد تعود إليه هذه الموهبة بعد وقت طويل أو قصير وقد لا تعود إليه أبداً .

كما لا تخضع لسلطان أى عالم أو مجرب ، لأن دور العالم مقصور على التحقق من حدوثها إذا ما حدثت وتدوين مشاهداته بشأنها ، فدراسة هذه الظواهر هى أشبه ما تكون بدراسة ظواهر الطبيعة المختلفة التى يقتصر دور العلم المادى على تسجيلها ومحاولة البحث عن أسبابها وترتيب نتائجها ، مثل تجمع السحاب وتكاثفه أو تكون قوس قزح ، أو هبوب الريح ، أو نمو زهرة أو شجرة ، أو شروق الشمس أو غروبها أو كسوفها أو البقع الشمسية ، أو خسوف القمر ...

وكل ما يملكه الوسيط أو العالم بشأن هذه الظواهر هو تهيئة الظروف التى قد تبدو مؤاتية لتيسير حدوثها ، إذا ما توافرت له باقى الأسباب المطلوبة . ومن هذه الظروف الهدوء ، والتنظيم فى مواعيد معينة ، والمواظبة . وأحياناً الظلام أو الضوء الخافت أو الأحمر ، بالإضافة إلى وجود الوسيط أو الوسطاء مجتمعين فى انتظار حدوثها . ويلزم لها جو من التوافق فى

الغرفة قد تساعد على تحقيقه الصلاة أو الموسيقى الهادئة أو الأناشيد .

ونجاح الجلسة قد يتوقف على الأشخاص الموجودين فيها ، إذ قد تنبعث من أحدهم طاقة تعطل الطاقة المنبعثة من الوسيط . أو بعبارة أخرى إن جميع الموجودين فى الجلسة — ومنهم الوسيط أو الوسطاء — يكونون أجزاء فى « بطارية كهربائية » واحدة يتوقف على نوعها وعلى قوتها نوع الظواهر الوساطية التى قد تحدث وقوتها ، بل نجاحها أو فشلها فى النهاية . ومع مراعاة أن بعض الجالسين قد تصدر منه طاقة إيجابية ، والبعض الآخر طاقة سلبية ، وكل ذلك قد يساهم فى نجاح الجلسة أو فشلها .

وفى هذا الشأن يقول جيمس آرثر فندلاى — مدير المعهد الدولى للبحث الروحى — « وقد لا يصل بعض الناس إلى نتيجة ما لأنهم يبعثون اهتزازات تجعل من المستحيل على أولئك الذين فى الجانب الآخر أن يحضروا خلالها إليهم ، وذلك لأن اهتزازات الشخصيتين تتصادم وتفسد الظروف اللازم توافرها . وهذا هو السبب فى أن بعض الناس جليس صالح وبعضهم جليس غير صالح ... فالانسجام أو التوافق هو الغرض المطلوب وهو ضرورى كالوسيط القوى ، وهذا هو ما حاولنا دائماً أن نوجده فى جلسات سلون (الوسيط) . . . ولا شىء كالموسيقى يساعد على إيجاد حالات التوافق . فللاهتزازات الموسيقية ، على الرغم من أن الهواء هو الذى يحملها وليس الأثير ، تأثير غير مباشر فى الاهتزازات التى نطلقها فى الأثير ، ولهذا كنا نبدأ الجلسة بالغناء بصحبة الأرغن (الهارمنيوم) ... »[1]

كما لخصت إحدى الأرواح العقبات التى قد تحول دون نجاح الاتصال بالأرضيين قائلة « هنالك صعوبات جمة نواجهها قبل التمكن من الاتصال بكم . فصعوبة اختراق هالة الوسيط وصعوبة التحكم فى حواسه وتفكيره،

---

(١) على حافة العالم الأثيرى طبعة ٣ ص ٦٣ .

وصعوبة إلهامه وصعوبة إيقاعه فى غيبوبة ، وصعوبة سحب مادة الأكتوبلازم من دمه ، وصعوبة إبعاد الموجات الفكرية المعاكسة ، وصعوبة منع المتطفلين من الأرواح الجاهلة من الاقتراب والتأثير فى مجرى أعمالنا ، هذا عدا صعوبة القضاء على الشعور بالخوف والاضطراب بين الوسيط والمجتمعين معه . أضف إلى كل ذلك صعوبة التأثير فى عقول الأعضاء وتشجيعهم وحثهم على المثابرة والمضى فى تكرار اجتماعاتهم لمدد طويلة لإعطائنا المجال الكافى للتغلب على هذه الصعوبات جميعها . فالصعوبات عديدة ، والقليل جداً من يتمكن من التغلب عليها فى ظروف خاصة . وكلما زاد فهمكم لهذه الحقائق كلما سهلت مهمتنا فى التغلب على الصعوبات ...» (١)

كما يقول أيضاً شو دزموند Shaw Desmond — مؤسس « المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن » — « إنى أحذر كل إنسان : فإن الاتصال بسكان العالم الكوكبى ملىء بأسباب العثار ، محتاج للدراسة وللصلاة ، وقبل كل شىء للذكاء وللإخلاص وللإيمان . فإن مملكة السماء لا تؤخذ قسراً بل تحتاج إلى إلحاف متواصل ، بل إلى حصار إذا صح هذا التعبير . لكن مع المثابرة ستجد أن الحواجز قد انهارت وأصبح فى مقدورك الحديث مع موتاك ، وتصبح متأكداً بالتالى أن ابنك المتوفى (أو ابنتك) كثيراً ما يكون معك راغباً فى الحديث إليك ناظراً إليك بحنان(٢) » .

وعند أمثال هذه المعانى التقى جميع الباحثين فى الروحيات .

بعض وسطاء الإلهام البارزين : سويدنبرج

فى تاريخ الحركة الروحية توجد أسماء بارزة بوجه خاص لوسطاء كانوا عمداً حقيقية لها . ومنهم مثلا وسيط الطرح الروحى والإلهام السويدى عمانوئيل سويدنبرج E. Sweedenborg الذى تعتبر كتبه فى الروحية

---

(١) من رسالة لروح اسمه هنرى كراتون على الوسيطة الكندية مارى مارشال فى سنة ١٩٤٢ . مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٨ ص ٢٢ .

(٢) فى مؤلفه « كيف تحيا عندما تموت ؟ » طبعة ٥ ص ١٤٣ .

من أهم المراجع حتى الآن ، مع أن هذا الوسيط يرجع تاريخه إلى ما قبـل ظهور حركة البحث الروحى العلمى الحديث ، لأنه ولد فى استوكهلم فى سنة ١٦٨٨ وتوفى فى ١٧٧٢ ، إذ أن الإلهام الروحى قديم قدم الإنسان هذا وقد اختير سويدنبرج عضواً فى أكاديمية العلوم فى سان بطر سبورج فى سنة ١٧٣٤ وعضواً فى الأكاديمية الملكية للعلوم فى استوكهلم فى سنة ١٧٤١ .



سويدنبرج

ويصفه الدكتور محمد مصطفى حلمى أستاذ الفلسفة والتصوف بكلية الآداب بجامعة القاهرة بأنه « برز فى كل فرع من فروع العلم اشتغل به أو شارك فيه: فمنذ العشرين من عمره درس سويدنبرج العلم . وكتب كثيراً فى كثير من فروعه ، وخلف تراثاً ضخماً فى كل من هذه الفروع ، حتى ليقال إن جملة مؤلفاته وآثاره العلمية تتجاوز فى عدتها ما خلفه شكسبير .

وإذا كان ذلك كذلك ، فقد أصبح اسم سويد نبرج علماً من الأعلام بين علماء الدين واللاهوت ، كما كان صاحب منزلة كبرى بين الصوفية من أصحاب الأحوال النفسية والأذواق الروحية ، وكما كان فوق هـذا كله جيولوجياً عالماً بطبقات الأرض ، ومنجمياً خبيراً بالمعادن وبغيرها مما تحتويه الأرض والمناجم فى بطونها وعالماً رياضياً وفلكياً وطبيعياً وكيماوياً وحيوياً له دراية كبرى بعالم الحياة ، بقدر ماله من هذه الدراية بعالم المـادة من ناحية وبعالم النفس والعقل والروح من ناحية أخرى .

ولم يكن سويدنبرج صاحب فضل فى هذه العلوم من الناحية النظرية فحسب ، وإنما كانت له نتائج وثمرات لها خطرها من الناحية العملية أيضاً . فقد طاف حول أوروبا وأفاد كثيراً من طوافه سواء من الناحيتين العلمية

والعملية : ذلك بأنه بعد عودته من هذا الطواف عين فى منصب مساعد مدير منجم ، وهنالك أتيح له من فرص العمل ما مكنه من إدخال صناعات جديدة إلى بلاده ومن ابتكار أشياء مستحدثة ....

وليس من شك فى أن سويدنبرج الذى ألم بهذه العلوم كلها ، وشارك فيها مشاركة جديدة منتجة لأحسن النتائج العلمية وأطيب الثمرات ، قد كان له من الخصائص النفسية والعقلية والخلقية ما هيأ له سبيل التفوق فيما ألم به من أطراف هذا الخضم العلمى الواسع ، وفيما انتهى إليه من هذا الانتاج العملى الرائع . وآية ذلك أنه ما ألم بعلم من العلوم إلا وكان إلمامه به تعمقاً ، وما عمل عملا من الأعمال إلا وكان عمله تحققاً : فهو عندما كان يريد أن يعرف شيئاً أو ينظر فى شىء ، أو يعمل أية ملكة من ملكاته الحسية أو النفسية أو العقلية أو الروحية فى أى شىء فإنما كان كل أولئك عنده على أحسن وجه وأدقه وأعمقه ، بحيث أنه لم يكن ثمت موضوع يوجه إليه نشاطه المتدفق وعقله المدقق وقلبه المتذوق إلا ويستمد منه قوته الخارقة وقدرته المحققة ويصطنع فى معرفة حقيقة أمره والوصول إلى مكنون سره فطرته الحدسية الصادقة . » .

هذا نموذج مما كتب عن سويدنبرج الوسيط الملهم الذى عزا صراحة مواهبه إلى هذه الوساطة ، كما أسند فلسفته لروحية صراحة إلى صلاته التى لم تنقطع بعالم الروح لمدة سبعة وعشرين عاماً بدأت فى سنة ١٧٤٤ ، فإذا به يصبح أيضاً — على حد تعبير الدكتور محمد مصطفى حلمى — « صاحب رؤى ومكاشفات ونبوءات » . ومن ثم استحال رجل العلم والأعمال والفيلسوف الطبيعى الذى عول على المنهج التجريبى إلى رجل يرى أشياء ويسمع أصواتاً ويصف ما يرى وما يسمع وصفا لا يكاد يقف عليه من يتحدث به إليه حتى يتعجب ويدهش ويستولى عليه القلق والحيرة ، فإذا هو بين مصدق ومكذب أو بين متردد ومتحفظ على أقل تقدير ...

وليس من شك أيضاً فى أن سويدنبرج قد وقف شطراً كبيراً من حياته وحيويته على أداء رسالته الروحية التى غيرت وجه حياته العلمية والفلسفية الواقعية الأولى. فإذا هو يتحدث ويكتب عن نعيم السماء وجحيم الأرض، وعما فى العالمين العلوى والسفلى من أسرار، وما يشرق فى باطن أرباب الحب الإلهى من أنوار، وإذا ثمرات ما كتب عنه وما تحدث به تراث روحى من الكتب والرسائل التى تعرض لكثير من المسائل الغيبية وتعبر عن كثير من الأذواق والمواجيد الروحية، فضلا عما فيها من عناصر علمية وفلسفية ....»[١]

وأهم مؤلفات سويدنبرج الروحية هى «أسرار السماء»[٢] (بين عامى ١٧٤٩ و ١٧٥٦)، و «الفردوس والجحيم[٣]» (١٧٥٨) و «الحكمة الملائكية للحب الإلهى والحكمة الإلهية»[٤] (١٧٦٣) و «الحكمة الملائكية للعناية الإلهية»[٥] (١٧٦٤)، ثم «علاقة النفس والجسد»[٦] (١٧٦٩) «والمذكرات واليوميات الروحية» (نشرت بين عامى ١٨٨٣ و ١٩٠٢)[٧]. وقد كتب سويدنبرج هذه المؤلفات باللاتينية، ثم ترجمت إلى ثمانى عشرة لغة أخرى بين أوروبية وشرقية.

أندرو جاكسون دافيز

لا تقل غرابة عن حياة سويدنبرج حياة الوسيط الشهير أندرو جاكسون

---

(١) راجع فى مجلة «تراث الإنسانية» التى تصدرها وزارة الثقافة والإرشاد القومى، المجلد الأول عدد ١١ الصادر فى ٥ نوفمبر سنة ١٩٦٣، بحثاً علمياً محايداً عنوانه «الحب والحكمة الالهيان» لسويدنبرج.

(٢) Arcana Coelestia.

(٣) De Coelo et Inferno.

(٤) Sapientia Angelica De Divino Amore et de Divina Sapientia.

(٥) Sapienta Angelica De Divina Provendentia.

(٦) De Commercio Animae et Corporis.

(٧) ترجم إلى الانكليزية بعنوان

The Memorabilia or Spiritual Diary.

دافيز Ardrew Jackson Davis الذى ولد فى ولاية نيويورك فى سنة ١٨٢٦ وكان عاملا بسيطاً يبلغ من العمر ١٩ عاماً عند ما بدأ منذ سنة ١٨٤٥ يملى، وهو فى حالته الوساطية ، كتباً رائعة بلغ عددها الواحد والثلاثين كتاباً أهمها « مبادىء الطبيعة : وحيها المقدس »[1] (١٨٤٧) فى ثمانية أجزاء و «قانون الإنسانية»[2] و « التناسق العظيم »[3] (١٨٥٢) فى خمسة أجزاء، والتى قال الدكتور جــورج بوش George Bush الأستاذ بجامعة نيويورك عنها إنها « تكون فى مجموعها مناقشة فلسفية عميقة ومتماسكة للكون. ولا أعرف أن ثمت بنياناً آخر يدانيها من ناحية عظمة الأفكار واستقامة المبادىء ووضوح العرض والترتيب والغنى الواسع فى الموضوع » encyclopedic richness of subject » .



أندرو جاكسون دافيز

ومن مؤلفاته أيضاً « العصر الحاضر والحيـــاة الداخلية »[4] ، (١٨٥٣) و « الموت والحياة الأخرى »[5] (١٨٦٥) ، و « مفتاح نجمى إلى السمرلاند[6] » (١٨٦٨) و « الروح القديمة والحديثة »[7] و « الاضطراب

---

(١) The Principles of Nature. Her Divine Revelations.

(٢) The Law Of Humanity.

(٣) The Great Harmonia.

(٤) The Present Age and the Inner life.

(٥) Death and the After Life.

(٦) A Stellar Key to Summerland.

(٧) Ancient and Modern Spirit.

العقلى »[١] (١٨٧١) و « المعبد : عن أمراض المخ والأعصاب »[٢] (١٨٧١) و « أحداث فى حياة أحد الرائين »[٣] (١٨٧٣) و « أفكار حرة متعلقة بالدين »[٤] (١٨٧٣) و « الإنسان المتناسق ؛ أو أفكار للعصر »[٥] (١٨٧٣) و « تاريخ الشر وفلسفته »[٦] (١٨٧٣) و « وجهات نظار إلى مسكننا السماوى »[٧] (١٨٨٣) و « ما بعد الوادى »[٨] (١٨٨٥) وغيرها كثير . وقد أسس دافيز فى سنة ١٨٦٣ فى أمريكا أول مدرسة روحية للأحداث .

وهكذا نجح هذا العامل الشاب بفضل مرشديه غير المنظورين — ومنهم روح سويدنبرج كما قال هو نفسه — فى إقامة دعائم الفقه الروحى الحديث قبل أن يتبنى العلم المادى تجاربه المثيرة فى الروحية[٩]. وقد توفى دافيز فى سنة ١٩١٠ ولا يزال معتبراً رائداً كبيراً من رواد هذه الحركة ، كما يعتبر الأديب و.هـ . ايفانز W. H. Evans حجة فى شرح هذه الفلسفة الكبرى ، ومؤلفاته من أعمق المراجع فيها ، وفى فلسفة الروحية بوجه عام .

هدسون تاتل

من أبرز وسطاء الروحية فى أمريكا هدسون تاتل Hudson Tuttle (١٨٣٦ — ١٩١٠) وهو من وسطاء الكتابة التلقائية والرؤية . وله عدد وافر من المؤلفات الرائعة العميقة التى اجتذبت الأنظار إلى وساطته الفذة .

---

(١) Mental Disorder.

(٢) The Temple : On Diseases of The Brain and Nerves.

(٣) Events in the life of a Seer.

(٤) Free Thoughts Concerning Religion.

(٥) Harmonial Man or Thoughts for the Age.

(٦) The History and Philosophy of Evil.

(٧) Views of our Heavenly Home.

(٨) Beyond the Valley.

(٩) راجع مؤلف الأديبة سيمون سان كلير Simone Saint Clair واسمه Le Flambeau Ardent وقد نقلته إلى الانجليزية السيدة سوزان آن مويز Susan Anne Moyse تحت اسم The Heart A Flame فى سنة ١٩٥٥ ص ٣٩ .

والتى لا تتناسب أبداً مع مستواه الثقافى ولا مع حياته المتواضعة كمزارع ومرب للخيول فى « مرتفعات برلين » بولاية أوهيو Ohio ، وهى الحياة التى تمسك بها حتى وفاته . . . .

وأهم مؤلفاته «تطور الأفكار الدينية»[١] (١٨٧٢) و«أسرار الروحية»[٢] (١٨٧٦) و « الأخلاق الروحية »[٣] (١٨٧٨) ، و «دراسات فى الجوانب العامة للعلم الروحى »[٤] (١٨٨٩) و «ديانة الإنسان والأخلاق العلمية»[٥] (١٨٩٠) و « فلسفة الروح ، وعالم الروح »[٦] (١٨٩٦) و « الوساطة وقوانينها[٧] » (١٩٠٠) و « قصص من وراء الأرض المجاورة[٨] » (مع إيما رود تاتل Emma Rood Tuttle) (١٩١٠) .

وقد أقر تاتل بأنه تلقى كتبه من أرواح معينة فأسند مؤلفه عن « أسرار الطبيعة» [٩] . إلى روحى العالمين لامارك Lamarck وهمبولد Humboldt وغيرهما . ويقال إن داروين أخذ بعض آرائه من مؤلف له قديم عنوانه « أصل الإنسان الفيزيقى وتاريخه القديم» [١٠] (١٨٦٦) .



هدسن تاتل

كما أقر بأنه كان فى كل كتاباته رهن إشارة بعض الأرواح التى تفوقه كثيراً من الناحية العقلية، والتى كانت تتخلى عنه

---

(١) Career of Religious Ideas.
(٢) The Arcana of Spiritualism.
(٣) Ethics of Spiritualism
(٤) Studies in Outlying Fields of Psychic Science.
(٥) Religion of Man and Ethics of Science.
(٦) Philosophy of Spirit and the Spirit World.
(٧) Mediumship and its Laws.
(٨) Stories from Beyond the Borderland.
(٩) Arcana of Nature.
(١٠) Origin and Antiquity of Physical Man.

أحياناً لأسابيع أو لشهور فيجد أن ينابيع أفكاره قد نضبت ، فإذا ما عمد إلى الكتابة بدونها تبين له أنه كتب لغواً لا يستحق عناء القراءة ، مما حمله على أن يتأكد أن هناك قوى عاقلة سامية متداخلة في حياته .

وغير وسطاء الإلهام الذين تحدثنا عنهم آنفاً ظهر وسطاء آخرون كبار يضيق المقام عن التحدث عنهم[١] . ولنمر الآن مروراً سريعاً على بعض وسطاء الظواهر الفيزيقية والعقلية بعد هذه الإلمامة السريعة ببعض وسطاء الإلهام من رواد الحركة الروحية الحديثة .

من وسطاء الظواهر الفيزيقية والعقلية

أخذت قائمة الوسطاء الكبار — ممن يتمتعون بشتى صور الوساطة الفيزيقية والعقلية — تتسع شيئاً فشيئاً حتى أصبحوا يعدون بالعشرات بعد إذ كانوا يعدون بالآحاد عندما كانت الحركة في مهدها . ونقصد بالوسطاء الكبار أولئك الذين امتحنت موهبتهم هيئات علمية موثوق بقيمة امتحانها وبحوثها ، أو الذين خضعوا لتجارب علماء كبار لم يتعودوا أن يسلموا للوسيط بموهبته إلا بعد تجارب شاقة وعسيرة قد تستمر لسنين طويلة . ومحاولة حصرهم كلهم أو بالأقل حصر أهمهم يضيق عنها موضوع المؤلف الحالي ، وإنما نكتفي بالإشارة إلى عدد منهم محدود فحسب .

فلورنس كوك

فمن أشهر وسطاء الظواهر الفيزيقية في القرن الماضي فلورنس كوك (١٨٥٦ — ١٩٠٤) Florence Cook التي خضعت لتجارب العالم المعروف سير وليام كروكس William Crookes ولآخرين غيره ، وتجسدت

---

(١) راجع في هذا الموضوع مؤلفاً للوسيط المصري الأستاذ عبد اللطيف محمد الدمياطي عنوانه « الوساطة الروحية » القاهرة ١٩٤٩ . وبالإنجليزية كتاب « وسطاء ثلاثة مشهورون » Three Famous Mystics وهم سانت مارتن وجاكوب بويهم وسويدنبرج . وهو من تأليف آرثر ادوارد ويت A. E. Waite وسوانسون W. P. Swainson وسنشير فيما بعد الى مراجع كثيرة عن بعض الوسطاء ومراجع أخرى جاءت عن طريقهم.

فى حضورهم الروح كاتى كنج Katie King تجسداً تاماً . وكانت هذه التجارب حاسمة إلى الحد الذى دفع كروكس إلى تقديم تقريره التاريخى إلى المجمع العلمى البريطانى — الذى كان هو رئيسه — بجانب تجاربه على الوسيط هوم ، على ما سيرد تفصيله فيما بعد فى الباب الذى خصصناه لبيان « بعض الوقائع والبينات » .

أسابيا بلادينو

ومن وسطاء الظواهر الفيزيقية أيضاً الوسيطة الأسبانيـــة المعروفة أسابيا بلادينو Eusapia Palladino التى ولدت فى سنة ١٨٥٤ وتوفيت فى سنة ١٩١٨ . وكان روح المرشد إيطالياً يدعى جون كنج John King وخضعت لتجارب عدد كبير من أبرز العلماء فى العصر الحالى منهم لومبروزو Lombroso وشيايا Chiaia وبوزانو Bozzano وشكاباريللى Schiaparelli وجيروزا Gerosa فى إيطاليا ، وأوليفر لودج O.Lodge وف.و.ه مايرز F.W.H.Myers وأوشكوريز Ochorowicz وريتشارد هودجسون R.Hodgson فى انجلترا وشـــارل ريشيه C.Richet ودى روشا De Rochas وجابريل ديلان G. Delanne وفيكتوريان ساردو V. Sardou وغيرهم فى فرنسا . كما أجريت لها عدة تجارب فى سويسرا اجتازتها بنجاح .

وقد ذكر بعض الباحثين فى «جمعية البحث الروحى البريطانية S. P. R» فى تقاريره أنه اكتشف أن أسابيا تدلس ، لأنه لاحظ وجود شعرة رقيقة أو خيط أبيض رفيع متصل بيدها ، فأسندوا إليه إحداث بعض الظواهر . وقال بعض المجربين بل يد ثالثة أو عصا . وقد كان لإذاعة هذا التقرير أثره من ناحية التشكيك فى صحة وساطة أسابيا رغم كل وسائل الامتحان الصارمة التى خضعت لها فى هيئات متعددة واجتازتها كلها بنجاح .

ولكن يقول البحاثة المعروف جابريل ديلان G. Delanne إن ما شوهد متصلا بجسم الوسيطة عبارة عن السيالات الاكتوبلازمية المنبعثة منها

les filaments fluidiques وأن هذه السيالات كثيراً ماتتجسد في أشكال خيوط شعرية أو أجسام صلبة بحسب نوع الظواهر التي يراد إحداثها ، فهي ليست من التدليس في شيء ، ولذا يقول إن هذا التقرير خاطىء برمته وصدر من أشخاص لم تكن لديهم دراية كافية بعد عن طبيعة الظواهر التي تصدوا لتحقيقها[١] .

تضاف إلى ذلك حقيقة أخرى يعلمها الآن جيداً بحاث الروحية ، وهي أنه عندما يكون الوسيط الروحي واقعاً في غيبوبة تامة فإنه قد يكون خاضعاً للإيحاء الصادر من كائنات غير منظورة ، كما قد يخضع للإيحاء الصادر من بعض الجلساء . فإذا ما حصر الجلساء أفكارهم في الخـــداع والتدليس (المحتمل بصورة أو بأخرى) فإنه من الجائز توجيه عقل الوسيط إلى هذا الاتجاه نفسه ، إذ أن الوساطة الصحيحة لا تخرج بدورها عن ملكة إدراك عن غير طريق الحواس أثناء الغيبوبة ، وهذه الملكة تقبل بطبيعتها الخضوع للإيحاء أياً كان نوعه أو مصدره

وأياً كان الرأي في صحة هذه الآراء فهناك حقيقة ثابتة ، وهي أن وساطة أسابيا اجتازت بنجاح باهر امتحانات صارمة ، عقدها لها عدد كبير من العلماء في عدة بلاد ممن أشرنا إلى أسمائهم فيما سبق ، بعد إذ استخدموا أقصى الاحتياطات لاكتشاف التدليس إن كان ثمت تدليس فلم يسجل أحدهم تدليساً قبلها .

كما ظلت أسابيا من سنة ١٩٠٥ إلى سنة ١٩٠٧ خاضعة لتجارب المعهد العام للسيكولوجيا في باريس التي نظمها الأستاذ جيل كورتييه Jules Courtier فعقدت لها فيه ثلاث وأربعون جلسة واشترك في هذه التجارب عدد من كبار العلماء منهم بيير وماري كوري Pierre et Marie Curie (مكتشفا الراديوم) ، ودارسونفال (الأستاذ بالكوليج دي فرانس ومدير المعهد)

---

(١) Les Apparitions Materialisées des Vivants et des Morts طبعة ١٩١١ ج ٢ ص ٦٠٩ — ٦١٩ .

وإدوارد برانلى (أحد مخترعى الراديو) وريشيه (عضو أكاديميتى الطب والعلوم) ولانجفان Langevin والفيلسوف هنرى برجسون مستخدمين جميع الاحتياطات الدقيقة ، ومع ذلك سجلوا حدوث ارتفاع كامل لمنضدة بدون وسيلة مادية عندما كانت أسابيا فى غيبوبتها مقيدة الوثاق تماماً ، واستخدموا فى تسجيل الظاهرة الغريبة جهازاً كهربياً حتى لا يكون الأمر مجرد تأثير نفسانى عن طريق الإيحاء أو ماهو أشبه . كما أثبتوا أنه أثناء ارتفاع المنضدة ازداد وزن الوسيطة — غير المتصلة بها — بما يعادل تقريباً وزن المنضدة (وهذه ظاهرة تنفى وحدها احتمال التدليس)

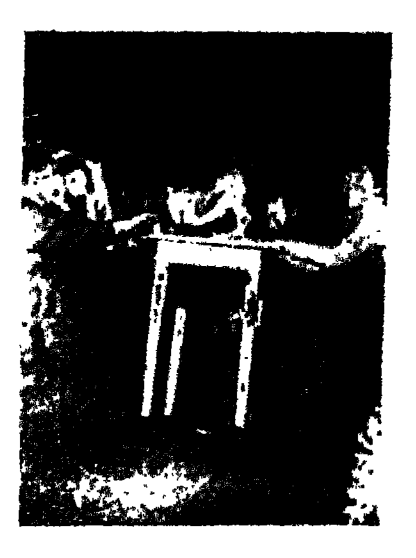
وفى ١٠ أبريل سنة ١٩٠٦ أشرف على تحقيق وساطة أسابيا العلماء بيير كورى ويوريفتش Yourévitch وشارل ريشيه ، وتبين لهم انبعاث طاقة غريبة من الوسيطة ، كما تبين لهم هبوب نسيم بارد مجهول المصدر على جو الغرفة .

وخضعت أسابيا أيضا لبحوث مدام مارى كورى داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس . فشحنت مدام كورى ثلاثة كشافات كهربائية وطلبت من الوسيطة ، إن كانت هناك طاقة حقيقية تخرج من جسمها ، أن تفرغ الكشافات بغير أن تلامسها ، وفعلا جازت الوسيطة الامتحان بنجاح وأفرغت الكشافات بغير أن تلامسها حتى انطبقت أوراقها الذهبية .

وقد حقق وساطتها أيضاً الفيلسوف كامى فلاماريون C. Flammarion واجتازت عدة تجارب ناجحة فى منزله بعد اتخاذ كافة الاحتياطات معها . وتمكنت — بالإضافة إلى رفع المناضد — من القيام بأعمال نحت على أحجار صلبة بعيدة عن متناول يدها ، كما يتضح من الصورتين الآتيتين المأخوذتين عن مؤلفه « قوى الطبيعة المجهولة »[١] .

---

(١) Les Forces Inconnues de la Nature.



ارتفاع المنضدة فى حضور اسابيا كما سجله الاماريون . وقد أخفى أحد الحاضرين وجه الوسيطة بخدة حمايتها من ضوء المغنسيوم (عن قوى الطبيعة المجهولة ص ٢٢)



أعمال نحت عن بعد تمت فى حضور أسابيا (المرجع السابق ص ١٨٦)

ولا يتسع المقام لأكثر من ذلك عن أسابيا ، ومن يريد الاستزادة من المعرفة عنها فليرجع إلى بعض البحوث التى قام بعملها علماء كبار ، وبحاث ثقاة مدققون من بلاد متعددة (١) .

---

(١) منهم : Morselli : Psicologia & Spiritismo, Turin 1908.
Carrington: Eusapia Paladino and Her Phenomena.
De Rochas: L'Exteriorisatoin de la Motricité.
G.D. Fontenay : Apropos d'Eusapia Paladino, Paris 1898.
Lombroso : After Death — What ? 1909.
Rapport de L'Institut General de Psychologie. Paris
Journal S P.R. Vol. VI and VII.
Proceedings S.P R. Vol. XXIII and XXV.
Botazzi : Nelle Regioni Inesplorate della Biologia 1904.
L. Barzini : Mondo dei Misteri 1907.

مدام ديسبرانس

ومنهم أيضاً الوسيطة الفرنسية مدام ديسبرانس Madame D'Esperance أو مسز هوب « ١٨٥٥ — ١٩١٩ » وكانت وسيطة للتجسد وللمجلوبات الروحية، وخضعت لتجارب الوزير والعالم اللغوى الروسى أكزاكوف Aksakoff ولبعض العلماء الألمان منهم زولنر Zollner من ليبزج وفريس Friesse من بريسلو وغيرهم .



مدام ديسبرانس

وفى مدينة كريستيانا بالنرويج خضعت لتجارب ثلاثين من أساتذة الجامعات والأطباء ورجال الدين . وفى حضورها تجسدت تجسداً تاماً روح مفرطة فى الجمال لفتاة إغريقية تدعى نيفنتس Nephentés ولما طلب منها أحد الحاضرين — بغتة — أن تكتب له شيئاً فى مفكرة معه كتبت له رسالة صداقة باللغة اليونانية القديمة التى لم يكن أحد من الحاضرين يعرف عنها شيئاً . وقام بعض الخبراء بإشراف الدكتور فون دى برجن Von De Bergen بصنع نموذج من شمع البارافين للوجه المتجسد والصدر والذراعين إلى الرسغين ، والوسيطة فى غيبوبة تامة[1].

---

(١) راجع التفاصيل فى مؤلف العالم النفسى إرنستو بوزانو

A Propos de L 'Introduction à la Métapsychique Humaine. J. Meyer. Paris 1926.

الترجمة الفرنسية (ص ١٨٦) .

ومن المراجع عن هذه الوسيطة أيضاً : —

William Oxley : Angelic Revelations.

Aksakoff : A Case of Partial Dematerialisation

ومن كتبها الخاصة A u Pays de L'ombre وله ترجمة انجليزية عنوانها Shadow Land ولها كتاب آخر عنوانه « أضواء من الشمال » Northern Lights

وصنع أمثال هذا النموذج أصبح الآن أمراً معروفاً ، ينفى بذاته كل احتمال لتدليس أو لإيحاء أو لما أشبه ، على ماسيلى فيما بعد ، عند ما نتحدث عن التجارب التى تمت فى عدة بلاد على الوسيط البولندى فرانك كلاسكى .

إجلنتون

ومنهم الوسيط وليام إجلنتون William Eglinton الذى ولد فى سنة ١٨٥٧ وكان وسيطاً للتجسد الكامل، كما كان وسيطاً للحصول على رسائل مباشرة من الأرواح على الألواح الحساسة slate writing . وقد خضع لتجارب بعض العلماء الألمان فى ليبزج ، كما شاهد بعض ظواهره ومنها تجسدات الأرواح فى ٢٩ من أكتوبر سنة ١٨٨٤ المستر غلادستون رئيس الوزارة البريطانية وقد انضم بعدها إلى « جمعيـــة البحث الروحى » S. P. R. كما خضع إجلنتون لتجارب « جمعية دالستون للروحيين »(١) و «جمعية بركستون للسيكولوجيا»(٢) و « الجمعيـــة البريطانية الأهلية للروحيين »(٣) .



إجلنتون

ليونور بيبر

ومنهم أشهر وسيطة للغيبوبة وللظواهر العقلية غير المألوفة فى هذا القرن، وهى مسز ليونور بيبر Leonore Piper من بوسطن التى خضعت لتجارب سير أوليفر لودج، وأحضرت له رسائل كثيرة تحقق من صحتها . كما خضعت

(١) Dalston Association of Spiritualists.

(٢) Brixton Psychological Society.

(٣) British National Association of Spiritualists.

وعنوانها كالآتى : 38, Great Russell St. Bloomsbury .

لتجارب الفيلسوف الأمريكى وليام جيمس William James مدير جامعة هارفارد ، وجعلت منه روحياً من الطراز الأول . ثم خضعت لتجارب عالم الأخلاق ريتشارد هدجسون Richard Hodgson الأستاذ بجامعة كبريدج ، كما خضعت لتجارب هايسلوب Hyslop أستاذ الأخلاق والمنطق بجامعة كولومبيا Columbia ، وجازت كل تجاربها بنجاح تام مما كسب للحركة الروحية أنصارا جدداً .

جاك وبر

ومنهم جاك وبر Jack Webber الذى كان وسيطاً لتجارب جامعة كبريدج ، وهو وسيط للصوت المباشر وتحريك الأجسام الصلبة ورفعها والطرح الروحى ، والأكتوبلازم ، وقد انتقل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٤٠ ، ولنا عودة إليه عندما نتكلم فى أحد فصول الباب الرابع عن « بينات على وجود الجسد الأثيرى » .

كارلو ميرابلى

ومنهم وسيط من أقوى وسطاء القرن الحالى فى الظواهر الفيزيقية ، وهو البرازيلى كارلو ميرابلى Carlo Mirabelli الذى ولد من والدين إيطاليين فى قرية بوتيكاتو بالقرب من مدينة سان باولو فى سنة ١٨٨٩ ، وبلغت وساطته ذروتها فى سنة ١٩٢٠ . وفى سنة ١٩٢٦ أخضع نفسه لبحوث أكاديمية الدراسات الروحية Academia de Estudos Psychicos بالبرازيل خلال ثلاثمائة واثنين وتسعين جلسة تم بعضها فى ضوء النهار أو فى ضوء مصباح قوى ليلا ، قبل أن تكتب الأكاديمية تقريرها عنه . وقد ورد فيه أنه نجح فى التكلم بست وعشرين لغة ، وفى الكتابة بثمانى وعشرين لغة لا يعرفها ، منها العربية بالإضافة إلى الحديث بثلاث لغات مندثرة وهى الهيروغليفية واللاتينية والكلدانية .

كما تبين أنه وسيط للتجسد الكامل ، ففى حضوره شوهدت أرواح متعددة ، منها كريمة الدكتور دى سوزا التى تجسدت لمدة ٢٦ دقيقة ورآها الحضور

جيمامر تدية نفس ثيابها التى دفنت بها ، والتقط لها والدها صورة واضحة . ومنها روح الدكتور جوزى دى كاماريو التى تجسدت تجسداً كاملا فقام الدكتور دى سوزا بفحص ضربات القلب وحركة التنفس وتقلصات الأمعاء والأسنان واللعاب والأظافر والعينين . وقرر أن الفحص أسفر عن أن جميع هذه الأجهزة تعمل كما لوكانت لإنسان عادى (١) .

وفى إحدى الجلسات ربط ميرابللى وختمت عقد الحبال التى قيد وثاقه بها بالشمع الأحمر ، وبعد الغيبوبة بلحظات وجد فى غرفة أخرى وهو لا يزال فى غيبوبته ، وقد تبين أن جميع الأختام التى وضعت على الأبواب والنوافذ وعقد الحبال لا تزال سليمة . وذلك بالإضافة إلى تحقيق ظواهر شتى للمجلوبات الروحية وغيرها ، وقد تمت كلها على أروع وجه وأدعاه إلى الاقتناع . وبعد انتقال هذا الوسيط إلى عالم الروح خلدت حكومة بلاده ذكراه على خمسة ملايين طابع بريد تحمل اسمه وصورته ...

استيل روبرتس

ومنهم استيل روبرتس Estelle Roberts وهى وسيطة للجلاء البصرى والسمعى وللكتابة التلقائية . وقد خضعت لبحوث هانن سوافر Hannen Swaffer نقيب الصحفيين البريطانيين ، وموريس باربانيل Maurice Barbanell أحد كبار الكتاب الروحيين . وكانت تقدم ظواهرها علناً فى أغلب المدن الكبرى وفى حضور عدد غفير من المشاهدين .

كما استعانت بها السلطات البريطانية للكشف عن غوامض جناية قتل فنجحت فى الإنباء عن مكان وجود جثة الطفلة القتيلة فى قاع أحد الأنهار بجوار

---

(١) راجع مجلة Zeitschrift fur para-psychologie عدد أغسطس سنة ١٩٢٩ وجريدة البحث الروحى Psychic Research مع تعليق لعالم الباراسيكولوجى دينجوول E.C. Dingwall فى عدد يولية ١٩٣٠ ومقالا المرحوم الدكتور زكى العزيزى الطبيب النفسانى فى مجلة « عالم الروح » عدد يونية سنة ١٩٥٩ ص ٢٤ — ٢٨ .

قنطرة،وفى الإرشاد عن الطريق الذى سلكه الجانى لإخفاء الجثة .وقد ثبتت صحة كل ذلك فيما بعد بالوسائل العادية ، كما تم العثور على الجثة فى المكان الذى عينته الوسيطة،ولما تجمعت الأدلة الكافية ضد القاتل حوكم وأعدم[1].

وسطاء للعلاج الروحى

ومنهم وسطاء للعلاج الروحى حققت صحة وساطتهم هيئات ومعاهد شتى ، مثل و . ت باريش W.T.Parish ووليم هنرى ليللى William H.Lilley وهارى إدواردز Harry Edwards وقد كتبت عن ثلاثتهم مؤلفات من باحثين محايدين كان هدفهم التحقق من مدى صحة العلاج الروحى ، وإعلانه للقراء إن كان صحيحاً . وكان التحقق من نجاح بعض حالات العلاج الروحى من أقوى البواعث التى حملت الفيلسوف وليام جيمس إلى التحول إلى الروحية الحديثة ، وإلى تطوير فلسفته فى اتجاه روحانى جديد على ما سنوضحه فيما بعد ، كما سنوضح بعض المراجع عن العلاج الروحى التى قام بوضعها ثقاة من الباحثين والمؤلفين .



المعالج الروحى وليام باريش وقد التقطت له هذه الصوره بالأشعة دون الحمراء فظهرت إلى جواره الروح المهيمنة عليه

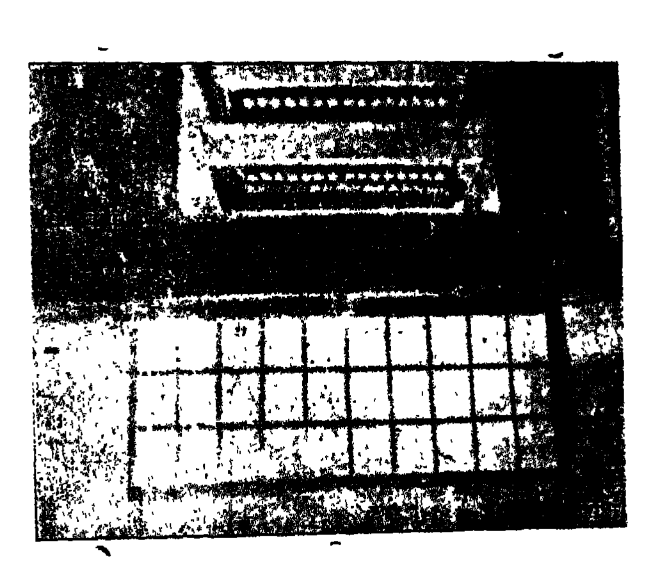
إثبات الظواهر الوساطية

بعض صور الوساطة لا يحتاج فى إثباته لأى جهاز مادى مثل وساطة الاستشفاف البصرى أو السمعى ، أو تفوهات الغيبوبة . وبعضها الآخر

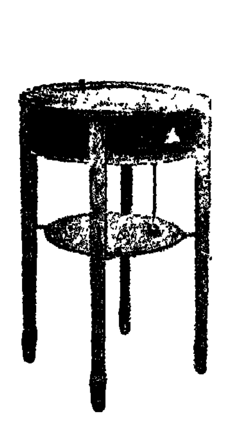
(١) راجع عنها كتاب « اسدنيل دوبراس » للأستاذ عبد السلام حجازى .

قد يحتاج إلى مجرد قلم وورقة فى يد الوسيط كوساطة الكتابة التلقائية .
وبعضها الآخر قد يحتاج إلى مجرد لوحة عليها الحروف الأبجدية Ouija Board
وهى الطريقة الشائعة فى الجلسات العائلية ، والتى حلت محل الموائد المتكلمة
التى كانت شائعة فى أمريكا وأوروبا عند بدء ظهور الحركة الروحية فى منتصف
القرن الماضى . ولوحة الحروف الهجائية أسرع من سابقتها كما أنها لا تحتاج
إلى وساطة قوية ، وبعضها الآخر قد يحتاج إلى سلة صغيرة وقلم وورقة
وهى الطريقة الشائعة فى بعض بلاد الشرق الأقصى .

وقد استخدمت عدة أجهزة كاتبة تعمل بالكهرباء وأمكن عن طريقها
تلقى كتباً كاملة من عالم الروح ، لكن يلزم لهذه الأجهزة وجود وسيط
قوى خاص بجوارها هو وسيط تحريك الأجسام الصلبة Telekinesis
وهو عادة نفس وسيط الاكتوبلازم . ومن هذه الأجهزة جهاز
الكوميونيجراف Communigraph والرفلكتوجراف Reflectograph،
بل لقد استعمل أيضاً جهاز تلغراف مورس Morse بعد تغطيته بناقوس



الرفلكتوجراف



الكوميونيجراف

زجاجى منذ سنة ١٩٣٨ فنجح أيضاً فى تلقى رسائل مطولة(١) .

وتستعمل هذه الأجهزة أيضاً فى معهد ماجنا جوبسون للبحوث الروحية بلندن Magna Jobson . وفيه يتعاون علماء من العالمين فى ابتكار الأجهزة التى قد تسهل عملية الاتصال الروحى والتى يراد لها أن تعمل بأقل قدر من الطاقة الروحية التى تنبعث من جسم الوسيط أو الوسيطة . ومن هذه الأجهزة كذلك جهاز يدعى التليفوكس للصوت المباشر وأنبوبة تدعى أنبوبة دبجن للعلاج الروحى .

وعن طريق هذه الأجهزة أمكنهم أن يتلقوا كتباً كاملة من عالم الروح منها كتاب أملته روح سير فنسنت كايار Sir Vincent Caillard وعنوانه « معنى جديد للمحبة(٢) » وهو قطعة من الأدب الرائع قرظته عند ظهوره الصحافة السيارة بتقدير كبير . ومثله كتاب « عصفورتى الصغيرة »(٣) الذى ورد بنفس الطريقة فى سنة ١٩٣٩ .

وتستعمل أحياناً — بالإضافة إلى نوع الوساطة اللازمة — آلات للتصوير ملحقة بأجهزة للأشعة فوق البنفسجية ultra-violet لتصوير غير المنظور فأتت بأحسن النتائج بحضور الوسيط روبرت بورسينيل Robert Boursenell (٤) . كما استعملت أحياناً أخرى أجهزة الأشعة دون الحمراء Infra-red لتصوير الأرواح المتجسدة أو الظواهر الوساطية فى الظلام . وأمكن للعلامة وليام كروكس أن يلتقط عشرات من الصور لروح متجسدة — بالكاميرا فى ضوء المغنسيوم العادى — وهى « كاتى كنج » فى حضور الوسيطة فلورنس كوك على ماسيلى فيما بعد .

(١) وقد وصف هذه التجربة تفصيلا الأديب شودزموند فى جريدة الصنداى جرافيك وصفا مؤيداً بالصور كما وصفها الأديب موريس بارباليل فى جريدة السايكك نيوز ، وكلاهما شاهدا رؤية مع آخرين دعوا خصيصا لحضور التجربة الفريدة وللتثبت من نجاحها .

(٢) A New Conception of Love.

(٣) My Birdy.

(٤) مجلة « الكلية البريطانية للعلم الروحى » عدد يولية ١٩٢٧ ص ١٠٠ — ١١٢ ، ولنا عودة إلى بعض هذه التجارب فى الباب الرابع .

كما يستعمل أحيانا بوق Trumpet فى حالة توافر وساطة خاصة تتطلب اجتماع نوعين من الوساطة معاً فى مكان واحد : هما وساطة الصوت المباشر direct veice بالإضافة إلى وساطة تحريك الأجسام الصلبة telekinesis .



بوق طائر فى سقف الغرفة تم تصويره تحت رقابة علمية بما يعجز العلم المادى عن تفسيره (عن كتاب التجسدات للعلامة بود نجتون طبعة ١٩٣٨)

وتستعمل أحياناً كراسى حاسبة للوزن يجلس عليها الوسطاء فى غرف الجلسات المكتملة المعدات ، للتحقق من انبعاث مادة الاكتوبلازم ومراقبة وزنها ووقت انبعاثها ووقت عودتها. كما قد يستعمل بارومتر لقياس الضغط الجوى ، لأنه لوحظ فى الجلسات القوية تغير واضح فى الضغط الجوى . كما لوحظ تغير مماثل فى درجة الحرارة فى الغرفة وفى درجة حرارة الوسيط . وكل هذه الأجهزة — وغيرها — لاتستعمل لإنجاح الجلسة أو لإحداث الظواهر الروحية بطريقة آلية ، بل لمجرد التحقق من حصولها إذا ما حصلت ولامتحانها بوسائل التحقيق العلمى المختلفة .

وقد تضاف إلى هذه الأجهزة وسائل أخرى من ابتكار العلماء والباحثين ، وبعضها استعمل بإرشاد الأرواح المرشدة للجلسات ، التى يعد وجودها أيضاً شرطاً لازماً للجلسات القوية الناجحة ، وبعضها الآخر بغير إرشاد منها. وهى عادة لاتعترض على أية وسيلة يهدف بها الباحث إلى الوصول إلى التحقيق العلمى مادامت ميسورة ولا يترتب عليها ضرر ما بالوسيط أو بالوسطاء. وكلما تعدد الوسطاء فى الجلسة الواحدة كلما كان ذلك أدعى لنجاحها .

الاكتوبلازم

إذا كانت الوساطة من نوع وساطة الا كتوبلازم فإن إثباتها من السهولة بمكان ، إذ تنبعث عندئذ مادة الا كتوبلازم Ectoplasm (ويطلق عليها أحياناً وصف سيكوبلازم Psychoplasm أى بلازما الروح) من الوسيط بشكل واضح من فتحات وجهه ، وأحياناً من مسام جسمه . وقد أمكن تصويرها مئات من الصور يجد القارىء بعضها فى أى مؤلف أو مرجع من المراجع التى قام بوضعها علماء ثقاة من بلاد متعددة خصصوا جزءاً كبيراً من بحوثهم لدراسة هذه المادة العجيبة . ومنهم شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing وأوكسلى Oxley وريمرز Reimers وجوستاف جيلى Gustave Geley [1] والفريد رسل والاس A. R. Wallace ووليام كروكس W. Crookes وكروفورد W. J Crawford وكارنجتون Carrington وجلين هاملتون Glen Hamilton وغيرهم .

وهذه المادة تحصل عليها الأرواح من جسم الوسيط أو الوسيطة . وقد سماها بهذا الاسم شارل ريشيه Charles Richet ، وهى تتكون من مقطعين أولهما ecto باللاتينية أى خارج وثانيهما plasma أى مصل الدم ، لأنها تنتزع من مصل الدم ومن خلايا الجسم بوسائل لا يزال يجهلها العلم المادى .

وتستخرج هذه المادة عادة من الضفيرة الشمسية للوسيط أو الهالة aura ، وأحياناً من القلب لأنه مستودع الدم ، وأحياناً من فرق الكتف ويحتاج استخراجها إلى مران طويل من الروح وإلى غيبوبة وإذعان طويل من الوسيط أو الوسيطة .

وتضيف إليها الأرواح عادة مادة تستخلصها من الأثير فيصبح اسمها تلبلازم Teleplasm . واتضح من تحليل مادة الا كتوبلازم أنها تحتوى

---

(١) وكل تجاربه فى شأنها جرت داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس » . وقد وقع على صحة تجاربه حوالى مائة شخص من غير رجال المعهد . وفى سنة ١٩٢٣ حضر ثلاثون شخصاً بارزاً — بينهم ثمانية عشر طبيبا — تجاربه ووقعوا شهادة بصحة ما شهدوه . وقال جيلى فى شأنها « إنى لأؤكد أنه ليس هناك خداع ، بل لا توجد طريقة للخداع » .

على كلوريد الصوديوم وفسفات الكلسيوم ، وهى لا غنى عنها لإحداث ظواهر التجسد الكلى والجزئى ، وكثير من الظواهر الفيزيقية الأخرى . وهى من أندر الوساطات ، وفيما يلى سنوضحها ببعض صور منتزعة من المراجع المختلفة :ـ

الاكتوبلازم بالصور عند وسطاء متعددين

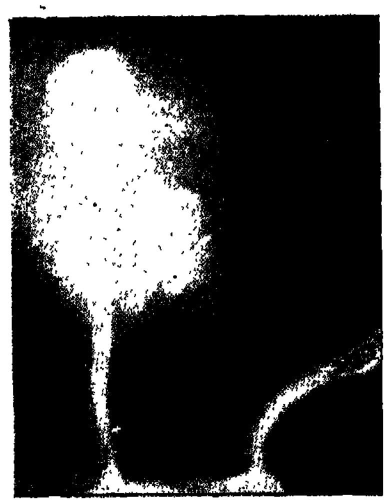
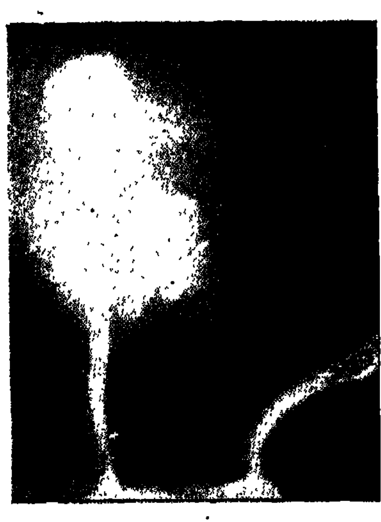
١ — صورة توضح انبثاق مادة الاكتوبلازم من أحد الوسطاء ، وكيف كانت تتشكل فى شكل منديل إكتوبلازمى بجوار منديل عادى



مشبوك بقدم الوسيط كما شرحها ماك إيندو Mac Endoe فى محاضرة له عن « التكوينات الروحية » (عن مؤلف « التجسدات » لهارى بودينجتون . طبعة ١٩٢٨) .



٢ — صورة عن كتاب « التكوينات الروحيـة فى دائرة مس جوليجر » Psychic Structures In The Goligher Circle (١٩٢١) من تأليف و . ج . كروفورد أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة بلفاست ، وهى تبين انبعاث مادة الاكتوبلازم من جسم الوسيطة ثم اتخاذها شكلا صلباً إلى حد رفع المائدة .

٣ — عودة الاكتوبلازم المضىء إلى جسم الوسيط كلايف هولمز Clive Holmes . (عن كتاب بودنجتون المشار إليه آنفاً)



٤ — الاكتوبلازم يتدفق بغزارة من فم الوسيط الدانمراكى إينرنيلزن عن مؤلفه « أداة صلبة على الحياة بعد الموت » .



٥ — الاكتوبلازم يصنع غلالة كما تطايرت كمية منه فى الهواء .



٦ — الاكتوبلازم وقد اتخذ شكل غلالة ثم ارتفع فى الهواء بدون وسيلة مادية منظورة .

ظواهر أكتوبلازمية غريبة فى حضور الوسيطة مارى



٧ — الاكتوبلازم يتدفق غزيراً من أنف الوسيطة مارى فى غيبوتها ، وقد ظهر خلاله من أعلا وجه المرحوم ريموند (ابن سير أوليفر لودج) ومن أسفل وجه آخر تعرف عليه الدكتور جلين هاملتـــون Glen Hamilton عن « موسوعة العلم الروحى » Encyclopaedia oF Psychic Science ، للدكتور ناندورفودور Nandor Fodor

٨ — نفس الوسيطة فى غيبوتهـــا وقد انبثق الاكتوبلازم من أنفها ، وظهر فيه من أعلى وجه سير آرثر كونان دويل ومعه وجوه ورموز مجهولة المصدر (عن المرجع السابق) .

الرد علي الاعتراضه بالهامش

مما تقدم يبين أن نجاح أية جلسة إلى المدى الذى يراد له أن يفحم أشد المكابرين مسألة أكثر تعقيداً مما قد يتصوره بعض الناس . فحضور جلسة واحدة فاشلة أو أكثر لا يعنى أن الموضوع كله وهم أو تدليس ، بل إن العلماء الذين سنشير إليهم جميعهم قد تابعوا دراسته فى صبر وأناة لمدى سنين طويلة ، وصلت عند بعضهم إلى عشر سنين أو عشرين أو ثلاثين أحياناً قبل إبداء رأى حاسم بشأنها . وكل الذين شهدوا لمصلحة صحة هذه الظواهر تحدثوا عن جلسات فاشلة أو ضعيفة ، وأخرى ناجحة قوية ، كما تحدثوا عن تدليس كشفوه عند بعض الوسطاء ، وعن وساطات أخرى صمدت لأعتى وسائل الكشف والتحقيق بالغة ما بلغت من الشدة والصرامة .

فمثلا واصل البحاثة الأمريكى شارل ليفرمور Charles Livermore — لمدة خمس سنين — وكان مديراً لأحد المصارف — بحوثه مع الوسيطة كاتى فوكس Katie Fox يعاونه الدكتور جون جراى John F. Gray وحضر معها ٣٨٨ جلسة . وفى إحدى هذه الجلسات تجسدت زوجته الراحلة استيل Estelle . كما شاهد يداً متجسدة ظلت تكتب لمدة ساعة كاملة بقلم رصاص فضى ، ثم أخذت اليد تتلاشى تدريجيا إلى أن أصبحت عبارة عن كتلة غير محددة لمادة غامضة ، ومع ذلك استمرت فى الكتابة وتقليب صفحات الورق . وكانت الكتابة باللغة الفرنسية ، وفى ضوء ظهر من مصدر غير معروف فى صورة مصباح ضخم مغطى بقماش .

ونفس هذه الوسيطة سافرت إلى انجلترا وجازت بنجاح تجارب سير وليام كروكس ويقول الأخير إنه شاهد فى حضورها « يداً متجسدة مضيئة تنزل من سقف الغرفة ثم تأخذ فى الكتابة بسرعة على قصاصة ورق ثم ألقت القلم وارتفعت فوق رؤوسنا واختفت تدريجيا »[١] .

---

(١) « بحوث فى الظواهر الروحية . تجارب جديدة على القوة الروحية » من تأليف وليام كروكس ترجمة فرنسية بمعرفة اليدل Alidel وادوارد ماير Ed. Meyer باريس ١٩٢٣ ص ١٦٤ — ١٦٥ .

ومثلا قبل أن يحكم سير أوليفر لودج على وساطة مسز ليونوربيير Leonore Piper من بوسطن حضر معها ثمانى وثمانين جلسة تحت إشرافه الخاص، مع أدق رقابة علمية ممكنة بمعرفته وبمعرفة الدكتور و. ليف W. Leaf والعلامة السيكولوجى ف و. ه مايرز F. W. H. Meyers وحصل منها على ثمانية وثلاثين بياناً مختلفاً بعيداً عن عقلها الباطن وعن عقول الجلساء قبل أن يبدى رأيا فى جانبها كوسيطة روحية .



ليونور بيبر

وخضعت نفس الوسيطة لأدق التجارب من ريتشارد هودجسون أستاذ الأخلاق بجامعة كمبريدج ، والبروفسور هايسلوب أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا ، كما خضعت لبحوث عالم النفس والفيلسوف الأمريكى وليام جيمس منذ سنة ١٨٨٥ .

وظلت التجارب تتوالى على نفس الوسيطة لمدة خمسة وأربعين عاماً بمعرفة عدد من العلماء بنجاح تام ، وكانت الأرواح المرشدة لها على التوالى هى روح الدكتور فينويت Phinuit (سنة ١٨٨٤) ثم جورج بيلمان G. Pelman (سنة ١٨٩٢) ثم الروح إمبراتور Imperator (سنة ١٨٩٧)[١].

ومثلا ظل جيمس آرثر فندلاى يوالى تجاربه مع وسيط الصوت المباشر

---

(١) راجع عن هذه الوسيطة مضابط «جمعية البحث الروحى البريطانية» S.P R.Proceedings المجلد السادس الصادر فى سنة ١٨٩٠ والمجلد الثامن الصادر فى سنة ١٨٩٢ والمجلد الثالث عشر الصادر فى سنة ١٨٩٧ .

الاسكتلندى جون سلون John C. Sloan لمـــدة اثنتى عشرة سنة متوالية قبل أن يؤلف كتابه « على حافة العالم الأثيرى » وفيه يقول : —

« وبالرجوع إلى ما دونته وجدت لدى مذكرات عن ثلاث وأربعين جلسة مختلفة تحدثت فيها أنا وأصدقائى مع أولئك الذين ادعوا أنهم معارفنا منذ كانوا على الأرض ... وتكلم فى هذه الجلسات ثلاثة وثمانون صوتاً متباينة معى أو مع أصدقائى الخصوصيين الذين دعوتهم معى ، وبلغ عدد المحادثات التى جرت مائتين وثمانين واثنتين . . .(١) » .

ومثلا ظلت الوسيطة الأمريكية مارى هوليس Mary Hollis خاضعة لمدى سنين طويلة لتجارب الدكتور ن ب . وولف N.B. Wolfe قبل أن يضع عنها مؤلفه «حقائق مثيرة فى الروحية الحديثة»(٢)،وكانت وسيطة للصوت المباشر — ولها مرشدان من عالم الروح هما جيمس نولان James Nolan وروح هندية كانت ترمز لنفسها بكلمة أسكى Ski .

وظلت وسيطة الصوت المباشر مسز إميلى س. فرنش Emilie S. French خاضعة لتجارب المحامى الأمريكى ادوارد راندال E. Randall لمدى عشرين عاماً قبل أن يضع مؤلفه «الموتى لم يموتوا أبداً»(٣). وظلت الوسيطة مسز مرسيا . م سوين Mercia M. Swain خاضعة لتجارب البحاثة ليندر فيشر Lender Fisher لمدى خمس وعشرين عاماً قبل أن يضع مؤلفه عن « لمحات عن الحالة التالية»(٤).

وهذه الأمثلة سقناها لماماً لنبين كيف أن التسرع فى الحكم لم يكن من صفات الباحثين الجادين فى هذه الأمور ، وهم بحمد الله

---

(١) على حافة العالم الأثيرى طبعة ٣ ص ٥٦ ، ٥٨ ، ٨٨

(٢) Startling Facts In Modern Spiritualism.

(٣) The Dead Have Never Died

(٤) Glimpses Of TheNext State.

كثيرون. وقد جعلنا بحوثهم — دون غيرهم — محور هذا المؤلف . أما القول بأن جميع الظواهر الوساطية وليدة التدليس فهو لا يدل إلا على جهل قائله وبعده عن رغبة مواجهة الحقيقة لأن هذه الحقيقة تقض مضجعه ، وتؤرق تفكيره فى غفوته العميقة ...

ثم إن تقليد بعض الظواهر الوساطية عن طريق التدليس الماهر إن دل على شيء فعلى وجود ظواهر صحيحة يهـــدف المدلس إلى تقليدها ، فلولا النقود الصحيحة لما وجدت النقود الزائفة على ما لاحظه سير آثر كونان دويل. أليست هذه حقيقة واضحة بذاتها ؟ . .

* * *

هذا وقد تكفل بالرد على الاعتراض بأن الظواهر الوساطية كلها عبارة عن تدليس عدد كاف من الباحثين فى هذه الأمور ، وقد اخترنا منهم ثلاثة . أولهم غلادستون السياسى المعروف والذى كان رئيساً للوزارة البريطانية وفى نفس الوقت عضواً بجمعية البحث الروحى S. P. R. وقد قال: « ادرس الاتصال بالأرواح فإذا وجدت فيه غشاً أو تدليساً فاهزأ بسائر المعتقدين به ، واسخر بى فى مقدمتهم » . . فهل تتصور أن شهادة كهذه تلقى من سياسى كبير جزافاً ، وإن لم يكن مطمئناً تماماً إلى صحة ما يقول ومقدراً خطورته ؟ . .

كما اخترنا الفيلسوف وعالم الفلك كامى فلاماريون Camille Flammarion وله فى موضوع الأرواح مؤلفات عديدة سنعود إلى بيانها فيما بعد . إنما يكفى أن نقتطف هنا من رده على المعترضين بالتدليس ما يلى عن مؤلفه « قوى الطبيعة المجهولة[1] » .

« إنه من السهل جداً أن يقف الإنسان موقف المنكر إنكاراً مطلقاً حيال المشاهدات التى هى غرضنا من هذا الكتاب . . فكل هذه الحوادث تعتبر بالنسبة لثلاثة أرباع سكان الكرة الأرضية هذياناً أو شعوذة ،

(١) ص ٥٤١ . Les Forces Naturelles Inconnues.

فلا يصح أن يبحث عن علتها فى نظرهم . والرأى المعقول الوحيد لديهم هو أن كل هؤلاء الوسطاء من الذين اتخذوا الوساطة صناعة أو لم يتخذوها كذلك من المدلسين المزورين ، وكل المجربين من الغفل المخدوعين .

وقد لا يكتفى الواحد من هؤلاء القضاة الكبار بالغمز بعينه أو بالتبسم وهو على أريكة اختصاصه الملكى ، ولكنه قد يتفضل فيحضر إحدى التجارب ، فإذا اتفق كما يحدث كثيراً عدم حصوله على شىء يخضع لإرادته ، يبرح المجرب المحترم المكان معتقداً تمام الاعتقاد بأنه بنافذ بصيرته الفائقة قد اكتشف الحيلة ، ومنع ظهور أى شىء بإدراكه الواسع ونظره البعيد فيسارع إلى الكتابة للجرائد معلناً التدليس . وباكياً بأدمع التماسيح تأثراً من ذلك المنظر المحزن وهو انخداع رجال معدودين من الأذكياء بتدليسات اكتشفها هو من أول وهلة .

« هذا التعليل الأولى الساذج قد عرضناه كثيراً فى هذا الكتاب وجادلناه ودحضناه ، وقد صار قرائى يعتبرونه فيما أرجو محكوماً عليه حكماً تاماً ومطلقاً ونهائياً ومطروحاً خارج دائرة البحث » .

كما تكفل بالرد عليهم أيضاً سير وليام كروكس William Crookes العالم الكيميائى — ورئيس المجمع العلمى البريطانى — قائلا :

« قالوا إن كل هذه الحوادث نتيجة التدليسات والتدبيرات الآلية المتقنة أو المشعوذة ، وأن كل الوسطاء مزورون وكل المجربين غفل مخدوعون ... وقد رأيت عدة تدليسات كان بعضها متقناً جداً وبعضها من الغلاظة بحيث لا يتفق أن يقع فيه واحد ممن شهدوا الحوادث الحقة لهذا العلم . فمن الباحثين من إذا صادفه تدليس من هذا القبيل يكره موالاة البحث ، ويجد نفسه مدفوعاً إلى إطلاق العنان لآرائه سواء فى مجالسه الخاصة أو بلسان الصحف .

« فلا يجوز أن ننسى أن أى تعليل من التعليلات ينبغى أن تتوافر له

جميع الشروط لأجل أن يكون ذا قيمة حقيقية . فليس من العقل أن يقول شخص لم يرَ إلا بعض المشاهدات التافهة « أظن أن كل هذه من التدليس » أو أن يقول « قد رأيت كيف تدبر هذه الأدوار من الغش » .

* * *

تضاف إلى ذلك عدة أمور فى الرد على القول بأن الظواهر الوساطية كلها تدليس . منها أن بعض كبار الباحثين والكتاب فى الروحية كانوا وسطاء أنفسهم ، فلا محل للقول بأنهم كانوا ضحايا وسطاء مدلسين . ومنهم مثلا الأسقف ولم ستانتون موزس W. Stainton Moses الأستاذ بجامعة لندن ، وقد كان هو نفسه وسيطاً لبعض الأرواح المرشدة التى تعد بالعشرات . والباحث الأمريكى ريتشارد زينور RichardZenor وهو حاليا وسيط الروح المرشد المشهور أجاشا Agasha [1] ، والأديب المعروف موريس باربانيل Maurice Barbanell وهو حاليا وسيط الروح الحكيم سيلفر بيرش Silver Birch أى « الشجرة الفضية » ، والمرحوم وليام ستيد W. Stead الذى كان نقيبا للصحفيين وكان هو نفسه وسيطا لروح مرشدة تدعى أمس جوليا Ames Julia ظل على صلة وثيقة بها لمدة جاوزت خمس عشرة سنة....فهل كان هؤلاء جميعهم يدلسون على أنفسهم وعلى الناس؟.. ولمصلحة من يفعلون ذلك ، إن لم يكن لمصلحة الهجوم المرير الذى تعرضوا له من معارضى البحث فى الروح وما أكثرهم ؟ . .

وبعضهم الآخر كان وسطاؤهم من أوثق الناس صلة بهم : فالوزير والعالم الروسى اكزاكوف Aksakoff كانت وسيطته ابنته ، والأسقف الاسكتلندى شارل تويديل Charles Tweedale كانت وسيطتاه زوجته

(١) راجع كتاب تليفون بين العالمين Telephone Betweeu Worlds للكاتب الامريكى جيمس كرنشو James Crenshaw الذى ظهر فى سنة ١٩٥٠ وطبع حتى سنة ١٩٥٧ سبع طبعات ، وقد قدم له عالم الفلك المعروف جوستاف سترومبرج Gustaf Stromberg ويدور حول الروح آجاشا هذه ووسيطها ريتشارد زينور Richard Zenor .

وابنته، ووليام كروكس كانت وسيطته الرئيسية — وهى فلورنس كوك — ضيفةعليه ظلت مقيمة فى منزله لشهور كثيرة قبل أن يبدى حكمه عليها .

وفى البيئات العلمية مثل « الكلية البريطانية للعلم الروحى » يطلب من الوسيط أو الوسيطة عادة أن يظل ضيفاً مقيماً فى الكلية طيلة خضوعه لتجاربها ، ويفتش تفتيشاً دقيقاً قبل كل جلسة وبعدها . كما يلبس غالباً ملابس خاصة معدة له لا تمكنه من التدليس . ويوضع فى كل سكناته وحركاته تحت الملاحظة الدقيقة ، هذا بالإضافة إلى احتياطات أخرى تعد أحياناً من قبيل القسوة المفرطة فى معاملة الوسطاء .

ومثل هذه الاحتياطات الصارمة تجدها أيضاً فى جميع البحوث العلمية التى انتهت إلى نتائج إيجابية جديرة بالاعتبار ، سواء منها تلك التى تمت بمعرفة علماء يقدرون تماماً خطورة أعمالهم وما تكشفت عنه من دلالات ، أم تلك التى تمت داخل معاهد وهيئات راقية للبحث الروحى مثل « جمعية البحث الروحى البريطانية S. P. R. » أو الأمريكية A. S. P. R. .

فالوسيطة عقيلة الدكتور كراندون — أستاذ الجراحة بجامعة هارفارد — المعروفة باسم « مارجرى » Margery والتى توصف بأنها العجيبة الثامنة كانت توضع داخل صندوق كبير محكم الغلق لا يبرز منه سوى رأسها ويديها . وكان يمسك بإحدى اليدين أحد العلماء ، وباليد الأخرى لاعب المسارح هودينى لكشف تدليسها إن وجد ، ومع ذلك صمدت حتى النهاية ونجحت تجاربها فى تجسيد يد حية لشقيقها الروح المرشد والتر ستنسون Walter Stinson الذى كان قد توفى فى حادث قطار ، وصنع لليد قفاز من الجبس والتقطت لها حوالى ٧٠ بصمة اتضح أنها مطابقة تماماً لبصمات يد المتوفى .



مارجرى

وحققت وساطتها عدة هيئات أخرى وشكلت لها عدة لجان،منها لجنة رأسها وليام مكدوجال أشهر علماء النفس الأحياء وقتئذ (وكانت له معها تجارب سابقة) ومن أعضائها الدكتور دانييل ف. كومستوك Daniel F. Comstok والدكتور والتر فرانكلين برنس W. F. Prince وكيل «جمعية البحث الروحي الأمريكية»، وهيروارد كارنجتون ومالكولم بيرد J. Malcolm Bird [1] وغيرهم ...

كما حقق وساطتها من جديد إريك جون دنجوول Eric John Dingwall عالم الباراسيكولوجي بالاشتراك مع مكدوجال والوود وورسستر Ellwood Worcester ونشرت نتيجة هذا التحقيق بقلم دنجوول «جمعية البحث الروحي البريطانية» في مضابطها [2]. وحقق وساطة مارجرى أيضاً علماء «المعمل الوطني للبحث الروحي» بلندن. وسافرت مع زوجها إلى باريس في سنة ١٩٢٣، وكان لها تجارب ناجحة في حضور العلماء جوستاف جيلي وشارل ريشيه وآخرين. ثم عادت إلى بريطانيا وجازت بنجاح تجارب «الكلية البريطانية للعلم الروحي»، لذا اعتبرت ظواهرها ثابتة علمياً فنشرتها في مجلتها مؤيدة بالصور العديدة [3].

وفي بوسطن أجريت تجارب ناجحة كثيرة على نفس الوسيطة في عامي

---

(١) راجع Journal Of the A. S. P. R. New York, March 1925 والمجلد التاسع عشر ص ١١٦ والعشرين ص ٦ . والثاني والعشرين الصادر في سنة ١٩٢٨ ص ١١ وعدد يولية ١٩٣٦ ويناير ١٩٣٨ .

(٢) Proceeding S. P. R. London في المجلد رقم ٣٦ الصادر في يونية سنة ١٩٢٦ ومجلد رقم ٣٩ ص ٢٥٨ — ٣٦٨ ومجلد رقم ٤٣ الصادر في أبريل سنة ١٩٣٥ وراجع عن نفس الوسيطة أيضا Journal S. P. R. London عدد مايو ١٩٢٢

(٣) عدد يولية ١٩٢٨ .

وراجع عن هذه الوسيطة كتاب «تجارب بصمة الإبهام مع الوسيطة مارجرى» تأليف الدكتور مارك. و. ريشاردسون وكتاب «مارجرى الوسيطة» تأليف بيرد. وكتاب «العجيبة الثامنة» تأليف المرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير.

١٩٢٤ ، ١٩٢٥ وقد اتخذت فيها كل حيطة ممكنة لمنعها من أن تكون لها يد فيما يحدث فى حضورها من ظواهر عجيبة . فمثلا جلس معها الدكتور روبين تليارد R. Tillyard — وقد كان من أكبر المعاندين للروحية — وقبل إطفاء النور وإغلاق الباب على الحاضرين شد وثاقها على مقعدها بأربطة من شريط لزج علمت جوانبه بقلم أزرق ، ومدت الخطوط الزرقاء على بشرة الوسيطة بحيث إذا ما تحركت تغير انتظام وضع تلك الخطوط وتزحزحت عن مكانها .

وقد ظلت هذه الخطوط فى وضعها الصحيح حتى نهاية الجلسة . كما بدئت الجلسة بأخذ بصمات للمتحدثين على قطع متعددة من الشمع اللين ، ولم تطابق هذه البصمات بصمات الأشخاص الجالسين ... واستخدم مع الوسيطة جهاز مانع من الصوت اخترعه الدكتور مارك ريشاردسن ، موصوف فى كتاب « المذهب الروحى بين التأييد والمعارضة » الذى أصدرته جامعة كلارك الأمريكية فى سنة ١٩٢٧ .

وقد جازت الوسيطة جميع الاختبارات بنجاح تام إلى حد أن الدكتور تليارد اقتنع بصحة الموضوع تماماً وكتب مقالا فى جريدة نايتشر Nature اختتمه بالعبارة الآتية « رأى الأخير هو أن والترستنسون الذى توفى فى سنة ١٩١٢ قد أثبت بطريقة علمية إثباتاً تاماً دعواه أن شخصيته باقية بعد موته الجسمانى »[1] وأرسل إلى سير أوليفر لودج بتاريخ ١١ أغسطس ١٩٢٨ خطاباً يسلم فيه باقتناعه هذا قائلا « لقد بلغت الغاية التى ليس وراءها زيادة لمستزيد . . » وهذا كله على سبيل الأمثلة من الاحتياطات التى تؤخذ ضد الوسطاء الأقوياء والتى تزخر بأمثالها المراجع الروحية .

---

(١) عدد ٢٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ .

توضيح وساطة مارجرى بالصور

عن مجلة «العلم الروحى» التى تصدرها «الكلية البريطانية للعلم الروحى» عدد يوليه من سنة ١٩٢٨ ص ٨٧ — ١٦٠



مارجرى فى غيبوبتها وقد أمسك بيديها اثنان من العلماء وانبثق الاكتو بلازم الأبيض من فتحات رأسها فغطاها تماما أوكاد



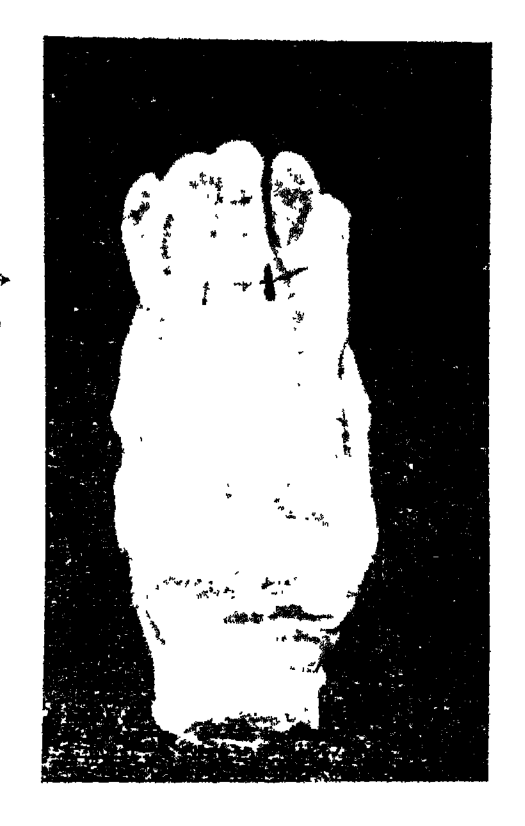
مارجرى فى غيبوبتها وقد انبعثت منها مادة الاكتوبلازم الأبيض وارتفعت إلى قدمين من رأسها بقوة غير منظورة .



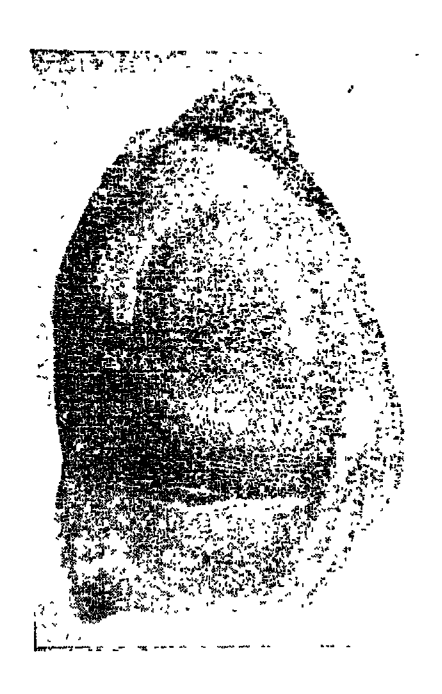
مارجرى فى غيبوبتها وفوق كتفها جهاز صوتى من التلبلازم صنعته روح شقيقها والتر المرشد لها ، وقد أمسك اثنان من العلماء بيديها دفعا لأى تدليس



مارجرى فى غيبوبتها بعد تجسد يد شقيقها الروح المرشد والتر ، وترى اليد وهى تبصم على شمع رخو وقد أمسك العلماء بيدى الوسيطة



قفاز من الشمع ليد الروح المتجسدة وقد اتضح أن به بصمات مطابقة بدورها لصورة البصمات السبعين التى التقطت بعد عمل هذا القفاز بسنتين

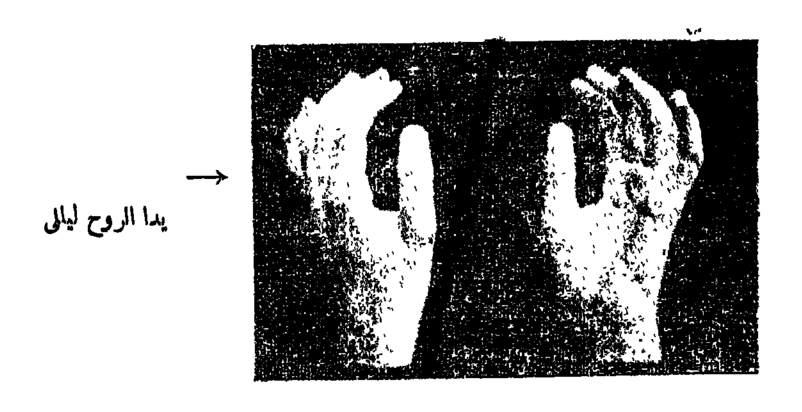


صورة بصمة لإبهام الروح والتى أخذت لها سبعون بصمة أخرى من هذا النوع ، منها اثنتان بعد تقييد وثاق الوسيطة فى رأسها ويديها وقدميها فى غرفة مغلقة ، وبعد تفتيشها جيدا بدون وجود إنسان آخر إلا خبير البصمات . وقد اتضح أنها مطابقة لبصمة المتوفى . فأثبتت شخصية المتوفى كما أثبتت أن هناك جسداً أثيرياً يحتفظ بكل معالم الجسد المادى حتى بصمة الإبهام ولا يفنى بالموت

نفس التجارب تنجح فى معاهد شتى

وصنع نماذج من الشمع لأيد وأقدام ووجوه متجسدة أمر تكرر فى معاهد شتى ومع وسطاء آخرين غير مارجرى ، واتبعت فيه أدق الوسائل التى تنفى تماماً فكرة الإيحاء أو التدليس أو نحو ذلك .

وقد سبق «جمعية البحث الروحى الأمريكية» فى إجراء مثل هذه التجارب العالمان وليام أوكسلى W.Oxley وريمرز Reimers منذ سنة ١٨٧٦ مع الوسيط القس الدكتور مونك Monck ، وقد شرحاها فى مؤلفهما الذى ظهر فى سنة ١٨٧٧ ، وفيه مبين تفصيلا كيف أمكن عمل نماذج متعددة ليدى الروح ليلى Lilly ولقدمى الروح برتى Bertie كما يتضح من الصورتين الآتيتين[1] :



يدا الروح ليلى



قدما الروح برتى

(١) عن ص ٤٩ ه وما بعدها من الطبعة الألمانية وعنوانها «دراسة روحية» Psychische Studien

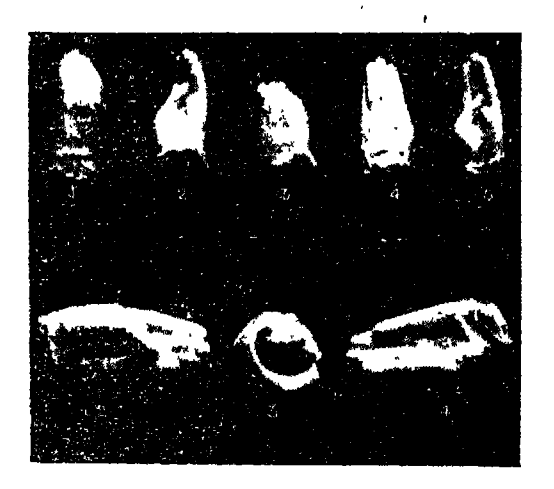
وبوساطة الدكتور مونك هذه خضعت أيضاً لبحوث ثقاة مدققين آخرين منهم الأرشيديا كون كولى Colley ، وسير ألفرد راسل والاس عالم البيولوجيا المعروف ، والأسقف ستانتون موزس الأستاذ بجامعة لندن وغيرهم . . .

وتمت تجارب مماثلة فى وارسو (عاصمة بولندا) مع الوسيط فرانك كلاسكى Franck Kluski — الذى كان أديباً وشاعراً — داخل «جمعية الدراسات الروحية» هناك فى شهر سبتمبر سنة ١٩٢١ ثم فى أبريل سنة ١٩٢٢ .

وتمت تجارب أخرى ناجحة مع نفس الوسيط البولندى داخل «الكلية البريطانية للعلم الروحى» بإشراف مديرها هيوات ماكنزى Hewat McKenzie ، حيث صنعت عدة نماذج فى حضوره من الشمع لأيد متجسدة فى شهر مايو سنة ١٩٢٢ ، ونشرت تفاصيل التجارب فى مجلة هذه الكلية الربع السنوية (عدد يولية سنة ١٩٢٢ : ص ١٩٥ وما بعدها) وعنها نقدم الصورتين الآتيتين :



نموذج طبق الأصل من الشمع ليد متجسدة فى حضور الوسيط البولندى فرانك كلوسكى Franck Kluski تم صنعه — مع نماذج أخرى — فى شهر مايو سنة ١٩٢٢ داخل «الكلية البريطانية للعلم الروحى»



← نماذج أخرى من الشمع لأيد متجسدة تم صنعها داخل الكلية البريطانية مع نفس الوسيط .

وداخل معمل «المعهد الدولى لماوراء الروح» L'Institut Mètapsychiqe International بباريس تمت تجارب أخرى ناجحة على نفس الوسيط فى ديسمبر سنة ١٩٢٠ وفى شهرى يناير وفبراير من سنة ١٩٢٢ بإشراف الدكتور جوستاف جيلى Gustave Geley مدير المعهد، وباشتراك ثلاثة علماء آخرين وهم شارل ريشيه Gharles Richet عضو المجمع العلمى الحائز على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا ، ودى جراموت DeGramont عضو المجمع العلمى أيضاً، والكونت بوتوكى Potocki. وفيه تجسدت روح تجسداً كاملا فى حضور الوسيط المذكور فى سلسلة من الجلسات المتتابعة ، وتم صنع عدة نماذج ليديها ولأيد أخرى متجسدة .

ورغم أن جميع ظروف هذه التجارب كانت كافية بذاتها كيما تنفى كل احتمال لخداع ، فقد قرر جيلى وريشيه أن يضعا بضع جرامات من مادة الكولسترين ، فى سرية تامة وبدون علم الوسيط ، على مادة شمع البارافين المستخدمة وهى ساخنة ، وكان ذلك فى الجلسة الحادية عشرة معه بتاريخ ٣١ ديسمبر سنة ١٩٢٠ . وبإذابة قليل من الشمع بعد مزجه بالكلوروفورم وبحامض الكبريتيك ينتج لون أحمر يتحول تدريجياً إلى لون بنى . أما شمع البارافين بدون مادة الكولسترين فلا يعطى سوى اللون الأبيض .



رسم يمثل جيلى إلى اليمين ثم شارل ريشيه ثم دى جرامون وهم يصنعون نموذجا من شمع البارافين ليد الروح المتجسدة إلى اليسار داخل «المعهد الدولى لماوراء الروح» .

وبعد فحص النماذج فى نهاية الجلسة تبين حدوث تغير للونها من الأحمر إلى البنى مما أعطى جيلى وريشيه اليقين المطلق أن الشمع المستخدم فى صنع هذه النماذج هو نفس الشمع الذى أعداه مقدماً ، وأنه لا يتصور بالتالى أى استبدال له بصورة ما ، أو أن تكون هذه النماذج معدة مقدماً بطريقة ما . وهذا الاحتياط الشديد يبين مدى حرص هؤلاء العلماء على الوصول إلى اليقين العلمى ، فلم تكفهم الاحتياطات العادية مثل تفتيش الوسيط تفتيشاً دقيقاً قبل الجلسة ، فضلا عن إحكام غلق الأبواب وختمها وغير ذلك من الاحتياطات المألوفة .

وتم صنع سبعة نماذج أخرى لأيد صغيرة لطفل ، وقدم لطفل والجزء الأسفل لوجه رجل بالغ أى تسعة نماذج[١] . مما دفع ريشيه إلى أن يصف كلاسكى بأنه « ملك الوسطاء فى عصره » .

وبعد ذلك سافر الدكتور جيلى إلى وارسو كيما يواصل تجاربه مع نفس الوسيط داخل « جمعية الدراسات الروحية» . فأجرى له تجارب أخرى

---

(١) راجع مؤلف الدكتور جيلى : L'ectoplasmie et la Clairvoyance (Alcan 1924) ص ١٢٨ ، ٢٤٤ — ٢٤٥ ، ٧٠٢

فى سبتمبر سنة ١٩٢١ ثم استأنفها فى شهرى أبريل ومايو سنة ١٩٢٢. وتدارك هناك بعض أوجه النقص التى لاحظها فى تجاربه السابقة بباريس بسبب تسرب الماء الساخن بين قفاز الشمع وبين العضو المتجسد ، فاستخدم وعاء به طبقة رقيقة جداً من الماء بحيث تطفو فوقها طبقة سميكة من شمع البارافين .

وبهذه الطريقة حصل على قفازات من الشمع مفرطة فى رقتها ويقل سمكها عن ملليمتر واحد . وكانت الأعضاء المتجسدة تغطس فى الشمع دفعة واحدة وبسرعة شديدة . وكانت القفازات رقيقة إلى المدى الذى وجد معه الباحثون صعوبة كبرى كيما يصنعوا لها فيما بعد مقابلا من الجبس ، فظهرت أدق التفاصيل التشريحية ، بوضوح يتجاوز وضوح أحسن النماذج التى تم الحصول عليها فى باريس .

وكانت اليد المتجسدة تذوب من تلقاء نفسها وتتلاشى بغير أن يجد صاحبها نفسه بحاجة لأن يسحبها من فتحة القفاز الضيقة . وفى هذا الشأن يقول الدكتور جيلى « إنه من الجائز إخراج اليد من قفاز البارافين مادام يحيط بالأصابع فقط وبشرط أن يكون القفاز سميكاً إلى المدى الذى يجعله لا يتحطم ، أما إذا كان القفاز رقيقاً فمن المستحيل ذلك ، إذ أنه لا يلبث أن يتحطم عند أية محاولة لإخراج اليد منه ، فما بالك إذا كانت الأصابع مثنية repliés أو متقاطعة entrelacés كما كانت الحال فى بعض النماذج ؟ »(١) .

وقد عرضت هذه النماذج الدقيقة على خبراء صناعة النماذج بمعامل جابريللى Gabrielli فكتبوا تقريراً مسبباً أثبتوا فيه دقتها المتناهية التى تتجاوز مقدرة أحسن المثالين من طراز جون أوبرين John O,Brien. ثم رقتها التى كانت فى رقة ورقة الكتابة ، ووضوح المعالم التشريحية ، وأكدوا أن هذه النماذج « تمثل بكل وضوح أيادى حية » كما أعلنوا عجزهم التام عن تفسير كيفية خروج الأيدى من القفازات الرقيقة بغير أن تتحطم .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٣ .

وأنهوا تقريرهم كالآتى : « نقرر أنه من المحال علينا أن نفهم كيف أمكن الحصول على النماذج التى قدمها إلينا الدكتور جيلى ، فذلك بالنسبة لنا محض لغز » .هذا ولنا عودة إلى ظاهرة التجسد الكلى والجزئى فيما بعد ، وسنختار أيضاً التجارب المحوطة بضمانات جمة .

احتياطات أخرى

وفى أغلب الجلسات التى أقنعت العلماء الماديين كانت الأمكنة تفحص أيضاً فحصاً جيداً قبل الجلسة . وكانت الأبواب تغلق وتختم بالجمع الأحمر . وكان الوسطاء يقيد وثاقهم بالحبال الغليظة، كما كانوا يوضعون فى حالة استحالة تامة من الإتيان بأية حركة ، وإلا نم عنهم جهاز كهربائى خاص يسمى جالفانومتر Galvanomètre . كما كانت توضع حتى فى أيدى الحاضرين قيود معدنية متصلة بجهاز كهربائى معد خصيصاً يكشف عن كل حركاتهم ، كما حدث فى التجارب التى أجريت على الوسيط رودى شنيدر Rody Schneider فى لندن فى سنة ١٩١٩[١].

وفى كثير من الأحيان كان يستعين الباحثون — فضلا عن الاحتياطات الآنفة الذكر — ببعض كبار لاعبى المسارح المعروفين بمهارتهم الشديدة فى الحيل والخدع المسرحية للكشف عن خداع الوسطاء إن وجد . ومنهم من شهد كتابة بأن الظواهر التى يراها صحيحة لا مطعن عليها . ومن ذلك مثلا ما شهد به اللاعب بوسكو Bosco بعد إذ امتحن وسيط التصوير الروحى هوب Hope بأن هذا الأخير لا يغش ، على ما وضحه سير الفريد رسل والاس فى مؤلفه « دفاع عن الروحية الحديثة »[٢] . كما أكد اللاعب روبرت هودان Robert Houdin أنه فيما يتعلق بوسيط الغيبوبة الحركية اليكسيس ديديه Alexis Didier « إن الوقائع الموصوفة صحيحة علمياً . ويبدو أنه من المستحيل إمكان اعتبارها نوعاً من الحيل

---

(١) La Revue Spirite. Septembre 1923p. 420.

(٢) A Defence Of Modern Spiritualism.

التي يمكن إحداثها عن طريق أى فن من الفنون»[١] . ومثل ذلك قرره اللاعب المسرحي بيلاكيني Bellachini الذى دعى لامتحان الوسيط الدكتور سلاد Slade ، بعد إذ صمد لكل وسائل الامتحان القاسية، فقال «إنى لم أجد شيئاً ضده رغم أشد أنواع الملاحظة والمراقبة دقة ، بحيث لا يمكن أن يكون الأمر منه خداعاً للنظر»[٢] .

ثم إن العماد الأول فى إثبات الظواهر الروحية عند الإنسان الذى لا تتوافر له وسائل التجريب المعملي الكافية هى الجلسات المنزلية أو العائلية التى تكون مقصورة عادة على أفراد محدودين تجمعهم صلات وثيقة . ولعل فى هذه الجلسات ، إذا ماجرت فى مواعيد دورية وبطريقة منظمة ، من الإقناع أحياناً ما يكفى الإنسان الراغب فى الوصول إلى الحقيقة من أقرب سبلها وهى أحياناً فى متناول من يريدها ، ولا تكبد صاحبها شيئاً سوى المثابرة .

وقد كان انتشار هذه الجلسات العائلية هو الظاهرة التى حفزت العلماء والهيئات العلمية إلى بحث حقيقة هذه الظواهر والتصدى لها فى كثير من بلاد العالم، بقصد دحضها وإثبات بطلانها ، فكانت النتيجة أنهم أصبحوا بمضى الوقت مقتنعين بصحتها ، وبصحة ما تدل عليه من بقاء شخصية الإنسان بعد الموت . فلم يكتفوا بتسجيل حدوثها ودراستها عن قرب فى منازلهم، بل خرجوا منها بدلالات علمية بالغة أقصى درجات الخطورة ، وأخطرها إطلاقاً هى دلالة دوام الحياة بعد موت الجسد على ما سنبينه فيما بعد .

«الروح» تصبح علماً جامعياً

فلا غرابة إذا ما نما هذا العلم ، إلى أن أصبح بحثاً يجرى الآن على أقوى صورة ، فأنشئت له معاهد متخصصة، مثل «كلية البحث الروحى» فى الولايات المتحدة الأمريكية «والكلية البريطانية للعلم الروحى»[٣] و«المعهد الدولى للبحث

---

(١) راجع ميرفيل فى الأرواح ج ١ ص٢ — ١٥ .

Mirville: Des Esprits t. I. p. 2—15.

(٢) راجع مؤلف العالم الفلكي الألمانى زولنر. ترجمة فرنسية عنوانها : «الفيزياء السماوية».

Zoellner, La Physique Trans — cendentale.

(٣) British College of Psychic Science.

الروحي بلندن[١]، و «معهد ماجناجو بسون للبحث الروحي» بلندن أيضاً و «كلية إدنبرة الروحية» و «معهد جلاسجو للعلم الروحي» و «المعهد الدولي لما وراء الروح» بباريس[٢] و «المعهد الدولي لما وراء الروح» ببروكسل وغيرها . . .

كما دخل العلم الروحي الحديث كفرع من العلوم المعترف بها في عدة جامعات، مثل جامعة لندن التي تملك معملا للبحث يعد الأول من نوعه في العالم، ومثل جامعة كمبردج التي أنشئت بها دراسة روحية منذ سنة ١٩٤٠ بكلية ترنتي، وبعدها مباشرة دخل العلم الروحي جامعة اكسفورد. ومثل جامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية، وجامعتي بون وفرايبورج بألمانيا، وأنشئت له في جامعات أمريكا الجنوبية كراس للأستاذية وأيضا عدة أكاديميات، بالإضافة إلى الجمعيات والهيئات والمؤسسات العلمية التي تعنى ببحثه الآن والموزعة على بلاد العالم المختلفة، على ما سيلي بيانه في الباب المقبل الذي خصصناه لبيان بعض «الأسماء والمراجع».

كما أصبحت تعقد الجلسات الدورية للاستماع إلى الأرواح في القاعات العامة تحت إشراف عدد من العلماء وصفوة أهل الفكر. وأخذت المؤتمرات الدولية لبحث شتى الموضوعات الروحية وكافة مشكلاتها تعقد في المدن الكبرى، بتنظيم من الهيئات الروحية الدولية لمناقشة تقارير العلماء والباحثين .

* * *

بل إن هذا العلم الذي بدأ متواضعاً — مثل سندريلا في قصتها المعروفة — يشق طريقه بصعوبة وسط ارستقراطية العلوم الأخرى، أصبح يعرف في البيئات العلمية الآن بأنه «علم العلوم» Science of Sciences بعد إذ تبين

---

(١) International Institute For Psychical Research

(٢) Institut Métapsychique International.

أنه أجل شأناً بكثير من أن يكون مجرد دراسة تجريبية لبعض الظواهر الوساطية « غير المألوفة أو فوق العادية » كما يسمونها أحياناً .

فأصبح يشمل أولا دراسة كافية للمادة الصلبة فى تكوينها الذرى والجزيئى وللطاقة ، ولنظرية النسبية ومعادلاتها الرياضية العويصة ولنظريات الاهتزاز والكهربائية والمغناطيسية وأمواج الأثير ، وهى أساس دراسة الفيزياء الحديثة ، كما أنها أساس دراسة علم الروح . بل هناك علوم كثيرة جديدة ناشئة داخل نطاق العلم الروحى بمعناه العام : منها الفيزياء الروحية Psychical Physics والإشعاعات غير المنظورة Radiesthesie وتصوير الأفكار Ideographie والكيمياء الروحية Psychical Chemistry والفلسفة الروحية ، وتأثير العقل فى المادة ، والإدراك عن غير طريق الحواس . . .

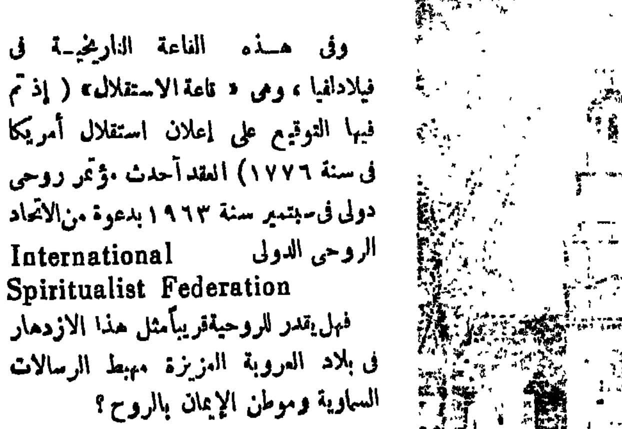
وبالتالى أصبح علم الروح يتطلب إلماماً كافياً بقوانين كثيرة فى الفيزياء والكيمياء والرياضة والنفس وما وراء النفس والبيولوجيا والفسيولوجيا والفلك ، ومعلومات وافية فى مبادىء الفلسفة — وقد عالجت الروح قبل أن يعالجها البحث التجريبى — والأديان المقارنة ، إذ كلها تقوم على التسليم بوجود الروح وبالحياة بعد الموت . كما أصبح يتطلب إلماماً كافياً بما وراء الطبيعة منذ بدأه أرسطو إلى الحد الذى وصل إليه فى ضوء الكشوف الروحية هذه .

والإلمام بشتى العلوم والمعارف ، كالتاريخ وكاللغات القديمة ، كثيراً ما يساعد الباحث الروحى على تحقيق مدى صحة رسائل شتى . فالباحث العلمى فى الأرواح يجد مشقة كبرى الآن فى أن يشق طريقه فى هذا البحث إن لم يكن مزوداً بقدر كاف من الثقافة الصحيحة فى نواح شتى من المعرفة .

هذا ما وصلت إليه الروحية التجريبية فى الخارج



الاحتفال باليوبيل المئوى للعلم الروحى الحديث — فى ألبرت هول بلندن — يوم ٣١ مارس ١٩٤٨ وقد تحدثت فيه الأرواح بأصواتها المباشرة . ثم أخذت تعقد الجلسات دورياً فى هذه القاعة — وفى غيرها من القاعات — اسماع الأرواح تتعاقب على الميكروفون .



وفى هـذه القاعة التاريخيـة فى فيلادلفيا ، وهى « قاعة الاستقلال » (إذ تم فيها التوقيع على إعلان استقلال أمريكا فى سنة ١٧٧٦) انعقد أحدث مؤتمر روحى دولى فى سبتمبر سنة ١٩٦٣ بدعوة من الاتحاد الروحى الدولى International Spiritualist Federation

فهل يقدر للروحية قريباً مثل هذا الازدهار فى بلاد العروبة العزيزة مهبط الرسالات السماوية وموطن الإيمان بالروح ؟



الباب الثالث

فى بعض الأسماء والمراجع فى العلم الروحى الحديث

هذه الظواهر الوساطية أو الروحية التى يطلق عليها أحياناً وصف « الظواهر غير المألوفة » أو « فوق العادية » التى أعطينا عنها فكرة عامة فى الباب السابق بحثت بمعرفة عــــدد كبير من العلماء ، وفى بيئات علمية. ولا يعنينا فى هذا البحث علاقتها بعلم النفس التقليدى ، فبعض الذين بحثوها من هذه الزاوية اعتبرها ظواهر نفسية ، وبوجه خاص التلباثى (قراءة الفكر) والجلاء البصرى والسمعى والسيكومترى (القياس الروحى أو تقصى الأثر فى الزمان والمكان) . لكن غالبيتهم الساحقة اعتبرتها صراحة ظواهر روحية وثيقة صلة بنشاط الأرواح بعد تحررها من أجسادها الأرضية .

وسأعرض فى الباب الحالى للعلماء الذين بحثوها لسنين طويلة وانحازوا انحيازاً نهائياً وحاسماً إلى أنها ظواهر تثبت بقاء الوعى بعد موت الجسد . كما تثبت وجود صلات متعددة الصور والمظاهر بين أولئك الذين تخلوا عن أجسادهم المادية وأولئك الذين لم يتخلوا عنها ، بعد إذ قلبوا الأمور على كافة وجوهها ، فلم تقنعهم التعليلات النفسية لقصورها عن استيعاب جميع هذه الظواهر أو بعضها ، وهؤلاء هم مؤسسو العلم الروحى الحديث .

ولم يكن انضمام هؤلاء العلماء إلى نطاق البحث الروحى تعبيراً عن اتجاهات فردية لديهم ، بقدر ما كان نتيجة لتطور حركة البحث الروحى وانتشارها فى البيئات المختلفة إلى الحد الذى دفع عدداً منهم إلى الاشتراك فى التجريب العملى بدافع من رغبة دحضها وإعلان بطلانها . إذ كانت لدى أغلبهم عقيدة ثابتة مقدماً هى أن الأمر كله لا يعدو أن يكون محض خرافة شائعة

لا يلبث أن ينقضي أمرها بمجرد تمحيصها وكشف جوانب بطلانها، وقد صرح أغلبهم بذلك فيما بحثوا وأعلنوا من آراء .

إلا أن العلم كما يقول كلفن « يتقيد بقانون سرمدى دائم هو قانون الشرف عندما يواجه بشجاعة أية مسألة تقدم إليه فى صراحة » . وقد تقيد هؤلاء العلماء بقانون الشرف ، لأن طبيعة العالم الجاد واحدة لا يمكن أن تتغير من ميدان إلى ميدان . ولذا نجدهم بعد أن تأكدوا من صحة الموضوع ، رغم خطورته البالغة التى تتضاءل أمامها خطورة أى كشف علمى آخر ، أعلنوها صريحة وحاسمة ، لكن فى تأنٍ شديد وبعد سنوات طوال من البحث الشاق — وهو ما يضاعف قيمة إعلانهم — أن الموضوع صحيح ، وأن أرواح من نسميهم «موتى» قريبة منا تريد الاتصال الدائم بنا وتشجعه وتتمناه . فصدق عليه قول إديسون المكتشف العظيم « لأن تكون عادلا تمام العدل فتلك صفة من صفات الطبيعة المقدسة ، ولأن تكون كذلك على أقصى ما تستطيع الجهود فذلك هو فخر الإنسان ونبله » .

وها هى العقول النيرة الشريفة التى لم تبتغ إلا البحث عن الحقيقة للحقيقة، أياً كانت وكيفما جاءت، قد واجهت بشجاعة المسألة التى طرحت عليها ووجهت بحوث هذا النفر من العلماء ، فأعلنوها فى إصرار تام حقيقة هادئة بسيطة وهى أن الإنسان خالد لا يموت ، موقنين تماماً أنه ليس هناك ما هو أقوى من هذه الحقيقة ولا أغرب منها .

وفى الأبواب المقبلة ما يكفى للاقتناع أيضاً بأن أولئك الرواد الأوائل الذين أقدموا على البحوث الروحية وانكبوا عليها خلال سنين طويلة من حياتهم ، وجلهم من أفضل قادة العلم المادى وصفوة الفلاسفة والمفكرين ، لم يفعلوا ذلك إلا مزودين بكل الوسائل اللازمة لكشف بطلان هذا البحث إن كان فيه أى بطلان ، أو لإعلان مشروعيته كعلم وكمعرفة عظمى للإنسان .

ويكفى فى إبراز هذا المعنى أنهم عندما وصلوا إلى بعض حقائقه التى

تحف بها الخطورة من كل جانب لم يخفوها ، لأن الضعاف فقط هم الذين يحاولون إخفاء الحقائق ، أما العباقرة فإنهم يشعرون أن ما وصلوا إليه أثمن من أن يخفوه ، سواء أقدرهم معاصروهم حق قدرهم أم عز عندهم هذا التقدير، لأنهم خالفوا الناس فيما تواضعوا عليه من رأى ومن شعور .

ويأبى المنطق إباء تاماً أن يكون كل هؤلاء العباقرة والمفكرين قد ضلوا طريقهم فى بيداء من العبث أو الخرافة طيلة الجزء الأكبر من حياتهم ، الذى ما كان من الممكن أن يضيعوه لو لم يكن هذا النوع من البحث والتجريب قد تكشف لهم فعلا عن أسس مترابطة من العلم والفلسفة معاً ، وما لم تكن هذه المعرفة الجديدة قد قادت أقدامهم إلى آفاق بعيدة المدى ما كانت لتخطر ببالهم من قبل .

ومن يرجع إلى هذه البحوث العميقة ويطلع عليها فى مصادرها الأصلية يقطع بأن جل الباحثين فى الروح — من ذلك الطراز الذى سنشير إليه خلال الصفحات القادمة — قد تجرد من الغرض ، ولم يقيد نفسه مقدماً بأسلوب معين فى التفكير لأنه أراد أن يصل إلى الحقيقة من أقرب أبوابها، مهما أدانه بقسوة أنصار ذلك التفكير القديم والفقه غير المتطور .

وليس من مقتضى ذلك القول بأن كل ما كتبوه يعلو على مستوى النقد، بل إن للنقد دوره الهام فى هذا الميدان كما فى غيره ، لأن النقد والنقد وحده هو إيذان تحرر العقل من عبودية الماضى ، وهو وحده سبيل أية معرفة صحيحة ، ودعامة كل تقدم على مر العصور .

لكن من يريد أن يتزود بالمعرفة بعقلية متجردة من الغرض — لا يدفعه دافع سوى رغبة المعرفة التى تميز العالم الحقيق مع النزوع إلى الحق للحق — وفى نفس الوقت بشجاعة محمودة تتحدى الحماقة عدوة التجديد — ويجعل من النقد الموضوعى المحايد سبيله فى بحثه عن المعرفه — تكون فرص النجاح أمامه فى الوصول إلى الحقيقة أكثر بكثير مما تكون لغيره ، خصوصاً إذا كان من طراز هذا النفر من العلماء والمفكرين الذى ألف التجريب

الناقد المتأنى ، والتفكير المنطق المتحرر ، والذى جعلنا بحوثه عماد المؤلف الحالى مستبعدين تماماً ماعداها حتى لا نتهم بضعف أسانيدنا فيه .

وسيلحظ القارىء بنفسه فيما بعد أية طائفة من العلماء والمفكرين اخترناها للاستناد إلى أعمالها وآرائها ونحن بصدد بحثنا عن اليقين "العلمى — بل الفلسفى — قبل أى اعتبار آخر . أما احتمال الخطأ فهو من طبيعة كل بشر والعصمة لله وحده .

وتحت هذا العنوان وهو « فى بعض الأسماء والمراجع » سنمر مروراً سريعاً على بعض أسماء كبار العلماء والفلاسفة والمفكرين الذين قاموا ببحث موضوع الصلات القائمة فعلا بين العالمين الروحى والمادى ، والذين اقتنعوا اقتناعاً صريحاً مبنياً على التجريب العملى بصحة هذا الموضوع . دون أن ندرج فيها من قاموا ببناء اقتناع نظرى أو فلسفى على دوام الحياة بعد موت الجسد، لأن محور بحثنا هو العلم الروحى الحديث دون سواه ، وهو محض علم تجريبى شأنه فى ذلك شأن الكيمياء أو الطب أو غيرهما .

كما سنمر بالتالى على أسماء بعض الهيئات التى قامت بهذا النوع من البحوث فى البلاد المختلفة ، وقد اخترنا من بينها الهيئات التى لها مكانة خاصة تبعث على الاطمئنان التام إلى نتائج أبحاثها . وخلال مرورنا على أسماء بعض الباحثين والهيئات العلمية سنمر أيضاً على أسماء بعض كبار الوسطاء الروحيين ، وعلى كثير من أمهات المراجع .

وفيما يلى سنستعرض هذه الأسماء والمراجع فى أمريكا الشمالية أولا حيث بدأ هذا النوع من البحث منذ سنة ١٨٤٨، ثم فى انجلترا، ثم فى فرنسا وغيرها من بلاد العالم الأخرى ، ثم سنتكلم عن انتقال العلم الروحى الحديث إلى بلادنا المصرية ، فنبين بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية ، مخصصين لكل موضوع من هذه المواضيع فصلا على حدة . وكل ذلك بالقدر الذى يتسع له باب واحد فى مؤلف يريد أن يحيط من العلم الروحى الحديث بأهم جوانبه العامة وهى كثيرة .

الفصل الأول

بعض الأسماء والمراجع فى أمريكا الشمالية

بدأت الحركة الروحية فى الولايات المتحدة الأمريكية عقب حدوث ظواهر قرية هيدسفيل بقرب مدينة روشستر بولاية نيويورك، التى حدثت فى كوخ المستر ويكمان فى حضور الشقيقتين مرجريت وكيت فوكس Margaret and Kate Fox . وقد بدأت الظواهر منذ يوم ١١ ديسمبر سنة ١٨٤٧ ولكنها لم تظفر بالتحقيق العلمى المطلوب إلا ابتداء من شهر مارس ١٨٤٨ بعد أن حيرت ألباب الناس لفترة طويلة ، دون أن يعرفوا لها مصدراً ولا تعليلا . فتصدى أشخاص من كبار المسئولين هناك لبحثها فى صبر وأناة مستعينين بكل أساليب التحقيق العلمى الهادىء ، وانتهوا إلى إعلان صحتها ونسبتها إلى الأرواح .

وكانت هذه الظواهر فى جملتها عبارة عن طرقات مسموعة على الجدران وقطع الأثاث مصحوبة أحياناً بتحرك منقولات شتى بدون وسيلة مادية . وأمكن التفاهم مع مصدر هذه الطرقات على جدول معين بحيث يمثل كل عدد منها حرفاً من الحروف الهجائية ، أو كلمة شائعة « مثل نعم ولا » . وبهذه الطريقة قرر المصدر أنه روح متوفى يدعى تشارلس روزنا Charles B. Rosna وأنه كان والداً لخمسة أطفال وأرمل ، وأنه مات قتيلا بمعرفة مستأجر سابق لهذا الكوخ ذكر اسمه ، وذلك طمعاً فى ماله ، كما قرر أنه دفن فى كهف الكوخ .

فقام الباحثون بالحفر فيه حيث عثروا على بقايا عظام وشعر وجمجمة آدمية ، فضلا عن بقايا أوعية وفحم وجير مما استخدمه القاتل فى الخلاص من جثة القتيل . وتحققوا من باقى ما أدلت به الروح من بيانات بوسائل

البحث والتحرى العادية . ثم تكاثرت الظواهر الروحية فى عدة أمكنة فازدادت اهتمام الناس بهذا الموضوع ، إلى حد أنه فى سنة ١٨٥٢ تقدمت عريضة موقع عليها من ١٤٠٠٠ أمريكى إلى مجلس الشيوخ يطلب فيها أصحابها تشكيل لجنة علمية « لدراسة جميع المسائل المتعلقة بالروحية » .

جون إدموندز

ومن بحثوا ظواهر كوخ هيدسفيل القاضى جون ورث إدموندز (١٨١٦ — ١٨٧٤) الذى كان فى وقت ما رئيساً لمجلس الشيوخ الأمريكى كما سبق أن قلنا . وفى بيانه الأول إلى الجمهور أكد صحتها ، كما قرر فى خطاب له إلى جريدة « نيويورك هيرالد » نشرته فى عددها الصادر فى ٦ أغسطس من سنة ١٨٥٣ « لقد ذهبت إلى التحرى عن هذه الظواهر معتقداً أنها مجرد خداع ومنتوياً أن أنشر ذلك على الجمهور ؛ ولكن عندما وصلت ببحوثى إلى نتيجة عكسية ، فإنى أشعر بأن على التزام قوى بتعريف الناس بهذه النتيجة . وهذا هو السبب الأساسى الذى يدفعنى إلى ذلك . وأقول « الأساسى » لأن ثمت اعتباراً آخر أثر فى ، وهو الإحساس بالحاجة إلى نشر معرفة بين الآخرين لا يمكن إلا أن تجعلهم أكثر سعادة وفى حالة أفضل من ذى قبل .. »

وقد شهد فيما بعد بصحة الظواهر الفيزيقية والعقلية معاً فيما قام به من بحوث بلغ عدد صفحاتها ألفاً وستمائة صفحة . وفيما بين عامى ١٨٥٣ ، ١٨٥٤ واصل تجاربه فى دائرة روحية عائلية . وأمكنه أن يتلقى بيديه رسائل روحية . ومن الأرواح التى تم الاتصال بها فيها فيلسوف السويد سويدنبرج Swedenborg وباكون Bacon الشاعر المعروف ، ونشر التفاصيل فى مؤلف له من جزئين عنوانه « الروحية » Spiritualism . وكان لموقفه النبيل ولدفاعه المتواصل عن الروحية أثرهما الواضح فى نمو الحركة الروحية وازدهارها .

جيمس مابس

كما تصدى لبحثها جيمس مابس J. Mapes وكان كيميائياً معروفاً فى الكيمياء الزراعية وعضواً بالمجمع العلمى . وبعد أن اتهم أصدقاءه الباحثين

فى الروح بأنهم يسيرون حثيثاً إلى الجنون بحث بعض الظواهر الوساطية على وسيطة تدعى مسز كورا هاتش Gora Hatch ، ثم على وسيطة أخرى تدعى مسز ريتشموند Richmond وتلق أجوبة علميـــة صحيحة على أسئلته .

ثم أصبحت زوجته وسيطة للرسم ، مع أنه لم يكن لها من قبل أى ميل فنى . كما تحولت كريمته إلى وسيطة للكتابة ، وعن طريقها تلق رسالة حاسمة من والده لإثبات شخصيته إذ قال له « إنك تذكر أنى كنت قد أعطيتك بين كتب أخرى دائرة المعارف ، فانظر فى ص ١٢٠ ستجد اسمى مكتوباً فيها وهو لم تره من قبل » . وكانت دائرة المعارف هـذه ملقاة فى مخزن المنزل داخل صندوق مهمل منذ سبعة وعشرين عاماً . ولما بحث عنها مابس تحقق من صحة ما ذكرته روح والده . وواصل بعدئذ بحوثه فى هذا الموضوع لأنه كان مثل صديقه روبرت هير مادياً مزمناً من قبل ، ثم نشرها شاهداً فيها بصحة هذا الموضوع[١] .

روبرت هير

وبعد مابس يجىء دور روبرت هير Robert Hare (١٧٨١ — ١٨٥٨) أستاذ الكيمياء بجامعة هارفارد بولاية بنسلفانيا ، الذى كان قد سخر منها وممن سبقوه ، ثم أعلن بعد البحث صحتها فى مؤلفه « تحقيق تجريبى لظواهر الروح »[٢] (١٨٥٥) ، وقد قرر فى مؤلفه هذا (ص ٥٤) :

« بعد إذ حصلنا أخيراً على قوى وساطية إلى مدى كاف لتبادل الآراء مع أصدقائنا الأرواح ، لم تعد بى حاجة لأن أدفع عن الوساطة تهمة التدليس والخداع ، إنما هى الآن أخلاق الخاصة التى ينبغى أن تكون محل التساؤل » .

---

(١) راجع « تاريخ الروحية » لسير آرثر كونان دويل الجزء الأول ص ١٣٥ — ١٣٧ .

(٢) Experimental Investigation Of The Spirit Manifestations.

كما يقول فى ص ٥٥ ، بعد إذ وصف حدوث طرقات مجهولة المصدر ، وأصوات مختلفة تعذر إسنادها إلى مصدر أرضى معروف ، وتحرك أجسام صلبة وغيرها — رغم أن الأجهزة التى حقق بها هذه الأدلة المختلفة صنعت بأكبر قدر ممكن من الاحتياط والدقة ، ولحقها التعديل بحسب الظروف — «إن جميع البينات التى حصلت عليها والتى أسست عليها النتائج التى أشرت إليها حصل على مثلها وفى جوهرها عدد كبير من الباحثين . ومنهم كثيرون لم يفكروا مطلقاً فى أمر الاتصال بالأرواح ولم يدر بخلدهم أن يصبحوا روحيين . وهم على استعداد لأن يؤكدوا حدوث هذه الظواهر والتحركات ، وعلى غير استعداد لأن يتنازلوا عن الجزم بها حتى وإن كانت غامضة عليهم » .

روبرت أوين

وبعد ظهور مؤلفات هؤلاء الرواد الأوائل للروحية فى أمريكا[١] ، لم يعد هناك كبير محل للاعتقاد الذى كان سائداً عند الغالبية العظمى من أن هذا الموضوع محض هراء ، وكذلك الشأن فى نظر البينات العلمية . ثم توالت المؤلفات وتنوعت ، ومن أحسنها مؤلفان المستر روبرت ديل أوين Robert Dale Owen (١٨٠١ — ١٨٧٥) الذى كان دبلوماسياً ووزيراً مفوضاً فى سنة ١٨٥٥ — وعنوان أولها «العثور على حدود عالم آخر»[٢] الذى ظهر فى سنة ١٨٦١ فكان له شأن يذكر فى خدمة الحركة الروحية هناك. ثم ظهر له مؤلف آخر فى سنة ١٨٧١ عنوانه «الأرض محل المناقشة بين هذا العالم والعالم الآخر[٣]» .

---

(١) راجع فى تطور الحركة الروحية الأمريكية مؤلفا للرائدة الروحية مسز إيما هاردنج بريتين Mrs Emma Hardinge Britten (١٨٢٣—١٨٩٩) عنوانه « الروحية الأمريكية الحديثة » Modern American Spiritualism . ولها مؤلف آخر عنوانه « معجزات القرن التاسع عشر » Nineteenth Century Miracles وراجع أيضاً مؤلف بنجامين كولمان Bénjamin Colman عن الروحية فى أمريكا Spiritualism In America 1891

(٢) Foot Falls On The Boundaries Of Another World.

(٣) The Debatable Land Between this World and The Next.

الحركة الروحية تزدهر تدريجيا

ثم انضمت للحركة الروحية الامريكية — بعدمقا ومةعنيفة — جرائد ومجلات شتى . كما أبدى عدد من كبار الساسة عطفه على هذه الحركة، ولم يخف بعضهم اقتناعه التام بصحة الموضوع ، ومنهم الرئيس أبراهام لنكولن Abraham Lincoln الذى أخذت تعقد الجلسات فى حضوره فى البيت الأبيض فى سنة ١٨٦٢ . وقد تلقى فيها بعض آراء ناضجة وتوجيهات اقتنع بصحتها وأثرت فى آرائه العامة[١] .

بل إن المخترع العظيم إديسون اشترك فى البحث الروحى ووقف فى جنازة الرئيس هاردنج Harding يعلن « إنى أبحث عن الحقيقة . وقد تقدمت فى مضمارها تقدماً كبيراً خصوصاً فيما يتعلق بالعالم الآخر والحياة بعد الموت . وإنى أقر بأنه لا بد وأن تبقى الروح وتحيا بعد انفصالها عن الجسد . وتتجه جميع أفكارى نحو حل هذه المشكلة ، وهى مشكلة استمرار الحياة بعد الموت ، والمناطق التى تعلو إليها النفس ، وأى شكل تتخذه فيها وطبيعة صلاتها المحتملة بهذا العالم الأرضى[٢]» . كما انضم إديسون إلى الجمعية الثيوصوفية منذ سنة ١٨٧٨ ، وهى جمعية تقوم على الفلسفة الروحية وبوجه خاص على الأخوة الإنسانية، وقد أسستها — مع الكولونيل أولكوت Olcott — فى سنة ١٨٧٥ الوسيطة الروسية المعروفة مدام هيلين بتروفنا بلافا تسكى Blavatsky (١٨٣١ — ١٨٩١) التى عاشت جزءاً من شبابها فى بلادنا ، وأسست بالقاهرة منذ سنة ١٨٧١ أول جمعية روحية .

جمعية البحث الروحى الأمريكية

ولما ازدهرت حركة البحث الروحى فى الولايات المتحدة الأمريكية انشئت « جمعية البحث الروحى الأمريكية »[٣] A. S. P. R. على غرار

(١) راجع فى هذا الموضوع « كتاب هل كان أبراهام لنكولن روحيا ؟ » Was Abraham Lincoln A Spiritualist ? لمؤلفته نتى كولبرن ماينارد Nettie Colburn Maynard ، والمؤلفة هى نفسها وسيطة هذه الجلسات .

(٢) المجلة الروحية الفرنسية La Revue Spirite عدد ديسمبر سنة ١٩٢٣ ص ٥٦٣ .

(٣) American Soicety For Psychical Research.

« جمعية البحث الروحى البريطانية » — التى سيأتى الكلام فيها فى الفصل المقبل . بل لقد كانت فى أصلها فرعاً منها . وقد أنشئت الجمعية البريطانية فى سنة ١٨٨٢ أما الجمعية الأمريكية فقد أنشئت فى سنة ١٨٨٩ ، وكانت الجمعيتان — ولا تزالان — تضمان صفوة من علماء النفس والمادة ، فهما أكاديميتان للبحث الروحى تعملان على أعلى مستوى علمى .

وكان من أقطابها المؤسسين واحد يعد أبرز فلاسفة أمريكا فى عصره وهو وليام جيمس ، الذى انضم ابتداء إلى الجمعية البريطانية منذ إنشائها فى سنة ١٨٨٢ واختير رئيساً لها فى سنة ١٨٩٤/١٨٩٥ . كما اختير نائباً لرئيس الجمعية الأمريكية منذ سنة ١٨٩٠ ، وظل عضواً فى هذه الأخيرة إلى حين انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩١٠ .

وقد ذكر وليام جيمس عن هذه الجمعية فى مؤلفه « إرادة الاعتقاد » تحت عنوان « ماذا أنجز البحث الروحى ؟ » (ص٣٠٦ – ٣٠٨)[١] مايلى : —

إن أجراءات « جمعية البحث الروحى » أخذت فى الاعتبار مبدأ الكيف لا الكم .. وإنى أعتقد اعتقاداً راسخاً بأنه بمرور السنين وباتساع رقعة البحث فإن هذه الإجراءات ستتصدر سائر مراجع المعرفة بخصوص نظرية كان يظن عنها أنها غامضة ، ومن المعتاد أن أبحاثاً من هذا القبيل يكون لها اعتبار خاص عند الجيل الصاعد . كما أن الشبان من إخصائيين فى علم الإنسان (انثروبولوجى) وعلم النفس الذين ستكون لهم الصدارة فى البحث العلمى سيرون أنه من العار العلمى أن يتركوا قدراً كبيراً من الخبرة البشرية يتأرجح بين اعتقاد غامض أو تصديق دون فحص من ناحية ، أو إنكار قاطع جازم من ناحية أخرى ، وبغير أن يتقدم أناس مقتدرون لهم الإرادة والعزيمة لدرس هذا الموضوع بكل صبر وحماس .

---

(١) طبعة ١٩٣٧ The Will To Believe.

وإذا طال البقاء « لجمعية البحث الروحى » حتى يحس الجمهور بوجودها وتشعر بكيانها ، كيما يبادر الجمهور إلى إبلاغ أولى الأمر فيها بما يرى من رؤى وأشباح أو يسمع من دوى سقوط أثاث أو خلافه من الظواهر الغير العادية، فإنه من المؤكد أن تتجمع لدى تلك الجمعية كمية كبيرة من الوقائع التى يمكن اتخاذها أساساً لبناء نظريات جديدة عليها . ومن ثم فإنه على معضدى هذه الجمعية أن يفهموا أن واجبهم الأول هو أن يحافظوا على كيانها من سنة إلى أخرى، وأن يدونوا ما يتجمع لديهم من حقائق بطريقة دقيقة، حتى إذا لم تكن لها نتائج ملموسة فى أول الأمر ، فإن جميع جمعياتنا العلمية نشأت بهذه الطريقة المتواضعة .

ولكن من المحال أن تتقدم البحوث العلمية بمجرد إنشاء الجمعيات . فالجمعيات بوسعها أن تساند العباقرة ولكن لا تحل محلهم ، والفارق بين الجمعية البريطانية الأصلية والفرع الأمريكى التابع لها يبرهن على هذه النظرية . ففى إنجلترا كانت نواة الجمعية عبارة عن عدد قليل من الرجال المتصفين بالحماسة والعبقرية ، حين أنه فى أمريكا فقد استدعى الأمر « استيراد » عالم أوروبى يدعى مستر هدجسن Hodgson[1] قبل الوصول إلى أى تقدم فى البحث .

ومن المرجح أن من أسباب ارتباط أفراد الجمعية الإنجليزية هو شخصية الأستاذ سيدجويك Sidgwick الفذة وقدرته على بعث الثقة فى أناس من مشارب مختلفة . فإنه ليس من السهل أن يجود الزمن بشخص مثل سدجويك يجمع فى أن له هذه الرغبة الملحة فى الوصول إلى النتيجة فى البحث مع عدم التعصب لآرائه عند مناقشتها ، كما أن اعتقاده الراسخ بأن ثمت أشياء مجهولة ينبغى أن تظهر يزود الوجلين بالصبر . وجهره بعدم قدرته على الوصول إلى قرار حاسم فى اختباراته يبعث الثقة فى نفوس أولئك الذين يخشون أن يكونوا ضحية للخداع أو للحيلة »[2] .

---

(١) أستاذ الأخلاق بجامعة كمبريدج .

(٢) وقد كان سيدجويك هذا فيلسوفاً وعالماً خلقياً ويعد مؤلفه Methods Of Ethics =

كما ذكر نفس الفيلسوف عن هذه الجمعية فى مؤلفه الآنف الذكر (ص ٣١٣ وما بعدها) ما يلى :

إن « جمعية البحث الروحى » التى يمتد عملها فى إنجلترا وأمريكا قد سمحت بأن يلتقى العالمان العلمى والروحى فى مجال واحد . وإنى أعتبر أن هذه الجمعية مهما كانت وظيفتها محدودة سيكون لها نصيب كبير فى ترتيب المعارف الإنسانية . فلذلك أستحسن أن أفضى إلى القارىء بنتائج أعمالها بإيجاز ، فأقول إننا إذا صدقنا الجرائد وأوهام الصالونات خيل لنا أن الضعف العقلى وسرعة التصديق هما الرباط المعنوى الذى يجمع بين أعضاء هذه الجمعية ، وأن حب العجائب هو الروح المحرك لها ، ومع هذا فيكفى أن نلقى نظرة واحدة على أعضائها لدحض هذه التهمة . فإن رئيس هذه الجمعية الأستاذ سيدجويك معروف بأنه أشد الناس شكيمة فى النقد وأعصاهم قياداً فى الشك فى جميع البلاد الإنجليزية ... وتشمل قائمة أعضائها رجالا كثيرين آخرين ، كفاءتهم العلمية أشهر من نار على علم .

« فإذا طلب إلى أن أعين جريدة علمية تكون مصادر أغلاطها ممحصة بأدق الأساليب فإنى أنوه بمضابط جمعية البحث الروحى S. P. R. Proceedings فإن الفصول الفزيولوجية التى تنشرها الجرائد الخاصة بهذا العلم لا تبلغ فى دقة النقد مبلغ المضابط المذكورة ، حتى أن صرامة الأساليب الكشافة التى طبقت منذ عدة سنين على اختبارات بعض الوسطاء كانت بحيث توجد اختلاف الآراء داخل الجمعية نفسها » .

وليم جيمس

هذا وقد بدأ عالم النفس والفيلسوف وليام جيمس (١٨٤٢ — ١٩١٠)

= من الكتب التى ترفع صاحبها إلى مستوى فلاسفة الأخلاق الكبار (راجع فى هذا الشأن مؤلف ك . د . بروض C. D. Broad وعنوانه Five Types Of Ethical Theory طبعة ١٩٤٤ ص ١٤٣ — ٢٥٦ .

حياته طبيباً بمستشفى مساتشوستش ، ثم أصبح أستاذاً للتاريخ الطبيعى فى سنة ١٨٧٤ ثم أستاذا للتشريح المقارن ثم تحول إلى علم النفس الفسيولوجى فى سنة ١٨٧٦ ، ثم أصبح أستاذاً للفلسفة بجامعة هارفارد ، ثم أصبح مديراً لهذه الجامعة . وينظر إليه حالياً على أنه من أحسن علماء النفس والفلاسفة الذين أنجبتهم أمريكا[1] ، وفى نفس الوقت من أحسن الباحثين الروحيين الذين أفادوا « جمعية البحث الروحى » واستفادوا منها إلى أبعد مدى .

وفى هذا الشأن يقول الأستاذ محمود زيدان فى مؤلفه « وليم جيمس »[2] « ولقد أفادته بحوثه مع زملائه إفاده جمة فى الوصول إلى نتائج علميه تخدم أغراضه فى التوفيق بين العلم والدين . ولعل هذه الجمعية كانت الأساس المتين الذى جعل لجيمس شهرة فى الموضوعات الصوفية . إذ وصلت الجمعية فيما وصلت إليه إلى وجود النفس المستورة Subluminal ، فجعل منها قاعدة لوجود عنصر غير فسيولوجى فى الطبيعة الإنسانية يمكن أن يؤدى إلى اتجاه الإنسان نحو الله .. واكتشف جيمس — كعضو عامل فى الجمعية — وجود مناطق خفية من الشعور يمكن للإنسان عن طريقها معرفة عالم غير منظور ، وأصبح هذا العالم جوهر الدين فى فلسفته الدينية كما سنرى » .

وفى مؤلفه عن « صنوف التجربة الدينية »[3] (١٩٠٢) قال عن هذا العالم غير المنظور ما يلى « ليست الذات الواعية إلا جزء من

---

(١) يقول الدكتور عثمان أمين فيه « ولا نزاع فى أن جيمس قد تبوأ من فلاسفة أمريكا أعلى مقام ، فاستطاع أن يبث فى التفكير الفلسفى فى بلاده روحاً فتية زاهرة اكسبته حياة وخصبا ومدت رحابه إلى العلم والأدب والفن وهيأت له أن يشارك فى مشاغل المجتمع المتجدد النامى بأوفى نصيب . كما يقول فيه ، أيضا إنه من القلائل فى عصرنا هذا الذين استطاعوا أن يؤلفوا بين المثالية والواقعية تأليفاً فريداً (مقال فى مجلة الكتاب العربى عدد ١٠ يونية سنة ١٩٦٤ (العدد الأول ص ٢٢) .

(٢) والكتاب المذكور ضمن مجموعة « نوابغ الفكر الغربى » راجع ص ٣١ ، ٣٢ .

(٣) Varieties Of Religious Experience .

ذات أعظم. وإن امتدادات الذات الواعية لتذهب إلى ما هو خارج الإحساس والعقل بكثير فى إقليم يمكن تسميته بالغامض أو بما فوق الطبيعى. وطالما أن ميولنا تستمد أصولها من ذلك الإقليم – وهذه هى حالة الغالبية من بين هذه الميول – فإن صلتنا بذلك الإقليم تكون ممتدة فيه إلى ما هو أعمق مما تمتد إليه فى العالم المنظور ؛ وذلك لأن مطامعنا الأكثر سمواً هى محور شخصيتنا.

ولكن ذلك العالم غير المنظور ليس مجرد مثل أعلى فحسب ، كلا بل إنه يحدث آثاره كذلك فى العالم المحسوس. فإننا باتصالنا بذلك العالم غير المنظور تنتهى ذواتنا بالتحول فنصبح أشخاصاً آخرين ، ونصحح من سلوكنا عن طريق إعادة تقويم خصائصنا الأصلية من جديد. ومن ثم يحدث ذلك العالم غير المنظور تأثيره فى العالم الطبيعى ، فكيف نأبى أن نسمى ذلك العالم الآخر بالحقيق ، وهو الذى يحدث أثره فى داخل حقيقة أخرى (هى العالم الطبيعى) ؟ .

ولم يبنِ وليام جيمس عقيدته بوجود العالم غير المنظور على مجرد فلسفة نظرية ، وهذا هو الجانب الهام فى آرائه ، بل بناها على « وقائع مؤكدة تنطوى على الاعتقاد بوجود عالم غير منظور وله وجود حقيقى واقعى وليس مجرد تصور. وسيجعل هذه النتيجة هى نقطة الارتكاز فى الدين ، وهو يقدم لهذه النتيجة بمقدمات كثيرة . . ويتصور جيمس الدين – حسب هذا التعريف – تصوراً أوسع من المعنى المألوف له. إنه يتصوره علاقة الإنسان بشىء غير منظور ، دون أن يتحتم أن يكون هذا الشىء إلهاً أو ما يشبه الإله. وهو تصور نجده واضحاً فى تيارات فلسفية كثيرة من تلك التى تدافع عن الدين. قد نقول عن فرد إنه متدين دون أن يكون معتقداً بوجود إله. وقد يكون الفرد مؤمناً لمجرد أنه يتصور العنصر الإلهى فى طبائع الأشياء ، أو يصور للكون تركيباً روحياً خاصاً. إننا نسمى هذا التصور تصوراً

دينياً رغم أنه لا ينطوى على وجود إله حقيقى محدود ... ويعرّف جيمس الدين بأنه الاعتقاد بعالم غير منظور ، وأن خيرنا الأسمى كائن فى إيجاد الملاءمة الناجحة بيننا وبين ذلك العالم . . »

ويبنى وليام جيمس آراءه هذه على تجاربه الخاصة فى الروحيات والتجارب الدينية لدى الصوفية وما أوحته نتائج العلاج الروحانى . كل هذه « يثق بها جيمس ويتخذها وثائق ولا يوجد ما يدعو إلى تكذيب أصحابها » . على مايقرره الأستاذ محمود زيدان، الذى يقول أيضاً فى بحثه القيم الذى لم يضعه إلا لدراسة فلسفة وليام جيمس : —

« لقد وصل جيمس من خلال دراساته للتنويم المغناطيسى وأبحاثه فى العلاج الروحانى ودراسته سيراً كتبها أدباء مشهورون لهم نزعات صوفية (هم وسطاء الإلهام) — وصل من ذلك إلى حقيقة هامة هى أن شعورنا اليقظ الراهن ليس إلا نمط واحد من أنماط الشعور الإنسانى . ويجب ألا نغفل أن وراء هذا الشعور اليقظ شعوراً خفياً آخر ولعله أكثر عمقاً وسعة وتأثيراً فى حياتنا ... ويروى بنفسه أن هذه الحقيقة نتيجة هامة وصل إليها بعد قيامه بملاحظات وتجارب كثيرة ، واقتنع بصدقها ولم يزعزع اعتقاده بها شىء[١] » .

« ولقد تأكد جيمس من خلال دراسته للصوفية وللقداسة وخصائصها أن القديس فى حالات غيبوبته — مما له أثره الثابت فى حياته اليقظة المألوفة — يشعر بوجود كون فسيح أكثر سعة من العالم الأرضى ، ويشعر أن بينهما علاقة جاذبية وتعاطف وصداقة . بل يشعر أنه خاضع له ، أو أنه ينبغى أن يكون خاضعاً له ، ومن المحال أن يكون الشعور العقلى هو مصدر الوعى بهذا الكون . إذن فمن الملائم أن نفترض وجود مناطق خفية بالقوة من الشعور يمكنها الاتصال بهذا الكون العظيم ... »[٢]

---

(١) مؤلف الأستاذ محمود زيدان عن « وليم جيمس » ص ١٥٢ ؛ ١٥٤ ، ١٥٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٤ .

كما يقول أيضاً إنه توجد فى الطبيعة الإنسانية منطقة لها صلة وثيقة بالمنطقة الإلهية أى بالعالم غير المنظور . هذه المنطقة هى الشعور الخفى أو ما وراء الشعور الخالد ، أو بروز النفس الاجتماعية بروزاً أوضح من النفس المادية . كما يعتقد أن هذه الصلة بين النفس الكامنة فى الإنسان وبين هذا الكون الفائق ينبغى أن تتحقق بالصلاة لا بالتصوف .

وهو يعتقد أيضا أن الله لم يخلق الكون من الأزل ، وإنما الخلق وعمل الله فيه قائم فى مجال الزمن . والزمن صورة الإمكان ، وأهم فكرة متضمنة فى فكرته الشخصية عن الله هى أن الله رفيق للإنسان صديق له معين له على الوصول إلى كماله ، مساعد له فى التغلب على الشر الذى فى العالم . فهو ليس مصدر خوف لنا أو رهبة ، وإنما هو مصدر حبنا لأنه رمز تفاؤلنا فى هذه الحياة » .[١]

وقد صور وليام جيمس الطبيعة حولنا « بعقل مفكر جبار يتسلل منه قدر يسير إلى جمجمة كل إنسان ، فيزهو بما أصبح فى حوزته من قوة قادرة على التفكير والخلق والابتكار ... ولا حرج فى هذا ، ولكن من المضحك أن يحاول بهذه القوة اليسيرة أن يفسر جميع غوامض العقل الجبار الذى يحيط به ، فإذا أخفق فى تفسير شىء أنكره وراح يشكك الناس فى وجوده[٢] » .

وبسبب بحوثه فى الروحية التجريبية أصبح هذا الفيلسوف مؤمناً بإمكان استحواذ بعض الأرواح على بعض الأشخاص أو المس الروحى obsession قائلا : إن رفض التعاليم الحديثة اعتبار المس الروحى أمراً ممكن الحدوث برغم روايات الناس المتراكمة المبنية على التجربة الملموسة إنما هو فى نظرى مثل غريب للتحكم الشكلى فى المسائل العلمية .. ترى هل يكون الإنسان

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٩ .

(٢) عن مقال بتوقيع الدوس هكسلى عنوانه « الظواهر الروحية حقيقة لاسبيل لإنكارها » نشرته مجلة الهلال فى عدد يوليه ١٩٥٥ عن جريدة ريدرز دايجست وصاحب المقال معروف بمؤلفاته العميقة عن سير الحياة ، وعرفت عنه دقة التحليل العلمى والفلسفى .

علمياً فى الواقع إذا كان هو من العمى والجهل بحيث يرتاب فى إمكان ذلك ؟ » .

فاقتناع وليم جيمس بصحة الظواهر الروحية — وبحثه الشخصى فيها — هو الذى دفعه إلى اعتناق فلسفة جديدة بالنسبة له قائمة على التسليم بوجود عالم الروح ، وعلى تأثيره المستمر فى عالم المادة على النحو الذى بيناه ، والذى قلب آراءه السيكلوجية القديمة رأساً على عقب ، وكانت مؤسسة من قبل فى جوهرها على مبادىء مادية . فراح يصف — بعد هذا التحول — مؤلفاً قديماً له عن « مبادىء السيكولوجى » قائلا بتواضع العالم وشجاعة الفيلسوف إنه يمثل « كتلة كريهة منتفخة متورمة تشهد أنه لا شىء هناك يسمى علم السيكولوجى ! ... » ويقصد أن علم الروح هذا Psychic Science قد حل محل الـ Psychology القديمة هذه .

فهل هناك دلالة فى جانب علم الروح أعظم من دلالة تحول عالم وفيلسوف من طراز وليام جيمس هذا التحول الخطير بعد بحوث معملية فيه دامت لسنين طويلة ، وأدت إلى تشييده فقهاً جديداً وفلسفة هى الآن فى جوهرها فلسفة الروحيين العامة فى جوانب المعمورة ، مهما اختلفت التفاصيل فيما بينهم ؟ .

ثم انظره وهو يقول فى أحد فصول مؤلفه « إرادة الاعتقاد » عن البحث الروحى : « إننا لو قارنا رأينا الحالى مع نظرة الماضى نحو الفكر البشرى حينذاك ، سواء علمياً أو دينياً ، لروعتنا الدهشة بأن الكون الذى يظهر بهذه العظمة والغموض لنا ، يكون قد بدا لغيرنا شيئاً صغيراً بسيطاً .

والآن إذا نظرنا إلى العالم من زواياه المختلفة وهى عالم ديكارت Descartes أو نيوتن Newton أو عالم المادة فى القرن الماضى ، أو عالم بردجووتر Bridgewater فى عصرنا الحاضر لرأيناه هو هو بعينه دائماً « العالم الصغير الغير المنظور » .

وإذا رجعنا إلى ليل Lyell وفراداى Faraday وميل Mill وداروين Darwin وفحصنا نظرياتهم المختلفة لوجدنا أنهم يضفون على آرائهم نظرة الطفولة والبراءة .

وهل هذا يعنى أن العلم فى يومنا الحاضر سيهرب من مصيره العادى، وهلا تبدو عقول مفكريه متخلفة لأحفاده ؟ إنه لمن الحماقة أن نظن ذلك . لكن فى الوقت نفسه لو قسنا الحاضر على الماضى وأصبح علمنا متخلفاً بالنسبة للمستقبل ، فذلك سيكون راجعاً بالأكثر إلى استبعاده للحقائق . وإلى جهله بمجالات بأكملها عن الظواهر المركبة التى يلزمها الإيضاح ، لا إلى افتقاره إلى الروح أو المبادىء العلمية . فإن روح العلم ومبادءه ما هى إلا عبارة عن وسائل معينة . . »

إلى أن يقول « إن الفصيلة الوحيدة المتكاملة لتفكيرنا ، كما يقول أساتذتنا فى الفلسفة هى فصيلة شخصيتنا وما عدا ذلك من الحالات يعتبر من العناصر التجريدية فقط . وإن إنكار العلم التقليدى للشخصية كمظهر للحوادث، وإن الاعتقاد الصارم بأن العالم قطعاً عالم غير شخصى فى أخص خصائصه ، ليبرهنان أنهما النقص الذى سيتعجب منه خلفاؤنا بالنسبة للعلم الذى نفخر به نحن — ذلك النقص الذى سيجعل علمنا فى نظرهم قصير النظر وعديم العمق...»(١)

هذا وقد قرر مستر هيوات ماكنزى H. Mckenzie مدير « الكلية البريطانية للعلم الروحى » فى مؤلفه عن « الاتصال بالروح »(٢) (١٩١٦) أنه أمكنه الاتصال بروح وليام جيمس بعد انتقاله . ومثل ذلك قرره أيضاً البروفسور جيمس هايسلوب رئيس « جمعية البحث الروحى الأمريكية » A. S. P. R. وأستاذ الأخلاق والمنطق بجامعة كولومبيا فى مؤلفه عن « اتصال بالعالم الآخر »(٣)(١٩١٩). وأدلت الروح بمعلومات قيمة ، وذلك

---

(١) ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ The Will To Beleive

(٢) Spirit Intercourse : Its Theory and Practice.

(٣) Contact With The Other World.

لتثبت بطريقة عملية حاسمة بقاء الشخصية بعد موت الجسد المادى .

كما عاد هايسلوب بدوره بعد انتقاله ، على ماروته سكرتيرته مس جرترود تيوبى Gertrude O. Tubby فى مؤلفها عن «جيمس ه . هايسلوب» (١٩٢٩).

جيمس هايسلوب

وقد كان جيمس هيرفى هايسلوب هذا James Hervey Hyslop (١٨٥٤ — ١٩٢٠) أستاذاً للمنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا بولاية نيويورك، ومن أشهر بحاث العلم الروحى ودعاته فى أمريكا الشمالية وقد أجرى تجاربه مع وسطاء متعددين ، منهم مسز ليونور بيبر L. Piper وتلقى منها ٢٠٥ بيانات مختلفة من أشخاص متوفين أمكنه أن يتحقق من صحة ما لا يقل عن ١٥٢ بياناً منها، وقال بعد ١٢ جلسة معها « لقد تحادثت مع روح والدى وشقيق وأعمامى ... »[١]

وقد ساهم هايسلوب فى تنظيم « جمعية البحث الروحى الأمريكية» وأصبح رئيساً لها وعمل على إصدار جريدتها منذ سنة ١٩٠٧ ، وقد أصبح مساعداً له فى رئاسة الجمعية دكتور هيروارد كارنجتون H. Carrington ، ثم أعقبه دكتور والتر فرانكلين برنس W. F. Prince .

ومؤلفات هايسلوب غزيرة فى العلم الروحى منها «الحياة بعد الموت»[٢] (١٩١٨) وفيه يقرر « إنى اعتبر وجود أرواح غير متجسدة أمر قد ثبت علمياً ، ولا يمكن بعد الآن أن أنظر إلى المتشكك بوصفه صاحب حق فى الكلام فى الموضوع . وكل من لا يقبل الاقتناع بوجود أرواح غير متجسدة وبقيام الدليل على وجودها إما جاهل وإما تعوزه الشجاعة الأدبية ... »

ومن مؤلفاته أيضاً « العلم وحياة مستقبلة »[٣] (١٩٠٦) و « حدود البحث الروحى »[٤] (١٩٠٦) و « ألغاز البحث الروحى »[٥] و « البحث

---

(١) راجع ماسبق عن الوسيطة ص ١١٢ .

(٢) Life After Death .

(٣) Science And a Future Life.

(٤) Borderland of Psychical Research.

(٥) Enigmas of Psychical Research.

الروحى والبعث »[١] (١٩٠٨) « والبحث الروحى والحياة بعد الموت »[٢] (١٩١٣) و « اتصال بالعالم الآخر »[٣] (١٩١٩) .

فرديناند شيللر

من الرواد الأوائل للحركة الروحيــــة فرديناند سكوت شيللر Ferdinand Scott Schiller (ولد فى سنة ١٨٦٤) وكان أستاذاً للفلسفة فى جامعة كورنل (من ١٨٩٣ — ١٨٩٧) ثم أستاذاً لها فى جامعة جنوب كاليفورنيا بلوس أنجيلوس .

ومنذ سنة ١٨٨٧ نشر دراساته الأولى بمضابط «جمعية البحث الروحى» البريطانية S. P. R. التى كان من أعضائها الأول بعنوان « تقرير عن بعض التجارب التلقائية »[٤] (فى المجلد الحادى عشر) كما نشر عدة مقالات وبحوث أخرى فى هذه المضابط وفى جريدة الجمعية . وكتب عن « تقـدم البحث الروحى »[٥] فى دائرة المعارف البريطانية (الطبعة ١١ الصادرة فى سنة ١٩٢٠)، كما كتب عن « الروحية والتلباثى »[٦] فى دائرة معارف هاستنج للدين والأخلاق »[٧] .

واختير عضواً بمجلس « جمعية البحث الروحى » البريطانية ثم اختير رئيساً لها فى سنة ١٩١٤ .

ومن مؤلفاته الفلسفية « الإنسانية »[٨] (١٩٠٣) ، و « دراسات فى الإنسانية »[٩] (١٩٠٧) و « تانتالوس أومستقبل الإنسان »[١٠] و «مشكلات

---

(١) Psychical Research and the Ressurrection .
(٢) Psychcial Research and Survival.
(٣) Contact with the Other World .
(٤) Report of Some Automatic Experiments.
(٥) Progress of Psychical Research.
(٦) Spiritism And Telepathy.
(٧) Hasting's Encyclopaedia of Religion And Ethics.
(٨) Humanism.
(٩) Studies in Humanism .
(١٠) Tantalus, or The Future of the Man.

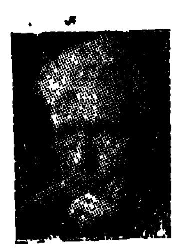
الاعتقاد »[١] (١٩٢٤) .

ادوارد راندال

ومن الباحثين أدوارد كالب راندال Edward Caleb Randall وكان محامياً معروفاً ، وقد أجرى بحوثه الروحية بمدينه بافالو بولاية نيويورك واستمرت مع مسز إميلى فرنش Emily French (١٨٣٠ — ١٩١٢) وسيطة الصوت المباشر لمدى عشرين عاماً ، كما قام ببحوث فى دوائر أخرى. وشرح نتائج بحوثه فى جملة مؤلفات قيمة منها « تقدم الحياة »[٢] (١٩٠٦) و« مستقبل الإنسان »[٣] (١٩٠٨) و«الموتى لم يموتوا أبداً »[٤] (١٩١٦) و «حدود الحياة التالية »[٥] (١٩٢٢) و« الميت الحى »[٦] (١٩٢٧)

هيروارد كارنجتون

ومن البحاث الأمريكيين أيضاً الدكتور هيروارد كارنجتون Hereward Carrington العالم النفسى الذى انضم إلى « الجمعية الأمريكية للبحث الروحى» A. S. P. R. فى سنة ١٩٠٦ ، وكانت تحت رئاسة هايسلوب فأصبح هو مساعداً له . وتجارب كارنجتون فى الظواهر الروحية كثيرة ، منها تجاربه فى سنة ١٩١٠ على الوسيطة الأسبانية أسابيا بلادينو ،[٧] وقد ذكر عنها « أن جلساتى التى عقدتها قد أقنعتنى أخيراً — بدون أدنى اعتراض — أن


هـ . كارنجتون

(١) Problems of Belief.
(٢) Life's Progression.
(٣) Future of Man.
(٤) The Dead Have Never Died.
(٥) Frontiers of the After Life.
(٦) The Living Dead.
(٧) راجع ماسبق عنها فى ص ١٠٧ — ١١٠

هناك عدة ظواهر حقيقية تحدث فعلا . ومن الطبيعى فى مثل هذه الحالة أن يبرز أمامى السؤال الخاص بتفسيرها ، وإنى لأظن أن الفرض الروحى لا يمكن اعتباره فحسب نظرية عملية ، بل إنه فى الحقيقة النظرية الوحيدة التى يمكن بها تعليل هذه الحقائق تعليلا علمياً » .



مسز إيلين جاريت

وفى سنة ١٩٣٣ عندما زارت الولايات المتحدة الوسيطة البريطانية مسز إيلين جارت Mrs. Eileen Garrett أخضعها كارنجتون لتجارب كثيرة داخل « المعهد الروحى الأمريكى »[1] منها تجارب متصلة بالتحليل النفسى مصحوباً بأجهزة تسجيل كهربائية ، كيما يكتشف ما إذا كانت الكائنات المتصلة بالوسيطة مستقلة عنها أم لا . واختتم بحوثه بما يلى : « يمكننى الآن أن أقرر أن تجاربنا أظهرت وجود كائنات عاقلة مستقلة عن سيطرة الوسيطة ، ومنفصلة عن العقلين الواعى والباطن ومعزولة عنهما » .

كما خضعت نفس الوسيطة لتجارب التلباثى فى جامعة ديوك تحت إشراف الأستاذ ج ب . راين ، التى نشرها فى سنة ١٩٣٤ فى مؤلفه عن « الإدراك عن غير طريق الحواس » .

وأكد الدكتور كارنجتون — بالاشتراك مع الدكتور ميدر فى مؤلفهما « الموت أسبابه وظواهره »[2] (١٩١١) — صحة ظاهرة الغيبوبة الوساطية وقد ذكرا فيه « إذا نحن أردنا أن نقف على الجوهر الحقيقى للغيبوبة

---

(١) The American Psychical Institute.

(٢) Death, its Causes and Phenomena.

وللحالات التى من نوعها نجد أنفسنا سادرين فى جهل فاضح مدهش بأمثال هذه المعلومات . ويرجع ذلك بالأكثر إلى أننا نعتبر البحث فيها نوعاً من الخرافة أو علامة على التخريف ... » ثم بينا كيف أن الغيبوبة الوساطية ليست حالة مرضية ، بل إنه عند مرض الوسيط يصبح وقوعه فى الغيبوبة مستحيلا . وأكدا أن الوسيط الواقع فى الغيبوبة يمكنه أن يدلى بمعلومات صحيحة خارقة للعادة « وتلك هى عقدةالعقد . ونحن لا تهمنا أية نظرية تقدم عن طبيعةالغيبوبة، لكن بشرط أن يكون فى وسعها تفسير جميع الحقائق ، والواقع أن النظريات المادية الحالية لا تستطيع ذلك » .

كمايقول كارنجتون فىمؤلفه عن«الظواهر الروحيةالحديثة» «إنهلمنالواضح أن المس الروحى هو على الأقل شيء ممكن لا يجوز للعلم أن يهمله ، إذ أن هناك حقائق دامغة كثيرة تدعمه . وإذا ما سلمنا بإمكانية المس العقلى فإن مجالا واسعاً للبحث والدراسة سوف يفتح أمامنا ، ويكون بحاجة إلى كل العناية والمهارة والصبر الذى يمكن أن يتكفل به العلم الحديث والفهم السيكولوجى » .

وحرر مقالا لمجلة القدَر Fate فى عدد سبتمبر سنة ١٩٥٥ سلم فيه بصحة أغلب الظواهر الوساطية ، بما فى ذلك ظاهرة «المنازل المسكونة» أو الشغب المجهول المصدر . . « وقد ظن أنها تصورات ذهنية نتيجة هلوسة . ولكن هذه التجارب الدقيقة القاسية قد أثبتت أنها حقيقة واقعة» . كما يتحدث عن التصوير الروحى قائلا إنه فى هذه الحالات « يؤثر إشعاع ما من الجسم فى المزيج الموجود فوق اللوحات التى تظهر فيها علامات غير متوقعة ... » وينتهى بأنه « فى مجال البحث الروحى توجد حقائق كثيرة تبدو لأول وهلة أنها تافهة ولا معنى لها ، لكنها ستصير ذات قيمة كبرى ، وستؤدى إلى فهم كثير من الأمور الخافية علينا فى الوقت الحاضر » .

وأهم مؤلفات كارنجتون فى موضوع الظواهر الروحية : « الظواهر

الفيزيقية للروحية ،[١] (١٩٠٧) و «العلم الآتى »[٢] (١٩٠٨) و «أسابيا بلادينو وظواهرها[٣] » (١٩٠٩) و «تجارب شخصية فى الروحية »[٤] و «السحر الهندوسى »[٥] (١٩١٣) و «مشكلات البحث الروحى »[٦] (١٩١٤) و «قصص حقيقية للأشباح»[٧] (١٩١٥) و «الظواهر الروحية والحرب»[٨] (١٩١٨) ، و «الظواهر الروحية الحديثة »[٩] (١٩١٩) و «قوانا الروحية وكيف ننميها »[١٠] (١٩٢٠) و «تقدم أسمى للروحية »[١١] (١٩٢٠) ، و «الروحية»[١٢] بالاشتراك مع الدكتور جيمس والش James Walsh (١٩٢٥) ، «وطرح الجسد الكوكبي»[١٣] بالاشتراك مع سيلفان ج . ملدون Sylvan J. Muldoon (١٩٢٩) و «قصة العلم الروحى »[١٤] (١٩٣٠) و «هوديني وكونان دويل »[١٥] بالاشتراك مع برنارد م . ل . إرنست Bernard M. L. Ernest (١٩٣٢) و «أولية فى البحث الروحى »[١٦] (١٩٣٣) و «ظواهر الطرح الروحى »[١٧] و «العالم غير المنظور »[١٨] و «العلم الروحى والحياة بعد الموت »[١٩] (١٩٣٩) .

---

(١) The Physical Phenomena of Spiritualism.

(٢) The Coming Science.

(٣) Eusapia Paladino and her Phenomena.

(٤) Personal Experiences in Spritiualism.

(٥) Hindu Magic.

(٦) The Problems of Psychical Research.

(٧) True Ghost Stories.

(٨) Psychical Phenomena and the War.

(٩) Modern Psychical Phenomena.

(١٠) Our Psychic Powers, and How to Develop Them.

(١١) Higher Psychical Development.

(١٢) Spiritualism.

(١٣) The Projection of the Astral Body.

(١٤) The Story of Psychic Science.

(١٥) Houdini and Conan Doyle.

(١٦) A Primer in Psychical Research.

(١٧) The Phenomena of Astral Projection.

(١٨) The Invisible World.

(١٩) Psychic Science and Survival.

والتر فرانكلين برنس

ومن البحاث الأمريكيين المعروفين أيضاً والتر فرانكلين برنس W. F. Prince وكان راعياً دينياً ثم تفرغ للبحث الروحي فأصبح ضابطاً للبحث Research Officer « للجمعية الأمريكية للبحث الروحي » من سنة ١٩٢٠ إلى ١٩٢٤ ، ثم مساعداً لرئيسها ثم رئيساً لها في سنة ١٩٣١/١٩٣٢.

وأسس جمعية بوستن للبحث الروحي Boston S. P. R. ودرس وساطة دوريس فيشر Doris Fischer الوسيطة ذات الشخصيات المتعددة . وأهم مؤلفاته « حالة باشينس وورث »(١) (روح مرشدة راقية) و « الوسيط في المنزل » (٢) و « شهادات مدونة عن أحداث روحية » (٣) و « التخوم المسحورة »(٤) و « ليونارد وتجارب صول في البحث الروحي(٥) » (١٩٢٩) . وصول Soule هذه كانت وسيطة « جمعية البحث الروحي الأمريكية » A. S. P. R. وخضعت لتجارب البروفسور هايسلوب وكانت تتلقى الأشعار الراقية من أرواح تينسون وبرواننج ولو نجفلو وعدد آخر من أصحاب العقول الراقية من المنتقلين إلى العالم الآخر .

إدوين فردريك باورز

من بحاث هذا الموضوع إدوين فردريك باورز Edwin Frederic Bowers الأستاذ بجامعة مينيا بوليس . ومن مؤلفاته « ظواهر حجرة تحضير الأرواح »(٦) ، وقد بدأه بقوله « بعد مضي خمس وثلاثين سنة قضيتها في بحوث الظواهر الروحية ودراستها من جميع وجوهها المختلفة اقتنعت حقاً

---

(١) The Case of Patience Worth .
(٢) The Psychic in the House .
(٣) Noted Witnesses for Psychic Occurences .
(٤) The Enchanted Boundary .
(٥) Leonard and Soule Experiments in Psychical Research.

بأن المعرفة التى حصلت عليها نتيجة لبحث هذه الأمور بحثاً هادئاً متأنى فيه تقدم للناس ما لعله يكون أهم تجريب عقلى وروحى يمكن للإنسان أن يحصل عليه خلال حياته الأرضية . والواقع أننى واثق بأنه يوجد الآن ملايين من الناس يعتقدون أن البرهان على استمرار الوجود بعد الموت ، أى على بقاء الشخصية والقدرة على التواصل مع الأرواح غير المتجسدة ، هو أثمن ما يمكن التطلع إلى الحصول عليه ...

إلى أن يقول عن المعارضين : « فهؤلاء إما أن يقولوا لنا شيئاً بصدد تلك البينات العظيمة المتراكمة الدالة على استمرار الحياة بعد الموت ، وهى تلك البينات التى جمعها فى كد ونصب أولئك العلماء المقطوع بشهرتهم وكفاياتهم ، وإما أنهم يستخفون بتلك البينات معتبرينها مادة تصاغ منها الأحلام والأخيلة .

« ومع ذلك يحزننا أن نقول إن هؤلاء الماديين يوجدون فى الكنيسة وفى المدرسة بنفس الكثرة التى يوجدون بها فى الأسواق التجارية الحاشدة حيث يسود الإلحاد ، وحيث يكون البغض للتقدم الفكرى عائقاً باستمرار للرأى الصائب الثاقب . على أن انعدام أصغر أجزاء الوعى الكونى فيهم يظهر حتى فى تأكيدهم القاطع لآرائهم ، وفى افتراضهم لأنفسهم الذكاء الخارق الأسمى » .

وفى الفصل الأول يقول باورز[1]: « هذا الكتاب تحد — تحد للجهل والتطرف وروح التعصب الناكرة الكارهة ما تجمع من البينات الدالة بشكل قاطع على بقاء الشخصية وحياتها بعد ذلك التغير الذى نسميه موتاً .

وقوام نقاش العلم الروحى الحديث هو أن الروحية لم تعد بعد فى حاجة

(١) فى ص ٦٣ وما بعدها من الترجمة العربية بمعرفة المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبوالخير طبعة ١٩٤٢ .

إلى دفاع ، فهى ليست بعد الآن ذلك اللاهث الهامس فى ذل ، المتوسل إلى قضاة الشك أن يستمعوا إلى قضيته .

فسائل الروحية واضحة لا تتطلب إلا جواباً صريحاً . ولكى لا يساء الفهم بصدد كتابى هذا أعود فأقول مرة أخرى إن هذا الكتاب ليس دفاعاً عن الروحية ، لأن الروحية لا تحتاج إلى دفاع ولكنه تحد .

إنه تحد لكل شخص يعتقد أن كتلة البينات التى سأعرضها هنا — من تجاربى الخاصة ومن تجارب كثيرين من كبار المفكرين الذين ظهروا فى الوجود — ما هى إلا قصص ونوادر يرويها جماعة من البلهاء .

وأنى لك أن ترد على هذه القصص والنوادر ؟ إننى أنا شخصياً أكون سعيداً لو أتيح لى أن أساجل فى هـــذا الموضوع أى مرتاب مقتدر يقبل التحدى .

إن أصدقائى فرانك دكر Frank Decker وآرثر فورد Arthur Ford وايثيل بوست Ethel Post وغيرهم من الوسطاء الموثوق بهم ليسرهم كثيراً أن يقفوا أمام أية هيئة مسئولة موثوق فيها من العلميين والبحاث ويعيدوا التجارب الروحية التى دونتها هنا .

لقد مضى حتى الآن على وضع الروحية تحت الاختبار نحو تسعين سنة (الآن نحو مائة وعشرين عاماً) وذلك لما أن عادت إليها الحياة بعد ممارستها القديمة . ولقد حملت صابرة تاجاً من الشوك وارتدت لباس المجذوم فتجرعت صابرة كأس الضيم وأطرقت على مضض ، ولكن قد حان الوقت لأن ننزع عنها هذا الرداء ، لكى تستعيض عنه بالحلى الأخلاق بأن تزين به أركان فلسفتنا الراقية» .

وفى هذا الكتاب يروى باوزر بدقة تامة أنباء عدد من التجسدات الحقيقية النادرة التى تحتمل التجريب بالحوامض على حد وصفه ، مع وسطاء تقصى أمرهم وتأكد أنهم من الشرفاء الصادقين ، ومنهم القس الدكتور

روبرت مور Robert Moore راعي الكنيسة الروحيــــة فى دايتون Dayton بولاية أوهيو Ohio ويقول فى شأنها «ويغلب على ظنى أن الظواهر المدهشة التى تمت على يدى مور هذا تجهلها «جمعية البحث الروحى» A.S. P. R ويجهلها البحاث عامة ، مع أن مور هذا من أعظم الوسطاء الموهوبين الأفذاذ الذين رأيتهم»

كارل ويكلاند

منهم أيضاً الدكتور كارل ويكلاند Carl Wickland عضو «الجمعية الطبية فى شيكاغو وإلينوى Illinois» كما هو عضو «الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم» ، وقد انصبت دراسته على الأرواح الماسة التى تسبب بعض الأمراض النفسية والعصبية . وظل يواصل بحوثه فى هذا الشأن لمدى سنين طويلة ثم نشرها فى مؤلفه «ثلاثون عاماً بين الموتى»[1] الذى قال فى مقدمته:

«لست أبغى أى علم أو تفقه بتقديم هذا الكتاب للجمهور ، وإنما أود أن أقدم السجلات والاستنتاجات لأبحاث تجريبية استغرقت ثلاثين سنة فى علم النفس العادى والشاذ الذى له علاقة كبيرة بالمواضيع الغامضة التى تتعلق بالحياة الأخرى وصلتها بشئون الإنســان، والتى على جميع العقول المفكرة أن تتعرف عليها لأهميتها البالغة» .

وكانت وسيطته فى تجاربه العلاجية زوجته أنا ويكلاند ، وله مرشدون من عالم الروح كانوا يتولون طرد الأرواح الماسة بوسائل غير مادية بعد مدد تتفاوت فى طولها ، فنجحوا فى شفاء حالات مرضية مستعصية كانت قد فشلت تماماً فى علاجها وسائل التحليل النفسى والصدمات الكهربائية

---

(١) Thirty Years Among the Dead.

وقد نقله إلى العربية فى سنة ١٩٥٨ صديقنا الدكتور على عبد الجليل راضى الأستاذ بكلية العلوم .

وغيرها من الوسائل القاصرة التى يملكها طب الأمراض العقلية والعصبية ، والتى يسلم بقصورها أى طبيب عقلى .

وقد أظهر فيه كيف أن تأثير الأرواح الضالة هو سبب بعض الحوادث الغامضة التى لا يمكن تفسيرها فى الحياة الأرضية وسبب جزء كبير من بؤس البؤساء ، وأن الحياة الطاهرة والنية السليمة أو الذكاء الشديد أمور لا تكفى للوقاية من المس الروحى ، وإنما المعرفة والاطلاع هما اللذان يحرسان . وتختلف الظروف الأرضية التى تسبب هذا التداخل فقد تكون من أثر حساسية طبيعية أو انهيار فى الجهاز العصبى أو من أثر صدمة مفاجئة . والاضطرابات الفيزيقية تقود للمس لأنه عندما تقل القوى الحيوية تكون المقاومة أقل ، وبذلك تصبح الأرواح المهاجمة أكثر تمكناً ، مع أنه فى غالب الأحيان لا يشعر كل من الكائن الحى ولا الروح بوجود الآخر معه »(١) .

وفى الباب الثالث وعنوانه « العقل اللاشعورى والإيحاء الذاتى فرضان خاطئان » يبين ويكلاند كيف أنه من المستحيل حدوث أى غش فى هذه التجارب ، لقد سمعت عدة لغات أجنبية غير معلومة بالمرة لمسز ويكلاند (الوسيطة) كما أنها استخدمت اصطلاحات لم تسمع بها قط من قبل ، فى حين أن شخصية الأرواح المهيمنة قد تحققت من صحتها مرات ومرات ، كما تم إجراء إثباتات لا عدد لها .

« لقد تناقشت مرة مع واحد وعشرين روحاً مختلفاً تكلموا خلال زوجتى ، وأعطانى معظمهم الدلائل الكافية على أنهم أصدقاء وأقارب كانوا معروفين لى عند ما كانوا على الأرض . وعلى وجه عام لقد تكلموا بست لغات مختلفة فى حين أن زوجتى تتكلم فقط الانجليزية والسويدية »(١) .

والكتاب حافل بالبينات المستمدة من اسم المريض أو المريضة واسم

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٠ .

الروح الماسة وظروف وفاة صاحبها، والتحقق أحياناً من دفاتر المستشفيات عن الاسم وظروف الوفاة، بما اتضح أنه مطابق للمعلومات التى تلقاها المؤلف من الأرواح المعالجة والمرشدة . وهى تجارب مطابقة لتجارب أخرى تمت فى بيئات مختلفة وأسفرت عن نفس هذه النتائج المتماثلة . ولنا عودة فى الباب المقبل إلى بعض البيئات العلاجية الأخرى .

وليام مكدوجال

ومن ساهموا بقسط وافر فى بحوث علم الروح الحديث وليام مكدوجال W. Macdougall (١٨٧١ — ١٩٣٨) الذى كان أستاذاً لعلم النفس بجامعة هارفارد، ثم أصبح عميداً لكلية علم النفس بجامعة ديوك، وهو صاحب شهرة عالمية فى علم النفس الحديث . وقد اتجه إلى بحث الظواهر الوساطية أولا فى « جمعية البحث الروحى البريطانية » S. P. R. التى أصبح فى سنة ١٩٢٠ — ١٩٢١ رئيساً لها، ثم رئيساً « لجمعية البحث الروحى الأمريكية » فى السنة التالية . كما كان عضواً فى اللجنة التى حققت وساطة مارجرى أو العجيبة الثامنة[1]. وقد أنشأ مكدوجال معامل للباراسيكولوجى داخل جامعة ديوك، وهى المعامل التى نمت مع الوقت وتولى إدارتها من بعده مديرها الحالى ج . ب راين Joseph Banks Rhine .

وقد نجح مكدوجال — كما نجح من بعده راين — فى زعزعة أسس علم النفس المادى، وتقويض كيانه، ثم جاء من بعدهما يونج أشهر علماء النفس الأحياء لينعى هذه الأسس إلى الأبد، كيما يحل محله علم الروح أو إن شئت علم النفس الروحى، القائم على أساس التسليم بعدم الارتباط المحتوم بين المخ والعقل وبصحة الظواهر الوساطية وبخلود الإنسان .

وقد وضح مكدوجال آراءه فى مؤلفاته التى منها « التحليل النفسى وعلم النفس الاجتماعى »[2] (١٩٣٧) وهو عبارة عن سلسلة محاضرات ألقاها

(١) راجع ماسبق عن هذه الوسيط ص ١٢٩ — ١٣٤ .

(٢) Psycho - Analysis And Social Psychology .

فى جامعة لندن فى سنة ١٩٣٥ . وقد هاجم فيه بوجه خاص الفهم القديم للعقل الباطن ولعقدة أوديب التى قال عنها « أعلم تمام العلم أن التخلى عن عقدة اوديب قد يتطلب جهداً جباراً من المؤمنين بفرويد ، بل إن ذلك قد يقارب الكفر بمعبود مقدس ، ولكنى أناشدهم باسم الإنسانية أن ينكروها وينبذوها نبذاً » .

وبشر مكدوجال فى مجلته « الباراسيكولوجى Para Psychology » بصدق الظواهر الروحية وطالب بالاستعاضة عن العقل الباطن وعقدة أوديب بالجسم الأثيرى أو الروحى[1] ، وحاضر منذ سنة ١٩٢٧ فى موضوع « البحث الروحى كدراسة جامعية » وأخذ على بعض علماء النفس موقفه من البحث الروحى قائلا « يبدو فى الوقت الحاضر أن العلم ينقسم على نفسه يوما بعد يوم حول مسألة صدق المادية . فالنقص فى المعلومات الأكيدة وتعدد الآراء فضيحة وهروب من ثقافتنا العلمية ، وخطر اجتماعى ساحق ، وهذا هو سبب وجيه كيما يتقدم رجل العلم المادى ليساهم فى البحوث الروحية » .

بحوث ج . ب . راين بجامعة ديوك

وتبحث الظواهر الوساطية بعناية خاصة فى العصر الحاضر فى جامعة ديوك Duke بكارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية بإشراف ج . ب راين J. B. Rhine أستاذ السيكولوجيا ومدير معامل الباراسيكولوجى بها — التى أنشأها مكدوجال . وراين يعد من أحسن العلماء الأحياء فيها ، إذ أمضى فى دراستها أكثر من ثلاثين عاماً ، وأصدر فيها عدة مؤلفات منها مؤلف عنوانه « عالم جديد للعقل » قال فى مقدمته :

« إن العالم الجديد الذى أريد أن أتكلم عنه ليس جديداً فى الواقع إلا لأبناء هذا العصر . فجميع هذه الظواهر التى تعد فى نظرنا خارقة للطبيعة كانت معروفة للإنسان منذ العصر البرونزى ، إذ ظلت أمراً مسلماً به حتى أوائل القرن الثامن عشر عند ما بدأ لفيف من المتعلمين يشك فى وجودها ويشكك . . »

---

(١) لنا عودة تفصيلية إلى « الجسم الأثيرى » فى أحد فصول الباب المقبل .

وقد ظل راين يجرى خلال خمس عشرة سنة تجارب متواصلة يبحث فيها عما إذا كانت توجد بالفعل أعمال من التلباثى والجلاء البصرى والتنبؤ بالمستقبل ، وقال عن نتيجة تجاربه « إننا لا نبحث كيف نبرهن على كل حالة على حدة ، بل عملنا مجرد بحث بحسب الطريقة العلمية مع استعمال الطرق السليمة ، ومقاييس كافية لإقناع الشخص المادى تماماً . ومن سنة إلى أخرى قمنا بتجارب عديدة بصبر وإيمان مع كثيرين من المشتغلين فى هذه المسائل ، وقد وجدنا أن التلباثى والجلاء البصرى هما عبارة عن المقدرة الحقيقية للعقل البشرى »[1] .

وقد زار راين انجلترا فى سنة ١٩٥٠ كيما يحاضر فى جامعاتها ، فألقى عدة محاضرات مبيناً كيف « أن مكان الإنسان فى الطبيعة لا يمكن أن يوجد البتة داخل حظيرة القوانين الفيزيقية . وأن وجهة النظر المادية عن الإنسان قد رفضت من الناحية التجريبية » . كما بين فى محاضرة له فى إذاعة لندن بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٩٥٠ كيف أن هناك عدة أحداث تثبت استمرار نشاط شخصية الإنسان بعد موته . وهذا النشاط لم تبحثه السيكولوجيا بعد بحثاً جدياً رغم النتائج التى وصلت إليها جمعيات البحوث الروحية . ثم روى وقائع محددة متعددة حققها بنفسه تثبت هذا الاستمرار ، وقد وصف بعضها بأنه « يصح أن يكون فعلا متعمداً من الشخص الميت » .

وهو يرى أن علمى السيكولوجيا والبيولوجيا يجب أن يعترفا بإمكان الحياة بعد الموت ، وينحى باللائمة على العلمين إهمالها هـذا الأمر ، ظناً منهما أنه لا يستحق عناء البحث والتمحيص ، قائلا « لو تتبعنا الأحداث الروحية التى حدثت فيما مضى لوجدنا عديداً من الأمور التى يجهلها هذان العلمان كل الجهل أو يرفضانها على اعتبار أنها خرافة . على أن التجريب فى ذاته ينبغى أن يدفعنا نحو السير فى بحث أى أمر حتى نهايته مهما كانت النتائج » .

---

(١) عن « كتاب اكتشاف عالم الروح » من تأليف جون بتلر ، وقد نقله الى العربية الأستاذان عبد السيد جرجس وبرسوم روفائيل .

وهو يرى أيضاً أن الطبيعة من ناحية الوقوف على الحقائق خير معلم وأفضل مرشد ، مهما كانت الآراء التي سبق اعتناقها وإذا كانت ثمت رتبة أخرى من الوجود الفيزيقي فإن هذه الرتبة تتألف من عالم يتحتم علينا كشفه ، لأن هذا العالم سيكون من الأهمية بمكان كبير ، بل إن كثيراً من القيم سيتأثر بغير ما ريب بكشف رتبة الوجود الجديدة تلك . وهو يرى أنه في البحث في الروح يمكن أن تلعب علوم العلاج النفسي والسيكولوجيا بوجه عام والطب والبيولوجيا والأنثروبولوجيا والفلسفة دوراً هاماً[١] .

وفي مؤلفه عن «الوصول إلى العقل»[٢] يقول راين : «علم النفس هو الميدان الذي تنتمي إليه هذه القضية ، فطبيعة العقل أو النفس هي بالتحديد مادة بحث السيكولوجيا . غير أنها فقدت اهتمامها منذ أمد طويل بالنفس ، وحتى كلمة العقل كما يستخدمها الإنسان العادي بمعنى يختلف عن معنى المخ لم تعد في وضع يؤدي المعنى المقصود منها . ولذلك أصبح الباحث في النفس لا يجد عنها شيئاً في مصادر السيكولوجيا الحديثة ولا في المحاضرات التي تلقى عنها . وربما وجد هناك القليل عن العقل كحقيقة مستقلة ، وبدلا من ذلك فهو يطالع الكثير عن السلوك وصلاته بمناطق المخ وخطوطه .

« أما العلاقة بين العقل والجسم فقد أضحت موضوعاً قديماً ، وكذلك الرأي الإثنيني (الذي مؤداه أن العقل غير المخ ويتحكم إلى درجة ما في نشاطه) فقد أصبح في السيكولوجيا الحديثة من النظريات البائدة ، ومن بين النفسيين قد غاب عن الأنظار أولئك الأوائل الذين دافعوا عن هذه

---

(١) راجع مجلة Psychic News عدد ٩٣٨ الصادر في ٢٧ من مايو سنة ١٩٥٠ تحت عنوان « الدكتور راين أستاذ السيكولوجيا بجامعة ديوك يتحدث في الراديو عن حقيقة الحياة بعد الموت » ص ١ وما بعدها .

(٢) The Reach Of The Mind

وله ترجمة عربية للدكتور محمد الحلوجي عنوانها « العقل وسطوته »

النظرية الإثلينية ، وهم وليم جيمس ووليم مكدوجال وهنرى برجسون ثم هانز دريش ، ولم يظهر خلفاء لهم يمكن أن يقارنوا بهم[1] » .

وقد أصبحت النظرية القائلة بوجود نفس للشخصية فى ذمة التاريخ النفسى « ومع ذلك فإن أغرب الأشياء أنه لا يوجد شخص واحد استطاع أن يبرهن على مادية العقل ولم تسجل قط نظرية مادية واحدة لحالة شعورية عقلية . وإنه لمن المدهش حقاً أن يقبل فرع من فروع العلم رأياً بغير دليل إيجابى بل حتى بغير فروض نظرية لتعليله . وإنما يمكن فقط أن يوصف هذا التقهقر بأنه نوع من الاعتقاد المجرد — كأنه من أعمال الإيمان - ومع ذلك أصبح هذا الاعتقاد مثالياً فى دوائر العلم ، تماماً كما كان الاعتقاد فى وجود النفس سائداً فى مدارس اللاهوت ! » .

كما يقول راين أيضاً عن نتائج بحوثه فى الإدراك عن غير طريق الحواس ، التى جرت على أشد المناهج الرياضية دقة وصرامة ودامت لمدى عشر سنوات متوالية « وهذه الفترة من العشر السنوات دفعتنا للأمام مرحلة طيبة فى البحث فى مشكلة الإنسان . ففى نهايتها علمنا أن العقل يمكن أن يحصل على نتائج يمكن الوثوق بها عن المادة بدون تدخل الحواس ، وأن الإدراك خارج الحواس للأشياء هو مظهر لهذا التفاعل والإدراك وهو يعنى نوعاً من العلاقة الوظيفية بين الشخص المدرك والشىء المدرك ، فإذا استطاع العقل أن يفعل ذلك وهو نفسه إلى حد ما غير مادى فإن وجهة النظر الروحية للإنسان تكون قد حصلت على سند قوى وكانت هذه المكتشفات هى بالضبط ما يحتاج لمعرفته والإلمام به أولئك الذين أزعجتهم الفكرة الآلية للإنسان . ودلت النتائج على أن الرأى القائل

---

(١) وهؤلاء الأربعة النفسيون الكبار لهم وثيق صلة ببحوث الروحية الحديثة ، وقد دافعوا كلهم عنها ، وعن دلالتها المحتومة على إمكان بقاء الحياة بعد موت الجسد على ما سيلى خلال صفحات هذا الكتاب بجزئيه .

بأن المخ هو المحور للإنسان هو تدليس علمي لم يكن له أساس حقيقي . . »[١]

ثم يقول راين عن نظرة بعض الناس إلى بحوث الباراسيكولوجي « فإن وجد من ينعت عالم الباراسيكولوجي بأنه مهفوف فهناك من ينعته بأنه رائد شجاع . ثم فوق ذلك فهناك الدافع القوى بأن الباحث يقوم برسالة لها أكبر الخطر بالنسبة للإنسانية ، وبأنه فى ميدان ما زال بكراً ، وبأنه عضو فى جماعة صغيرة من الباحثين ألهبها الشوق والاهتمام ببحثها . ثم إن فى هذا العمل مجلاة لملكات الإنسان ، لأن العمل من الجسامة بحيث يستغرق كل جهود الباحث .

وعلى ذلك فأنا لا أستطيع أن أشارك أحداً فى الخوف من ميدان عملت به وعشت فيه ناعماً بالسعادة لمدة تزيد على العشرين عاماً .... والأمور تسير مع علم الباراسيكولوجي بما يدعو للتفاؤل . وهناك علامات كثيرة مشجعة تدل على حدوث تغيير ، وبعضها محسوس جداً لدرجة كافية تدعو لذكره ... فقد انضم بعض العلماء الشبان فى علم النفس فى منطقة نيويورك إلى جمعية البحث الروحي الأمريكية A S.P.R فى جهودها ، وذلك لمصلحة الطرفين ، وكان ذلك تحت قيادة الدكتور جاردنر ميرفى Gardner Murphy

وفى انجلترا بدأت تتضح معالم خطة مشابهة ، فقد رصد مبلغ من المال لكلية ترنيتي Trinity بجامعة كامبردج وكان ذلك فى عام ١٩٤٠ للانفاق منه على أبحاث الباراسيكولوجي وبعض أساتذة كامبردج الذين لهم حق الإشراف على أبحاث هذه المنحة على علاقة رسمية « بجمعية البحث الروحي البريطانية » (لنا إليها عودة فى الفصل المقبل) ...

والأبحاث على المشكلات الباراسيكولوجية على قدم وساق فى عدة كليات

---

(١) المرجع السابق ص١٥ .

ومعامل جامعية هنا (فى أمريكا) وفى الخارج ، وكل ما هو مطلوب هو زيادة عدد هذه المراكز ، وتقديم عون أكبر لتلك التى بدأت ، وهذه الأبحاث تستغرق وقت الباحث بأكمله وتتطلب باحثين منقطعين قد أحسن تدريبهم.[١]

ثم يقول فى مكان آخر « وهناك عدة عمليات تلقائية (أتوماتيكية) يمكن الاستفادة منها : مثل الكتابة الأوتوماتيكية[٢] ، واستعمال لوحة ويجا[٣] أو العصا السحرية . وقد تم بعض الفحص الجدى لقيمة هذه الوسائل الأتوماتيكية فى الاستجابة ، ولكنى أعتقد أنه من المعقول القول بأن عالم الحركات الذاتية أو التلقائية — أوتومانزم — يصلح لدراسة تجريبية جامعة فى ضوء الطرق والمعايير الحديثة والعلم بالباراسيكولوجى .

ثم يقول راين أيضاً « وإثبات أن العقل يختلف عن المخ فى بعض النواحى الرئيسية مما يؤيد النظرية الروحية للإنسان ، وهذا يعنى أن العقل عامل قائم بنفسه فى الهيكل العام للشخصية . وعلى ذلك فإن عالم الفرد لا يتركز تماماً فى العمليات العضوية للمخ المكون من المادة . . . . والمشكلة هى ، هل هناك شىء خلاف المادة أى روحى فى طبيعة الإنسان ؟ » .

والجواب الذى تمليــــه الدراسة التجريبية هو بالإيجاب ، فلدينا الآن الدليل على أن هذا العامل الخارج عن المادة موجود فى الإنسان . ونظرية الروح كما حددناها قد تثبت بالمعنى الذى حددناه بها . . .

ثم يقول « وحتى الآن لم يبد أى تعارض بين المعنى السيكولوجى والمعنى

---

(١) المرجع السابق ص ٢٠٨ — ٢١١ .

(٢) الكتابة التلقائية هى بعض الأساليب التى يلجأ إليها فى التخاطب مع الأرواح ومعناها أن تستولى روح ما على ذراع الوسيط فتبدأ يده تتحرك بالكتابة السريعة .

(٣) لوحة ويجا Ouija هى سبورة صغيرة تستعمل لكتابة الأرواح عليها ، والعصا السحرية هى فرع من شجرة مخصوصة يستعملها بعض الناس فى تحديد أماكن وجود المياه الجوفية والمعادن .

الدينى للروح ، ولكن المعنيين يختلفان حينما نصل إلى المنطقة التى لم ينقب العلم فيها بأساليبه . ويجب أن نؤكد أنه بدون قيام هذه النظرية المحدودة عن الروح فسيكون من ضعف الجدوى أن نسير فى التنقيب عن المظاهر الأخرى لنظرية الروح كما تقدمها تعاليم الدين .

ولذلك فقد كانت الخطوة الأولى رغم — تواضعها — ضرورية ، وقد استطاعت أن تحسم إشكالا لم تستطع ملايين المناقشات أن تحسمه . وهذه البداءة تمثل انحسار المد الذى استمر ثلاثة قرون من تسلط النظرية المادية على العلم الخاص بطبيعة الإنسان . وسيكون لهذا أكبر مغزى ثورى ، ولو أن نتائجه ستكون بطيئة التحقيق — وهكذا الأيام لا تدور فجأة »[1] .

ثم يقول « وحتى البحث الجارى الآن فى الباراسيكولوجى يمس مسائل أخرى هامة فى الدين . فإذا كان عقل الإنسان شيئاً غير مادى فمن الممكن تكوين صورة عن نظام غير مادى أو عالم غير مادى يجمع كل تلك العقول فى عروة وثقى . وهذا يجرنا إلى صور من التأملات عن نوع من الروح الشاملة أو الجامعة أو المتسلسلة أو المكونة لعالم له نظامه وقوانينه وخواصه وإمكانياته . ويمكن أن يتصور المرء أن هذا الهيكل الكبير المتكامل تفرداً يسمو على طبيعة الأفراد المكونة له حتى ليسميه البعض لاهوتاً .

أما فى مشكلة الخلود فكثيراً ما يلتقى الدين والباراسيكولوجى . وهذا الموضوع قديم نسبياً بالنسبة لبقية الأشياء ، وذلك فى علم الباراسيكولوجى الحديث . فمنذ البداءة حاولت جمعيات البحوث الروحية أن تعالج هـــذه المشكلة ، وهى بقاء الإنسان بعد موته الجسدى وبهذا نجد حلا للمشكلة . وكانت جهودهم مركزة بصفة خاصة على تحليل الرسائل الواردة عن طريق الوسطاء الروحيين ، والمقول إنها آتية من الأرواح . وفى خلال خمس

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

وسبعين عاماً من دراسة الوسطاء اقتنع قليل من العلماء العالميين وعدد كبير ممن يقلون عنهم فى المرتبة بأن الرسائل — أو على الأقل بعضها — تعطى بكل تأكيد دليلا على استمرار البقاء لشخصيات ماتت ولأرواح بدون أجساد .... »[1] .

وهذا هو نفس الاقتناع الذى وصل إليه راين — نفسه — كاملا فيما بعد عندما أخذ يحاضر ، منذ سنة ١٩٥٠ ، أى بعد صدور مؤلفه هذا ، عن هذا الاقتناع ويبين أسانيده التجريبية على ما بيناه آنفاً ، ودفعه إلى السفر إلى انجلترا لإلقاء عدة محاضرات فيه فى جامعاتها ، وفى الإذاعة عندما دعى للحديث فى هذا الأمر البالغ أعلى مراتب الخطورة للإنسان فى حاضره وفى مستقبله .

فلو فرضنا جدلاً أن علم الروح الحديث لم يكن يملك من أدلة على صحته إلا بحوث جامعة ديوك — وحدها — والتى احتاجت إلى جهود شاقة دامت لمدى عشرات من السنين ، وساهم فيها عدد كبير من أحسن علماء النفس والرياضة ، مستخدمين أضخم معامل الباراسيكولوجى لتحقيق الظواهر الوساطية وأحدث المعدات ، وغير مرتبطين مقدماً بأى رأى خاصة فى صحة هذا الموضوع أو بطلانه ، ومتبعين أشد الأساليب العلمية دقة وأكثرها تحفظاً ، أما كان يكفى ذلك وحده كيما يتحفظ بعض السادة من المعارضين فى معارضته ويخفف من حدة هجومه ، ويناقش فى هدوء نتائج هذه البحوث الإيجابية قبل الكلام المرتجل بثقة مطلقة ويقين تام أن الحق فى جانبه ؟ .

فى الباراسيكولوجى بوجه عام

وهذه الاتجاهات الحديثة ليست مؤسسة على الآراء النظرية كما أشرت إلى ذلك مراراً ، بل على بحوث معملية صرفة تجرى فى البلاد الأنجلوسكسونية تحت وصف « الباراسيكولوجى » — أى ماوراء النفس — ، كما تجرى فى ألمانيا

---

(١) المرجع السابق ص ٢٤٤ .

تحت نفس هذا الوصف حين تجرى فى فرنسا والبلاد اللاتينية تحت وصف La Métapsychique — أى ماوراء الروح — وكلا الوصفين يشيران إلى موضوع واحد وهو دراسة الظواهر الوساطية برمتها دون التقيد مقدماً بمصدرها من عالم آخر ، ولكن بغير إنكار لهذا المصدر .

وقد أثبتت هذه البحوث بمالا يدع مجالا لأية مكابرة الآن إمكان استقلال الوعى الإنسانى عن الجسد المادى ، فى شتى صور الإدراك التى تصل إلينا عن طريق حواسنا الخمسة ، وبالتالى إمكان استقلال الشعور عن الحواس المادية ، والتفكير عن المخ . أو بعبارة أخرى ثبت انتفاء الارتباط المحتوم بين الأمرين بغير إنكار فى نفس الوقت للروابط الوثيقة بينهما ، فالعقل قد يعد مصدرا للمخ ، أو هو بالفعل مصدره ، ولكن لا يصح القول بأن المخ مصدر للعقل .

فإذا صح تشبيه العقل بزهرة فإن المخ ينبغى أن يعد ظلاً لها ، فإذا ماتلاشت الزهرة تلاشى ظلها حتماً ، أما إذا تلاشى الظل فإن ذلك لا يعنى بالضرورة تلاشى الزهرة ، إذ أن ظل الزهرة يمكن أن يتغير شكله ، أو أن يغير مكانه أو أن يضعف أو أن يقوى أو أن يتلاشى لأسباب مستقلة عن الزهرة ذاتها . وهذا النظر هو حجر الزاوية فى القول ببقاء الوعى حتى بعد انفصاله بالموت عن الجسد المادى ، وهو جوهر العلم الروحى الحديث وخلاصة ما يستند إليه من حقيقة علمية .

وقد أوضح هذه الصلة بين انتفاء الارتباط المحتوم بين الوعى والجسد وبين دوام الحياة بعد موت الجسد المادى — أفضل توضيح — الفيلسوف هنرى برجسون H. Bergson فى محاضرة ألقاها بباريس فى الثالث والعشرين من أبريل سنة ١٩١٣ عنوانها « الروح والجسد » قائلا :

« إذا كانت الحياة النفسية ، كما حاولنا أن نبرهن على ذلك ، تضفو على

الحياة الدماغية . وكان الدماغ لا يزيد على أن يعبر بحركات عن جزء صغير مما يجرى فى الشعور فإن البقاء يصبح عندئذ معقولا جداً ، بحيث يقع واجب البرهان بعدئذ على عاتق من ينكر لا على عاتق من يدعى ، لأن الباعث الوحيد الذى يدعو إلى الاعتقاد بفناء الشعور بعد الموت هو رؤية الجسم يفنى ولا يكون لهذا الباعث قيمة إذا كان استقلال جل الشعور إن لم يكن كله عن الجسم ظاهرة مرئية هى الأخرى . . . » .

ثم يقول عن معالجة مسألة البقاء بعد الموت عن طريق الملاحظة إنها تؤدى إلى نتائج تقريبية فحسب إلا أنها قابلة لأن تصحح وتكمل باستمرار ، فهى لا تهدف فى أول الأمر إلى غير الاحتمال ، ولكنها إذ تسير فى طريق يزداد فيه الاحتمال باستمرار تفضى بنا شيئاً فشيئاً إلى حالة تكاد تعدل اليقين . . . . ثم يقول إنه «بين هذه الطريقة وطريقة التفكير المحض الذى يرمى إلى نتيجة نهائية قد تم اختياره للطريقة الأولى دون غيرها ، ولكم يسعدنى أن أوفق إلى المساهمة ولو قليلا فى توجيه اختياركم »[1] .

لذلك كانت جميع البحوث التى تدور حول إثبات إمكان استقلال الوعى — أحياناً — عن الجسد المادى ، والتى بدأت باكتشاف التنويم المغناطيسى ، تخدم بطريق مباشر موضوع الحياة بعد الموت كحقيقة علمية ، وتكمل دور الظواهر الوساطية فى هذا الشأن . فعلم الباراسيكولوجى وعلم الروح يعتبران من هذه الناحية فرعين متكاملين لموضوع أساسه ثبوت إمكان استقلال الوعى ولو فى بعض جوانبه عن الحواس المادية ، وهو ما يقتضى بالضرورة القول بعدم فنائه حتما بفناء الجسد ، على ما لاحظه برجسون الذى سلم مراراً بوجود روح للإنسان مستقلة عن الجسد المادى[2] .

* * *

(١) «الطاقة الروحية» لبرجسون L'Ernergie Spirituelle ترجمة الأستاذ سامى الدروبى الطبعة الأولى ص ٥٠ ، ٥١ . وراجع «المذهب فى فلسفة برجسون» للدكتور مراد وهبة القاهرة ١٩٦٠ ص ١٣٢ .

(٢) ولنا عودة إلى بعض آرائه فى هذا الشأن فى الجزء الثانى .

ويبرز عمق الصلة بين علم الروح الحديث وبين الباراسيكولوجى كعلمين متكاملين أن مؤتمر الباراسيكولوجى الذى عقد فى المدة من ٢٥ يولية إلى ١٢ أغسطس سنة ١٩٥٣ بمدينة اوترخت بهولندا قام بتوزيع أعماله على ثلاث شعب على النحو الآتى : —

الشعبة الأولى : للباراسيكولوجيا التجريبية ، وتختص ببحث أحدث التجارب الروحية والإحصائيات ومعدات التجريب.

والشعبة الثانية : للباراسيكولوجيا العامة ، وفيها تناقش نظريات الباراسيكولوجيا والتحليل النفسى وطرق البحث فى الظواهر التلقائية Spontaneous Phenomena ، وهى تلك التى يطلق عليها أيضاً وصف الظواهر الوساطية .

والشعبة الثالثة : تعالج المشاكل التنظيمية كالفهارس الخاصة بالباراسيكولوجيا، وتأليف موسوعة للبحوث الروحية، وإنشاء جمعية دولية للبحث الروحى التجريبى .

وقد اشترك فى هذا المؤتمر الدولى حوالى أربعين من أساتذة الجامعات منهم ج . ب راين الذى تحدثنا عنه آنفاً عن الولايات المتحدة الأمريكية ، و س . ج صول S. G. Soal عن انجلترا ، وهانز بندر Hans Bender عن ألمانيا . . . فما رأى السادة المتذرعين بالباراسيكولوجى والذين يتصورون فيها شيئاً مغايراً للعلم الروحى التجريبى ؟

اتساع نطاق الحركة الروحية في أمريكا

بحسب إحصاء أجرى قبل سنة ١٩٤٨ اتضح أنه كان يوجد بالولايات المتحدة أكثر من تسعمائة هيئة وجمعية تبحث أمور العلم الروحى الحديث ، وحوالى ثلاثمائة خطيب فيها وأكثر من ألف وسيط روحى عدا وسطاء الدوائر المنزلية الذين لا يظهرون فى الجلسات العامة .

واتضح أن هذه الجمعيات والهيئات الروحية تضم حوالى ستين ألفاً من الأعضاء ومائة وخمسة وعشرين ألفاً من المهتمين بهذه الأمور ومن المتصلين بها بطريقة أو بأخرى . أما عدد المقتنعين بها عن تجارب شخصية أو عن اطلاع فيمثلون ثلاثة أفراد من كل أربعة أو من كل خمسة من أفراد الشعب الأمريكى بحسب الإحصاء الذى قامت به إحدى الهيئات هناك

ومن أهم المنظمات « الجمعيـــة الروحية الوطنية لأمريكا » . وقد أسستها روح ، هى روح مستر جون . ب . ولف John B. Wolff الذى كان فى حياته الأرضية مهتماً بالحركة الروحية ، ثم تجسد بعد انتقاله عدة مرات فى واشنجطون فى سنتى ١٨٩٢ ، ١٨٩٣ عن طريق وسيطة التجسد هـ . ف . روس H V. Ross ، وطلب فى تجسداته إنشاء هذه الجمعية ، التى أصبحت مع الوقت من أقوى الجمعيات الروحية . وتوالت عليها الهبات والتبرعات لنشر المعرفة الروحية ، وتقوم الجمعية بذلك على أوسع نطاق عن طريق الرحلات والمحاضرات ونشر المؤلفات .

ولا شبهة فى أن الحركة الروحية تقدمت كثيراً فى أمريكا منذ سنة ١٩٤٨ حتى الآن ، وإن كانت تعوزنى الإحصاءات الجديدة ، لكن حركة البحث والتأليف فى نشاط مستمر هناك .

* * *

ومن أهم الهيئات العلمية القائمة على البحوث الروحية هناك « المعهد الروحى الأمريكى ومعمله »[١] الذى أسسه فى سنة ١٩٢٠ الدكتور هيروارد كارنجتون[٢]، وأعيد تنظيمه فى سنة ١٩٣٣ . وله مجلس استشارى Advisory Council مكون من عدد من الشخصيات العلمية ذات السمعة

(١) American Psychical Institute And Laboratory .
وعنوانه كالآتى :— 20 W 58th Street, New York.

(٢) راجع عنه ماسبق فى ص ١٦٥ — ١٦٨ .

العالمية فى شتى نواحى العلوم ، ويصدر نشرات دورية Bulletins بأعماله .

ومنها « المعهد الأمريكى للبحث العلمى »[١] الذى أسسه الأستاذ هايسلوب فى سنة ١٩٠٦ بمدينة نيويورك وهو مكون من قسمين (ا) و(ب) وقد تحول القسم الأخير إلى « جمعيـة البحث الروحى الأمريكية » A. S. P. R.[٣] ، وهى قائمة حتى الآن وتصـدر بانتظام مضابط وجريدة[٤] .

الحركة فى البلاد الأمريكية الأخرى

وليست الحركة الروحية مقصـورة على الولايات المتحـدة ، بل لقد انتشرت انتشاراً قوياً فى كندا حيث توجد جمعية للبحث الروحى S. P. R. منظمة على نمط الجمعية التى تحمل نفس الاسم فى الولايات المتحدة وفى انجلترا ، وتضم عدداً من العلماء الكنديين . وذلك بالإضافة إلى البحوث الفردية التى يقوم بها عدد منهم فى منازلهم أو فى معاملهم الخاصة وتتضمن المراجع المختلفة إشارات شتى إليها .

ومن البحاث المعروفين هناك الدكتور جلين هاملتون Glen Hamilton الذى كان طبيباً بمدينة وينيبج Winnipeg حيث كان رئيساً « لجمعية البحث الروحى » لمدة خمس عشرة سنة وباشر تجاربه فى الجمعية ، وكذلك فى معمله الخاص ، فى ظروف علمية دقيقة ، وفى حضور عدد من الشخصيات البارزة

---

(١) American Institute For Scientific Research .

(٢) راجع ماسبق عنه فى ص ١٦٣ .

(٣) American Society For Psychical Research .

(٤) Proceedings and Journal of the A. S. P. R.

وعنوانها كالآتى : —

15 , Lexington Avenue . New York .

فى كندا وفى الولايات المتحدة .

وكانت دائرته النظامية مكونة من زوجته ومن أربعة أطباء ومحام ومهندس مدنى وآخر كهربائى. وقصر بحوثه على الوسطاء الهواة غير المحترفين مثل اليزابث .Elizabeth M ومارى وميرسيدس Mercedes ، وسجل أغلب ظواهره بالصور بواسطة مجموعة من الكاميرات مثبتة فى معمله ،وكان بعض هذه الصور مجسماً Stereoscopic وتبين منها ثبوت ظواهر شتى لرفع المناضد وتحريك الأجسام الصلبة ،ولأشكال تلبلازمية ولأيد ولوجوه ولرؤوس متجسدة .

ودرس جلين هاملتون بوجه خاص ظواهر الصوت المباشر والأضواء العجيبة التى قد تنبعث فى الجلسات الروحية من مصادر غير معروفة . وكانت تهيمن على جلساته أرواح عدد من أصحاب الأسماء الكبيرة من المنتقلين قديماً وحديثاً مثل سير وليام ستيد وسير آرثر كونان دويل وكامى فلاماريون ومنهم أيضا ستيفنسون مكتشف قوة البخار. والرحالة المعروف دافيد ليفنيجستون الذى اكتشف منابع النيل وغيرهم. وبحوث هاملتون تقع فى الصف الأول من البحوث العلمية الجادة [١].

فى بلاد أمريكا اللاتينية

وقد ازدهرت الحركة الروحية أيضاً ازدهاراً قوياً وتعددت الأكاديميات وكراسى الأستاذية فى شتى الجامعات فى بلاد أمريكا اللاتينية وكذلك جهات البحث العلمى ، كما تعددت الجمعيات والدوائر العامة والمنزلية وخصوصاً فى البرازيل .

وتصدر فى أمريكا اللاتينية وحدها أكثر من ستين جريدة ومجلة معنية بالشئون الروحية، وظهر فيها وسطاء ذوو شهرة عالمية مثل كارلو ميرابللى الذى تحدثنا عنه فيما سبق [٢] . ولما كانت هذه البلاد تنطق بلغات لا نعرفها لذلك نكتفى بهذه الإشارة العابرة كيما ننتقل إلى بيان «بعض الأسماء والمراجع» فى انجلترا .

(١) راجع ماسبق فى ص ١٢٢ موضحاً بالصور . (٢) راجع عنه ما سبق فى ص ١١٣ .

الفصل الثانى

بعض الأسماء والمراجع فى انجلترا

الجمعية الجدلية تبحث الموضوع

شاعت الجلسات العائلية فى انجلترا بعد أن عرفت فى أمريكا مباشرة فتقدمت عدة طلبات إلى الجمعية الجدلية بلندن London Dialectical Society وكانت تضم صفوة من علماء المادة والسيكولوجيا — ممن سترد أسماء بعضهم فيما بعد — لبحث هذه « البدعة التى لا تستند إلى أى أساس علمى » فكان أن شكلت الجمعية فى سنة ١٨٦٩ لجنة من أربعة وثلاثين عضواً كانت مهمتها حسبما ورد فى قرار تشكيلها « القضاء نهائياً على هذه الظواهر الروحية التى هى من عمل الخيال » . واستمرت اللجنة توالى جلساتها بغير توقف لبحث هذا الموضوع لمدة ثمانية عشر شهراً . وإذا بها فى النهاية تضع تقريراً فى سنة ١٨٧١ تسلم فيه بصحة هذه الظواهر تسليماً تاماً ، وهو يعد وثيقة خطيرة لمصلحة العلم الروحى .

وكان من ضمن أعضاء هذه اللجنة مع آخرين :

— سير جون لابوك John Lubbock عضو الجمعية الملكية .

— سير ألفريد راسل والاس A. Russel Wllace عالم البيولوجيا المعروف .

— دى مورجان De Morgan رئيس الجمعية الرياضية بلندن

— سير وليام كروكس W. Grookes عضو الجمعية الملكية ، والعالم المعروف فى الفيزياء والكيمياء .

— شارلس برادلاف Charles Bradlaugh عالم العلوم العقلية .

ومن الغريب أن علماء كباراً آخرين قد دعوا للمشاركة في بحوثها مثل توماس هاكسلي Huxley (١٨٢٥ - ١٨٩٥) وج . ه . لويز G, H. Lewes فرفضا . ورد هاكسلي قائلا « حتى إذا افترضنا أن هذه الظواهر صحيحة فإنها مع ذلك لا تعنيني » مما يعبر عن الطريقة التي كان بعض العلماء ينظر بها إلى هذه الأمور في بدايتها وبغير أي بحث فيها .

وقد قسمت اللجنة العامة نفسها إلى ست لجان فرعية واجتمعت حوالى أربعين اجتماعاً للبحث والتجريب ، غير اجتماعاتها لتنظيم العمل وتوزيعه ، وفي النهاية وضعت تقريراً إيجابياً سجلت فيه :

١ - سماع أصوات متنوعة تبدو كما لو كانت صادرة من مفروشات الغرف وجدرانها وأرضياتها .

٢ - تحرك أجسام صلبة ثقيلة بدون تداخل من أي إنسان .

٣ - أن هذه الأصوات والتحركات كانت تحدث بناء على طلب الحاضرين .

٤ - صدور ردود عاقلة على أسئلة متضمنة بيانات صحيحة لبعض الحاضرين لا يعرفها إلا أصحابها .

٥ - أن حضور أشخاص معينين في الاجتماع كان لازماً لحدوث هذه الظواهر .

٦ - أن حدوث هذه الظواهر لم يكن مضموناً في بعض الأحيان رغم حضور هؤلاء الأشخاص .

وقد تحاشى بعض اللجان أن يستخدم الوسطاء المشتغلين بهذا العمل في الخارج أو أولئك الذين يأخذون أجراً عن عملهم هذا «فكان وسيطنا الوحيد هو أحد أعضاء اللجنة ، وهو شخص جليل الاعتبار في الهيئة الاجتماعية وحاصل على صفة النزاهة التامة وليس له غرض مالي يرمى إليه ولا أية

مصلحة فى غش اللجنة . وكل تجربة من التجارب التى عملناها بما أمكن لجموع عقولنا أن تتخيله عملت بصبر وثبات . وقد تمت هذه التجارب فى أحوال كثيرة الاختلاف ، واستخدمنا لها كل المهارة الممكنة لأجل ابتكار وسائل تسمح لنا بتحقيق مشاهداتنا وإبعاد كل احتمال لغش أو توهم .

« وقد بدأ نحو أربعة أخماس اللجنة التجارب وهم فى أشد درجات الإنكار لصحة هذه الظواهر ، وكانوا مقتنعين أشد اقتناع بأنها نتيجة التدليس أو الوهم ، أو أنها حادثة بحركة غير إرادية للعضلات . ولم يتنازل هؤلاء الأعضاء المنكرون أشد الإنكار عن فروضهم إلا بعد ظهورها بوضوح لا يمكن مقاومته ، وفى شروط تنفى كل فرض من الفروض السابقة . وبعد تجارب وامتحانات مدققة ومكررة اقتنعوا مضطرين بأن هذه المشاهدات التى حدثت فى خلال هذا البحث الطويل هى مشاهدات حقة لا غبار عليها ... » على ماورد فى تقرير اللجنة . وقد ورد فى هذا التقرير أيضاً ما يلى :

١ — أن ثلاثة عشر عضواً من أعضاء اللجنة يشهدون بأنهم شاهدوا أجساماً صلبة ترتفع تدريجياً فى الهواء وتظل معلقة لفترة من الوقت بغير وسيلة مادية منظورة .

٢ — أن أربعة عشر عضواً يشهدون بأنهم شاهدوا أيدى ووجوهاً لا تمت إلى أى كائن أرضى تبدو فيها الحيوية فى مظهرها وتحركها ، وأنهم أحياناً قد لمسوها أو ضغطوا عليها بشدة ولذا فقد اقتنعوا بأنها ليست نتيجة تدليس أو وهم[١] .

٣ — أن خمسة شهود يشهدون بأن كائنات غير منظورة قد لمستهم فى أجزاء مختلفة من أجسامهم ، وغالباً بناء على طلبهم عندما كانت أيدى جميع الموجودين فى الغرفة ظاهرة .

(١) راجع ماورد عن تجسدات الأيدى فيما سبق ص ١٣٤ — ١٤٠ .

٤ — أن ثلاثة عشر شاهداً يقرون أنهم استمعوا إلى قطع موسيقية جيدة العزف على آلات موسيقية لم تتداولها أيدى كائنات مادية .

٥ — أن خمسة شهود يشهدون أنهم شاهدوا قطع فحم تبدو كما لو كانت حمراء مشتعلة توضع فوق أيديهم أو رؤوسهم ، دون أن تحدث ألماً أو احتراقاً .

٦ — أن ثمانية شهود يشهدون أنهم تلقوا معلومات دقيقة خلال طرقات أو كتابات أو بوسائل أخرى لا يعلم أحد من الموجودين شيئاً عنها .

٧ — ويشهد أحد الشهود أنه تلقى تقريراً دقيقاً ومفصلا لكنه تبين له أنه خاطىء برمته .

٨ — أن ثلاثة شهود يقرون أنهم شاهدوا حدوث رسومات بالقلم الرصاص وبالألوان بسرعة شديدة ، وتحت رقابة تجعل إحداثها مستحيلا بمعرفة أى إنسان .

٩ — أن ستة شهود يشهدون أنهم تلقوا نبوءات عن حوادث مستقبلة كان وقت حدوث بعضها محدداً بدقة قبل حدوثها بأيام أو بأسابيع سابقة .

وبالإضافة إلى ذلك قدم التقرير بيانات أخرى عن تفوهات غيبوبة ، وعلاج روحى ، وكتابة آلية ، وإدخال زهور وفواكه فى غرف مغلقة ، وأصوات فى الهواء ، ومشاهدة بللورات مجهولة المصدر وزجاج ...

واختتمت اللجنة العامة تقريرها — الذى جاوز خمسمائة صفحة — بما يفيد أنه بالنظر إلى أنها تدخل فى الاعتبار الخلق العالى والذكاء الكبير الذى يتصف به شهود هذه الظواهر (من أعضاء اللجان الفرعية) وانتفاء كل دليل على حدوث وهم أو تدليس فى هذه الظواهر ذات الصفة الاستثنائية

فإن العدد الأكبر من كافة الطبقات الاجتماعية في جميع أنحاء العالم المتمدين سيتأثر بها بدرجات متفاوتة من ناحية الاعتقاد بمصدرها فوق الطبيعي snpernatural origin . وأنه بالنظر إلى أنها لم تصل إلى أى تعليل فلسفى لها .. فإنها تقرر اقتناعها بأن الموضوع جدير بالمزيد من الالتفات الجدى والتحرى الحذر بما يتجاوز ما تلقاه حتى هذا التاريخ .

* * *

هذا ملخص سريع لهذه الوثيقة الهامة فى تاريخ الروحية التى أذيع أمرها فى العالم منذ سنة ١٨٧١ وطبعت وترجمت إلى أغلب اللغات الحية ـ عدا العربية للأسف الشديد ـ فهزت فى أواخر القرن الماضى أركان البيئات العلمية، بالنظر إلى خطورة البيانات التى تتضمنها وإلى ضخامة أسماء بعض الموقعين عليها ، وقد بلغوا أربعة وثلاثين عالماً من أفضل علماء بلادهم فى ذلك التاريخ .

وقد علق سير آرثر كونان دويل على هذا التقرير الهام فى مؤلفه « الوحى الجديد »[1] الصادر فى سنة ١٩١٨ ، والذى أعلن فيه أن تجارب ثلاثين عاماً واصلها بنفسه فى هذا الموضوع كانت كافية لبناء اقتناعه الخاص بصحته، قائلا فى الفصل الأول: « ولقد تأثرت أيضاً بتقرير الجمعية الجدلية. فإنه من الأعمال التى تفضى قراءتها إلى الاقتناع . وهو وإن كان قد قوبل من الصحفيين الجهلاء وماديى العصر بالسخرية ، إلا أنه فى الواقع ذو قيمة جليلة . فلقد تألفت هذه اللجنة من جماعة من الرجال الممتازين المعروفين بالنزاهة ، وقد رغبوا فى تحقيق هذه الظواهر الروحية الخارجية ، فجاء تقريرهم مفصلا تجاربهم مع التحوطات التى اتخذوها ضد التدليس .

فبعد أن يقرأ الإنسان البراهين المجموعة فى ذلك التقرير لا يستطيع

---

(١) وله ترجمة فرنسية بمعرفة A. Tougarde De Boismilon عنوانها : LaNouvelle Revelation

أن يدرك كيف كان يصل هؤلاء المجربون إلى غير النتائج التى أعلنوها ، وهى أن هذه الظواهر حقيقية بلا أدنى ريب ، وتدل على وجود نواميس وقوى لا تزال مجهولة من العلم . والأغرب مما تقدم أنه لو جاء قرار هذه الجمعية ضد الحركة الروحية لطعنها طعنة قاتلة ، وما كان يقابل بالاستهزاء الذى قوبل به عندما ضمّن صحتها . . . . »

ثم يضيف فى الفصل الرابع قائلا « إن هذا الموضوع كما برهنت عليه يجدر أن يعتبر بحثاً لعلم كان قد اندثر لا استكشافاً جديداً . وإننا لسنا فى عهد يصح أن تهدر فيه الآراء الناضجة المتروى فيها لأمثال كروكس ووالاس وفلاماريون وشارل ريشيه ولودج وباريت ولومبروزو والجنرالين دريزون Drayson وتيرنر Turner والسرجنت بالانتاين Ballantyne وستيد والقاضى إدموندز والأميرال اسبورن مور Usbsorne Moore والمرحوم الأرشيدياكون ويلبرفورس Wilberforce وجم غفير من شهود آخرين . قلت لسنا فى عهد يصح أن توصف فيه أراء هؤلاء بأنها من الخلط أو اللغو الممل . وقد اتفقنا أنا والمستر آرثرهيل Arthur Hill على القول بأننا وصلنا من هذا العلم إلى الغاية التى تعتبر معها كل شهادة جديدة زائدة عن الحاجة ويقع عبء كل إنكار على المنكرين أنفسهم . . . .

ثم يقول فى مكان لاحق « إن زمن البحث والتنقيب قد مضى وحان وقت العمل منذ وقت بعيد . إن الأدلة التى يستند إليها هذا العلم من الكثرة بحيث تملأ مكتبة بأكملها . والشهود الذين دعموه لا يعيشون فى غيابات الظلام ، ولا هم فى ماض بعيد لا يقبل التمحيص ، ولكنهم معاصرون لنا ومن أصحاب المدارك والصفات المجمع على احترامها .

« أما النظرية التى مؤداها أن الروحية لا تعدو التدليس والإفك فلا تثبت أمام الوضوح والعيان . فإما أن يكون هذا الأمر من الجنون البحت ، وإما أن يكون انقلاباً يجعلنا نقابل الموت وجهاً لوجه بلا وجل ، وبتعزية لا حد

لها باقتناعنا بأن الذين نحبهم لم يتلاشوا بالموت ، ولكنهم انتقلوا إلى عالم وراء حجاب ... »(١) .

* * *

كما علق المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى على نفس التقرير قائلا :

« هل هذا الرأى العلمى الناضج الذى هو نتيجة تجارب ثلاثين من أكبر علماء الأرض فى مدى ثمانية عشر شهراً بغير وسيط مأجور ، ولا تأثير من أى نوع كان ، يتأتى دحضه بكتابة مقالة يكتبها رجل مهما كانت منزلته لم يكلف نفسه تجربة هذه المسائل والتورط فى مآزقها ؟ » .

إذا جوز العقل أن ينخدع بحيل المدلسين عالم أو عالمان أو عشرون عالماً درسوا هذه المسألة على انفراد ، فهل يجوز أن ينخدع بها مئات منهم فحصوها فى كل بلد ، وأن تنخدع كذلك ألوف مؤلفة من أطباء ومهندسين وأصوليين وماليين وصحفيين ومؤلفين ، ممن خبروا أحابيل الخلق وعرفوا دخائلهم فى مدى ثمانين سنة (الآن حوالى مائة وعشرين سنة) وفى كل صقع من أصقاع الأرض ؟

وهل يعقل أن ينخدع بها ثلاثون عالماً من أكابر علماء الإنجليز ندبوا خصيصاً لفحصها وهم فى أشد درجات الإنكار لها ، فبحثوها بغير وسيط مأجور فى مدى ثمانية عشر شهراً ، واتخذوا لتمحيصها ما أمكن لعقولهم الراقية من الوسائل والتدابير ؟

ماذا يريد الناس أكثر من هذا الضمان على صحة مشاهدة من المشاهدات؟ إن هذه الخوارق الروحية هى المسألة الوحيدة التى لا يقبل أن يأخذ بها آخذ إلا بعد أن يراها بعينى رأسه ، ولو رآها الناس أجمعون إلا واحداً

---

(١) راجع أيضاً ص ٣٧ ، ١٣٩،١٣٥ من الترجمة الفرنسية .

منهم لظل ذلك الواحد منكراً لها حتى يراها . وهذا التنويم المغناطيسى الذى كافح العلماء الجامدين مائة سنة ثم تغلب عليهم وصار يدرس اليوم فى جامعات الطب الكبرى ، لا يزال فى النـــاس من ينكره ولا يأبه به ، فما قولك فى الخوارق الروحية التى لا تعد عجائب التنويم المغناطيسى بجانبها شيئاً يذكر ؟! ...

ألا إن هذا الجمود العلمى الذى يعتبره البعض من قوة العقل ومن الألمعية هو شر ما منى به هذا الإنسان المسكين ، ولا ندرى متى يخلص من كابوسه ليسرع فى ترقيه إلى الغايات البعيدة التى أعد لبلوغها مدفوعاً بالقوى العلوية التى متع بها دون غيره من الكائنات الحية . نحن نكره بل نرى من الشؤم عليه أن يجرى وراء كل ناعق بخرافة ، ولسنا نربأ به أن ينكر ما يؤتى به حاصلا على كل الضمانات العلمية ، مما بحث على أدق الأساليب التجريبية وسريت عليه أشد الأصول التمحيصية »[1] .

جمعية البحث الروحى البريطانية S.P.R.

كان لنشر تقرير الجمعية الجدلية دوى ضخم فى الأوساط العلمية — لأنه لم يكن متوقعاً من جمعية مكونة من صفوة من علماء فى فروع شتى من العلوم — لذا علت الأصوات فى بريطانيا للمطالبة بإنشاء هيئة دائمة منظمة تتولى بحث موضوع الأرواح هذا على مستوى الأكاديميات الكبرى . وظلت الصيحات تتوالى منذ سنة ١٨٧١ إلى أن أثمرت فى سنة ١٨٨٢ عن إنشاء هـــذه الأكاديمية الدائمة تحت اسم جمعية البحث الروحى Society For Psychical Research التى انتظمت مجموعة من أفضل العلماء منهم: وليام باريت وجورج ج. رومانس وفردريك مايرز وإدموند جيرنى ووليام كروكس وألفرد رسل والاس وأوليفر لودج وهنرى سدجويك

(١) « على أطلال المذهب المادى » : الجزء الثانى ص ٢٤ ، ٢٥ .

وميرس ورتشاردهدجسون وأوسكار برونيج، وكلهم من أعضاء الجمعية الملكية (المجمع العلمى) أو أساتذة فى الجامعات البريطانية. ومنهم أيضاً تشارلس أوليوت نورتون الأستاذ بجامعة هارفارد بأمريكا ووليام جيمس الفيلسوف الأمريكى وأستاذ علم النفس الذى أصبح مديراً لنفس الجامعة، ووليام ر. ليوبولد أستاذ علم النفس بجامعة بنسلفانيا بأمريكا، وجيمس هايسلوب أستاذ العلوم العقلية بجامعة كولومبيا، والعالم الفرنسى كامى فلاماريون الفلكى المعروف، وشارل ريشيه الفزيولوجى الكبير وعضو المجمع العلمى والأستاذ بكلية الطب بباريس. وكان رئيس هذه الجمعية عند تشكيلها هو الأستاذ سيدجويك (١٨٣٨ — ١٩٠٠)، ووكيلاها الأستاذان آرثر بلفور وج. ب لنجلى.

وقد حدد قرار تشكيلها اختصاصاتها كالآتى:

« دراسة طبيعة أى تأثير قد يباشره عقل فى آخر خارج أعضاء الحس العادية ومداه، والتنويم المغناطيسى، والمسمرية Mesmerism، والجلاء البصرى وما يلحق به من ظواهر، وتحقيق كشوف ريخنباخ Reichenbach عما يسمى بالقوة الشاذة odic force، والبحث فى ظهور الأشباح، والمنازل المسكونة، وتحقيق الظواهر الفيزيقية للروحية physical phenomena of spiritualism وإنشاء مكتبة متعلقة بالموضوعات الروحية بوجه عام ».

وقد تعاقب على رئاسة هذه الجمعية عدد من أبرز الفلاسفة والعلماء فى القرن الحالى وهم: هنرى سيد جويك (من ١٨٨٢ إلى ١٨٨٤ ومن ١٨٨٨ إلى ١٨٩٢) وبالفور ستيوارت (من ١٨٨٥ إلى ١٨٨٧) ولورد بالفور (١٨٩٣) ووليام جيمس[1] (١٨٩٤ — ١٨٩٥) وسير وليام كروكس (من ١٨٩٦ إلى ١٨٩٩) وف. و. هـ. مايرز (١٩٠٠) وسير أوليفر لودج (من ١٩٠١ إلى ١٩٠٣) وسير وليام باريت (١٩٠٤) وشارل ريشيه (١٩٠٥) وجيرالد. و. بالفور (١٩٠٦ — ١٩٠٧) ومسز هنرى سيدجويك (١٩٠٨ — ١٩٠٩) و هـ. ا.

(١) راجع ماسبق عنه فى ص ١٥٦ — ١٦٢.

سميث(١٩١٠)وأندرولانج (١٩١١) والأسقف بويد كاربنتر(١٩١٢)وهنرى برجسون (١٩١٣) وف.ك.س شيللر[1](١٩١٤)وجيلبرت موراى(١٩١٥ — ١٩١٦) ول . ب جاكس (١٩١٧ — ١٩١٨) ولورد رايلى (١٩١٩)ووليام مكدوجال[2] (١٩٢٠ — ١٩٢١)وت و. ميتشل (١٩٢٢) وكامى فلاماريون (١٩٢٣)وج ج بودنجتون(١٩٢٤ — ١٩٢٥)وهانز دريش(١٩٢٦ — ١٩٢٧) وسير ل ج. جونز (١٩٢٨ — ١٩٢٩)ور.ف.برنس[3](١٩٣٠ — ١٩٣١) ومسز هنرى سيدجويك وسير أوليفرلودج (١٩٣٢) ومسز ا . ليتلتون ١٩٣٣ — ١٩٣٤) وك د. بروض (١٩٣٢ — ١٩٣٦) ولورد رايلى(١٩٣٧ — ١٩٣٨) وهارى برايس (١٩٣٩) ، وبعد هذا التاريخ الأخير تعوزنا البيانات عن أسماء رؤسائها ،ولكن الجمعية لا تزال تواصل نشاطها حتى الآن . ولنا عودة إلى الحديث عن أعمال عدد من هؤلاء الرؤساء فى البحث الروحى فى الصفحات القادمة .

ومنذ تأسيس هذه الجمعية لم تنقطع تصريحات رؤسائها وأقطابها عن ثبوت صحة الظواهر الوساطية والاتصال بأرواح من نسميهم « موتى » وبالتالى ثبوت استمرار حياة النفس بعد موت الجسد المادى . ومن هؤلاء من كانوا من قبل أبناء مدارس مادية مزمنة لا تسلم مطلقاً بصحة أى أمر من هذه الأمور . ومن هؤلاء مثلا نجد رتشارد هودجسون Richard Hodgson أستاذ الأخلاق بجامعة كمبريدج يصرح — منذ سنة ١٨٩٩ — قائلا :

« إن العالم على وشك رؤية حوادث خطيرة جداً . فأؤمل أنه بعد مضى عامين أو أقل أهدى إلى العالم أجمع تفسيراً جديداً لنواميس الحياة الإنسانية ، ولهذه العقيدة القديمة التى لا يمكن أن يعارضها أى دين ولا أن تعترض طريق أية طائفة من الطوائف . . . وسيتضح كل شىء للنوع الإنسانى الذى يئن ويتألم من الشكوك ويتأرجح معها إلى هنا وهناك . .

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ١٦٤ .
(٢) راجع ماسبق عنه فى ص ١٧٤ .
(٣) راجع ما سبق عنه ص فى ١٦٩ .

وإذا كان الأستاذ هايسلوب[١] قد أعلن أنه تحادث مع أرواح الموتى فإنه لم ينطق إلا بحقيقة نقية » .

ثم يضيف هودجسون « لقد بدأت أبحاثى أنا والأستاذ هايسلوب منذ اثنتى عشرة سنة ، وكنا ماديين دهريين لانصدق فى شىء من ذلك مطلقاً ، ولم يكن لنا إلا غرض واحد وهو كشف الغش والتدليس ليس إلا . أما اليوم — وما أدراك ما اليوم ! — فإنى أعتقد وأجزم بإمكان المحادثة مع أرواح الموتى ، وقد قام عندى الدليل على صحة هذا الأمر بحيث لا أتصور مطلقاً أن يتطرق إليه الشك » .



ر . هودجسون

وفى المجلد رقم ٢٢ من مضابط « جمعية البحث الروحى » قال فى ص ٣٩٦ « لقد خبرت التلباثى بين الأحياء لمدى سنين كثيرة ، وها أنا ذا لا أتأخر عن التأكيد بطريقة قاطعة بأن النظرية الروحية (أى إسناد هذه المشاهدات إلى الأرواح) حق لاشبهة فيه وتدل عليه النتائج بخلاف الفرض الأول (فرض التلباثى) .

وقال فى ص ٤٠٥ « إن وضوح هذه الأمور هذا الوضوح التام قد أزال عنى كل ما كان يصرفنى عن التصديق بأن هذه الظواهر نتيجة أفعال الموتى » .

ثم قال فى ص ٤٠٦ « والآن لا يمكننى أن أقول بأن لدى أدنى شك أو ريبة فى أن المشاهدات التى تكلمت عنها فى الصفحات السابقة صادرة

---

(١) أستاذ المنطق والأخلاق بجامعة كولومبيا . وراجع ماسبق عنه فى ص ١٦٣ .

حقيقةمن نفس الأشخاص الذين تدعى أنها صادرة منهم، وأنهم لا يزالون أحياء بعد هذا التحول الذى نسميه موتاً وأنهم بواسطة جسم مدام بيبر[١] (الوسيطة) وهى فى غيبوبتها يعرفون أنفسهم بنا نحن الذين نسمى أنفسنا أحياء ... » . وأمثال هذه التصريحات يجدها القارىء عندالعشرات من رؤساء الجمعية وأعضائها فى مجلداتها الدورية[٢].

وتنشر هذه الجمعية حتى الآن — وبغير انقطاع منذ ثمانين عاماً — مجلداتهافىصورة مضابط Proceedings بدأ صدورهامنذسنة١٨٨٢ وجريدة Journal بدأ صدورها منذ سنة ١٨٨٤ . وتعتبر مجلداتها وثائق ذات قيمة كبرى فى موضوع العلم الروحى الحديث ، والظواهر الوساطية المختلفة على كافة أنواعها وصورها .

فماذا يقول المعارضون فيما تحويه هذه المجلدات وتلك من وثائق خطيرة؟ وماذا يقولون فى أن بين جميع الذين تولوا رئاسة هذه الجمعية — وعضويتها — لم يظهر واحد فيهم كما يقول إنه اكتشف فى بحوثها أى لغو أو بطلان يدعوه للتخلى عنها ، أو لتغيير رأيه فى ثبوت الحياة بعد الموت وثبوت إمكان الاتصال بين العالمين الروحى والأرضى ؟

برجسون يرأس هذه الجمعية

فكم مفكر فى قرننا الحالى يعد نداً لهنرى برجسون (١٨٥٩ — ١٩٤١) Henry Bergson الفيلسوف الفرنسى[٣] ؟ وقد تولى رئاسة هـــذه الجمعية لعام ١٩١٣ ، وراح يحاضر فى هذه المناسبة محاضرة طويلة نقتطف منها هنا فقرات كافية لما تتضمنه من مناقشة مستفيضة للمعارضين : —

(١) راجع ماسبق عنها فى ص ١١٣ ، ١٢٤ .

(٢) راجع ماورد عن هذه الجمعية أيضاً فى دائرة معارف الأستاذ محمد فريد وجدى . الجزء الرابع ص ٣٦٨ وما بعدها .

(٣) يقول الدكتور زكريا إبراهيم فى تصدير كتابه عن برجسون « ليس هناك أكثر مما كتب عن برجسون فى اللغات الأجنبية ، فإن عدد ما ظهر من البحوث والدراسات عــن فلسفته قد يبلغ عدة آلاف ... ».

« وما أدرى كيف يسوغ أن تجعلونى خلفاً لرجال بارزين تعاقبوا على هذا المنصب (منصب رئيس الجمعية) وكانوا قد وقفوا أنفسهم على نفس الدراسات التى تقفون عليها أنفسكم. لعلكم « بالاستشفاف » أو « بالتخاطر » شعرتم من بعد بما أولى بحوثكم من اهتمام ، ورأيتمونى على مسافة أربعمائة كيلو متر منكم أقرأ تقاريركم فى عناية وأتتبع أعمالكم بشوق عظيم . لطالما أعجبت ببراعتكم ونفاذكم وصبركم وقدرتكم على ارتياد هذا الربع المجهول الذى تدور فيه الحوادث الروحية . لكنى أعجب ، أكثر من عجبى بالبراعة ونفاذ البصيرة والدأب الذى لا يكل ، بالشجاعة التى كان لابد منها ولا سيما فى السنين الأولى للنضال ضد سوء ظن قسم كبير من الجمهور ، وللتغلب على السخرية التى ترعب أعظم الشجعان .

« ولذلك فإنى لأفتخر بانتخابكم إياى رئيساً لجمعية البحث الروحى فخراً يفوق قدرتى على التعبير قرأت عن ضابط عهد إليه بقيادة فرقته إثر خلو الميدان من القادة الذين ماتوا أو جرحوا ، أنه ظل طوال حياته يذكر ذلك اليوم ، وظل طوال حياته يتحدث عنه ، وظلت حياته كلها بعد ذلك معطرة بذكرى هذه الساعات القليلة . إنى ذلك الضابط ، فسوف أهنىء نفسى ما حييت على هذا الحظ العظيم الذى جعلنى على رأس فرقة من الشجعان ، لا لبضع ساعات بل لبضعة أشهر .

« فما مرد سوء الظن الذى لقيته العلوم الروحية وما تزال تلقاه من كثير من الناس؟ نعم إن الذين يحاربون أمثال دراساتكم هم أشباه علماء ، ومن أعضاء جمعيتكم فيزيائيون وكيميائيون وفيسيولوجيون وأطباء . وقد كثر عدد العلماء الذين يعنون بدراساتكم ولو لم ينتموا إليكم . إلا أنه يتفق مع ذلك أن نرى علماء حقيقيين ممن يرحبون بأى عمل يخرج من المعامل مهما ضؤل يتحاشون عمداً ما تأتون به ، وينبذون جملة ما قد فعلتم ، فما سبب ذلك ؟

ليست غايتى أن أنقد نقدهم لمجرد أن أوجه نقداً أنا الآخر . فأنا أعتبر

الوقت الموقوف على النقد فى الفلسفة وقتاً ضائعاً بوجه عام وليت شعرى ماذا بقى من الاعتراضات الكثيرة التى أثارها المفكرون بعضهم ضد بعض؟ لم يكد يبقى منها شيء، فما يمكث على الأرض إلا حقيقة موضوعية يأتى بها الإنسان. فالرأى الصحيح يحل محل الفكرة الخاطئة بقوته الذاتية، وهو أدمغ الردود على الإطلاق بدون أن يكلفنا نقد أحد من الناس.

غير أن ما أقصده هنا شيء آخر غير النقد وغير الرد. فإنما أريد أن أكشف وراء اعتراضات البعض وسخريات البعض الآخر عن وجود فلسفة مستترة غير واعية لذاتها، غير واعية وبالتالى متقلبة، غير واعية وبالتالى عاجزة عن أن تتكيف باستمرار مع الملاحظة والتجربة كما يخلق بالفلسفة الجديرة بهذا الاسم. وأريد أن أبين من جهة أخرى أن سبب هذه الفلسفة هو العادة التى تعودها الفكر الإنسانى منذ زمن طويل، وأن ذلك هو السبب فى بقائها وانتشارها بين الناس. أريد أن أزيح النقاب عن هذه الفلسفة وأقابلها وجهاً لوجه، وأتبين ما لها من قيمة.

ثم يقول فى محاضرته هذه: «وإنى حين أستعرض نتائج التحقيق الذى قمتم به فى غير ما كلل لمدة تشرف على ثلاثين عاماً،[1] وحين أفكر فيما أخذتم به أنفسكم من الحيطة والحذر خشية الوقوع فى الخطأ، وحين أرى أن حادثة التخاطر فى معظم الحالات التى سجلتموها قد رويت لشخص أو لعدة أشخاص بل سجلت كتابة من قبل أن يتبين صدقها، وحين أرى كثرة هذه الحوادث وتشابهها على وجه الخصوص، وما يتجلى فيها من قرابة وحين أرى توافق كثير من الشواهد المستقلة بعضها عن بعض، والتى تحللونها جميعاً وتراقبونها وتجرحونها فإنى محمول على الاعتقاد بالتخاطر مثلما أحمل على الاعتقاد بتحطيم «الأرماد الذى لا يغلب»».

ثم يقول: «تلكم هى باختصار النتائج التى توصلت إليها بفحص الوقائع المعروضة فحصاً حيادياً. ومعنى هذا أنى أعد المجال المفتوح أمام البحث

(١) إذ ألقيت هذه المحاضرة فى سنة ١٩١٣ كما قلنا.

الروحى واسعاً جداً ، بل لا يكاد يحد وسيعوض هذا العلم الجديد مافاته من وقت . إن الرياضيات ترجع إلى عهد اليونان القديم ، والفيزياء تعود إلى ثلاثة أو أربعة قرون ، والكيمياء قد ظهرت فى القرن السابع عشر وفى مثل سنها تكاد تكون البيولوجيا . أما علم النفس فهو ابن الأمس ، وأحدث منه البحث الروحى .

هل يجب أن نأسف لهذا التأخر ؟ لقد تساءلت أحياناً ترى ماذا كان يحدث لو أن العلم الحديث ، بدلا من أن يمضى من الرياضيات إلى الميكانيكا والفلك والفيزياء والكيمياء ، وبدلا من أن يوجه كل جهوده إلى دراسة المادة ، قد بدأ بالنظر فى الروح ؟ . ماذا كان يحدث لو أن كبلر وجاليليو ونيوتن كانوا علماء نفس ؟ لو حدث ذلك لكان بين أيدينا سيكولوجيا لا نستطيع اليوم أن نتخيلها ، كما أن الناس كانوا قبل جاليليو لا يستطيعون أن يتصوروا ما أصبحت عليه الفيزياء فى عصرنا الحاضر . وربما عدت هذه السيكولوجيا من سيكولوجيا العصر الحاضر بمثابة الفيزياء الحديثة من الفيزياء التى كانت فى عهد أرسطو طاليس .

لو حدث ذلك لرأينا العلم الذى يكون عندئذ بعيداً عن كل فكرة ميكانيكية يخف إلى تسجيل أمثال الحوادث التى تدرسونها فى كثير من الاهتمام ، بدلا من أن يشيح عنها قبلياً . ولعل البحث الروحى كان سيكون عندئذ فى طليعة مشاغله الرئيسية .

فإذا اكتشفت القوانين العامة للنشاط الروحى (كما كان شأن المبادىء الأساسية للميكانيكا) انتقل الباحثون بعد ذلك من الروح المحض إلى الحياة ، فتكونت البيولوجيا ، ولكنها تكون عندئذ بيولوجيا حيوية مختلفة عن بيولوجيا العصر الحاضر كل الاختلاف ، إذ تمضى إلى البحث وراء الصور المحسوسة للكائنات الحية عن القوة الداخلية غير المنظورة التى ليست هذه الصور إلا تجليات لها . فلئن لم يكن لنا الآن سلطان على هذه القوة فلأن علمنا بالروح لايزال فى المهد . ولهذا فإن العلماء ليسوا مخطئين حين يأخذون على النزعة الحيوية أنها مذهب عقيم .

نعم إنها الآن عقيمة ، ولـكنها لن تـكون كذلك دائمـاً ، وما كانت تـكون كذلك لو أن العلم الحديث فى الأصل كان قد تناول الأشياء من طرفها الآخر فإذا ماوجدت هذه البيولوجيا الحيوية ظهر معها طب يشفى أمراض القوة الحيوية مباشرة فيستهدف السبب لا النتائج ، يستهدف المركز بدلا من المحيط . ولعل المعالجة بالإيحاء ، أو قل المعالجة بتأثير الروح فى الروح بوجه عام تأخذ عندئذ أشكالا وأبعاداً لا نتصورها الآن . على هذا النحو كان يمكن أن ينشأ علم النشاط الروحي وكان يمكن أن ينمو . .

ثم يقول الفليسوف العظيم : ولذلك فلو قد انصرف العلم إلى شئون الروح أول ما انصرف ، لظل غير يقينى ولا دقيق مهما تقدم . ولعله ما كان يميز عندئذ بين ما هو ممكن فحسب وبين ما ينبغى أن يقبل قبولا نهائياً . أما اليوم وقد أصبحنا بفضل دراستنا للمادة نحسن هذا التمييز ، ونتمتع بالمزايا التى تقتضيها ، فإننا نستطيع أن نغامر بدون ماخوف فى هذا الربع الذى لم يكد يستكشف ، ربع الوقائع الروحية . فلنتقدم فى جرأة عاقلة ، ولنلق عن أكتافنا تلك الميتافيزياء السيئة التى تعرقل حركاتنا . ويقينى أن علم الروح سيؤدى إلى نتائج تفوق كل ما نرجوه من آمال »[1] .

برجسون يشيد فلسفة متفقة مع نتائج التجارب الروحية

ولم يقف الأمر فحسب عند حد اختيار برجسون لرئاسة « جمعية البحث » الروحى البريطانية لفترة من الزمن ولدفاعه عنها وعن نتائج بحوثها ، بل إنه فى مؤلفاته وبحوثه ومحاضراته ومقالاته استشهد مراراً بالظواهر الروحية التى حققتها واعتبرها ثابتة علمياً ، بما فى ذلك الاستشفاف Intuition والتخاطر والرؤى التى يراها الوسطاء . وكثيراً ماتحـــدث

---

(١) راجع كتاب « الطاقة الروحية » لبرجسون H Bergson : L, Eneregie Spirituelle تعريب الأستاذ سامى الدروبى ص ٥٣ وما بعدها .

عن « الروح التى قد تعلو بها الحياة حتى تتغلب على الموت ، وقد يسمو فيها العقل حتى يحطم قيود المكان والمادة » ، وقد جاءت فلسفته تدور على محاور تتضمن هذه المعانى الروحية فى سداها ولحمتها .

فهو تارة يتحدث عن « نظرية الديمومة » وأخرى عن « التطور الخالق » وأخرى عن « الحدس والميتا فيزياء » وأخرى عن « النفس والبدن » وأخرى عن « الحياة والمادة » وأخرى عن « التصوف والحب الإلهى »[١] .

وفى الجملة إن برجسون – كما وصفه الأستاذ يوسف كرم – « يعد أكبر فيلسوف ظهر فى فرنسا من عهد بعيد . . . ولعله أكبر فيلسوف على الإطلاق فى هذا النصف الأول من القرن العشرين . وقد كان نفوذه واسعاً وعميقاً فقد أذاع لوناً من التفكير وأسلوباً من التعبير طغيا على سائر فروع المعرفة العلمية وتجاوزها إلى الأدب . وكانت دلالته التاريخية أنه قصد إلى إنقاذ القيم التى أطاحها المذهب المادى . فهو يبدو من هذه الوجهة وكأنه واحد من أولئك الأبطال الذين أشاد بهم ، أولئك الذين يقومون فى الإنسانية ليعلنوا إيمانهم بالروح وينبهوا إخوانهم إلى أن الكون المادى ليس وطناً لهم ، وإنما الكون آلة لصنع آلهة .. »[٢]

هذا هو برجسون العظيم الذى انتهى إلى الروحانية العلمية الأصيلة العميقة المفرطة فى أصالتها وفى عمقها ، بعد إذ بدأ حياته مادياً صرفاً على مذهب سبنسر كما قال هو عن نفسه ، وكان تحوله عن المادية بفضل بحوثه التجريبية . فكان موقفه من هذا العلم الناشىء أشبه ما يكون بموقف وليام جيمس فى أمريكا ، وكلاهما فى عصره أبرز فلاسفة بلاده ...[٣]

---

(١) راجع فيها كتاب « برجسون » للدكتور زكريا إبراهيم . ولنا عودة إلى بعض آراء برجسون المتصلة بموضوع خلود الروح فيما بعد فى مواضع متفرقة من هذا الجزء ومن الجزء الثانى

(٢) « تاريخ الفلسفة الحديثة » ١٩٦٢ ص ٤٤٩ . وهو يحيل القارىء الى مؤلف برجسون « ينبوعا الأخلاق والدين » .

(٣) راجع عنه ما سبق فى ص ١٥٦ — ١٦٢ .

فقارن هـذا الموقف بموقف بعض المتحذلقين من الجامدين أو من الماديين الذين لا يجدون — لغاية الآن — ما يدحضون به نتائج أمثال هذه البحوث إلا ألفاظ «الخرافة» أو «التدليس» يلقون بها جزافاً ، وكأن فيها كل القوة الإقناعية المطلوبة لدحض بحوث خطيرة تجرى على أشد المناهج العلمية صرامة وأكثرها دقة ، بمعرفة فلاسفة وعلماء كبار يقدرون تماماً مدى خطورتها ، ولم تعرفهم البيئات العلمية إلا باحثين أمناء جادين عن الحقيقة العلمية أولا وأخيراً ، ولو من أكثر طرقها عناء ومشقة كيما تصل إلى إثبات أخطر النتائج ، وهى فى نفس الوقت أروعها للإنسان ، وادعاها إلى السرور والاطمئنان...

«جمعية البحث الروحى» تواصل نشاطها حتى الآن

وهذا الكلام من يرجسون فى الدفاع عن نشاط «جمعية البحث الروحى» قيل فى محاضرة ألقيت فى مقر هذه الجمعية فى ٢٨ من مايو سنة ١٩١٣ فهل وقفت هذه الجمعية عند القدر من البينات الذى كانت قد حصلت عليه خلال ثلاثين سنة من عمرها ، لإثبات الحياة بعد الموت عن طريق جميع أبواب التجربة المعمالية الممكنة التى تزخر بها محاضرها وجريدتها ؟ . . .

كلا فإن هذه الجمعية تقوم حتى الآن بمقرها بلندن (بميدان تافستوك Tavistock Square, Bloomsbury) بأبحاثها وتوالى نشر مضابط جلساتها — وجريدتها أيضاً — مليئة بالمعلومات والمناقشات العلمية والفلسفية ، وبالظواهر الوساطية مؤيدة بالصور والبيانات والإحصائيات والحقائق التجريبية الصرف ، وكل مايدور حول هذه الحقيقة الخطيرة وهى أن «الإنسان روح لا جسد» ، وأن الموت يعد حادثة فقط فى حياته ولا يعد نهاية لها . . .

إن عالماً معاصراً فى السيكولوجيا وهو وليام براون William Brown الأستاذ بأكسفورد — وهو فى نفس الوقت وسيط للكتابة التلقائية — وقف منذ سنة ١٩٢٧ يتكلم فى مدينة ليدز بانجلترا عن موت الجسد واصفاً

أبحاث هذه الجمعية بأنها « تضع حجر الأساس فى علم النفس الحديث » . وقد دفعته فى سنة ١٩٢٣ إلى أن يقول — فى محاضرة له فى الاحتفال السنوى لهذه الجمعية — « بالإشارة إلى البينات التى قدمتها لنا جمعية البحث الروحى خلال الخمسين السنة الماضية فإنها كافية كيما تجعل الحياة بعد موت الجسد راجحة علمياً إلى أقصى الحدود[1] » .

وإذا كانت بحوث خمسين سنة لها هذا الأثر فما هو ياترى أثر بحوث ثمانين سنة بمعرفة نفس الجمعية وهو عمرها حتى الآن ؟ وما هو ياترى أثر بحوث عشرات أخرى من المعاهد والجمعيات والهيئات العلمية المعترف بها إذا جاءت كلها مؤيدة نفس الاتجاه ومطابقة له فى مقدماته ونتائجه ؟ ! .

أن نتائج هذه البحوث دفعت أستاذاً آخر للسيكولوجيا فى جامعة لندن هو الدكتور فلوجل لأن يصرح بأن علم النفس قد أصبح شيئاً قديماً وضعيفاً أمام علم الروح الذى سيحتل مكانه ... « فلا شك إذن فى أن اطراد تقدم جنسنا البشرى — على حد قوله — يتوقف على قدرتنا فى التذرع بقانون المنطق .. وعلى شجاعتنا فى التخلص من عذاب التقاليد وترهاتها ، واستخدامنا الكامل للكشوف الحديثة لإسعاد الجنس البشرى وتقدمه ، ولهذا فقط توجد الحرية الداخلية الصادقة ، والتى بدونها لن تكون المقاييس السياسية والاقتصادية للتقدم إلا عرضاً زائفاً . » ...

---

(١) اشترك الدكتور وليام براون مع لجنة من الأساقفة الانجليز شكلها الدكتور لانج كبير أساقفة كنتربرى وقد انتهت بأغلبية سبعة أصوات ضد ثلاثة إلى ثبوت الاتصال بأرواح الموتى (راجع التفاصيل فى مجلة عالم الروح عدد يوليو — أغسطس ١٩٦٠ ص ١ — ٤) . وقد عالج الدكتور براون موضوعى الغيبوبة الوساطية والحياة بعد الموت فى مؤلفه عن « العقل والطب وما وراء الطبيعة » Mind, Medecine And Metaphysics الذى ظهر فى سنة ١٩٣٦ . (راجع بوجه خاص ص ١٠٧ — ١٢٤ وص ٢٤٧ — ٢٦٦ . من الطبعة الثانية التى ظهرت فى فبراير من سنة ١٩٣٨) .

بحوث فردية لافيف من أفضل علماء انجلترا

تضاف إلى ماتقدم بحوث فردية واصلها عدد كبير من علماء كبار وانتهوا فيها إلى نفس نتائج « جمعية البحث الروحي » ونكتفي بذكر بعضهم في هذا الفصل الذي قصرناه على عرض تطور الحركة الروحية في انجلترا فنجد من كبارهم :—

دي مورجان

كان أوجستوس دي مورجان Augustus De Morgan (١٨٠٦-١٨٧١) أستاذاً للرياضيات بجامعة لندن ، ورئيساً للجمعية الرياضية وسكرتيرا للجمعية الملكية الفلكية ، وله تجارب ترجع إلى سنة ١٨٤٩ مع وسيطة الجلاء والطرح الروحي إللن داوسن Ellen Dawson . ثم واصل تجاربه مع الوسيطة الأمريكية مسز هايدن Mrs Hayden ، ثم مع وسيطة كانت وصيفة تقيم في منزله تدعى جين Jane ظلت لمدة عامين خاضعة لإشرافه ولإشراف زوجته . فكانت في حضورها تتحرك المناضد بدون وسيلة مادية منظورة ، وكانت تحدث طرقات مجهولة المصدر ، كما كانت تروى مشاهدتها لرؤى Visions شتى .

وقد كانت جميع بحوثه في منزله ، وقد جمعها في سنة ١٨٦٣ في مؤلف عنوانه « من المادة إلى الروح[1] » ضمنه نتيجة تجارب عشرة أعوام في ظواهر الروح ، وفيه يقرر في مقدمته « بأني مقتنع تماماً بأني شاهدت وسمعت بطريقة تجعل الإنكار مستحيلا أشياء توصف بالروحية ، لا يمكن لأى كائن منطقي أن يفسرها بالخداع أو بمصادفة التعاصر الزمني Coincidence أو بالخطأ ، ولذا فإني أشعر بأني أقف على أرض صلبة . ولكن عندما أصل إلى البحث في علة هذه الظواهر فإني لا أجد نفسي قادراً على قبول أى تفسير من التفسيرات المقترحة حتى الآن » .

---

(١) From Matter To Spirit : The Result of Ten Year's Experience in Spirit Manifestations.

كما نشر كتاباً آخر عن « العقل Mind » فى نفس العام أكد فيه صحة هذه الظواهر، كما أكد أن التعليل الوحيد المقنع لهذه الظواهر هو أن وراءها عقولا أجنبية عن المجربين .

ولیام کروکس

كان سير وليام كروكس William Crookes (١٨٣٢ — ١٩١٩) رئيساً للمجمع العلمى البريطانى (الجمعية الملكية)، ويعد من أبرز العلماء الطبيعيين فى القرن الماضى . وقد كانت بحوثه فى موضوع الأرواح من القوة والوضوح بحيث أضفت عليها صفة العلم الرسمى منذ سنة ١٨٧٤ عندما قدم تقريره التاريخى إلى المجمع العلمى تحت عنوان « بحوث فى الظواهر الروحية »[١] . وكان ذلك عملا معبراً عن نبل وعن شجاعة أدبية منقطعة النظير ، لأن الأذهان لم تكن قد تهيأت بعد للخروج على النظريات المادية التى كانت سائدة فى البيئات العلمية .

وفى هذا المؤلف يقرر كروكس : « بما أنى متحقق من صحة هذه الحوادث فمن الجبن الأدبى أن أرفض شهادتى لها بحجة أن كتاباتى قد سخر منها الناقدون وغيرهم ممن لا يعلمون عن هذا الأمر شيئاً » .

وبعد ست سنوات من البحث قال عبارة أصبحت مأثورة عنه ، وهى «لست أقول إن الاتصال بالأرواح ممكن الحدوث، بل أقول إنه أمر حاصل بالفعل » . ولما تولى رياسة المجمع العلمى أشار فى خطاب الرئاسة إلى بحوثه فى العلم الروحى وذكر أنه مضى عليه فيها خمسة وثلاثون عاماً ، وأن معارفه قد ازدادت وأنه سينشر فيها مؤلفاً جديداً .

---

(١) Researches In The Phenomena Of Spiritualism.

وفى ٢٩ من يناير سنة ١٨٩٧ خطب كروكس فى «جمعية البحث الروحى» Society For Psychical Research ، التى كان عضواً فيها مع نخبة من العلماء فى بلاده وفى خارجها قائلا «إنى مستطيع أن أؤكد لكم أن أعمال جمعيتنا ونشراتها فيما يختص بالتدوين الدقيق للمشاهدات الجديدة الهامة، أو بالفائدة التى تنتج من هذه المشاهدات ، تؤلف مقدمة لاتقدر قيمتها لعلم هو أبعد غوراً من أى علم ظهر على سطح الأرض ، سواء فى كشفه عن حقيقة الإنسان ، أو عن حقيقة الطبيعة وعن عوالم أخرى ليس علينا إلى الآن أقل إشارة من علم . . » فانظر وتأمل ! . .



وليام كروكس

وفى سنة ١٩١٧ نشرت له «الجريدة الروحية الدولية»[1] حديثاً قال فيه «لم يجد بعد ما يجعلنى أغير رأيى فى الموضوع، وإنى مقتنع تماماً بكل ما قلته فيما مضى ، وإنه لحق صراح أن الاتصال قد تم بين هذا العالم والعالم الثانى».

وهذه الأقوال صدرت من كروكس فى حقب متباعدة إذ يفصل بين أولها وآخرها أكثر من أربعين عاماً ، مما يظهر تماماً كيف أنها ليست أقوالا مرتجلة أو خواطر وهمية أملاها عليه التسرع ، وهو العالم الذى يقدر ولا ريب قيمة كل كلمة يتكلمها ، ومدى مسئوليته عنها إزاء ضميره ، وإزاء حكم التاريخ عليه. ولم يتهمه أحد بأنه كان متسرعاً فى أى بحث آخر من بحوثه العلمية، التى كان لها شأن عظيم فى تقدم الكيمياء والفيزياء معاً ، بما فى ذلك اكتشافه

---

(١) The International Psychic Gazette.

للالكترون فى الذرة. ولنا عودة فى الفصل الأول من الباب المقبل إلى تلخيص بعض تجاربه فى موضوع الأرواح، موضحة بالصور التى التقطها بنفسه لروح متجسدة تدعى «كاتى كنج» فى حضور الوسيطة فلورنس كوك.

ألفرد راسل والاس

لا تقل قيمة عن شهادة كروكس شهادة عالم آخر جليل الشأن فى تاريخ البيولوجيا هو سير ألفريد راسل والاس Alfred Russel Wallace (١٨٢٣ — ١٩٠٣)، وقد حقق بنفسه صحة الظواهر الوساطية مع عدد من وسطاء عصره من أمثال الدكتور مونك Monck ومسز جابى Guppy وكاتى كوك Katie Cook وإجلنتون Eglinton ومسز روس Ross وكيلر P. L. Keeler وفريد إيفانز Fred Evans ومسز مارشال Marshall وآخرين. ثم ألف فى العلم الروحى مؤلفين أولهما «دفاع عن الروحية الحديثة»[١]. وثانيهما «المعجزات والروحية الحديثة[٢]» الذى ظهر فى سنة ١٨٧٨.

وقد ذكر فى هذا الأخير «لقد كنت ملحداً بحتاً مقتنعاً بمذهبى تمام الاقتناع، ولم يكن فى ذهنى أى محل للتصديق بحياة روحية، ولا بوجود عامل فى هذا الكون كله غير المادة وقوتها، ولكنى رأيت أن المشاهدات الحسية لا تغالب، لذا فإنها قهرتنى وأجبرتنى على اعتبارها حقائق ثابتة قبل أن أعتقد نسبتها إلى الأرواح بمدة طويلة، ثم أخذت هذه المشاهدات مكاناً من عقلى شيئاً فشيئاً. ولم يكن ذلك بطريقة نظرية تصورية، ولكن بتأثير المشاهدات التى كان يتلو بعضها بعضاً على صورة لا يمكن تعليلها بوسيلة أخرى». كما ذكر فيه أيضاً أن المعجزات عبارة عن أحداث مادية تقوم بها عوامل عاقلة غير منظورة، وتؤدى إلى نتائج لا تفسرها القوانين المعروفة.

---

(١) A Defence Of Modern Spiritualism.

(٢) Miracles And Modern Spiritualism.

وليام باريت

ومنهم عالم الطبيعة سير وليام باريت William T. Barrett (١٨٤٥ — ١٩٢٦) الذى كان أستاذاً للفيزياء بكلية العلوم بجامعة دبلن Dublin من سنة ١٨٧٣ إلى ١٩١٠ وعضواً فى «الجمعية الملكية». ووصل فى الفيزياء إلى كشوف كثيرة، منها كشف ظاهرة تأثر «الشعلة بالصوت» فضلا عن كشوف أثرت فى الصناعات الكهربية، خصوصا ما كان منها متصلا بصناعة الصلب.



وليام باريت

وقد كان باريت ممن دفعوا الجمعية الجدلية إلى تشكيل لجنتها الآنفة الذكر لبحث الظواهر الوساطية وفى يناير من سنة ١٨٨٢ دعا إلى عقد مؤتمر فى مقر «الجمعية البريطانية الأهلية للروحيين» وهو الذى تمخض عن ميلاد «جمعية البحث الروحى» .S.R.R التى تحدثنا عنها آنفاً بما فيه الكفاية. ولما زار الولايات المتحدة فى سنة ١٨٨٥ أرسى أساس «الجمعية الأمريكية للبحث الروحى»، كما ساهم فى سنة ١٩٢٠ فى إنشاء «الكلية البريطانية للعلم الروحى» British College Of Psychic Science (١).

وقد لخص وليام باريت نتائج بحوثه الطويلة الشاقة فى المجلد الرابع والثلاثين من «مضابط جمعية البحث الروحى» الصادر فى سنة ١٩٢٤ قائلا «لقد ثبت: أولا وجود عالم روحى. وثانياً الحياة بعد الموت. وثالثاً إمكان الاتصال بهؤلاء الذين انتقلوا إلى هناك». وكان مقتنعاً — من ناحية معرفته بالفيزياء — بوجود أثير مضىء ذى طبيعة خاصة Luminiferous ether

(١) وعنوانها 15, Queens Gate, Lodon S. W. 7.

يحيا فيه سكان عالم الروح » . فهل هناك كثيرون يمكنهم أن يفهموا حقيقة الأثير مثله ؟

كما نجده يصرح أيضاً « إنى مقتنع تمام الاقتناع بالحقيقة الواقعة ، وهى إن أولئك الذين عاشوا على الأرض فى وقت من الأوقات يمكنهم الاتصال بنا ، بل هم فى الواقع متصلون بنا ، وإنه من الصعب جداً أن نبدى للمتشككين غير المدربين أية فكرة كافية عن القوة العظيمة للواقع المجهول » .

ومن مؤلفاته « البحث الروحى[1] (١٩١١) وفيه يلاحظ ملحوظة ينبغى أن يضعها فى الاعتبار كل مجرب فى هذه الأمور ، إذ يقول (ص ٢٤٥ — ٢٤٦) إن الرسائل الذكية التى قد تكشف عن شخصية أصحابها قد يشوب بعضها غموض يشير إلى أن الذكريات الأرضية آخذة فى الزوال والانحلال . وأن الراحلين يصبحون مستغرقين فى حياتهم الجديدة التى نعجز فى حالتنا الحاضرة أن نتصور طبيعتها تماماً ، فإن قيودنا الخاصة تجعل من المحال لمثل هذه البينة أن تأتينا باليقين بأننا إنما نراسل أفضل وأنبل ما فى أولئك الذين مروا إلى العالم غير المنظور » .

ومن مؤلفات باريت أيضا « على عتبة غير المنظور »[2] (١٩١٧) وفيه يقرر أنه « مما ينسجم مع كل معلوماتنا الاقتناع بعالم غير منظور تحيا فيه مواكب من كائنات حية يملك بعضها ملكات مثل ملكاتنا ، أو أقل أو أكثر ، ومن الجائز أن الارتقاء عن طريق التطور فى عالم كهذا جرى فى خطوط موازية للتطور فى عالمنا ، وأن تنازع البقاء ووجود الغرائز والعقل والوعى والإرادة القوية والسقيمة أمور تبدو متوافرة هناك كما هى متوافرة هنا . وبمرور الوقت يبدو أن الإحساس بالوجود الإنسانى قد

---

(١) Psychical Research.

(٢) On The Threshold of the Unseen.

وله ترجمة فرنسية فى سنة ١٩٢٣ عنوانها Au Seuil de l'Invisible.

وصل إلى جيراننا غير المنظورين ، وأيضا أنهم قد عثروا على بعض وسائل للاتصال العقلي بنا ، بل حتى المادى » .

وله عدة مؤلفات أخرى منها «سويدنبرج :العالم والرائى »[١] (١٩١٢) و «عصا التنجيم[٢] » (١٩٢٦) و «رؤى على فراش الموت »[٣] (١٩٢٦).

جون رايلي

ومنهم أيضاً عالم الطبيعة لورد جون وليام سترات رايلي John William Strutt Rayleigh (١٨٤٢ — ١٩٢٠) وقد كان أستاذاً للطبيعة التجريبية منذ سنة ١٨٧٩ فى جامعة كبريدج ومديراً لمعاملها . وقد اكتشف فى الجو غازات لم تكن معروفة من قبل ، ونجح فى عزل غاز الأرجون Argon ، وفى سنة ١٩٠٤ حصل على جائزة نوبل فى الطبيعيات .

وترجع صلته بالبحث الروحى إلى سنة ١٨٧٤ عند ما بدأ تجاربه مع الوسيطتين كات فوكس Kate Fox وأسابيا بلادينو .وكان اهتمامه بالظواهر الفيزيقية أكثر منه بالظواهر العقلية مثل الغيبوبة والكتابة التلقائية . ومن رأيه أن التلباثى لا يصلح لتعليل هذه الظواهر فى جملتها ، وأنه إذا صح وجود التلباثى بين عقول الأحياء فليس هناك ما يمنع من القول بتوافره أيضاً بين عقول « الأموات » والأحياء .

وفى خطاب رئاسته «لجمعية البحث الروحى» عند ما اختير رئيساً لها فى سنة ١٩١٩ قال متحدثاً عن الوسيطين كات فوكس و دانييل دانجلاس هوم: « إنى أرفض كلية تعليل هذه الظواهر بالخطرفة فإن الأحداث كانت دائماً

---

(١) Sweedenborg : The Savant and the Seer.

(٢) The Divining Rod (La Baguette Divinitoire).

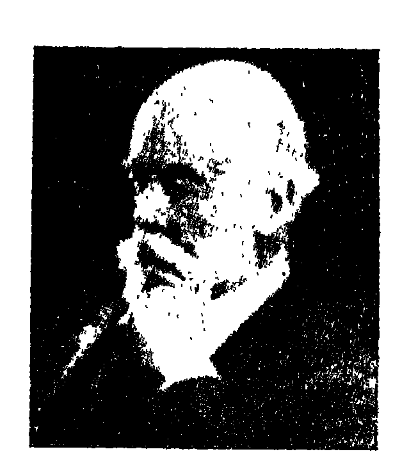
وهى العصا التى تستخدم فى الكشف عن المياه الجوفية وعن المعادن المخبوءة فى باطن الأرض وتعمل بالأمواج غير المنظورة وعن طريق نوع خاص من الوساطة .

(٣) Death — Bed Visions.

تقريباً غير متوقعة ووقعها فى نفوسنا مسلماً به . . . » .

أوليفر لودج

من علماء المادة البريطانيين الذين أصبحوا أيضا من أبرز أعلام العلم الروحى سير أوليفر لودج Oliver Lodge (١٨٥٢ — ١٩٤٠) مدير جامعة برمنجهام ، وعضو الجمعية الملكية ، وهو من أقوى علماء الفيزياء فى القرن العشرين . وتنصب بحوثه فى الطبيعة بوجه خاص على دراسة الأجواء الواسعة التى تقع بين الأجرام السماوية ، كما قام ببحوث عميقة حول طبيعة الأثير وانتقال الأمواج الكهربية المغناطيسية ، واخترع جهازاً لالتقاط هذه الأمواج يدعى the Coherer كان من أهم العوامل التى هيأت لماركونى أن ينجح فيما بعد فى اختراع المذياع . ويعد مؤلفه عن « أثير الأجواء » من أعمق ما كتب فى هذا الموضوع ، ويصل إلى المستوى الذى يتعذر على علماء كثيرين أن يفهموه . وذلك بالإضافة إلى مؤلفات عديدة له فى الأثير وفى المادة الصلبة وفى نظرية النسبية وفى الالكترونات وفى الطاقة وفى اللاسلكى .



أوليفر لودج

وبعد بحوث شاقة دامت لمدة خمسة وعشرين عاماً أعلن لودج شهادته الصريحة الحاسمة للحياة بعد الموت « ولبقاء الشخصية الإنسانية بعد فناء الجسد » على حد تعبيره . ثم ظهرت له عدة مؤلفات رائعة فى الروحية مثل « الإنسان والكون[١] » . (١٨٨٠) ومثل « حياة الإنسان بعد الموت »[٢]

(١) Man And The Universe.

(٢) Survival Of Man.

(١٩٠٩) ومثل « العقل والاعتقاد[١] » (١٩١٠) و « الحياة والمادة[٢] » (١٩١٢) و « المشكلات الحديثة »[٣] (١٩١٢) و « العلم والدين »[٤] (١٩١٤) و « ريموند أو الحياة والموت »[٥] ، الذى ظهر فى سنة ١٩١٧ وأعيدت طباعته منقحة فى سنة ١٩٢٢ .

ويتضمن الأخير بوجه خاص عشرات من الأدلة الحاسمة على أن ابنه ريموند ضابط الجيش الذى قتل فى الحرب العالمية الأولى أمكنه أن يتصل به ويعطيه شواهد ووقائع كثيرة لا يعلم عنها إنسان شيئاً . وذلك عن طريق الوسطاء جلاديس أوسبورن ليونارد Gladys Osborne Leonard ومسز بيبر Piper وفوت بيترز Vout Peters وغيرهم . وقد حققها لودج بنفسه فى صبر وأناة قبل أن يبدى رأيه فيها واستبعد منها كل ما يمكن تعليله بالعقل الباطن أو بظاهرة التلباثى .

ومن هذه مثلا قصة خطابات كان يتلقاها ريموند من فتاته ، ودفنها فى صندوق خشبى فى حديقة المنزل فى مكان سحيق عند ما تطوع فى الحرب خشية الوفاة ، فذكر له بعد انتقاله مكانها ، وتأكد لودج من صحتها عند ما عثر على الخطابات فى المكان الذى عينته الروح وأعادها بنفسه إلى مرسلتها ... فمن أى عقل أرضى التقطت الوسيطة هذه الواقعة التى لم يكن أحد يعرف عنها شيئاً ؟

ومنها أيضاً قصة عدة صور كانت قد التقطت لريموند فى فرنسا بعد تطوعه فى الحرب مع زملائه ضباط الفرقة التابع لها ، وقد وصفت له الروح موضع وقوف صاحبها أو جلوسه فى كل صورة وظروف التقاطها وأسماء

---

(١) Reason And Belief.
(٢) Life And Matter.
(٣) Modern Problems.
(٤) Science And Religion.
(٥) Raymond, Or Life And Death.

بعض الموجودين فيها . ثم بحث أوليفر لودج عن هذه الصور مع رفقاء ابنه في الحرب ممن عادوا سالمين فوجدها مطابقة تماماً لما أنبأته به الروح .

وهكذا الحال في الأدلة العديدة التي اقتضى بيانها أكثر من ثلاثمائة صفحة من هذا الكتاب ، ثم تطرق إلى الكلام في « الوجود المستمر » و « فكرة الماضي والحاضر والمستقبل » « والتداخل بين العقل والمادة » و « بعث الجسد » و « التمييز بين العقل والمخ » و « الحياة والوعي » و « سبل التراسل » « ونظرة عامة إلى الكون » ... إلى غير ذلك من الفصول الرائعة التي لا يحسن فهمهما وتقديرها إلا أصحاب العقول النيرة وحدهم .

وواصل لودج بحوثه الروحية الغزيرة فظهر له فيما بعد كتاب « لماذا أومن بخلود الإنسان ؟ »[1] (١٩٢٨) ثم « جدران الشبح »[2] (١٩٢٩) ثم « ما يلي الفيزياء »[3] (١٩٣٠) ثم « حقيقة عالم الروح »[4] (١٩٣٠) ثم « اقتناع بالحياة بعد الموت »[5] (١٩٣٠) ثم « الأعوام الماضية »[6] (١٩٣٢) ثم « فلسفتي »[7] (١٩٣٣) .

وهكذا واصل لودج بحوثه الروحية على نمط دقيق لمدة جاوزت نصف قرن ، وكلما نجح في الربط بين هذا العلم وبين معلوماته الواسعة في الفيزياء الحديثة كلما ازداد اقتناعاً ، ولا غرابة في ذلك لأن دراسة اللاسلكي عبارة عن دراسة الاهتزاز . ونظرية الاهتزاز vibrational system هي التي تفسر وحدها وجود عوالم متداخلة تشغل نفس الحيز من الفراغ دون أن يشعر

---

(١) Why IBeleive in Personal Immortality.
(٢) Phantom Walls.
(٣) Beyond Physics.
(٤) The Reality Of A Spiritual World.
(٥) Conviction Of Survival.
(٦) Past Years.
(٧) My Philosophy.

بعضها بالبعض الآخر ، فلكل عالم منها أمواجه الضوئية والصوتية والحرارية .. التي تختلف في أطوالها عن أمواج العالم الآخر .

* * *

ولم تنقطع أيضاً محاضراته ولا خطبه الشائقة عن الخلود والاتصال بالأرواح . ففي خطبة له ترجع إلى سنة ١٩١٥ يقول لودج « إن الإنسان لا يسود الكون ولا يعرف أسراره لكنه يتلمس فيه الحقائق تلمساً . وقد كشف حديثاً الراديوم وغاز الأرجون وأشعة رنتجن وبعض خواص الكهرباء . وقد بدأ الآن يعرف شيئاً عن بناء الجوهر الفرد ، وتظهر هذه الأمور كأنها جديدة ، وهي غير جديدة ، بل كانت موجودة أيضاً ونحن لا نعرفها . وفي الطبيعة أيضاً أمور كثيرة لم نكشفها حتى الآن » .

إلى أن يقول في نفس الخطبة . « وليس من العقل أن يقال إن النفس تضمحل إذا تلف الجسد، بل سنظل موجودين بعد موتنا وانتهاء أعمارنا القصيرة على هذه الأرض . أقول ذلك مستنداً إلى أدلة علمية — أقوله لأني تحققت أن بعض أصدقائي الذين ماتوا لا يزالون موجودين إذ أني قد ناجيتهم ، ومناجاة الموتى ممكنة لكن ينبغي أن نجري على نواميسها ، وأن نعرف شروطها وهي ليست من الأمور الهينة.

وقد حادثت أصدقائي الموتى كما أحادث واحداً من الحضور . وقد كانوا في حياتهم من أهل العلم ، ولذلك برهنوا لي ببراهين قاطعة ، نشر بعضها وسينشر البعض الآخر في حينه ، إنهم هم أنفسهم كانوا يحدثونني وإنني لست واهماً . إن تلك حقيقة أنا مقتنع بها وبصحتها بكل ما في من قوة الاقتناع . إنني مقتنع بأننا لا نضمحل عند الموت، وأن الموتى يهتمون بأمور هذا العالم ، ويساعدوننا ويعرفون أكثر مما نعرف بكثير ويقدرون على مناجاتنا أحياناً »[1] .

---

(١) راجع أجزاء من هذه الخطبة في مجلة « المقتطف » عدد ٤ الصادر في فبراير من سنة ١٩١٥ .

وفى محاضرة له فى سبتمبر من سنة ١٩٢٨ بقاعة ألبرت بلندن نجده يقرر أيضاً « إن التساؤل عما إذا كنا سنحيا بعد الموت أم لا تساؤل على بمقدورنا أن نجيب عليه . ولست أصف هذا التساؤل بأنه دينى ، حتى وإن كان مرتبطاً بالدين وبالأخلاق وبما وراء الطبيعـــة . بل إنه ليتطلب بذاته جواباً بالإيجاب أو بالسلب . واعتقد أنه يمكننى أن أجيب عنه جواباً نهائياً بالإيجاب دون أن ينتابنى تأنيب فى هذا الصدد» . كما قال عن قيمة البحث فى هذا الموضوع « إن الذى نعلمه لا يعد شيئاً مذكوراً إلى جانب ما ينبغى أن نتعلمه . وقد يقال ذلك أحياناً بلا عقيدة حقيقية ، أما بالنسبة لى فهى الحقيقة الحرفية » .

وقال لودج « إننى أقول إننى مصر على أن الاتصال بالعالم الآخر ممكن ، ولقد برهنت على أن الأشخاص الذين يمكنهم الاتصال بالعالم الآخر هم الذين يحاولون ذلك ويرغبون فيه ، والنتيجة هى أن الحياة بعد الموت قد ثبتت بالبحث العلمى » . كما قال « الحقيقة هى ما تتوق كل نفس لمعرفتها ولا رغبة لأحد فى أن يخدع ، ولكننا تواقون لمعرفة أصدق الأنباء عن كل من العالمين المادى والروحى اللذين يؤلفان الكون ... وأثير الفضاء هو حلقة الاتصال بينهما . فهو فى العالم المادى الحقيقة الأساسية الجوهرية ؛ أما فى عالم الروح فحقائق الوجود غير تلك ، وهى أرقى منها بكثير ، غير أن الأثير هناك أيضاً هو الأداة المستخدمة ، ولكن بطرق لا يسعنا فى الوقت الحاضر إلا أن نتخيلها ... »

وقد أخذ لودج يحاضر أيضاً فى الإذاعة البريطانية فى سنة ١٩٣٤ فى هذا الموضوع — وقد بلغ الثانية والثمانين من عمره — قائلا « إننى لم أصل إلى معتقدى فى صحة هذا الأمر عن طريق التأثير الدينى ، وإنما بنيت اعتقادى فيه على نتائج التجارب العلمية التى قمت بها فى مجال العلم الواسع المدارك . هذا العلم الذى ينبغى عليه كما أعتقد أن يلتفت إلى هذه الظواهر فلا يقصر أمره

على ظواهر المادة كما حمله على ذلك علماء القرن التاسع عشر ، بل ورجال العلم منذ نيوتن .

ثم اختتم محاضرته قائلا : « دعونى أنتهز هذه الفرصة الفريدة كيما أتحدث إلى هؤلاء الذين يجدون فى الحياة قسوة تصل بهم إلى مرحلة اليأس فيتساءلون فى عجب . هل تستحق الحياة كل هذا العناء ؟ . . دعونى أبعث إليهم شيئاً من الاطمئنان وأقرر لهم الحقيقة التى تكشفت تدريجياً لعقلى نتيجة لاقتناع وصلت إليه فى مدى يقرب من خمسين عاماً (فتأمل) . فهذا الدليل الكامل الذى لا عيب فيه سار بى إلى هذه الفكرة ، وهى أن عالم الروح حقيقة عظمى . إننا ان نتغير فى اللحظة التى ننتقل فيها ، وعندما نتخطى الحدود سيقابلنا صحبنا بالترحاب .. »

وقد انتقل لودج إلى عالم الروح فى أغسطس من سنة ١٩٤٠ عن ثمانية وثمانين عاماً وهو مصر على اقتناعه هذا . وعادت روحه من جديد كيما تتحدث فى نفس هذا الموضوع فى قاعة كنجزواى بعد ذلك بسنوات قلائل فى شهر يونيه من سنة ١٩٤٦ ، أمام أكثر من ألف وخمسمائة مستمع حضروا الاجتماع الحافل برئاسة مارشال الطيران لورد دودنج وبوساطة وسيط الصوت المباشر لزلى فلنت Leslie Flint[1] .

* * *

فتأمل أية شهادات هذه ، ومن هم أصحابها ، وبعدكم من سنين بذلت فى بحوث وتجارب شاقة ممن يعتبرون فى ذروة المقدرة عليها ، وعلى تقدير مسئولية كل كلمة تصدر منهم إزاء ضمائرهم وسمعتهم وحكم التاريخ عليهم ، ولو تعلق الأمر بجزئية صغيرة من جزئيات العلوم التى قد يختلف فيها الرأى بين عالم وآخر ، فما بالك إذا تعلق فى تقديرهم جميعاً بأخطر حقيقة كونية وضع العلم يده عليها حتى الآن ؟ ...

---

(١) راجع مجلة « عالم الروح » عددا أبريل سنة ١٩٤٨ ومارس سنة ١٩٥٥ .

فردريك و . ه . مايرز

ومنهم أيضاً عالم النفس المعروف فردريك و . ه مايرز (١٨٤٣ — ١٩٠١) Frederic W. H. Myers الذى كان أستاذاً للسيكولوجى بجامعة كبريدج ، والذى تعتبر بحوثه فى العقل الباطن من أعمق ما كتب فيه حتى الآن. وقد ظل مايرز من أهم الأعضاء العاملين فى «جمعية البحث الروحى» حتى انتقاله ، ومجلدات هذه الجمعية التى صدرت أثناء حياته حافلة ببحوثه فى الروحية .



ف . و . ه . مايرز

ويعتبر مؤلفه «الشخصية الإنسانية وبقاؤها بعد موت الجسد»[١] الذى ظهر فى سنة ١٩٠٣ فى مجلدين من أقوى الكتب التقليدية فى هذا البحث ، إذ أنه قد أقام دعامة العلم الروحى الحديث . وقد وصفه الفيلسوف وليام جيمس بأنه «الخطوة الأولى فى أية لغة لفهم الظواهر الروحية» . وفيه يعالج مايرز العقل الباطن للإنسان الذى يمثل الذات الحقيقية له ، ولا يعد العقل الواعى إلا شطراً ضئيلا منه ، ويثبت الحياة بعد الموت لهذه الذات من هذه الزاويه

وابتكر مايرز طريقة فى بحثه الروحى تسمى طريقة «التراسل المتبادل»[٢] . وكانت هى الطريقة التى استعملها لإثبات شخصيته بعد انتقاله إلى العالم الآخر عن طريق الوسيطة ليونور بيبر L. Piper . وقد وصف الأستاذ فرانك بودمور أحد شركائه فى البحث والتأليف هذا الإثبات بأنه «ربما يكون أقوى بينة لإثبات الشخصية حصلنا عليها من أى روح اتصلت بنا» . ولفرانك بودمور F. Podmore هذا مؤلف قيم فى الروحية عنوانه «الروحية الحديثة»[٣] ظهر فى سنة ١٩٠٢ .

(١) Human Personality and its Survival of Bodily Death.
(٢) Cross Correspondences
(٣) Modern Spiritualism.

وبعد انتقال مايرز إلى العالم الآخر فى سنة ١٩٠١ ظلت روحه على صلة وثيقة بعدد من الدوائر الروحية، وأثبت مايرز شخصيته لعدد من كبار الباحثين، كما أملى معلومات قيمة عن عالم الروح وعن نفسية الإنسان وعواطفه فى بعض عوالم ما بعد المادة، ومن ذلك مثلا : —

— ما رواه سير أوليفر لودج فى مؤلفه «لماذا أومن بخلود الإنسان» ؟

— وما روته الوسيطة جيرالدين كامينز التى أملاها مايرز فصلا كاملا عن « وثيقة الوجود » فى مؤلفها «الطريق إلى الخلود» ، ولنا إليه عودة عند الكلام فى هذه الوسيطة ، وعودة ثانية عند الكلام فى الجزء الثانى فى وصف ظروف الحياة فى عالم الروح .

— وما أكده الأديب الإرلندى المعروف شو دزموند مؤسس «المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن » فى مؤلفه عن «الحب بعد الموت» ، ولنا إليه عودة تفصيلية عند الكلام فى الجزء الثانى عن «ظروف الحياة فى عالم الروح» .

إدموند جيرنى

ومنهم أيضاً إدموند جيرنى Edmund Gurney (١٨٤٧ — ١٨٨٨) وهو من علماء النفس ومعروف ببحوثه فى التنويم المغناطيسى ، وتحليل الصلة بين الذاكرة وبين مراحل هذا التنويم ، وبينها وبين ذاكرة اليقظة . كما كان معروفاً ببحوثه فى التخاطر أى التلباثى Telepathy . وقد درس موضوع الاتصال بأرواح الأموات ووضع فيـــه مؤلفاً عنوانه « أشباح الأحياء »(١) وهو من أوائل الدراسات الهامة فى بريطانيا فى هـذا الموضوع ، وذلك بالاشتراك مع الأستاذين فرانك پودمور Frank Podmore ومايرز F. W. H. Myers

---

(١) Phantasms Of The Living.

وأشار الفيلسوف وليام جيمس إلى هذا المؤلف فى كتابه «إرادة الاعتقاد» (ص ٣١٢ — ٣١٣) قائلا عنه : «من أعظم مؤلفات جيرنى Gurney مؤلفه المعروف باسم «أشباح الأحياء» . ولكى يعطى للقارىء صورة واضحة للبحث المضنى الذى أجراه ذلك العلامة .... يقول إنه يسرد سبعمائة حالة من حالات ظهور الأشباح. وفى كثير منها تبدو هذه الظواهر واقعية مطابقة لمصائب حدثت للشخص الذى ظهر شبحه . وبناء على نظرية التلباثى أو التخاطر هذه telepathic theory يمكننا أن نعتبر الأشباح حقائق «موضوعية objective » ولو أنها غير مادية . . . .

ولكى يختبر جيرنى ما إذا كانت هذه الظواهر ترجع إلى مجرد الصدفة أم لا ، فإنه قام بعمل إحصاء عن تجارب ٢٥ ألف شخص فى مختلف البلاد سئلوا عما إذا كانوا ، وهم فى صحة جيدة ويقظة تامة ، قد سمعوا صوتاً أو رأوا شبحاً أو شعروا بلمسة خارجية لا يمكن إيعازها إلى شخص ما بجانبهم ، والنتيجة كانت بالتقريب أن واحداً من عشرة من البالغين فى انجلترا جاز هذه التجربة مرة واحدة فى حياته ، ومن التجارب نفسها أن عدداً كبيراً منها يرتبط بحوادث جرت من زمان بعيد . . . .

والسؤال الآن : هل تكرر وقوع هذه الظواهر أكثر مما يمكن أن نعتبره قد وقع بالقضاء والقدر ، وهل من الواجب أن نقدر أن نعتقد أن ثمت ارتباطاً غامضاً بين الحادثتين .... » .

وبعد انتقال إدموند جيرنى إلى عالم الروح تلقى منه سير أوليفر لودج عن طريق الوسيطة ليونور بيبر[1] L. Piper جملة إحالات واضحة ودقيقة للغاية إلى مؤلفاته الخاصة فى علم النفس ، ولم يكن يعلم عنها لودج شيئاً

---

(١) راجع ماسبق عن هذه الوسيطة فى ص ١١٢ ، ١٢٤ .

وقد تحقق بنفسه من صحتها . فكانت هذه الإحالات منه بمثابة أدلة قاطعة لإثبات شخصيته ، وحقيقته كروح لا تزال تواصل حياتها هناك .

و . ج . كروفورد

ومنهم أيضاً الدكتور و . ج . كروفورد W. J. Crawford أستاذ الهندسة الميكانيكية بجامعة بلفاست الذى باشر بحوثه بوجه خاص فى دائرة مسز جوليجر الروحية من سنة ١٩١٥ حتى سنة ١٩٢٠ مستخدماً فى تسجيل الظواهر الوساطية الميزان والكاميرا والدينا مومتر وجهازاً لتسجيل الأصوات. وقد تبين له أن وزن المنضدة التى كانت ترتفع فى الدائرة من تلقاء نفسها كانت تتحمل الوسيطة منه ٥٪ وجميع الحاضرين الباقى ، وأن مادة غير منظورة كانت تخرج من جسم الوسيطة وتتحول إلى حبال (لفائف) تتفاوت فى صلابتها ويمكنها أن تتشكل بأى شكل . وإذا كان ثقل المائدة كبيراً فإن أغلب هذا الوزن كان يتحول عن طريق هذه المادة إلى الأرض.

وأشهر مؤلفات كروفورد هى «حقيقة الظواهر الروحية »[١] (١٩١٧) و « تجارب فى العلم الروحى »[٢] (١٩١٩) و « التكوينات الروحية فى دائرة جوليجر »[٣] (١٩٢١) .

وظل كروفورد إلى مابعد انتقاله إلى عالم الروح مهتماً — شأن غالبية علماء الروح الآخرين — بالحركة الروحية من ذلك الجانب من الحياة . وقد أمكن التقاط بعض صور لروحه ورسائل بخط يده وبتوقيعه على اللوح الحساس ، وقد نشر بعضها ف . و . واريك F. W. Warrick فى مؤلفه « تجارب فى الروحيات » ولنا إليها عودة فى مناسبة لاحقه عندما نتكلم فى « البينة المستمدة من تأثير العقل المباشر فى المادة » .

---

(١) The Reality Of Psychic Phenomena.
(٢) Experiments In Psychical Science.
(٣) The Psychic Structures In The Goligher Circle.

م . و . دیونه

ومنهم جون وليام ديون John William Dunne (١٨٧٥ - ١٩٤٩) الذى صمم أول طائرة حربية بريطانية فى عامى ١٩٠٦، ١٩٠٧ وهو من أبرز علماء الرياضة فى القرن العشرين ، وتعد أعماله الفلسفية مقدمة لعلم جديد عن حقيقة الـكائنات أو المخلوقات Ontology .

ومحور هذه الفلسفة الرياضية الجديدة التسليم ببقاء الحياة بعد الموت كحقيقة علمية مقررة ، واضعاً فيها نظريات أصيلة اجتذبت انتباه العلماء فى جامعتى لندن واكسفورد لتحقيق مدى صحتها ، فنجحت جزئياً ولا تزال قيد البحث العلمى . وأهم مؤلفاته فيها « تجربة مع الزمن »[1] (١٩٢٧) و « الـكون المتعاقب »[2] (١٩٣٤) و « الخلود الجديد »[3] (١٩٣٨) و « لاشىء يموت »[4].

جون هتنجر

من هؤلاء العلماء أيضاً الدكتور جون هتنجر J. Hettinger الذى ظل يجرى بحوثه على السيكومترى « قياس الروح أو تعقب أثر الإنسان فى الزمان والمكان » من سنة ١٩٣٤ إلى سنة ١٩٣٨ فى الكلية الملـكية King's College بجامعة لندن وفى عامى ١٩٤٥، ١٩٤٦ قام بسلسلة من التجارب الناجحة عبر المحيط الأطلسى فى التلباثى السيكومترى Psychometric Telepathy بالتعاون مع « جمعية البحث الروحى الأمريكية » A.S.P.R. ثبتت منها صحة هذه الملـكة العجيبة ، وفى هذه التجارب كلف أحد الأشخاص فى نيويورك بأن يتصفح بعض المجلات والنشرات حين كان هناك وسيطان فى لندن يفصل

---

(١) An Experiment With Time.

(٢) The Serial Universe.

(٣) The New Immortality.

(٤) Nothing Dies.

بين أحدهما والآخر عدة أميال ، فنجح كلاهما فى الإنباء عما يفعله الرجل الأمريكى فى نيويورك ، ولم يكن أى واحد من الوسيطين يعلم شيئاً عن طبيعة التجارب التى كان يساهم فيها . وأهم مؤلفات هتنجر « القوة الفوق المدركة »[١] و « استكشاف القـــوة الفوق المدركة[٢] » ثم « التلباثى والروحية[٣] » (١٩٥٢) .

الكساندر كانون

ومن هؤلاء العلماء نذكر الدكتور الكساندر كانون Alexander Canon وهو طبيب ودكتور فى الفلسفة ، وله عدة مؤلفات فى التنويم المغناطيسى والتحليل النفسى والأمراض العصبية ، وفى نفس الوقت من المعروفين ببحوثه الروحية . وأهم مؤلفاته فيها « قوة الكارما »[٤] ، (أو قانون العلة بحسب التعبير اليوجى) الذى أعيدت طباعته تحت اسم « ظلال المصير »[٥] . و « التأثير الغير المنظور »[٦] . الذى ظهرت طبعته الأولى فى أكتوبر سنة ١٩٣٣ فلم يأت فبراير من سنة ١٩٤٨ إلا وقد ظهرت طبعته السادسة والعشرون . ثم ظهر له مؤلف قيم آخر يدور حول بعض الظواهر الوساطية وقوة الإرادة والجسد الأثيرى والخلود تحت اسم « القوة التى بالداخل[٧] » ، وقد ظهر فى سنة ١٩٥٠ وطبع طبعته السابعة فى سنة ١٩٥٢ ، وذلك بالإضافة إلى مؤلف آخر له عنوانه « القوى الكائنة »[٨] وآخر عنوانه « النوم خلال الفضاء »[٩] .

---

(١) The Ultra — Perceptive Faculty.

(٢) Exploring the Ultra — Perceptive Faculty.

(٣) Telepathy and Spiritualism.

(٤) The Power Of Karma.

(٥) Shadow Of Destiny.

(٦) The Invisible Influence.

(٧) The Power Within.

(٨) Powers That Be.

(٩) Sleeping Through Space.

هارى برايس

ومنهم هارى برايس Harry Price السكرتير الفخرى لجامعة لندن ولمجلس التحقيق الروحى بها Council For Psychical Investigation وقد كان فيما مضى من غلاة المعارضين للروحية ، لكنه بعد أن بحث الموضوع بنفسه اضطر للتراجع وأصبح باحثاً ومؤلفاً ممتازاً .

وقام هارى برايس بإلقاء عدد من المحاضرات عن شتى موضوعات العلم الروحى الحديث فى الإذاعة البريطانية .B. B. C ، منها إذاعات من « منازل مسكونة » لإذاعة ما كانت تسجله الأجهزة المختلفة من تغيرات فى درجات الحرارة ، وأصوات ، وتحركات غير معروفة المصدر . ولنا عودة إلى هذا الموضوع الهام فى فصل على حدة من الباب المقبل .

ولهارى برايس عدد من المؤلفات فى العلم الروحى منها : « كشوف وسيط للروح »[١] بالاشتراك مع عالم الباراسيكولوجى دنجوول E J. Dingwall واستلا : بيان عن ظواهر فريدة فى البحث الروحى »[٢] و « كتالوج مختزل عن أعمال فى البحث الروحى »[٣] و « رودى شنيدر : امتحان على لوساطته »[٤] و « بيان لتجارب لاحقة مع رودى شنيدر »[٥] و « صفحات من سجل روحى »[٦] و « خمسون عاماً من البحث الروحى[٧] » (١٩٣٩) و « بحث

---

(١) Revelations Of A Spirit Medium.

(٢) Stella C. : An Account Of Some Original Experiments In Psychical Research.

(٣) Short Title Catalogue Of Works On Psychical Research.

(٤) Rudi Schneider : A Scientific Examination Of His Mediumship.

(٥) An Account Of Some Further Expreimets With Rudi Schneider.

(٦) Leaves From A Psychist's Case — Book.

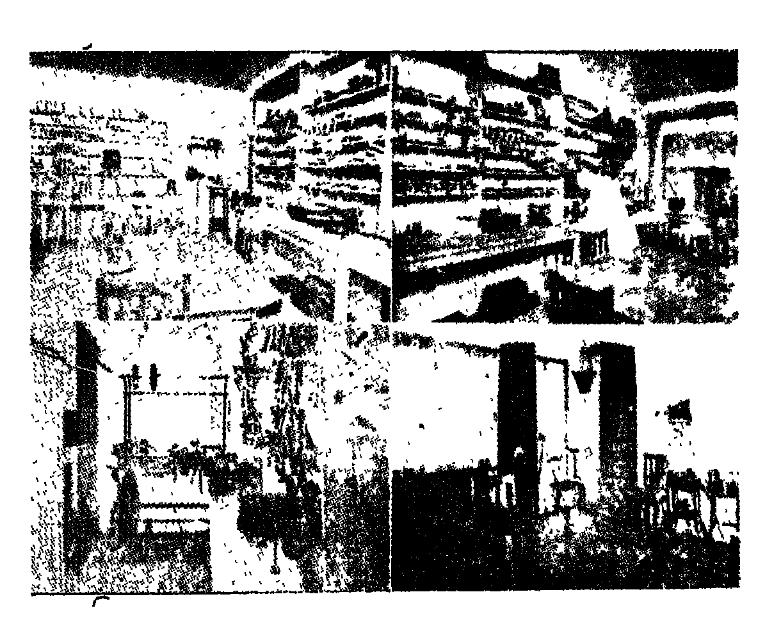
(٧) Fifty Years Of Psychical Research.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

عن الحقيقة[١] ، (١٩٤٢) ، بالإضافة إلى عدد من المؤلفات عن المنازل المسكونة سنعود إليها فيما بعد .

المعمل الوطني للبحوث الروحية

والكلام عن هارى برايس يجرنا حتماً إلى الكلام فى « المعمل الوطنى للبحث الروحى[٢] » الذى أسسه منذ سنة ١٩٢٥ و قد أصبح رئيسه الفخرى فيما بعد لورد ساندز Lord Sands ومديره هـ. ج. بوا H. G. Bois ، وأخذ يصدر عدة مطبوعات دورية تتضمن نتائج بحوثه وتجاربه منها : « الجريدة البريطانية للبحث الروحى[٣] » ، و « مضابط المعمل الوطنى للبحث الروحى »[٤] و « نشرات



أربع صور من داخل « المعمل الوطنى للبحث الروحى » التابع لجامعة لندن

---

(١) Searth For Truth.

(٢) National Laboratory of Psychical Research.

وعنوانه 13 Roland Gardens, Lodon S W. 7

(٣) British Journal of Psychical Research (bi — monthly)

(٤) Poceedings of the N. L. P. R.

هذا المعمل »[1]. وقد ضمت جامعة لندن هذا المعمل وزودته بالأجهزة اللازمة لتحقيق كافة الظواهر الوساطية فأصبح أكبر معمل من نوعه فى العالم ، ولا تضارعه إلا معامل الباراسيكولوجى فى جامعة ديوك بأمريكا .

وأهم الوسطاء الذين خضعوا لبحوث هذا المعمل حتى سنة ١٩٣٨ هم : —

أولاً وسطاء الظواهر الفيزيقية Physical mediums : منهم جان جوزيك Jean Guzik (بولندى)[2] وستلا . ك Stella C. وويلى شنيدر Willi Schneider (ألمانى) ورودى شنيدر Rudi Schneider (ألمانى) وستانيسلافا . ب Stanisława P. (بولندية) ووليام هوب W. Hope (وسيط بريطانى للتصوير الروحى)[3] وجورج موس G Moss (وسيط آخر للتصوير الروحى) وماريا سيلبرت M. Silbert (من جراز) وفريدا ويزل F. Weisl (من جراز) وجى ليسترانج Guy L'Estrange وإينر نيلزن Einer Nielsen (وسيط تجسد دانمركى)[4] وأنا راسموسن Anna Rasmussen (دانمركية) وستارجس E. M Sturgess واليونور زوجون Eleonore Zugun (من فينا) ودوجلاس درو Douglas Drew وهربرت دير Herbert Dyer ومارجرى (العجيبة الثامنة)[5] وفردريكماننجز F. Munnings وهيلين دنكان H. Duncan وباسكال إرتو Pasquale Erto وفرانك دكر F. Decker (وسيط تجسد أمريكى[6]) ومسز هندرسون

---

(١) Bulletins of the N. L. P. R.

(٢) لنا عودة إليه عند ما نتكلم فى الجسد الاثيرى عند الإنسان والحيوان .

(٣) لنا عودة تفصيلية إلى وساطة الصور الروحية فى الفصل الذى عنوانه « تأثير العقل المباشر فى المادة » .

(٤) راجع ما سبق عنه ص ١٢١ وما سيلى عنه فى الفصل الأول من الباب الرابع .

(٥) راجع ما سبق عنها ص ١٢٩ — ١٣٤ .

(٦) راجع ما سبق عنه فى ص ١٧١ على لسان إدوين فردريك باورز .

وكلوديشوب Henderson C. Bishop (أودولوريس) وماتيلدا سكرزتوسكا M Skrzetuska ولورا برودن Laura A. Pruden وهارولد إيفانز H. Evans وإيرفنج Irving (وسيطة للتصوير الروحى) وكارنيجى Carnegie .

ثانيا : وسطاء الظواهر العقلية Mental Mediums : منهم أبيه لامبرت Abbé Lambert وجورج فاليانتين G. Valiantine (وهو وسيط للصوت المباشر أيضاً)[1] وأنا بيلش Anna Pilch (بولندية) وانجبورج داهل Ingeborg Dahl (نرويجى) وبياتريس هاستنجز B. Hastings وسان جون جيمس وفلورنس كنجستون F. Kingstone و ج . م . لوز G. M. Laws وفوت بيترز Vout Peters وإيلين جاريت Eileen Garrett[2] وكلير كانتلون Claire Cantlon وفراوان ستيفى بريشا F. S. Breicha وسورانا هاريس كاى S. Harris — Kaye (أمريكية) وأوجينى بيكار E. Picquart (فرنسية) ودكتور آرثر لينش A. Lynch والسيدة س (إيطالية) وفراولوت بلات Fraw Lotte Plaat وجان لابلاس J. Laplace (فرنسية) وفراو ليبرمان Frau Libermann (ألمانيـــة) وستاهل رايت Stahl Wright وماريون Marion وجين دنيز Gene Dennis ومالويتز Maloitz .

وقد ساهم فى نشاط هذا المعمل عدد من أفضل علماء القرن الحالى وأساتذة الجامعات وأعضاء الأكاديميات ، من أعلام النفس والفيزياء والطب والفسيولوجيا ، ومن دول متعددة، سواء كأعضاء فى مجلس إدارته أم محاضرين أم مراسلين أم باحثين ومنهم : سير ريتشارد جريجورى R. Gregory ووليام مكدوجال[3] ودكتور تليارد وماكبريدولورد رايلى[4] وأندراد C. Andrade

(١) لنا عودة إليه فى الفصل الرابع من الباب الرابع على لسان عالم النفس الإيطالى ارنستو بوزانو .
(٢) راجع ما سبق عنها فى ص ١٦٦ .
(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ١٧٤ .
(٤) راجع ما سبق عنه فى ص ٢١٤ .

وبوسفيلد Bousfield وهيرون ألن Heron Allen ورانكين Rankine وسير وليام باريت[١] وجوليان هكسلى Julian Huxley وهانز دريش Hans Driesch (الفيلسوف وعالم النفس النمساوى) وجود C. F. M. Joad (فيلسوف معاصر) ودارسونفال D Arsonvol[٢] وفردريك شيللر ووليام براون[٣] (عالم نفس معاصر) وفلوجل (عالم نفس معاصر)[٤] ودنجوول وعشرات من أبرز العلماء فى انجلترا وفرنسا وألمانيا والنمسا وإيطاليا وأمريكا والسويد واليونان ، ممن يضيق المقام عن ذكرهم جميعاً هنا[٥] .

ونكتفى بهذا القدر من أسماء العلماء والهيئات العلمية التى ساهمت بنصيب ملحوظ فى تطور البحث الروحى وتقدمه فى انجلترا ، كيما ننتقل إلى الكلام فى دور رجال الفكر والأدب .

دور المفكرين والأدباء

ثم يجىء دور المفكرين والأدباء ، ممن عرفت لهم البيئات الأدبية حق قدرهم ومكانتهم من الناحيتين الثقافية والخلقية . فلانكاد نجد فى انجلترا أديباً كبيراً ولا صحفياً مرموقاً إلا وقد أدلى بدلوه فى موضوع الاتصال بالأرواح وانتهى إلى الاقتناع بصحته ، بعد بحث وتجربة ، بما أدى إلى أن يمسك القلم ويعلن رأيه جهاراً . ومنهم من شعر بخطورة هذا الموضوع وبفائدته العظمى للناس فكرس الشطر الأكبر من جهده وماله لنشر المعرفة الروحية بين مواطنيه ، غير عابىء بسخرية الساخرين من الجهلة وما كان أكثرهم ، خصوصاً عندما كانت

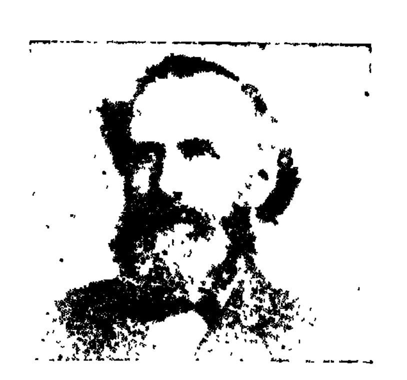
---

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ٢١٢ .
(٢) لنا عودة إليه فى الفصل المقبل .
(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٠٦ .
(٤) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٠٧ .
(٥) المزيد عن نشاط هذا العمل راجع هارى برايس فى مؤلفه : Fifty Years of Psychical Research ص ٣١٧ وما بعدها .

الكشوف الروحية فى مهدها لا يعرف أغلب الناس عنها شيئاً بعد .

وليام ت . ستيد

فن أوائلهم اسم لامع فى تاريخ الصحافة والروح معاً هو سير وليام ت. ستيد William T. Stead (١٨٤٩ — ١٩١٢) الذى كان نقيباً للصحفيين ومديراً « لمجلة المجلات » Review of Reviews وكان هو نفسه وسيطاً لروح تدعى أمس جوليا Ames Julia طلبت منه أن يفتتح مكتباً للاتصال بالأرواح مجاناً، فافتتحه فى سنة ١٩٠٩ تحت اسم مكتب جوليا Julia's Bureau. وقد أملت عليه الروح جملة خطابات عن عالم الروح نشرت لأول مرة تحت عنوان « خطابات جوليا »[1] فى سنة ١٩٠٨ وأعيد نشرها فى سنة ١٩٥٢



وليام ت . ستيد

بمعرفة « نادى الكتاب الروحى[2] » بعد إضافة عدة خطابات جديدة تحت عنوان « بعد الموت »[3] وقد ترجم هذا الكتاب إلى أغلب لغات العالم وترجم حديثاً إلى اللغات اليابانية واليونانية والبولندية .

ولم يكن اقتناع ستيد بافتتاح هذا المكتب أمراً هيناً ، فقد ظلت روحه المرشدة تلح عليه لمدى سنين عديدة مبينة له المزايا التى تعود على الإنسانية منه، ومحاولة أن تذلل الاعتراضات التى كان يثيرها ذهنه على هذا المشروع الخطير فى عصر مادى صرف ، ومن أقوال جوليا فى هذا الصدد:

---

(١) Letters From Julia.

(٢) Psychic Book Club.

(٣) After Death.

« إنكم فى اشتياق لأن تقيموا قنطرة — كما تصف — بين العالمين ، ونحن أكثر منكم اشتياقاً ، ولكن عندما تقول ذلك هل تدرك كل مغزاه ؟ وما هو الأثر المترتب على تحقيقه ؟ إن اقتناعى يتزايد يوماً فيوماً بأن ثبوت هذه الحقيقة ، وتوافر اليقين بالصلة بين عالمنا وعالمكم يمكن وصفه بدون أدنى مبالغة بأنه أخطر شيء فى كل ما أمكن الإنسان الفانى أن يحققه من أشياء . فلا يوجد ما يعادله بالنظر إلى الأثر البعيد المدى الذى سيحدثه فى جميع الأمور فإنه سيغير التفكير ، والتفكير هو الذى يصنع العالم الذى فيه تحيون . ولا يمكن لأى شخص أن يقدر مدى صدق ذلك طالما كان غارقاً فى المادة .

إن ذلك سيغير بؤرة الحياة نفسها ، لأنها فى الوقت الحاضر تنحصر — بالنسبة لغالبية الناس — بين الولادة والوفاة . فهذه البؤرة ستتغير عندما يصبح من الحقائق الثابتة علمياً أننا نحيا هنا ويمكننا الاتصال بكم ، ولا يعود ذلك مجرد احتمال . وإذا ما غيرتم بؤرة الحياة فقد غيرتم مفاهيم جميع الأشياء . . . هذه المفاهيم التى تبدو الآن صحيحة لأن بؤرة الحياة محدودة بحدود ضيقة ، لكن ان تصبح كذلك عندما تصبح هذه البؤرة لا حدود لها .

إن التغيير الأساسى الذى سيحدثه «مكتب القنطرة» TheBridge Bureau الذى تريد إنشاءه ، هو زيادة الإحساس بمسئولية الحياة إلى مدى لا يمكن تصوره . قد تظن أنه من الغريب أن يكون التحقق من الحياة الأخرى سبباً فى ازدياد أهمية الحياة الأولى ، لكن هذه هى الحقيقة ، ولا يمكنكم أبداً أن تقدروا مدى أهمية حياتكم إلا إذا نظرتم إليها من هذا الجانب . فأنتم لستم بعيدين عن التأثير فى الأبدية ، وليس ذلك تعبيراً مجازياً . لأنكم تصنعون هذا العالم الذى نعيش فيه فى العالم الذى فيه تعيشون ، وذلك إلى مدى يتجاوز بكثير ما يمكنكم أن تتخيلوه .

إنكم تصنعون حياتكم الأخرى ، نعم وتصنعون حياتكم هنا يوماً فيوماً ، وساعة فساعة . . وإيضاح هذه الحقيقة هو النتيجة «لمكتب القنطرة» .
قد تقول إن هذه هى حقيقة جميع الأديان ، لكنكم لا تتمثلونها ، وغالباً ما تتجاهلونها ، فإذا ما أمكننا الاتصال بكم دائماً فليس بمقدوركم أن تتجاهلوها بعد الآن ، لأنه لا يوجد تحول فجائى . فأنت هنا كما كنت هناك ، ولا يوجد انقطاع فى الاستمرار . فأنت تبدأ هنا ما تركته هناك ، وما أنت عليه تظل عليه .

فنتيجة هذا المكتب هى فى رأيى تعميق الإحساس بمسئولية الحياة إلى مدى بعيد وتقويته ، وهذا أمر مفيد بغير شك . فإن هذا الإحساس محتاج إلى تقوية . . . . ستجدون أننا نحن الذين على هذا الجانب ، والذين أمكنهم أن يروا ويشعروا ويعلموا أن الله محبة سيخبرونكم أن هذه المحبة هنا كما هى عندكم ليس من طبيعتها أن تمحو الألم والأسى ، وكل ما ينجم عن نقص الإنسان من آثار . فلم نصل إلى الكمال بعد بل نتجه فقط نحو ندائنا الأسمى هنا كما هى الحال عندكم .

فهل تظن أننا قد وصلنا إلى التمتع بمجد الله كاملا لمجرد أن بيت خيمتنا الأرضى قد نقض ؟ قطعاً لا ، فإذا ما سقط رداؤنا الأرضى فإننا نبقى أحياء .
وزيادة هذا الإحساس بالبقاء ، وبحقيقة سيادة الناموس ، وبالمسئولية عن الوقت الذى أمضيناه إزاء الأبدية ، بكل ما يتضمنه ذلك من معان ، هذا هو التغيير العظيم الذى يمكن للمكتب أن يقوم به .

ستكون « جدية الحياة » محددة وعظيمة ، ستصبح الحياة أكثر جدية بكثير مما هى الآن . ولن يوجد فيما بعد هذا العزاء الوهمى الذى تسرب إلى الكثيرين بأن الموت ينهى كل شىء ، فالموت لا ينهى شيئاً بل تبدأ به أشياء وأشياء . ولا تدعنى أخيب أملك ؛ ففى هذه الأشياء الجديدة من خير أكثر مما فيها من شر . وإذا أضاف المكتب إلى تعاسة أولئك الذين لا يعرفون الله اليقين بأنه لا فرار منه — ولا حتى فى القبر — فإنه سيجعل من الكون

كله معبداً لله تتوافر محبته حيثما توافر الهواء والضياء . »

ثم تتحدث جوليا عن احتمال تداخل بعض الأرواح الشريرة قائلة : « إن هدف الحياة هو أن نناجى الله الذى فينا وننميه . وذلك لا يتحقق بأن تسمح لغيرك أن يوجهك الوجهة التى يريدها ، لكنك ستجد أن الهدف الذى رسمه الآب لا يمكن أن يفسده جنون الأبناء على هذا الجانب أو ذاك. إن هاته الأرواح التى ستحاول أن تتدخل أكثر مما ينبغى لتفسد عملنا ستهرب منا وستخرج خارجاً ، ويضيع سلطانها ، وهكذا ستسير الأمور فى طريقها الصحيح فى النهاية .

كما ستجد أيضاً أن ثمت أضراراً ستحدث من أن أشخاصاً فى حياتكم الأرضية سيحاولون أن يجعلوا أفكارهم تصاغ لهم هنا بواسطتنا . كما يوجد هنا آباء كثيرون وآخرون على هذا الجانب يعيشون فى لهفة إلى أن يواصلوا استعمال سلطانهم على أولادهم الذى فقدوه بالانتقال . . . فلمَ إذا تجدنى مهتمة بانشاء هذا المكتب كما تقول ؟!

إنى مهتمة بذلك لأن فوائده ستكون أعظم بكثير من أضراره . فإذا أردت أن يكون عندك تليفون فليس معنى ذلك أنك تريد أن يطلبك الناس دائما أو أن يخبروك بما ينبغى عليك أن تفعله ، إنه على هذا الوضع يصبح محض ضرر، وهكذا يمكن أيضاً أن يصبح مكتبى . فإذا ما أمكنك أن تحقق الاتصال لمجرد إثبات أن الحياة مستمرة وأن الحب باق ، وأن العالم الآخر على صلة بعالمكم ...ألا يكفى ذلك ؟ ..لو أن ذلك كان كذلك فحسب، ولا شىء غيره ، لاستحق العناء لكى يعود قوياً الشعور بالعالم غير المنظور وحقيقة المحبة الخالدة . إن ذلك يكفى »(١).

كما تقول أيضاً نفس الروح : « لن تأتى أى روح فى أية درجة من درجات التقدم للاتصال عن طريق مكتبك إلا كيما تؤكد لكم أنه لا توجد أية لحظة

---

(١) After Death المرجع السابق ص ٦٧ — ٧٦ .

توقف فى دوام الوجود الإنسانى . سيقولون جميعهم لك إن الموت انتقال أكثر منه تحول . ورغم أن الانتقال هام فإنه لا يهدم حياة الروح فى أى معنى من المعانى . جميعهم سيقولون لك ذلك . وجميعهم سيشهدون بالواقع، وهو أنهم ظلوا يواصلون الوجود فى حياة واعية لا يفصلها أى حاجز عن الحياة السابقة . بغير شك يوجد تغيير ، لكنه تغيير فى ظروف الحياة أكثر منه فى صفات الإنسان . والذاكرة تبدو أكثر سرعة لا خمولا ، والعقل يبدو أقوى بصيرة . .

لن تأتى إليك روح واحدة إلا كيما تقرر لك أن المادة التى تغمركم محض بخار ووهم من صنع العقل يضيع مع الموت، أما الروح فهى الحقيقة الوحيدة سواء أكانت فى الجسد أم خارجه، وهذه هى الروح التى تحيا ثم تحيا . وهذان الشيئان : وهما دوام الإحساس الواعى بالذات ، وفراغ المادة معروفان عندهم ، وهما حقيقتان كونيتان . . فحيثما كنا فلن يحدث خطأ فى هاتين النقطتين . »[1]

وهكذا ظلت جوليا تلح بعشرات من الخطابات الرائعة على وسيطها ستيد — ولمدة زهاء أربع سنوات — كيما يقبل أن يفتتح « مكتب القنطرة » هذا الذى افتتحه فى النهاية تحت اسم « مكتب جوليا » بعد تردد كبير ومناقشات طويلة بينهما .

وكان ستيد ينفق على « مكتب جوليا » حوالى ألف وخمسمائة جنيه سنوياً لمجرد نشر الدعوة الروحية التى وهبها جزءاً كبيراً من ثروته العريضة . كما أنشأ لها مكتبة عامة وكان انضمامه إلى الحركة الروحية ودفاعه عنها كسباً كبيراً لها ، لما كان يعرف عنه من نضج عقلى . ومن بنيان خلق متين دفعه إلى أن يرفض تنفيذ وصية اللورد الثرى

---

(١) « بعد الموت » After Death المرجع السابق طبعة ١٩٥٢ ص ٦٧ — ٨٢ .

سيسيل رودس ، لأنه وجد فيها شرطاً يخالف مبادئه الخلقية رغم ما كانت ستدره عليه من دخل سنوى كبير .

وكان يصدر أيضاً جريدة ربع سنوية متخصصة فى موضوع الأرواح اسمها « الأرض المجاورة »[١] ظلت منتظمة لمدة أربع سنوات ، ابتداء من سنة ١٨٩٤ وصدر آخر أعدادها فى أكتوبر سنة ١٨٩٧ ثم توقفت بعد ذلك بتوقف رسائل روحه المرشدة لفتره من الوقت . ثم عادت الصلة من جديد بين ستيد وروحه المرشدة ، وظل على صلة وثيقة بها عن طريق الكتابة التلقائية . وآخر رسائلها له كانت فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٠٨ ، أى أن صلتهما ظلت قائمة لمدة حوالى خمس عشرة سنة . وبعد انتقاله التقى بها هناك وأخذا يواصلان معاً إرسال الرسائل من جديد إلى هذا المكتب الذى أعيد افتتاحه فى سنة ١٩١٤ تحت اسم « مكتبة ستيد ومكتبه » W. T. Stead Library And Bureau وكان عنوانه حتى سنة ١٩٢٧ هو ٥ ميدان سميث بلندن 5, Smith Square .

وقد انتقل ستيد إلى عالم الروح فى حادثة غرق الباخرة تيتانيك فى شهر ابريل من سنة ١٩١٢ . وظل بعد انتقاله يراسل عالم المادة بخطابات كثيرة ، وبكتاب كامل أملاه على الوسيط بارودى ودمان عنوانه « الجزيرة الزرقاء »[٢] ، وقد ترجمه إلى العربية الأستاذ عبد الحميد فهمى مطر تحت عنوان « ميت يتكلم » .

وقامت بنشر هذا الكتاب كريمته استيل ستيد بمقدمة من سير آرثر كونان دويل يشهد فيها — كناقد أدبى — بمطابقة أسلوب الكتاب لأسلوب ستيد ، ومعه صورة روحية التقطت له فى دائرة كرو فى سنة ١٩١٥ . وسنعرض على القارىء بعض صفحات من هذا الكتاب الرائع فى الجزء الثانى فى الفصل الذى خصصناه لوصف عالم الروح ، ثم فى الفصل الذى خصصناه لمشكلة « الخلق والضمير » ، كيما نبين كيف يعالج ستيد دور الضمير

---

(١) Borderland.
(٢) The Blue Island.

هناك — بعـــد إذ لمسه بنفسه — بطريقة الـكاتب القدير والإنسان اليقظ الضمير .

آرثر كونان دويل

ومن هؤلاء الـكتاب سير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle الذى كان طبيباً وفى نفس الوقت أديباً وخطيباً وقصصياً ذائع الصيت . ولعل كثيراً من القراء قرأوا له بعض قصصه عن شارلوك هولمز والدكتور واطسن، وكان يتحدث فيها أحياناً عن الأرواح والأشباح ، لأن له تجارب معها دامت أكثر من ثلاثين عاماً ودفعت دويل إلى تأليف كتبه فى الأرواح التى أهمها: «الوحى الجديد»[١] (١٩١٨) و«الرسالة الحيوية»[٢] (١٩١٩) ثم «مغامرتنا الأمريكية»[٣] (١٩٢٣) و«مغامرتنا الأمريكية الثانية»[٤] (١٩٢٤) وفيهما مجموعة خطب ومحاضرات كان قد ألقاها فى أمريكا عندما زارها داعياً لهذا الموضوع . ثم كتاب «البينة على التصوير الروحى»[٥] (١٩٢٤) و«تاريخ الروحية»[٦] فى جزئين كبيرين (١٩٢٦) وكتاب «جولات روحى»[٧] (١٩٢٦) و«قدوم الجنيات»[٨] فضلا عن بعض القصص الروحية مثل قصة «أرض الضباب»[٩] (١٩٢٦) .

كما قام دويل بنشر عدد من الـكتب والرســـائل الواردة من عالم الروح ، منها مثلا «القارىء الروحى»[١٠] الذى قدم له بمقدمة يقرر

---

(١) The New Revelation.
(٢) The Vital Message.
(٣) Our American Adventure.
(٤) Our Second American Adventure.
(٥) The Evidence For Spirit Photography.
(٦) The History Of Spiritualism.
(٧) Wanderings Of A Spiritualist.
(٨) The Coming Of The Fairies.
(٩) The Land Of Mist.
(١٠) The Spiritualist's Reader.


آرثر كونان دويل

فيها أن القارىء سيؤخذ ولا شك بالمستوى الرفيع لهذه الرسائل ، وبتوافقها الواضح فى الكليات مع أنها استمدت من مصادر متعددة .

وقد قام دويل بدور هام فى إنشاء «الكلية البريطانية للعلم الروحى»[١] بالاشتراك مع سير وليام باريت ، الذى تحدثنا عنه آنفاً ، وكان مديراً لها فى وقت ما . واختير عضواً منذ سنة ١٩٠٢ فى «جمعية البحث الروحى S. P. R.» التى تحدثنا عنها أيضاً ، وأصبح رئيساً شرفياً منذ سنة ١٩١٥ «للاتحاد الدولى للروحيين[٢]» ، ورئيساً شرفياً «للاتحاد الأهلى للروحيين ، بلندن[٣]» و «الاتحاد اللندنى للروحيين[٤]» .

وقد تأثر دويل بويلات الحرب العالمية الأولى إلى المدى الذى دفعه إلى أن يهب للدعوة الروحية بقية حياته ، إيماناً منه بأنها دعوة سلام ومحبة وإخاء بين جميع الأجناس والأوطان والأديان . فأخذ منذ سنة ١٩١٨ يلقى المحاضرات تباعاً فى موضوع الاتصال بالأرواح هذا وثبوت الحياة بعد الموت . فسافر إلى استراليا ونيوزيلندا لهذا الغرض فى سنتى ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ثم إلى أمريكا فى سنة ١٩٢٢ ، ثم إلى أوروبا وجنوب أفريقيا فى سنة ١٩٢٨ .

---

(١) British College Of Psychic Science.

(٢) International Spiritualist Federation.
ومقره الرئيسى بباريس 8 Rue Copernic وله فروع فى شتى أنحاء العالم .

(٣) Spiritualist National Union.

(٤) London Spiritualist Alliance. وعنوانه
16, Queensberry Place, South Kensington S. W.

وأصبح — بسبب رحلاته هذه — يطلق عليه لقب « قديس بولس الروحية » إذ أن القديس بولس معروف أيضاً برحلاته الكثيرة بين الرومان واليونان لتعريفهم بعقيدته الجديدة .

وبالإضافة إلى نشاطه فى البحث والتأليف والخطابة ، أسس دويل فى سنة ١٩٢٥ المتحف الروحى بلندن Psychic Museum كيما تعرض فيه صور فوتوغرافية للأرواح ولوحات وكتابات للوسطاء الروحيين ، ومجلوبات روحية ونماذج من تجسدات الأيدى والأعضاء وغير ذلك ، على أن تقدم من هيئات موثوق بها ، وهو متحف دائم ويعتبر الوحيد من نوعه فى العالم وملحقة به مكتبة روحية[1] . وقد انتقل دويل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٣٠ .

وبعد انتقاله ظل يشرف على بعض الدوائر الروحية وتلقى منه الكثيرون معلومات هامة دقيقة ، كما أمكن لبعض الباحثين أن يلتقط له صوراً . ومن هؤلاء الأسقف شارل تويدل Charles Tweedale رئيس أساقفة يوركشير الذى نشر صورة له التقطها بنفسه — وفى داخل منزله — وبوساطة زوجته وكريمته ، كما نشر أنباءه فى مؤلف عنوانه «أنباء من العالم الآخر»[2]، ومعه صور كثيرة لأشخاص آخرين مع أنبائهم هم أيضاً .

كما فعل مثل ذلك الأستاذ واريك Warrick الذى نشر أنباء أخرى لدويل مع مناظر متعددة لعالم الروح أرسلت بمساعدته فى مؤلف له عنوانه « تجارب فى الروحيات »[3] قدم له سير أوليفر لودج شاهداً بدقة المؤلف ، وبطريقته الجادة الأمينة فى البحث الروحى . فما رأى السادة المعارضين

(١) وعنوان هذا المتحف كالآتى :
Abbey House, Victoria Street, Close to Westminister Abbey.

(٢) News From The Next World.

(٣) Experiments In Psychics

حتى الآن ؟.. إن البينات كثيرة وأكثر بكثير مما يلزم للراغب فى الاقتناع الموضوعى المحايد .

كذلك أملى كونان دويل بعد انتقاله على الوسيطة جريس كوك رسائل كثيرة تتميز كلها بنفس أسلوبه الجذاب وطريقته الشائقة المعروفة التى يعرفها أى ناقد أدبى وفى بعضها يقول : « وُصفت أثناء حياتى الأرضية بأننى صاحب رسالة ، وها أنا مازلت أتمم هذا العمل لسكان الدنيا ولو اختلفت الوسائل عن تلك التى تعودت اتباعها . ما أصعبها من مهمة ، مهمة الاتصال مع الأرض وسكانها ! إن كل شىء يختلف عما كنت أنتظره ...

عندما ينتقل المرء من العالم الكوكبى يخلع المحارة أو الرداء الذى كان يضم النفس عند حياتها الأرضية هذا الرداء يظل فى العالم الكوكبى الذى نموت فيه(يتحدث عن الموت الثانى) لكى نرتفع إلى حياة روحية حقة ... ويجب أن ندرك أن نسبة كبيرة من الناس الذين يعيشون فى العوالم الكوكبية ليست لهم رغبة بالمرة فى العودة إلى الأرض لأنهم لم يعودوا يهتمون سواء بتقدمها أم بالناس الذين تركوهم عليها . وهذا هو السبب فى أنه لا يجب على كل إنسان ان يبحث أو يحاول الاتصال بالقوة بين عالمه والعالم الذى تسمونه عالم الأموات .

إن الروحية فى العالم ينبغى أن تتطور فى المستقبل . ينبغى أن تتغير من حالتها الراهنة من اللهو والمداعبة بين الإنسان والنفوس المنتقلة ، حيث تثار فيها الذكريات الشخصية المتبع والحوادث الدنيوية ، إلى تفاهم أتم بين النفوس يؤدى إلى التعرف على الحاجيات الروحية لكل نفس .

إنى أريد أن أكشف لكل أصدقائى بكل ما أوتيت من قوة روحى الحديثة الانطلاق عن الرجل الجديد الذى هو دويل . إنى لم أعد أهتم بعد بكل تفاصيل الحياة الدنيوية ، اللهم إلا إذا كانت هذه تؤثر فى التقدم

الروحى للشخص المقصود . وليس فى إمكانى مساعدة شخص على النجاة بإخباره بالأسس التى تقوم عليها الحياة الروحية .

« نعم نعم إن دويل القديم يبدو أنه انتقل ولكن سوف أبرهن لكم جميعاً أنى عندما أموت أعيش من جديد ... نعم وأنه ليس هناك طلاء يترك على الإنسان عندما يمر من الموت الثانى ، فروحه الصافية هى التى تبقى بعد تلك التجربة العليا ، آه ولكن تلك هى اليقظة الثانية بالنسبة لى . وعندئذ أصبحت داعياً لشىء واحد فقط ، ويا للعجب لشىء واحد فقط ، وهو اللانهائية الكلية لمحبة الله لى ولكل البشر .

« وفى تلك اللحظة العليا أدركت أنه لا يوجد شىء اسمه الوجود المنفرد عن الله ، لأنه فى تلك اللحظة تموت الشخصية التى تفصل الإنسان عن الله وتولد له شخصية من جديد . لقد رأيت أمامى كتلة متدفقة من الحياة ومن الوجود الروحى الذى انتقلت إليه كل نفوس البشر الذين عاشوا فى طهر وفى إنكار للذات .

« إنى لا أريد إفساد معتقداتكم فى الروحية ، وإنما أحاول وضع فهم أكثر عمقاً وحكمة ودقة للحق المبين للحياة بعد الموت . إن بعض الذين ينتقلون من عندكم يكونون فى حالة إنهاك عقلى وروحى ، وبذا يعيشون أزمان طويلة كما لو كانوا فى حلم ، وبعض النفوس الأخرى يخترق العوالم السفلية بسرعة ويرمى بالجسم الكوكبى الثقيل ثم يدخل ملكوت السموات .

تذكروا أنه فى حالة وعى كهذا فقط تواجه النفس البشرية بحكمها أو بالله ، وعندما تواجه بهذا الحكم الذى ما هو إلا إدراك النفس على حقيقتها يصبح الإنسان قادراً على النظر فى أعماق ذاته مرة واحدة وإلى الأبد ...

... أنا لا أحب أن أتكلم الآن بلفظ « أنا » لقد أصبحت « نحن » بدلا منها ، وهذا هو شعور كل من يدخل إلى مملكة الحياة الروحية حيث

لا انفصال بينه وبين إخوانه ولا بينه وبين الله . عندئذ سوف يعلم الإنسان أنه لايستطيع التفكير أو الكلام أو العمل منفرداً بنفسه، لأن كل فكرة أو كلمة أو عمل له تأثير فى المجموعة كلها ... »[1]

هذا وقد أذاعت محطات الإذاعة فى بريطانيا واستراليا فى سنة ١٩٥٣ خطبة كاملة لروح سير آرثر كونان دويل مسجلة على شريط عن طريق وساطة الصوت المباشر استغرقت إذاعتها مدة خمس وأربعين دقيقة .

إرنست أوتن

كان الأديب الكبير إرنست أوتن Ernest Oaten هو الساعد الأيمن لسير آرثر كونان دويل أثناء حياته فى الدعوة للروحية الحديثة ، وكان المنظم لرحلاته فى البلاد المختلفة . ويرجع إليه جزء كبير من الفضل فى إنشاء « الاتحاد الوطنى للروحيين » Spiritualist National Union ، الذى أصبح رئيسه فى سنة ١٩١٥ . وفى سنة ١٩١٩ تولى رئاسة تحرير جريدة العالمين The Two Worlds الروحية وظل يشغل هذا المنصب حتى سنة ١٩٤٥ حين خلفه فيه إرنست تومسون Ernest Thompson الذى سنشير إليه فيما بعد .

وقاد أوتن حملة فى البرلمان البريطانى فى سنة ١٩١٦ للاعتراف بالوساطة الروحية وتنظيم ممارستها، كما دافع عن قضاياها فى كل مناسبة، ومثل الروحية فى اللجنة التى شكلها أسقف كنتربرى ، وقام بإلقاء عدة محاضرات فى الإذاعة البريطانية عن موضوع الأرواح . وينظر إليه هناك كرائد للتفكير الروحى ولفلسفاته .

ألفرد كيتسون

ممن يمكن عدهم من الرواد الأوائل للحركة الروحية فى انجلترا ألفرد كيتسون Alfred Kitson (١٨٥٥ — ١٩٤٣) . وقد حمل لواء الدعوة

(١) ترجمة الدكتور على راضى فى « أرواح مرسلة » ص ٧٨ — ٨١ .

لنشر المعرفة الروحية بين الأطفال والأولاد، وكان ذلك قد بدأ فعلا منـذ سنة ١٨٦٦ عندما افتتح ج . هيتشكوك J. HitchcocK أول مدرسة روحية للأولاد . ثم بافتتاح مدرسة ساوربى Sowerby Bridge Lyceum فى سنة ١٨٧٠ فدعا كيتسون لإنشاء مدارس مماثلة للأطفال حتى تعدهم الإعدادالروحى المطلوب، كما يحسنوا فهم الحياة على المستويين الأرضى والروحى أيضاً ، وبدأ منذ سنة ١٨٨٢ فى تدريس الروحية فى مدرسة باتلى كارBatley Carr Lyceumووضع لها منهاجاً مماثلا للمنهاج الذى وضعه لمثل هذه المدارس فى أمريكا رائد الروحية أندرو جاكسون دافيز A. J. Davis .⁽¹⁾



ألفريد كيتسون

وقد نجحت حركة إنشاء مدارس روحية فى مستوى المدارس الثانوية للأولاد والبنات إلى الحد الذى اقتضى عقد مؤتمر فى برادفورد فى سنة ١٨٨٦ حين ظهرت الحاجة إلى كتاب مناسب يدرس فى هذه المدارس A Lyceum Manual والتى تبلورت عن ظهور هذا الكتاب من تأليف كيتسون وكيرزى Kersey فى سنة ١٨٨٧ .

وبفضل جهود كيتسون أيضاً تأسس « الاتحاد البريطانى للمدارس الروحية⁽٢⁾ » بمدينة أولدهام فى سنة ١٨٩٠ وظل كيتسون سكرتيراً لهـذا الاتحاد لمدة تسعة وعشرين عاماً . ويوجد هناك من يطالب بجعل العلم الروحى إجبارياً فى جميع المدارس . وذلك إيماناً منهم بأن التعليم الذى

(١) راجع ماسبق عنه فى ص ١٠٢ .

(٢) The British Spirituatist's Lyceum Union.

لا يكشف عن الروح ، ولا يمهد للإنسان أن يعرف نفسه جيداً ، إنما هو تعليم ضال يقوم به عميان يقودون عمياناً . ولأن الطفل الذى يلقن أن الإنسان مجرد حيوان راق لن يحاول استطلاع نفسه فى المستقبل، ولن يحاول التسامى إلى مستواه الحقيقى الذى أعدته له طبيعته الروحية الحقة .

هانن سوافر

من الكتاب البريطانيين أيضاً هانن سوافر Hannen Swaffer الذى كان مثل سلفه ستيد نقيباً للصحافيين هناك . وقد اقتنع بصحة موضوع الأرواح بعد جلساته مع وسيط الصوت المباشر دنيز برادلى Dennis Bradley فى سنة ١٩٢٤ . ومنذ هذا التاريخ أخذ يواصل البحث ويعقد جلسات دورية منتظمة فى منزله إلى حين انتقاله . وكان من أهم وسطائها موريس باربانيل Maurice Barbannell الوسيط للروح الحكيم سيلفر بيرش Silver Birch (أى الشجرة الفضية) وهى التى كانت تتولى الإرشاد الدائم فى دائرة هانن سوافر المنزلية[1] .

وشأن آرثر كونان دويل كان هانن سوافر خطيباً مفوهاً أخذ على عاتقه أن يحاضر فى الأرواح جاعلا منها موضوعاً شعبياً . وبعد انتقال « دويل » إلى عالم الروح انتخب هانن سوافر خلفاً له كرئيس شرفى « للاتحاد الوطنى للروحيين S. N. U. » .

وكان هانن سوافر اشتراكياً متحمساً لاشتراكيته، معتقداً أن الروحية والاشتراكية مذهبان يكمل أحدهما الآخر . وكانت مكانته فى الحركة الاشتراكية ذات قيمة كبرى فى الكفاح لأجل الحرية الدينية فى البلاد الاشتراكية .

ومؤلفاته فى موضوع الأرواح « عودة نورثكليف[2] » (١٩٢٤)

---

(١) راجع عن هذه الدائرة كتاباً لمؤلف يدعى أوستن عنوانه :
W. Austen : Home Circle (of Hannen Swaffer).

(٢) Northcliffe's Return.

وفيه يتحدث عن عودة روح « ملك الصحافة » و « مغامرات مع الإلهام[1] » (١٩٢٩) ، و « دراسات فى السيكولوجيا[2] » (١٩٣٣) و « قصتى العظمى[3] (١٩٤٤). كما ظهر له مؤلف آخر عنوانه « أحاديثى مع الموتى »[4]. هذا وقد عقد اليوبيل المئوى للعلم الروحى احتفاله التاريخى بقاعة ألبرت تحت رئاسته .

وقد ساعد هانن سوافر على نشر فلسفة الروح الحكيم « سيلفر بيرش » أى الشجرة الفضية التى أشرنا إليها آنفاً ، والتى تعد حالياً أشهر روح مرشدة فى العالم بسبب آرائها التى تمتاز بجمالها وبعمقها مع بساطتها . وهى تعالج مشكلات الأرضيين وآلامهم وتجيب على أسئلتهم فى تدفق وبلاغة مما جعل هذه الكتب تترجم إلى أغلب لغات العالم الحية وتطبع تباعاً .

وأهم كتبها « تعاليم سيلفر بيرش[5] » و « تعاليم أخرى لسيلفر بيرش[6] » و « حكمة سيلفر بيرش[7] » و « حكمة أخرى لسيلفر بيرش[8] » و « سيلفر بيرش يتحدث[9] » و « سيلفر بيرش يتحدث ثانية[10] » . و « إلى الروح الأعظم[11] » وهو يتضمن مجموعة صلوات ودعاءات رائعة ...

كما ساعد فى نشر هذه الفلسفة أيضاً وسيط هذه الروح وهو الأديب موريس باربانل Maurice Barbanell والكاتبة سيلفيا باربانل Sylvia Barbanell. وسنشير فيما بعد إلى نبذات من أقوالها فى الجزء الثانى فى الباب الذى خصصناه لمعالجة « بعض المشكلات الفلسفية فى ضوء العلم الروحى الحديث » .

---

(١) Adventures With Inspiration.

(٢) Studies In Psychology.

(٣) My Greatest Story.

(٤) My Talks With the Dead.

(٥) Teachings of Silver Birch.

(٦) More Teachings of Silver Birch.

(٧) Wisdom of Silver Birch.

(٨) More Wisdom of Silver Birch.

(٩) Silver Birch Speaks.

(١٠) Silver Birch Speaks Again

(١١) To The Great Spirit.

جيمس آرثر فندلاى

يعد جيمس آرثرفندلاى James Arthur Findlay من ألمع قادة الحركة الروحية فى بريطانيا . وقد ولد فى جلاسجو فى سنة ١٨٨٣ من أسرة مشتغلة بالمسائل المالية والاقتصادية . وبعد أن أتم تعليمه بجامعة فيت Fette ثم بجامعة جنيف بدأ حياته الاقتصادية . ثم أصبح مديراً لعدة شركات ، إلا أن هذا النجاح المادى لم يشغله عن موضوع الأرواح ، فإذا به يبحث فيه ويؤلف ويخطب فى قاعات الخطابة فى معظم مدن انجلترا ، معالجا إياه من زواياه العلمية والفلسفية ، ببلاغة لاتقل عن بلاغة آرثر كونان دويل أو هانن سوافر .

ومن مؤلفاته فى الروحية « على حافة العالم الأثيرى[1] » وهو من أشهر الكتب الشعبية فى هذا الموضوع ، إذ ظهر فى سنة ١٩٣١ ، ولم تأت سنة ١٩٤٢ إلا وقد ظهرت طبعته الأربعون ، وقال الطبيب الدكتور جورج لندسى جونسون فى مقدمة كتابه « المسألة الكبرى والبينة على حلها[2] » إن مؤلفات فندلاى « قد حركت شعور الناس بشكل لم تصل إليه أية مؤلفات أخرى ، فأمكنها فى النهاية أن تثبت بشكل قاطع أن للإنسان حياة بعد الموت ، وأن فى الوجود عالماً ووعياً آخر يحيط بنا » .

كما قالت عنه « موسوعة العلم الروحى »[3] إنه « فى التدليل على صدق الدعاوى الروحية قد استند إلى تلك الزيادات المضطردة فى علم الفيزياء » . فلا غرابة إذا ماترجم هذا الكتاب إلى حوالى عشرين لغة وطبع بحروف

---

(١) On The Edge Of The Etheric.

(٢) The Great Problem And The Evidence For Its Solution.

(٣) Encyclopedia Of Psychic Science.

لصاحبها الدكتور ناندور فودور Nandor Fodor.

العميان وقد ترجمه إلى العربية الفقيد الكبير الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير، ولنا عودة إلى بعض صفحاته عندما نعالج عالم الروح من ناحيتى تعيين موقعه ووصف ظروف الحياة فيه .

ثم ظهرت لفندلاى مؤلفات متعددة فى العلم الروحى قابلتها البيئات العلمية بتقدير كبير مثل «صخرة الحق»[١] (١٩٣٣) و « الكون المنشور»[٢] (١٩٣٥) و « مشعل العرفان »[٣] (١٩٣٦) و « المجرى الروحى »[٤] (١٩٣٩) و «لعنة الجهل»[٥] (١٩٤٧) فى جزئين ضخمين ، وفيهما يستعرض تاريخ الحضارات والشعوب من وجهة نظر العلم الروحى الحديث .

وكان آرثر فندلاى إلى حين انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٦٤ مديراً «للمعهد الدولى للبحث الروحى» بلندن كما كان أحد نواب رئيس «اتحاد الروحيين الوطنى» S. N. U. ورئيساً سابقاً «للاتحاد الروحى اللندنى» وقد أسس فى سنة ١٩٢٠ «جمعية جلاسجو للبحث الروحى» . وهو بالإضافة إلى ما تقدم مؤسس جريدة الأنباء الروحية Psychic News التى تصدر أسبوعياً منذ سنة ١٩٣٢ .

شو دزموند

من أبرز الكتاب الروحيين شـو دزموند Shaw Desmond وهو كاتب قصصى ومسرحى إرلنـــدى المولد ، وصاحب خبرة خمسة وعشرين عاماً فى هذا الموضوع ، كما هو صاحب مؤلفات كثيرة فيه . وكثيراً ما كان يحاضر فيه فى جامعتى اكسفورد وكمبردج ولقيت محاضراته إقبالا كبيراً . وقد سافر للمحاضرة فى هذا الشـأن إلى أمريكا واسكندناوه وبلاد القارة الأوربية وتلق مؤلفاته فى الأرواح نفس

---

(١) The Rock Of Truth.
(٢) The Unfolding Universe.
(٣) The Torch Of Knowledge.
(٤) The Psychic Stream.
(٥) The Curse Of Ignorance.

الإقبال ، وأهمها : « كيف تحيا عندما تموت »[١] أو الدليل للعالم الآخر . وفيه يوضح لكل إنسان أهم المشكلات التى سيقابلها هناك بمجرد انتقاله وطرق التغلب عليها ، و « نحن لانموت »[٢] ، و « يمكنك الحديث مع موتاك »[٣] و « الروحية ؟ »[٤] و « عودة التجسد لكل إنسان »[٥] و « لم يمت إنسان منذ الأزل »[٦] و « الحب بعد الموت »[٧] وفيه يعالج المشكلات العاطفية فى الحياة الأخرى بأسلوب شائق بناء على معلومات يقول إنه تلقاها من مرشديه فى عالم الروح . ويحاول أن يعالج بعض جوانب مشكلاتنا العاطفية أيضاً فى ضوء هذه المعلومات الروحية ، ولنا عودة تفصيلية إلى هذا الموضوع فى الباب الثانى من الجزء الثانى .

وقد أسهم دزموند فى تأسيس « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن ، كما كان إلى حين انتقاله — منذ سنوات قلائل — رئيساً « لرابطة الحياة بعد الموت[٨] » .

موريس باربانيل

من الكتاب المعروفين أيضاً موريس باربانيل Maurice Barbanell وهو حالياً رئيس تحرير جريدة السايكك نيوز (أى الأنباء الروحية) وقد مراسه فيما مضى كوسيط للروح الحكيم سيلفر بيرش ، وله جملة مؤلفات قيمة فى فلسفة الروحية منها : « سوف يدوى البوق »[٩] و « سوف

---

(١) How You Live When You Die.
(٢) We Do Not Die.
(٣) You Can Speak With Your Dead.
(٤) Spiritualism?
(٥) Reincarnation For Everyman.
(٦) Nobody Has Ever Died.
(٧) Love After Death.
(٨) The Survival League.
(٩) The Trumpet Shall Sound.

يتعزون »[1] و«عبر البرزخ»[2] و«حالة هيلين دنكان»[3] و«دع حرائق روما تشتعل»[4] و«قوة الروح»[5] و«حيث توجد إرادة»[6].

كما عنى فى مؤلفات أخرى بدراسة بعض وسطاء العلاج الروحى، فألف كتاباً عن وسيط معروف فى تاريخ الروحية وهو وليام باريش تحت عنوان «باريش المعالج»[7]، وألف كتابا آخر عن وسيط معروف على قيد الحياة تحت عنوان «هارى ادواردز وعلاجه»[8]، فضلا عن كتاب آخر عن العلاج الروحى تحت عنوان «ملحمة العلاج الروحى»[9].

واليس

كان ا. و. واليس E. W. Wallis (١٨٤٨ — ١٩١٤) أديباً ووسيطاً للإلهام وللغيبوبة وخطيباً ومعالجاً روحياً. وقد تولى رئاسة تحرير جريدة العالمين The Two Worlds منذ أصدرتها فى سنة ١٨٨٧ الرائدة الروحية إيما هاردنج برتين Emma Hardinge Britten حتى سنة ١٨٩٩ حين ترك منصبه هذا كيما يصبح رئيساً لتحرير جريدة لايت Light الروحية، وظل يشغل هذا المنصب الأخير حتى تاريخ انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩١٤. وجريدة العالمين هذه تصدر الآن طبعتين إحداهما شهرية والأخرى أسبوعية، وتملك مكتبة ضخمة لبيع المؤلفات الروحية[10].

---

(١) They Shall Be Comforted.
(٢) Across The Gulf.
(٣) The Case Of Helen Duncan.
(٤) Keep The Rome Fires Burning.
(٥) Power Of The Spirit.
(٦) Where There Is A Will.
(٧) Parish The Healer.
(٨) Harry Edwards And His Healing.
(٩) Saga Of Spirit Healing.
(١٠) وعنوانها كالآتى: 18, Corporation Street, Manchester 4.

وكانت لواليس عدة أرواح مرشدة: منها لايتهارت Lightheart وستاندارد بيرر Standard Bearer وليدر Leader وتوم جويس Tom Joyce وغيرها. وكانت زوجته وسيطة أيضاً ، بدأت وساطتها فى الظهور منذ سنة ١٨٧٢ وكانت فى الثامنة عشرة من عمرها . وعملت وسيطة منذ سنة ١٨٧٥ « لمعهد جيمس بيرنز الروحى »[١] ، كما خضعت لتجارب « اتحاد الروحيين اللندنى »[٢]. ومن أهم أرواحها المرشدة فيناجورى Veina Goree وموراميو Morambo .

وأهم مؤلفات واليس « الروحية مشروحة »[٣] . وله عدة مؤلفات أخرى بالاشتراك مع زوجته وهى: « الدليل إلى الوساطة »[٤] و « المرشدون بالروح »[٥] و « الروحية فى الإنجيل »[٦] . ولزوجته بمفردها مؤلف بالإلهام الشعرى عنوانه « كما يجيئون »[٧] .

إرنست تومسون

ومنهم أيضاً كاتب وباحث معروف وهو إرنست تومسون Ernest Thompson الذى يعمل رئيساً لتحرير جريدة العالمين The Two Worlds التى أشرنا إليها آنفاً .

ومن أهم مؤلفاته « تاريخ الروحية الحديثة وأسسها العلمية »[٨] . وفى هذا المؤلف يربط تومسون بين أسس علم الروح الحديث وبين

---

(١) James Burnes Spiritual Institution.
(٢) London Spiritualist Alliance.
(٣) Spiritualism Explained.
(٤) Guide To Mediumship.
(٥) Spirit — Guided.
(٦) Spiritualism in the Bible.
(٧) As They Come Through.
(٨) History of Modern Spiritualism And Its Scientific Foundations.

مبادىء العلوم المادية . فهو يوضح تأييد الفيزياء له من نواحى الحركة والكهربائية والمغناطيسية والضوء والحرارة والصوت والطاقة والفعل والجاذبية والتناسق والنسبية . وفى علم الكيمياء من نواحى التمثيل الغذائى والذرة وحالات المادة والتركيبات العضوية وغير العضوية وفى الفسيولوجيا من نواحى وظائف الأعضاء والأعصاب والمخ والروح وفى البيولوجيا من نواحى نظرية التطور والانتخاب الطبيعى فى الحيوان والإنسان والروح. وفى السيكولوجيا من نواحى البيئة والغرائز والانعكاسات والطاقة والجنس والتحليل النفسى ، وحتى المشاعر التى يعانيها الإنسان المريض نفسانياً ، والوظائف الاجتماعية للعقل والإحساس بالمجهول والتنويم المغناطيسى والتلباثى والأحلام . وكل ذلك فى مقدرة واطلاع على هذه العلوم .

ومن مؤلفاته أيضاً « تعاليم الروحية »[١] و « ظواهر الروحية »[٢] و «علم الروحية »[٣] و «العلم فى عون الروحية »[٤] و « الاتصال الالكترونى »[٥] و «الأسس المستقبلة للروحية»[٦] و « الروحية فى تطور الدين »[٧] و « الروحية فى تطور الفلسفة »[٨]

جيرالدين كامينز

ومنهم أيضاً كاتبة روحية ووسيطة معروفة وهى جيرالدين كامينز Geraldine Cummins التى تلقى كتبها تقديراً خاصاً ومنها كتاب «مغامرات

---

(١) The Teachings Of Spiritualism.
(٢) The Phenomena Of Spiritualism.
(٣) The Science Of Spiritualism.
(٤) Science An Aid To Spiritualism.
(٥) Electronic Communication.
(٦) The Future Basis Of Spiritualism.
(٧) Spiritualism In The Evolution Of Religion.
(٨) Spiritualism In The Evolution Of Philosophy.

غير منظورة »[١] الذى قدم له دافيد جراى السفير الأمريكى السابق ، وهو يتضمن تجارب أربعة وثلاثين عاماً من العمل فى البحث الروحى .

ومنها أيضاً جملة مؤلفات تلقتها عن طريق وساطة الإلهام مثل « مخطوطات كليوفاس »[٢] و « أيام أفسس العظمى »[٣] و « عندما كان نيرون دكتاتوراً »[٤] و « طفولة المسيح »[٥] و « رجولة المسيح »[٦] و « بعث المسيح »[٧] و « ما يلى الشخصية الإنسانية »[٨] و « إنهم يحيون بعد الموت »[٩] و « المسافرون فى الأبدية »[١٠] و « العلاج الإدراكى »[١١] و « بولس فى أثينا »[١٢] و « بعد الفصح »[١٣] .

وفى مؤلفها « الطريق إلى الخلود »[١٤] (١٩٣٢) يجد القارىء بيانات هامة أملتها روح عالم النفس فردريك و . هـ . مايرز (الذى كان قد انتقل إلى عالم الروح منذ سنة ١٩٠١ عن « تقدم الروح خلال الحالات التى تلى الموت » . كما تلقى سير أوليفر لودج بينات خاصة من روح مايرز عن طريق الوسيطة مسز ليونارد عن اتصالاته بالوسيطة جيرالدين كامينز . . . على ما ذكره فى تقديمه لهذا الكتاب الذى يقول فيه أيضاً « إنى أعتقد أن هذا الكتاب مساهمة حقيقية كيما تلائم بالتقريب أفكاراً صادقة خلال وساطة ذات

(١) Unseen Adventures.
(٢) The Scripts Of Cleophas.
(٣) The Great Days Of Ephesus.
(٤) When Nero Was Dictator.
(٥) The Childhood Of Jesus.
(٦) The Manhood Of Jesus.
(٧) The Ressurrection Of Jesus.
(٨) Beyond Human Personality.
(٩) Thery Survive.
(١٠) Travellers In Eternity.
(١١) Perceptive Healing.
(١٢) Paul In Athens.
(١٣) After Pentecost.
(١٤) Road To Immortality.

ثقافة معقولة تميزها الرغبة المستمدة للخدمة المخلصة والأمانة الواضحة .. »

ولنا عودة إلى بعض هذه المعلومات فى الباب الأول من الجزء الثانى عند مانعالج موضوع موقع عالم الروح . ولنا عودة ثانية إلى معلومات أخرى أملتها روح مايرز فى جلسات شودزموند Shaw Desmond عن الحياة العاطفية هناك فى الباب الثانى من نفس الجزء .

بول ميللر

من مؤلفى الروحيـــة أيضاً بول ميللر Paul Miller ، وأهم مؤلفاته فيها « وجوه الموتى الأحياء »(١) و « موكب الروح »(٢) و « عدو الجنس البشرى »(٣) و « العلم فى غرفة الجلسات »(٤) و « موتى الحرب يعودون »(٥) . وقد درس موهبة العلاج الروحى وألف فيها كتاباً تحت عنوان « ولد كيما يعالج »(٦) تناول فيه وساطة المعالج هارى إدواردز Harry Edwards الذى ألفت عنه كتب أخرى من أشخاص شاهدوا معجزاته العلاجية وتحققوا منها بأنفسهم .

وعن مؤلفه « وجوه الموتى الأحياء » الذى ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩٤٣ نقدم فيما يلى بالصور بعض نماذج عن نتائج التحقيق الذى أجراه مع الرسام الروحى فرانك ليه Frank Leah المعروف بأنه وسيط للجلاء البصرى يرى الأرواح التى لايعرف أصحابها ويرسمها واضحة ، والذى اقتضى من ميللر مثابرة فى عشرات من التجارب الناجحة .

---

(١) Faces Of The Living Dead.

(٢) Cavelcade Of The Spirit.

(٣) The Enemy Of Mankind.

(٤) Tcience In The Seance Room.

(٥) The War Dead Return.

(٦) Born To Heal.

بعض نماذج من رسوم الأرواح الغير المنظورة



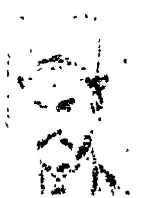


The first psychic drawing [illegible] photograph (centre) shows the [illegible]. The second psychic drawing (right) shows [illegible] during his last illness. [illegible] page 15)




Psychic drawing of Ann Hill (See page 15) Photograph of Ann Hill.

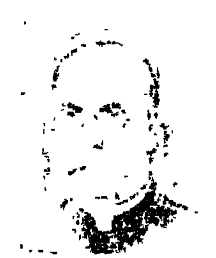




The first picture is a spirit drawing of the man in the middle. The third picture is also a psychic drawing when he posed in his top hat to show how well-dressed he was when he went to work. (See page 15)

بعض رسوم روحية لوجوه «الموتى الأحياء» كما رسمها رسام الأرواح فرانك ليه Frank Leah تحت الرقابة العلمية ، وقام بمطابقتها على صور فوتوغرافية لهم البحاثة المعروف بول ميلر فى مؤلفـــه Faces Of The Living Dead . والرسام لا يعرف أصحاب هذه الرسوم وقام بتحقيق وساطته عدد آخر من الباحثين فجاءت نتائج تحقيقهم إيجابية أيضاً (راجع أيضاً التحقيق الإيجابى المنشور فى جريدة السايك نيوز عدد يونية سنة ١٩٦٤ رقم ١٦٧٤)

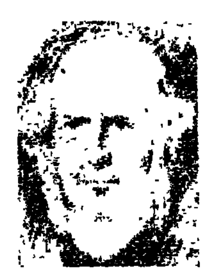
نماذج أخرى من تحقيق وساطة فرانك لبه رسام الأرواح



Psychic drawing of the Rev. G. Gibson Gunn.



Photograph of the same man.



Psychic drawing of John Millard



Photograph of John Millard.



Psychic drawing of the stranger.



Photograph of the stranger.



صورة فوتوغرافية أثناء الحياة الأرضية لمستر تيفرسون Teverson كما عثر عليها الوجانة بول ميللر (مؤلفه المشار إليه آنفاً ص ٢٦ وما بعدها) .

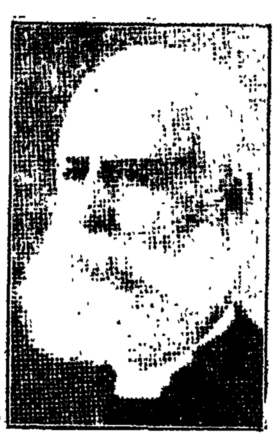


رسم الروح التي لا يعرفها الرسام فرانك ليه . ولم يرَ صورتها من قبل



Bust modelled in two hours, based on Leah's psychic portrait.

نموذج لرأس ريتشاردسون صنع في ساعتين مطابقاً للرسم الروحي الذي قام بعمله الرسام فرانك ليه (عن المرجع السابق) .



Normal photograph later sent from America by his son. (See page 51)

صورة فوتوغرافية عادية المتوفى قبل وفاته أرسلها ابنه من أمريكا لمضاهاتها على الرسم الذي إلى اليسار بعد إذ تم صنعه بالفعل .



Psychic drawing of Archdeacon Richardson, of Ontario, Canada.

رسم روح الأرشيد ياكون ريشاردسون من أونتاريو بكندا ، الذي لا يعرفه الرسام الروحي فرانك ليه ، ولم يسبق له رؤيته .

و . ﻫ . إيفانز

من الباحثين الروحيين واحد معروف فى الفلسفة الروحية بوجه خاص هو و . ﻫ . إيفانز W. H. Evans الذى كان — رئيس تحرير جريدة Beyond الروحيـــة الشهرية — وأهم مؤلفاته فيها « الروحية الحديثة »[١] و «الروحية للإنسان المشغول»[٢] و « كيف تصبح وسيطاً[٣]» و « شمعة الإله »[٤] و «الروحية فلسفة الحياة »[٥] و « الروحية البناءة»[٦] و « وزنابق المذبح »[٧] و « الكل واحد »[٨] و « سماء جديدة »[٩] و « هل العودة للتجسد حقيقة أم خرافة ؟ »[١٠] .

كما يعد إيفانز حجة فى وساطة العامل الوسيط أندرو جاكسون دافيز وفى الفلسفة الرائعة التى تلقاها بطريق الإلهام ، وله فى شرح فلسفته فى التناسق مؤلف عنوانه « اثنتا عشرة محاضرة فى فلسفة التناسق لأندرو جاكسون دافيز[١١] » .

فردريك . ﻫ . وود

ومنهم الدكتور فردريك . ﻫ . وود Feredric H, Wood ، وهو ملحن وصاحب عدة مؤلفات فى الموسيقى والأناشيد . وأهم مؤلفاته فى الروحية

---

(١) Modern Spiritualism.
(٢) Spiritualism For The Busy Man.
(٣) How To Be A Medium.
(٤) The Candle Of The Lord.
(٥) Spiritualism, A Philosophy Of Life.
(٦) Constructive Spiritualism.
(٧) Altar Lilies
(٨) All Is One.
(٩) A New Heaven.
(١٠) Réincarnation Fact Or Fallacy?
(١١) Twelve Lectures On The Hurmonious Philosophy Of Andrew Jackson Davis.
وراجع ما سبق ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

« بعد ثلاثين قرناً »[١] (١٩٣٥) ، و « مصر القديمة تتحدث »[٢] (١٩٣٧) بالاشتراك مع هوارد هيولم H. Hulme العالم فى التاريخ الفرعونى — وقد ترجمه إلى العربية الدكتور على عبد الجليل راضى تحت عنوان « روح فرعونية تتكلم » — و « هذه المعجزة المصرية »[٣] (١٩٤٠) .

والمؤلفان الأخيران يتحدثان عن اتصالاته ببعض أرواح فرعونية أعطت أدق التفاصيل والبيانات عن مظاهر الحياة عند الفراعنة وتاريخهم ولغتهم ، وعن حضارتهم العظمى بما فى ذلك موسيقاهم . وقد حاضر فردريك وود فى جامعة أكسفورد فى هذا الموضوع مبيناً كيفية النطق باللغة الهيروغليفية طبقاً للشريط الذى سجله للروح الفرعونية الأميرة نونا على لسان الوسيطة روزمارى (مس أيفى بومونت) والذى قام بترجمته إلى الإنجليزية هوارد هيولم .

ومن مؤلفات فردريك وود أيضاً « الوساطة الروحية والحرب »[٤] (١٩٤٢) و « عصر جديد للروحيات »[٥] (١٩٤٣) و « خلال الباب الروحى »[٦] (١٩٥٤) .

جيمس كوتس

من بحاث الروحية أيضاً جيمس كوتس James Coates وهو دكتور فى الفلسفة ، وله عدة مؤلفات فى التنويم المغناطيسى مثل « المنوم

---

(١) After Thirty Centuries.
(٢) Ancient Egypt Speaks.
(٣) This Egyptian Miracle.
(٤) Mediumship And War.
(٥) A New Era For Psychics.
(٦) Through The Psychic Door.

العملى»[1] و «المغناطيسية البشرية»[2].

وأهم مؤلفاته الروحية «رؤية غير المنظور»[3] و «هل الروحية الحديثة مؤسسة على حقائق أم أوهام؟»[4] و «الظواهر الروحية»[5] و «تصوير غير المنظور»[6]، وقد نشر به ثمانى وثمانين لوحة من الصور الروحية التقطت فى ظروف تنفى كل خداع. وسنقدم فيما بعد عدة نماذج من هذه الصور بعد أن نتحدث فى «تأثير العقل المباشر فى المادة» لأنه موضوع وثيق صلة بظهور غير المنظور فى الألواح الحساسة، وهى الظاهرة التى سجلها جيمس كوتس، كما سجلها عدد لايستهان به من الباحثين المشهود لهم بالدقة وبالتحفظ الشديد فى قبول الأمور.

بول برنتون

ومن بحاث الروحية بول برنتون Paul Brunton وهو دكتور فى الفلسفة أيضاً، وله جولات كثيرة موفقة فى الروحية عند الأقدمين وبخاصة فى مصر القديمة، وقد سجلها فى مؤلفه «بحث فى مصر الخفية»[7]، وفى الهند وقد سجلها فى مؤلفه «بحث فى الهند الخفية»[8]. واهتمامه بدراسة الظواهر الروحية عند الأقدمين سببه ما يعتقده من أن الأقدمين كانوا عمالقة فى علوم الروح أقزاماً فى علوم المادة، حين أن علماء الحضارة المعاصرة عمالقة فى علوم المادة أقزام فى علوم الروح، وذلك على حد تعبيره.

---

(١) The Practical Hypnotist.
(٢) Human Magnetism.
(٣) Seeing The Invisible.
(٤) Is Modern Spiritualism Based On Facts Or Fancy?
(٥) Psychical Phenomena.
(٦) Photographing The Invisible.
(٧) A Search In Secret Egypt.
(٨) A Search In Secret India.

وقد قضى برنتون شطراً من حياته جائلا فى بلاد الشرقين الأقصى والأدنى دارساً ظواهر الروحية التى يعجز العلم المادى عن تعليلها وواضعاً عدداً من المؤلفات فيها . ومنها « رسالة من أروناشالا »[1] و « الفلسفة الهندية والثقافة الحديثة »[2] و « التعليم المخبوء وراء اليوجا »[3] و « ناسك فى الهملايا »[4] .

وذلك بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى فى فلسفة الروحية والتى أهمها « الحقيقة الداخلية » [5] و « البحث عن النفس العليا أى الروح » [6] و « حكمة النفس العليا »[7] بالإضافة إلى أحدث مؤلفاته وهو « الطريق الخفى »[8] الذى ظهر فى سنة ١٩٣٤ ، وطبع حتى سنة ١٩٥٠ أكثر من عشرين طبعة .

وخطة برنتون فى السياحة فى بلاد الشرقين الأقصى والأدنى لدراسة الظواهر الخارقة للعادة « على الطبيعة » فى بلاد السحر والخيال هى نفس خطة عدد ملحوظ من باحثى الروحية من أمثال الأديب شودزموند ، والطبيب الكسندر كانون ، والسيدة الكسندرا دافيد نيل وغيرهم .

فهم يرون أن فى أسرار هذا الشرق العجيب وظواهره المعجزة ، خصوصاً منها ما يتم على الفطرة بواسطة بعض فقراء الهند من رهبان الهملايا والتبت وبعض سحرة أواسط أفريقيا ، ما يستحق التحقيق للتثبت من حصوله ، وقد انتهوا إلى الاقتناع بصحة عدد من هذه الظواهر الخارقة للعادة كيفما

---

(١) A Message From Arunachala.
(٢) Indian Philosophy And Modern Culture.
(٣) The Hidden Teaching Beyond Yoga.
(٤) A Hermit In The Himalayas.
(٥) The Inner Reality.
(٦) The Quest Of The Overself.
(٧) The Wisdom of the Over Self.
(٨) The Secret Path.

حدثت فى أرجاء هذه الدنيا ، لأنها تتحدى فى الواقع معارف الغرب وعلومه المادية .

أولد فيلد

ومن بحاث الروحية أيضاً الدكتور جوزيا أولد فيلد Josiah Oldfield وهوصاحب عدة مؤلفات منها « العلاج والانتصار على الألم »[1] و « لغز الميلاد »[2] و « لغز الموت »[3] .

وقد أمضى أولد فيلد حياته بجوار مئات من المحتضرين ، ممن يخافون قدوم الموت ومن يرغبون فيه ، باحثاً فى مشكلات الحياة والموت بطريقة الفيلسوف والعالم المعروف فى دوائر «هارلى ستريت» ، معتقداً أن البحث فيها ينبغى أن يعتبر بمثابة استكشاف لأرض مجهولة . وأن مخاوف الإنسان من الموت تقوم على الإيمان بخرافات قديمة العهد،وعلى ذعر ليس له مايبرره من المجهول ، وعلى تصديق عدد من كهنة كل دين الذين أدخلوا فى روع الناس أنهم وضعوا أيديهم فى يدى الله كيما يكفلوا للمحتضرين السعادة والنعيم فى السماء ، أو التعاسة واللعنة الأبدية فى الجحيم ! ! . .

وهو يؤمن أن مواليد هذا العالم يفدون إليه عن طريق الموت فى عالم سابق ، كما أن الموت فى هذا العالم يؤدى إلى الميلاد فى عالم قادم وأن العامل الوحيد الذى يسود سعادتنا أوشقاءنا فى هذا العالم القادم هو الخلق الذى نبنيه فى هذه الحياة الدنيا . فنحن نولد بين يدى الله ، وبين يديه نموت أيضاً ، وليؤمن كل امرئ — فى سلام وسعادة — بأبوة الله وعدالته ، فسواء أعشنا أم متنا فنحن بين يدى الخالق المحبوب .

بعض رجال العقيدة

بعد هذا البيان لبعض الأسماء والمراجع فى موضوع الأرواح

(١) Healing and the Conquest of Pain.

(٢) The Mystery of Birth.

(٣) The Mystry of Death.

من العلماء والمفكرين والبحاث البريطانيين — وقد راعينا فى اختيارها أن تكون من أسماء الصف الأول دون غيره — نرى أن هذه القائمة لا تكتمل إلا بذكر طائفة من رجال الدين الذين عنوا أيضاً ببحث هذا الموضوع، والذين اقتنعوا بصحته بعد تجارب شخصية فى دوائرهم المنزلية وغيرها فأصبحوا من خيرة الأقلام فى عرضه وفى الإفادة منه فى تكوين آرائهم العامة، وتوجيه أفكارهم الدينية إلى الوجهة التى يمكن معها القول بأن « العلم والدين يتجهان بالتدريج، ولكن بالتأكيد، إلى الجهة التى تقودهما إليها المعلومات الروحية » على ما لاحظه جيمس آرثر فندلاى[1].

ستانتون موزس

فمن أبرز رجال الدين هؤلاء الأسقف ستانتون موزس Stainton Moses (١٨٣٩ — ١٨٩٢) وقد كان هو نفسه وسيطاً قوياً للكتابة المباشرة ولتحريك الأجسام الصلبة ولظواهر الضوء والمجلوبات الروحية. وقد خضعت وساطته لتجارب « جمعية البحث الروحى » S. P. R.. ورغم قوة وساطته الخاصة ظل متشككاً لسنين طويلة — حول مصدر هذه الظواهر الغريبة التى كانت تحدث فى وجوده — بسبب روحه النقادة وتربيته الدينية المحافظة، إذ عاش شطراً من حياته فى دير للرهبان اليونانيين فى جبل آتوس، قبل أن يعين أسقفاً لجزيرة مان ثم فى لانجتون مكافرز ثم فى سالسبورى، ثم أصبح أستاذاً بجامعة لندن من سنة ١٨٧١ حتى سنة ١٨٨٩. وقد ساعد فى إنشاء « جمعية البحث الروحى » فى سنة ١٨٨٢ وظل عضواً فيها، إلى أن استقال منها بسبب القسوة



الأسقف ستانتون موزس

(١) « على حافة العالم الأثيرى » طبعة ٣ ص ٣٣.

المفرطة التي حققتها وساطة بعض الوسطاء، والتي لم يكن لها في تقديره أي داع مع وضوح قوة هذه الوساطة كما اختير رئيساً لاتحاد الروحيين بلندن في سنة ١٨٨٤ [1]، وظل رئيساً له إلى حين وفاته في سنة ١٨٩٢ .

وقد تلقى من عالم الروح عدة كتب بالكتابة المباشرة أحياناً أي بدون أن يمسك القلم بيده، وبالكتابة التلقائية أحياناً أخرى، منها كتاب « تعاليم الروح » [2] (١٨٨٣) و« تعاليم أخرى للروح » [3]، وهما يبحثان في الأمور اللاهوتية على نحو يخالف تماماً آراءه الخاصة، وقد نشرهما على لسان الأرواح لو عدكان قد ارتبط به معها على نشرهما، ودون أن يقيد نفسه بهذه الآراء. ومن مؤلفاته أيضاً « نواح أسمى للروحية » [4] (١٨٨٠) و« الكتابة المباشرة للأرواح » [5] (١٨٨٢) وفيه يعالج الكتابة المباشرة لها التي تظهر أحياناً على الألواح الحساسة في غرف الجلسات، وكتاب تحقيق « شخصية الروح » [6].

وكانت الأرواح المهيمنة على موزس متعددة. وكانت تفضل غالباً استعمال أسماء مستعارة، ولو أنها في النهاية أفصحت له عن شخصياتها، فكان ملاخي يستعمل اسم امبراتور Imperator (أي الآمر) وأليشع يستخدم اسم Preceptor (أي المعلم أو المهذّب) ودانيال اسم Vates (وهؤلاء الثلاثة من أنبياء العهد القديم) ويوحنا المعمدان اسم Theologus (أي اللاهوتي، وهو من أنبياء العهد الجديد) .

كما كان من أرواحه المهيمنة الفلاسفة سولون وأفلاطون وأرسطو وسينيكا والإمام الغزالي (وكان يستخدم اسم Mentor) وهيبوليت (وكان

---

(١) London Spiritualist Alliance.
(٢) Spirit Teachings.
(٣) More Spirit Teachings.
(٤) Higher Aspects Of Spiritualism.
(٥) Direct Spirit Writing (Psychography).
(٦) Spirit Identity.

يستخدم اسم Rector أي المدير) وبلو تيناس Plotinus (وكان يستخدم اسم Prudens أي الحكيم) واسكندر اخيليني A. Achillini (وكان يستخدم اسم Philosophus أي الفيلسوف)...وغيرهم ممن قارب عددهم أربعين روحاً[١] .

شارل تويديل

ومنهم أيضاً شارل تويديل Charles L. Tweedale الذي كان رئيساً لأساقفة يوركشير . وقد بحث هذا الموضوع داخل منزله في أبروشيته لمدة جاوزت أربعين عاماً . وتلقى معلومات كثيرة من أرواح منتقلين حديثاً — مثل سير وليام كروكس وسير ألفريد رسل والاس وسير آرثر كونان دويل فضلا عن روح زوجته السيدة ماري تويديل — ونشرها في كتابه « أنباء من العالم الآخر[٢] » الذي ظهر في سنة ١٩٤٠ مؤيداً بصورهم الروحية مع عشرات من صور غيرهم التي تلقاها داخل منزله ، وبدون الاستعانة بوسيط أجنبي عن أسرته .

وذلك بالإضافة إلى صور بعض رسائل تلقاها بطريق الكتابة المباشرة من الأرواح التي كانت تظهر أحياناً على اللوح الحساس في حضور زوجته وكريمته . وهي بنفس خط الأرواح وبتوقيعها ، وفي مناسبة لاحقة سنقدم للقارىء صورة فوتوغرافية لرسالة تلقاها من روح آرثر كونان دويل بخطه وتوقيعه . كما ألف كتاباً آخر عن « حياة الإنسان بعد الموت[٣] » ظهرت طبعته الأولى في سنة ١٩٠٩ والخامسة في سنة ١٩٤٧ . ومن مؤلفاته أيضاً « الظواهر الروحية الحاضرة والكنائس »[٤] .

---

(١) راجع في هذا الشأن « موسوعة العلم الروحي » .
Encyclopaedia of Psychic Science,
تحت اسم Moses ص ٢٤٨ — ٢٥٠ .
ومؤلفاً عنوانه « الأرواح المهيمنة على ستانتون موزس » من تأليف ترثوي
A. W. Trethewy : The Controls of Stainton Moses.

(٢) News From The Next World.

(٣) Man's Survival After Death.

(٤) Present Day Spirit Phenomena and the Churches.

جون لاموند

ومنهم أيضاً القس جون لاموند John Lamond الذى كان من معارضيها، واختير عضواً فى اللجنة التى شكلتها الكنيسة الاسكتلندية لبحث الظواهر الروحية ، وبعد تجارب دامت شهوراً كتبت اللجنة تقريراً لمصلحتها . ومن مؤلفاته الروحية « المعجزات فى الحياة الحديثة[1] » ، وكتاب « كاتلين Kathleen » . كما كتب سيرة آرثر كونان دويل ،وأخذ منذ سنة ١٨٧٨ يقيم عظاته الدينية على تجاربه الخاصة فى الظواهر الروحية . وهو من رجال العقيدة الذين يسعون جهدهم فى تفسيرها تفسيراً جديداً فى ضوء كشوف الروحية التجريبية .

جورج فيل أوين

ومنهم جورج فيل أوين George Vale Owen (١٨٦٩ — ١٩٣١) الذى كان أسقفاً لأبروشية أور فورد Orford بالقرب من وارنجتون Warrington كما كان وسيطاً للكتابة التلقائية Spirit Controlled Writting، وعن طريقها تلقى رسائل فلسفية راقية وعميقة نشرها تباعاً فى جريدة الديلى ديسباتش Daily Dispatch ابتداء من أول فبراير سنة ١٩٢٠ ،وكان لها دوى هناك ، إذ أثارت اهتمام القراء والمعلقين .

كما قام بعدة رحلات فى انجلترا وأمريكا للدعوة الروحية بعد إذ استقال من عمله كيما يتفرغ لهذه المهمة الجديدة . ثم أصبح راعياً « للمجمع الروحى » Spirituslist Congregation بلندن ونشر كتاباً عن « الحياة وراء الحجاب » [2] فى خمسة أجزاء متضمناً الرسائل الروحية الآنفة الذكر ، وهو من الكتب التقليدية الهامة فى موضوع الأرواح ،

---

(١) Miracles In Modern Life.

(٢) Life Beyond The Veil.

بالإضافة إلى كتابه « الحقائق والحياة المستقبلة»[١]. وبعد انتقاله بعام واحد أملى بالكتابة التلقائية على الوسيط فردريك هاينز Frederic H. Haines مؤلفاً نشره الأخير فى سنة ١٩٣٣ تحت عنوان « صوت من السماء »[٢].

موريس إليوت

ومنهم أيضا القس موريس إليوت Maurice Elliot الذى بحث الظواهر الوساطية الحديثة مبيناً كيف أنه بدونها يصبح الدين غير مفهوم ، والعقيدة غامضة ، وموضحاً كيف كان السيد المسيح يختار تلاميذه من أصحاب المواهب الوساطية القوية ، وكان يعرفهم بمجرد النظر إليهم .

وكان هؤلاء الوسطاء يتمتعون بما يتمتع به الوسطاء الأقوياء من وداعة فى الخلق وبساطة ، إلى الحد الذى يصدق عليه قول الشاعر الملهم تنيسون Tennyson « إن من يستطيع أن يناجى الموتى ساعة من الزمان لا بد أن يكون طاهر القلب سليم العقل ذا عواطف قدسية فياضة » .

وأهم مؤلفات موريس إليوت « الروحية فى العهد القديم »[٣] و « حياة يسوع المسيح الروحية »[٤] .

درايتون توماس

ومن رجال الدين أيضا الأسقف درايتون توماس Drayton Thomas الذى قدم للعلم الروحى جملة مؤلفات قوية زاخرة بالأدلة مفعمة بتجاربه الشخصية ، دقيقة فى مقدماتها وفى استنتاجاتها ، نذكر منها : « الحياة بعد الموت بالبينة »[٥] و « بعض بينات جديدة لحياة الإنسان بعد الموت »[٦] الذى قد قدم له سير وليام باريت عالم الفيزياء . ثم يجىء

(١) Facts And The Future Life.

(٢) A Voice From Heaven.

(٣) Spiritualism In Old Testament.

(٤) Psychic Life Of Jesus Christ.

(٥) Life Beyond Death With Evidence.

(٦) Some New Evidence For Human Survival.

مؤلفاه فى وصف الحياة هناك وهما « فى الفجر بعد الموت »[١] و « بعد أفول شمس الحياة »[٢]. ويعتبران من أفضل ما كتب فى وصف الحياة هناك ، مع كثرة ما كتب فيه من مراجع .

وذلك بالإضافة إلى مؤلفاته الأخرى وهى الظواهر العقلية للروحية،[٣] و « تجربة مذهلة »[٤] و « من حياة إلى حياة »[٥] .

* * *

هذه طائفة من أسماء العلماء والهيئات العلمية والمراجع البريطانية فى علم الروح اخترناها من هنا وهناك ، متوخين أن تمثل مستوى خاصاً من العمق ودقة البحث والمثابرة فيه لسنين طوال، بما يبعث على الثقة الكافية فيها وفى أصحابها ، لأنهم جميعهم من أفضل العلماء والمفكرين والباحثين ورجال الدين .

بقى الآن أن نبين بعض الأسماء والمراجع فى فرنسا والبلاد الأخرى .

---

(١) In The Dawn Beyond Death.
(٢) Beyond Life's Sunset.
(٣) The Mental Phenomena Of Spiritualism
(٤) An Amazing Experiment.
(٥) From Life To Life.

الفصل الثالث

بعض الأسماء والمراجع في فرنسا والبلاد الأخرى

عرفت فرنسا العلم الروحي الحديث Science Psychique منذ أوائل العهد به ، وانتشرت جلسات الاتصال بالأرواح انتشاراً سريعاً رغم المقاومة العنيفة التي لقيها في سنة ١٨٥٤ من أكاديمية العلوم ، وكان من أقطابها حينذاك أمثال فارادای Faraday وشيفريه Chevreul ، مع أن التجارب الروحية كانت في مهدها ولم تتكشف عن شيء يذكر من البينات والوقائع التي تكشفت عنها فيما بعد . ولم يكن أحد من معارضيها قد بحثها أو أجرى تجارب فيها ، لأن الفكرة المسيطرة على أذهان المعارضين كانت عندئذ أن الخرافة واضحة في الموضوع لا تستحق من عاقل أن يحاول التجربة .

لكن الجلسات الروحية سرعان ما عرفت طريقها إلى الصالونات الراقية ، فإذا بها تكسب بين أنصارها الشاعر العظيم فيكتور هيجو V. Hugo عن طريق وساطة مدام دى جيراردان De Girardin .

كما انحاز إلى الحركة الروحية أصحاب أسماء لامعة كثيرة في الأدب والفنون والعلوم المختلفة ، مثل أوجست فاكيرى Auguste Vacquerie وبوشيه دى برت Boucher De Perthes المؤرخ في عصور ما قبل التاريخ وهنرى مارتان Henry Martin ، والفيلسوف بلزاك Balzac والعلامة تيوفيل جوتييه Theophile Gauthier والأديبة جورج صاند Georges Sand والفيلسوف بول جانيه Paul Janet . ومن العلماء أيضاً بويسون F. Buisson عالم التربية والسياسى وإدوارد برانلى E. Branly أحد مخترعى المذياع وجيرار دى نيرفال Gerard De Nerval

وكالدرون Calderone وسيجار Ségard ودارسنفال D'arsonval وكورتييه Courtier وساباتييه Sabatier وواتفيل Watteville . ومن الكتاب والمفكرين دي سافى De Savy وفورييه Fourier وجان رينو jaen Reynaud وبلليتان Pelletean، وفيكتوريان ساردو Victorien Sardou عضو الأكاديمية الذى كان هو نفسه وسيطاً روحياً للكتابة التلقائية وللرسم الروحى، وعقد تحت رئاسته أول مؤتمر روحى بباريس فى سنة ١٩٠٠ . ومنهم الدكتور داريه Dariex الذى أسس فيما بعد التقويم السنوى للعلوم الروحية[١] .

بول جيبيه

ومنهم الدكتور بول جيبيه Paul Gibier (١٨٥١ — ١٩٠٠) تلميذ باستير Pasteur مكتشف دنيا الميكروبات، وقد بحث جيبيه فى الروحية الحديثة وأصدر فيها مؤلفاً فى سنة ١٨٨٩ عنوانه « الروحية »[٢] وآخر فى سنة ١٨٩٠ عنوانه «تحليل الأشياء: بحث فى علم المستقبل » .

وقد قال فى مقدمة أولها « لنعلن على رؤوس الأشهاد بأننا بدأنا دراسة هذه المباحث الروحية معتقدين من صميم قلوبنا بأننا أمام عالم من خيالات وأباطيل ينبغى علينا أن نزيح عنها النقاب ونفضحها ، وقد احتجنا إلى كثير من الزمن كيما نتخلص من هذه الفكرة »...

وقال فى ثانيهما متحدثاً عن تجسد الأرواح فى ضوء تجاربه الخاصة «بأن التجسد يحدث بواسطة الأرواح العاملة عن طريق القوة التى تستعيرها من الوسطاء فثبت لدى العلماء الذين شاهدوا هذه العلامات الخارجية الحادثة فى حضور الوسيط بأنها تتضمن البرهان المفحم الذى لم نحصل قط على مثله بأن لنا روحاً مدركة ومميزة وخالدة بعد الموت . أما هذه الحالة التى نحيا فيها الآن فهى ليست سوى لمحا عابرة ... » .

(١) Les Annales Des Sciences Psychiques.
(٢) Le Spiritisme (Fakirisme Occidental).
(٣) Analyse De Choses, Essai Fur La Science Future.
وراجع له أيضاً «تجسدات الأشباح » Les Materialisations De Fantomes.

جان مایر

ومنهم عالم النفس جان ماير Jean Meyer الذى وهب جزءاً من ثروته « للمعهد الدولى لما وراء الروح » ، كما تبرع له و« للمركز الروحى » Centre Spiritualiste بمقر ومكتبة لكل منهما . وقد أصبح جان ماير فيما بعد رئيساً لتحرير « المجـــلة الروحية » La Revue Spirite منذ سنة ١٩١٦ حتى انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٣١، وكان قد أسسها العلامة آلان كاردك منذ سـنة ١٨٥٨ . كما أسس داراً للنشر المؤلفات الروحية لا تزال تحمل اسمه حتى الآن .



جان ماير

وقد خلف ماير فى رئاسة تحرير هذه المجلة الأستاذ هيبر فورستيه Hubert Forestier الذى ساهم بمقدرة فى نشر الفقه الروحى كتابة وخطابة.

دى روشا

ومنهم الكولونيل أوجين ألبير دى روشا De Rochas (١٨٣٧ — ١٩١٤) الذى باشر بحوثه داخل مدرسة الهندسة العسكرية التى كان مديراً لها فى وقت ما. ويعد دى روشا من أفضل رواد العلم الروحى الحديث ومن أكثر الباحثين تعمقاً وتضلعاً . وقد أهدى إلى العلم الروحى عدة مؤلفات مثل « القوى غير المحددة[١] » (١٨٨٧) و « سيال المغناطيسيين »[٢] (١٨٩١)

---

(١) Les Forces Non Définies.

(٢) Le Fluide des Magnetiseurs.

و « الحالات العميقة للمغناطيسية »[1] (١٨٩٢) و « بروز القوة المحركة »[2] (١٨٩٦) و « الحالات السطحية للمغناطيسية »[3] (١٨٩٨) و « الانبعاثات الشاذة ، والتعاويذ وحدود العلم »[4] (١٩٠٢) و « الحيوات المتتابعة »[5] (١٩١١) و « تعليق الحياة »[6] (١٩١٣)

كامي فلاماريون

ومن ألمع الأسماء كامي فلاماريون Camille Flammarion (١٨٤٢ — ١٩٢٥) الفيلسوف وعالم الفلك ومؤسس الجمعية الفلكية الفرنسية ، وله فيها عدة مؤلفات معروفة مثل « الموت وغامضه »[7] فى ثلاثة أجزاء ، ومثل « المنازل المسكونة »[8] التى حققها بنفسه ، ومثل « قوى الطبيعة المجهولة »[9] و « تعدد العوالم المسكونة »[10] و « المجهول والمشكلات الروحية »[11] ، بالإضافة إلى مؤلفه « الله فى الطبيعة — أو الروحية والمادية إزاء العلم الحديث »[12] فى مجلدين .

وعندما اختير فلاماريون رئيساً « لجمعية البحث الروحى » البريطانية لخص

---

(١) Les Etats Profonds De L'hypnose.

(٢) L'Extériorisation De La Motricité.

(٣) Les Etats Superficiels De L'hypnose.

(٤) Les Effleuves Odiques, L,Envoutement, Les Frontièris De La Science.

(٥) Les Vies Successives.

(٦) La Suspension De La Vie.

(٧) La Mort Et Son Mystére
وقد عرب المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى بعض أجزاء منه فى مؤلفه « على أطلال المذهب المادى » .

(٨) Les Maisons Hantées.

(٩) Les Forces Naturelles Incõnnues.

(١٠) La Pluralité Des Mondes Habités.

(١١) L'Inconnu Et Les Problèmes Psychiques

(١٢) Dieu Dans La Nature.

فى خطاب الرئاسة الذى ألقاه فى أكتوبر من سنة ١٩٢٣ نتائج تجارب ستين عاماً فى البحث الروحى قائلا : « أن هناك ملكات غير معروفة فى الإنسان تنتمى إلى الروح ، وثمت شىء أشبه ما يكون بنموذج آخر منه(١) such a thing as the double ، وأن الفكر يمكن أن يخلف وراءه صوراً ما ، وأن التيارات الروحية تخترق الأجواء ، وأننا نحيا فى وسط عالم غير منظور ، وأن ملكات الروح تبقى بعد تحلل الأعضاء الجسدية ، وأن هناك منازل مسكونة ، وأن الموتى يظهرون بصورة استثنائية ونادرة ، وأنه لا محل للشك فى إمكان حدوث هذه الظواهر ، وأن التلباثى يوجد بين الأموات والأحياء بقدر ما يوجد بين الأحياء » .

وقد عادت روح فلاماريون فى سنة ١٩٣٢ عن طريق وساطة ا . ه . لويمان A. H. Loweman ، وهو بائع محدود الثقافة ، وأملت كتاباً بتوقيع إيجولاند — على ما قرره إميلى لويمان Emily Loweman فى مؤلفه الذى يحمل هذا الاسم Egoland ، وهو ابن الوسيط — وكان ذلك ببلدة « ليتل جلنهام » Little Glenham . كما قرر الدكتور جلين هاملتون أن روح فلاماريون كانت من ضمن الأرواح المرشدة فى جلساته بمدينة وينيبج بكندا(٢) .

علماء المادة فى فرنسا يجتوبه موضوع الروح والخلود

ومن العلماء ذوى المكانة الكبرى الذين اشتركوا فى البحوث الروحية بيير كورى عالم الراديوم وزوجته مارى Pierre et Marie Curie والفسيولوجى دِران دى جرو Durand De Gros . ومنهم من قام بإثبات حقيقة الحياة بعد الموت عن طريق بحوثه فى علوم الأحياء ، ومعادلات رياضية شتى ، بالإضافة إلى بحوث الظواهر الوساطية ، وهى تتضافر معها فى إثبات هذه الحقيقة .

---

(١) وسنعالج تفصيلا موضوع هذا النموذج فى الفصل الذى خصصناه للكلام فى « الجسد الأثيرى عند الإنسان » وهو أحد فصول الباب المقبل .

(٢) راجع ما سبق ص ١٨٨ .

ومن هذه الطائفة الأخيرة العالم الألزاسى شارل هنرى Charles Henry الذى كان يدير معمل « فسيولوجيا الانفعالات بالسوربون » . وقد وجد سبيلا علمياً لإثبات الحياة بعد الموت قائلا « إذا كانت دراسة الروح كما تكون عليه بعد الموت اعتبرت فيما مضى مما يدخل فى نطاق البحث فيما وراء الطبيعة فإنها ستصبح غداً من البيولوجيا » .

وقد قدم فرنان ديفوار Fernand Divoire مدير دار « الكتب المعاصرة » شارل هنرى بهذه العبارة « إنه أحد هؤلاء العلماء الذين لا يمكن أن يفهم أعمالهم بالكامل أكثر من دستة فى العالم من أمثاله . وقد قادته مثابرته إلى اكتشاف المواد التى تحدث التعادل البيولوجى ... كما وجد دليلا رياضياً على الحياة بعد الموت »[1] .

وكتب الأستاذ شارل أندرى بورجوا Charles Andry Bourgeois عنه قائلا إنه طبق الرياضيات على دراسة الانفعالات فشيد علماً حقيقياً عن الانفعالات من الوجهة النفسية الفيزيقية psychophysique des sensations وتأثير المواد التى تحدث التعادل فى بيولوجيا الروح[2] . وانتهى إلى الإثبات العلمى للحياة بعد الموت ولوجود الله تعالى . وهو على اتفاق مع برجسون Bergson وهنرى بوانكاريه الذى قرر أنه لا يوجد ما هو حق إلا الروح ومظاهرها الخارجية ، ومع الدكتور جوستاف جيلى Geley فى مؤلفه عن « التفسير المثالى للعالم عن طريق عنصر واحد »[3] .

كما كتب الدكتور دارسونفال D' Arsonval عضو أكاديميتى العلوم والطب والأستاذ « بالكوليج دى فرانس » ورئيس « المعهد العام للسيكولوجيا » فى مقدمة لكتاب للسيدة الكسندرا دافيدنيل Alexandra David Neel عن « الغيبيات والسحرة فى بلاد التبت »[4] يقول :

(١) أشار إليه أنكتيل Anquetil فى مؤلفه :
Le Reliquaire De La Mort p. 101.

(٢) Reactions des resonnateurs biopsychique.

(٣) Le Monisme Idéaliste.

(٤) Mysticisme Et Magiciens Au Thibet.

« فى المحاضرات التى طلبت من مدام دافيد نيل أن تلقيها فى الكرسى الذى أشغله الآن (فى الكوليج دى فرانس) — والذى كان يشغله أستاذنا كلود برنار — أمكن للسيدة أن تنتهى إلى النتيجة الآتية ، وهى أن كل ما يتصل من قريب أو من بعيد بالظواهر الروحية — وتأثير القوى الروحية بوجه عام — ينبغى أن يدرس كأى علم من العلوم . فلا توجد هناك خوارق للطبيعة ، وليس هناك ما من شأنه أن يورث الأخطاء ، بل إن الدراسة الروحية العاقلة التى تسير على نهج علمى يمكن أن تؤدى بنا إلى نتائج مرجوة .

ولذلك فإن ما يجمع من المعلومات عن هذا الطريق — حتى ولو تمت تلك الدراسات بأسلوب حماسى وعلى أساس من النظريات التى لا يمكن قبولها كلها — تكون فى النهاية وثائق مفيدة جديرة بالتفاتنا » . ثم يضيف الدكتور دارسونفال معقباً « إن هذا هو النهج العلمى الصحيح البعيد عن التشكك قدر بعده عن التصديق الأعمى » .

وهو ما عبر عنه الجراح الكبير مارتل Martel عندما قال أيضاً « إن خطة العلم المادى فى أن يحبس نفسه داخل صندوق من حديد كيما لا يحص الأصوات ومظاهر القوى التى تأتينا من العالم الآخر ... لخطة غير مشروعة ، فما يجب أن نرفض إجراء أية تجربة مهما كان نوعها »[١] .

جان ليرميت

ومن علماء المادة الفرنسيين الذين بحثوا موضوع الروح الدكتور جان ليرميت Jean Lebermitte الأستاذ بكلية الطب بباريس والذى خرج من بحوثه بأن رؤية روح الإنسان الحى ليست خيالا بل حقيقة علمية . وحاضر فى هذا الموضوع ونشرت نتيجة أبحاثه « الصحيفة البريطانية الطبية »[٢] فى عدد الأسبوع الأول من شهر مارس سنة ١٩٥٠ .

---

(١) Mme Blavatsky : Isis Devoilée Γ. 4, P. 366.

(٢) British Medical Journal.

وقد انتهى ليرميت إلى أن الطرح الروحى حقيقة واقعة وقال إنه حقق حالة فتاة عندما تأوى إلى فراشها كانت تشعر بانقسام فى جسمها يتبعه انسياب جزء منه فوقه (وهو جسدها الأثيرى) كما ذهب إلى أن الطرح الروحى الذى يحدث فى حالات الصرع هو فى حقيقته ضد ضلالة التصور أو الهلوسة .

وبعد أن سرد حوادث متعددة لهذا الطرح الروحى لاحظ — كما لاحظ عدد من الوسطاء الروحيين وأ كدوه — وجود شعور من التبعية أو الارتباط المادى والروحى بين الروح المطروحة وصاحبها ، أو بين الشبح والأصل لأن « الإنسان فى هذه الحالة لا يعتقد فحسب أنه يستطيع أن يرى شبح نفسه وكأنما انعكس على مرآة ، بل يدرك كذلك أن فى هذا الشبح يوجد جزء من نفسه . فهو يشعر كما لو كان مرتبطاً بهذا الشبح بروابط روحية ومادية » .

دور «المعهد الدولى لما وراء الروح»

ويتعذر علينا أن نأخذ فكرة كافية عن بحوث الروح فى فرنسا إلا إذا أفسحنا مكاناً مناسباً « للمعهد الدولى لما وراء الروح» Institut Mètapsychique International . وما وراء الروح La Métapsychique هو — بحسب تعريف شارل ريشيه — العلم الذى « يدرس جميع الظواهر التى تبدو مسندة إلى قوى عاقلة غير معروفة ، وتدخل فيها الظواهر الغريبة لعقلنا الباطن » . وهو بحسب دائرة معارف لاروس Larousse « علم دراسة ظواهر الروح الإنسانية التى تتجاوز علم النفس العادى »[1] .

وقد تأسس هذا المعهد فى سنة ١٩١٩ وكان أعضاؤه المؤسسون هم : شارل ريشيه الأستاذ بكلية الطب بباريس رئيساً شرفياً وسانتو ليكيدو R. Santoliquido مستشار الدولة فى إيطاليا رئيساً والمفتش العام ليكلينش Leclainche والعالم السيكولوجى الإيطالى إرنستو بوزانو E. Bozzano

---

(١) Science des phénomènes de l'âme humaine qui depassent la psychologie ordinaire.

والوزير جيل روش Jules Roche والدكتور ترسييه Treissier وأرنودى جرامون Arnaud De Gramont عضو أكاديمية العلوم والمفتش العام الدكتور كالمت Calmette والدكتورشارل رو Charles Roux والسناتور سير اولو Ciraolo وسينيو Cuneo الأستاذ بكلية الطب وسير أوليفرلودج العالم الانجليزى والدكتور ما كسويل Maxwell النائب العام وإرنست ماير E. Meyer مستشار الدولة بباريس والعالم الألمانى شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing وعدد آخر من العلماء والباحثين فى فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا .

وأطلق عليه اسم « المعهد الدولى لما وراء الروح » على اعتبار أن « ما وراء الروح » وصف عام يشمل كل الظواهر غير المألوفة وغير العادية التى قد لايعرفها أو قد لايعترف بها علم النفس العادى ، ومن بينها ظواهر الوساطة الروحية .

لحين يطلق وصف « الاسبرتزم » أو علم التجريب الروحى على « الفقه المؤسس على وجود الأرواح وظواهرها وتعاليمها » بحسب تعريف آلان كاردك . يطلق وصف « ما وراء الروح » كما قلنا آنفا على كل بحث يتجاوز بحوث علم النفس العادى وينصب مباشرة على دراسة الظواهر غير العادية أو غير المألوفة المسندة إلى قوى عاقلة غير معروفة ، بصرف النظر عما إذا كان مصدرها من عالم الروح أم من عالم المادة ، وبدون ارتباط مبدئى بمصدرها من عالم آخر ، ولكن بدون إنكار لهذا المصدر .

فعلم ما وراء الروح هو فى الواقع قطاع من العلم الروحى الحديث ينصب مباشرة على دراسة الظواهر الوساطية ، وتسجيلها بين ظواهر أخرى . أما التجريب الروحى أو الاسبرتزم Spiritisme فهو يطوى دراسة هذه الظواهر ، كما يطوى أيضاً دراسة الكائنات العاقلة المحدثة لها ، من ناحية حقيقة أمرها كأرواح أشخاص انتقلوا إلى عالم الروح أو غيرهم ، ومن ناحية إثبات

شخصيتها ، ومن ناحية صلاتها بنا ، ووصف العالم الذى تعيش فيه ، هذا إلى دراسة الآراء التى تنادى بها نقداً وتحليلا .

والموضوعات التى تبحث فى فرنسا تحت وصف « ماوراء الروح » هى نفس الموضوعات التى تبحث فى البلاد الأنجلوسكسونية وألمانيا تحت وصف « الباراسيكولوجى »[1] . لذا يمكن القول بأن علوم التجريب الروحى «الاسبرتزم» ، «والروح» ، «وما وراء الروح والباراسيكولوجى» متكاملة ، تجمعها رابطة هامة واحدة هى أنها هى كلها تدور حول التسليم بإمكان استقلال الوعى الإنسانى عن الجسد والشعور عن الحواس .

ووصف علم الروح (بالفرنسية Science Psychique وبالانكليزية Psychic Science) بالإضافة إلى أنه يشمل دراسة الظواهر غير المألوفة، فإنه يشمل أيضاً دراسة المشكلات الفلسفية والعلمية المتصلة باستقلال الوعى عن الجسد . فهو أكثرها شمولا ، ويعد الأصل العام للعلوم الثلاثة الأخرى التى تعتبر فروعاً منه .

وكان علم «ما وراء الروح» يعد فى وقت من الأوقات منافساً خطراً لعلم الروح ، لكن سرعان ما تبين أن الفصل بينهما متعذر ، بل لقد تراجع « ما وراء الروح » تراجعاً واضحاً لمصلحة العلم الروحى الذى تفوق عليه مكتسباً أنصاراً جدداً على الدوام من بين أنصاره[2]. حتى ليمكن القول الآن إنه لا يكاد يوجد باحث علمى جاد بدأ بحوثه الروحية تحت وصف علم ماوراء الروح (أو الباراسيكولوجى) إلا وقد اتجه مع الوقت اتجاهاً

---

(١) راجع ما سبق ص ١٧٤ — ١٨٥ .

(٢) راجع فى هذا المعنى مدام إيفون كاستلان Yvonne Castellan فى مؤلفها :
Le Spiritisme.
وهى أيضاً باحثة فى علم «ما وراء الروح» ولها فيه مؤلف عنوانه La Métapsychique
وراجع أيضاً مؤلفاً عنوانه « ما هو ما وراء الروح بحسب ريشيه وبرجسون وأوستى؟» Qu'est-ce Que La Métapsychique للأستاذ فردريك سيسيه Frédéric Saisset ، باريس سنة ١٩٥٠.

واضحاً وصريحاً نحو تعليل الظواهر الوساطية بالروح ، ونحو الاقتناع بالحياة بعد الموت كحقيقة علمية تكمن وراء هذه الظواهر فى دلالاتها الواضحة ، والتى يتعذر أن يجد العلم المادى لها تعليلا آخر فى قوة التعليل الروحى ، أو يمكن الاستغناء به عنه .

على أنه بين العلمين فى النهاية وثيق صلة ، فلا يمكن للعلم الروحى أن يزعم أن كل الظواهر الوساطية تخضع لتأثير مباشر من عالم الروح أو من أرواح المنتقلين . فقد تبين أن ثمت ظواهر وساطية — وإن كانت بذاتها تثبت استقلال الوعى عن الجسد المادى — وبالتالى إمكان بقائه بعد تحال هذا الأخير — إلا أنها ليست خاضعة حتماً لتأثير من عالم آخر .

وهذا التحفظ فى اختيار اسم « المعهد الدولى لما وراء الروح » قصد به توسيع رسالة هذا المعهد ونطاق نشاطه ، كما روعى فيه عدم تقييده مقدماً بأى اتجاه معين ، مع أن جل مؤسسيه كانوا قد انحازوا انحيازاً صريحاً إلى جانب التعليل الروحى فى بحوثهم للظواهر الوساطية .

ومنذ بدأ هذا المعهد أعماله فى سنة ١٩١٩ تلقى اعترافاً رسمياً من الحكومة الفرنسية بأنه « مؤسسة ذات نفع عام » ، ومجلته تتضمن أحياناً ظواهر حضور الأرواح من العالم الآخر وتجارب الجلاء البصرى ، والتجسد الكلى والجزئى ، وكافة المباحث الروحيـــة وما يتصل بها ، حتى كاد أن يكون معهداً للأرواح ، لكنه لم يقصر نشاطه على هذه المباحث وحدها .

جوستاف جيلى

ومن الدلالات ذات المغزى الهام أن مديره الأول وهو الدكتور جوستاف جيلى Gustave Geley (١٨٦٨ – ١٩٢٤) الذى تولى إدارته من سنة ١٩١٩ إلى سنة ١٩٢٤ كان من الباحثين الروحيين الذين عنوا بوجه خاص بظواهر التجسد ودراسة مادة الاكتوبلازم . ومن مؤلفاته فى

هذا الشأن ، الاكتوبلازم والتجسدات[١]» . و « الاكتوبلازم والجلاء البصرى[٢] » (١٩٢٤) .

وقد حاضر جيلى فى هذا الشأن فى أرقى معهد علمى فرنسى وهو « الكوليج دى فرانس » Collège De France عن تجاربه على الوسيطة الروحية إيفا Eva — وقد استغرقت ثمانية عشر شهراً بين عامى ١٩١٧ ، ١٩١٨ — تحت عنوان « الفسيولوجيا التى توصف بأنها فوق العادية[٣] » . وشرح فى محاضراته بكل دقة ظاهرة التجسد الجزئى لأيد ولوجوه ولرؤوس غير منظورة عن طريق مادة الاكتوبلازم التى حللها مراراً ووصفها وصفا دقيقاً فى محاضراته[٤] .



جوستاف جيلى

وسنقدم فى فصل لاحق نموذجاً لوجه تجسد فى حضوره عن طريق الوسيطة إيفا هو وجه المركيزة دى سانت أمارانت التى أعدمها الثوار فى سنة ١٧٨٩ .

كما ألف كتاباً فى سنة ١٩١٩ عنوانه « من العقل الغير الواعى إلى العقل الواعى »[٥] وهو دراسة فريدة لنظريات التطور الإنسانى ونشوء الحياة على هذا الكوكب ، أو بالأدق نشوء الوعى الإنسانى وتطوره نحو الاكتمال . ومن مؤلفاته أيضا « الكائن الفوق الواعى »[٦] و « أدلة التحول وتعاليم

(١) L'Ectoplasmie Et la Materialisation.

(٢) L'Ectoplasmie Et La Clairvoyance.

(٣) Physiologie dite supra-normale.

(٤) راجع ما سبق ص ١١٩ — ١٢٢ ، ١٣٢ — ١٤٠ .

(٥) De L'inconscient Au Conscient.

(٦) L'être Subconscient.

نظرية التطور»[١] . وقد توفى جيلى فى حادثة سقوط طائرة كانقد استقلها من وارسو عائداً إلى باريس بتاريخ ١٤ يولية سنة ١٩٢٤ ، وكانت إحدى الوسيطات وهى مدام بيروتيه Peyroutet قد تنبأت بالحادثة — بإشارات واضحة الدلالة — داخل المعهد الدولى فى ٩ يولية للدكتور أوستى الذى كان يعمل معه فيه ! . . . (على ما رواه شارل ريشيه فى مجلة المعهد : سنة ١٩٣٠ ، العدد الأول ص١٠٨ — ١١٠) .

أوجين أوستى

ثم راح خلفه الدكتور أوجين أوستى Eugéne Osty — الذى تولى إدارة المعهد من سنة ١٩٢٥ إلى سنة ١٩٣٨ — يبحث بوجه خاص فى ظواهر الإدراك عن غير طريق الحس perception extra sensorielle التى منها التلباثى، والجلاء البصرى، والجلاء السمعى، وألف فيها كتاباً عنوانه «المعرفة الفوق العادية»[٢] ، التى كانت تميز بعض العرافين والعرافات الذين أخضعهم لبحوثه مثل العراف باسكال فورتينى Pascal Forthuny ومدام دى فليرير De Fleurière .

وقد تعرض فيه لطائفة من العوامل التى قد تلعب دوراً فى أخطاء الوسطاء ، خصوصا أخطاء التنبؤ بالمستقبل . ومن بينها سوء استخدام الوسيط أو مقاطعة أفكاره بأفكار أخرى أو توجيهه فكرياً فى اتجاه معين من نفس الشخص الذى قد يستشيره ، إلى غير ذلك من صور التداخل التى قد توجه الوسطاء إلى بعض صور الخطأ المحتملة . يضاف إلى ذلك أن العقل الواعى للوسيط قد يترجم ترجمة خاطئة ما قد يراه من رؤى مختلفة قد تؤدى به إلى خطأ فى الشخصية .

ومن ذلك ما ذكره من أن وسيطاً تنبأ يوماً لأحد سائليه بكل التفاصيل التى ستقع عند انتقاله إلى عالم الروح ، فتحققت النبوءة عند وفاة

---

(١) Les Preuves Du Transformisme Et Les Enseignements De la Doctrine Evolutionniste.

(٢) Connaissance Supra Normale.

والد السائل بكل تفاصيلها ، فهنا حدث خطأ فى الشخصية ... وهكذا .

والدكتور أوستى مؤلفات أخرى قيمة مثل « شفافية وإلهام : دراسة تجريبية ».[١] (١٩١٣) و « اتجاه الحياة الإنسانية »[٢] (١٩١٩) . وذلك بالإضافة إلى دراسة موضوعها « القوى المجهولة للروح على المادة »[٣] قام بها بالاشتراك مع نجله مارسيل أوستى Marcel Osty .

رينيه فاركولييه



فاركوليه

ولا يزال « المعهد الدولى لما وراء الروح » يواصل رسالته حتى الآن بميدان نجرام نمرة ١ بباريس . وقد تولى إدارته منذ سنة ١٩٥٠ إلى سنة ١٩٦٢ المهندس رينيه فاركولييه René Warcollier الذى انتقل إلى عالم الروح فى هذا العام الأخير . وقد عرف ببحوثه الغزيرة التى جاوزت خمسين بحثاً فى الظواهر الوساطية بما فى ذلك السيكومترى والتجسد والتلباثى والجلاء البصرى والتنبؤ وتعريف الزمان والمكان بحسب علم الروح ونظرية العودة للتجسد Reincarnation ، إلى غير ذلك من الموضوعات التى يعنى بها علماء الروح وما وراء الروح . ومن يرجع إلى مجلد سنة ١٩٦٢ من مجلة هذا المعهد يجد فيه بياناً ببحوث فاركولييه نشر بمناسبة انتقاله إلى عالم الروح ، فليرجع إليها من شاء الاستزادة فى هذه الأمور[٤] . وله أيضاً كتاب عن التلباثى يرجع إلى سنة ١٩٢١[٥] .

---

(١) Lucidité Et Intuition. Etude Experimentale: Alcan 1913.

(٢) Le Sens De La Vie Hamaine.

(٣) Les Pouvoirs Inconnus De L'Esprit Sur La Matière.

(٤) ص ٣٥ ، ٣٦ من Revue Métapsychique.

(٥) La Telepathie.

ل . شفروى

ثم أضف إلى البينات المستمدة من أعمال هذا المعهد الدولى لمدة قاربت الآن نصف قرن ، شهادة الأكاديمية الفرنسية L' Academie Francaise وهى تمنح فى سبتمبر سنة ١٩٣٠ جائزة فانى إمدن إلى الأستاذ ل شفروى عن مؤلف عنوانه « الإنسان لا يموت » يدور حول نتائج البحوث التى جرت حتى هذا التاريخ فى المعهد الدولى وفى غيره ، لتعلم أن الموضوع قد دخل حيز اليقين العلمى بالفعل . وأن الجهل به أو المكابرة فيه الآن لا تجوز إلا ممن لا يزال يجهل كروية الأرض ودورانها حول نفسها وحول الشمس ، وهؤلاء كثيرون لكنهم على أية حال أقل عدداً ممن لا يزالون يجهلون حقائق علم الروح الحديث .

طائفة من الفلاسفة وحملة الأقلام

هذا عن البحوث التى جرت بمعرفة علماء متفرقين أو داخل « المعهد الدولى لما وراء الروح » . ولا يتم سردنا لبعض الأسماء والمراجع الفرنسية فى هذا الموضوع إلا إذا أوردنا بعض شذرات سريعة عن جانب من أبرز فلاسفة هذا الموضوع وكتابه من حملة الأقلام فى فرنسا ، أسوة بما فعلناه عنهم فى غيرها .

آلان كاردك

لعل أبرز فيلسوف فرنسى فى موضوع الأرواح حتى الآن هو آلان كاردك Allan Kardec (١٨٠٤ — ١٨٦٩) . وقد كان طبيباً وعالماً تربوياً وواصل بحث هذا الموضوع لسنين طويلة داخل جمعية روحية أنشأها خصيصاً كانت تضم صفوة من أهل الأدب والفكر هناك ممن ذكرنا بعض أسمائهم آنفاً ، ولها جملة فروع فى الأقاليم ، كما كان ينشر اتصالات هذه الجمعية مع الأرواح فى مجلة أنشأها لهذا الغرض اسمها « المجلة الروحية[1] » . وله مؤلفات عديدة تعد من أفضل المراجع فى هذا الموضوع فى فرنسا والبلاد

(١) La Revue Spirite.

اللاتينية بوجه عام أهمها «كتاب الأرواح»[١] و «كتاب الوسطاء»[٢] و «التكوين»[٣] و«مؤلفات ما بعد الموت»[٤]و« الجنة والنار»[٥]و«تعريف عملى بالظواهر الروحية»[٦].

ولنا عودة إلى أعمال هذا الباحث الفيلسوف عندما نعرض فى الجزء الثانى لموضوع «الثواب والعقاب» إذ ستكون بحوثه هى المرجع الرئيسى لنا فيه، وبخاصة مؤلفه «الجنة والنار».

ليون دنيز

ويجىء بعده دور ليون دنيز Léon Denis (١٨٤٧ — ١٩٣٧) الذى كان وسيطاً وفيلسوفاً ، وقد ألف فى موضوع الأرواح حوالى ثمانية عشر كتاباً، ودخل بسبب بعضها فى صراع شديد مع رجال الدين من الكاثوليك الذين جهروا بعدائهم للحركة، فهاجمهم بعنف أصبح مميزاً لكتاباته فى عدد من المواضيع الكهنوتية التى أثارها فى بعض مؤلفاته.

وأهم هذه المؤلفات «بعد الموت»[٧] و «مشكلة الكائن والمصير»[٨] الذى يتضمن ثمرة تجريب طويل فى دائرته الروحية بمدينة تور Tours و«المسيحية والروحية»[٩] و «العالم الغير المنظور والحرب»[١٠] و «عبقرية الصلت والعالم الغير المنظور»[١١]، وقد ذكر فيه «أن روح آلان كاردك هى

(١) Le Livre Des Esprits.
(٢) Le Livre Des Mediums.
(٣) La Genèse.
(٤) Oeuvres Posthumes.
(٥) Le Ciel Et L'Enfer.
(٦) Instruction Pratique Sur Les Manifestations Spirites.
(٧) Aprés La Mort.
(٨) Le Problème dp l'Etre Et De La Destinée.
(٩) Christianisme Et Spiritisme.
(١٠) Le Monde Invisible Et La Guerre.
(١١) Le Gēnie Celtique Et Le Monde Invisible.

التى دفعتنى إلى تحرير هذا الكتاب، وسيجد فيه القارىء مجموعة من الرسائل التى أملتها علينا روحه بطريق الاندماج incorporation فى ظروف تنفى كل خداع . وفى خلال هذه المحادثات قدمت إلينا أرواح تحررت من حياتها الأرضية نصائحها وتعاليمها » .

ومن أهم مؤلفاته أيضاً « فى الغير المنظور : الروحية والوساطة »[١] و« اللغز الكبير »[٢] و « الله والكون »[٣] الذى شرح فيه نظريات الأرواح فيما وراء الطبيعة .

ومن مولفاته أيضاً « الحقيقة حول جان دارك »[٤] الذى أظهر فيه قديسة اللورين فى ردائها الصحيح كوسيطة كانت تعمل بتوجيه من أرواح ذكرت أسماءها ، وهى أرواح القديس ميخائيل والقديستين كاترين ومارجريت ، حتى تمكنت من تحرير وطنها من معتد غاصب فكان جزاؤها الأوفى اتهامها بالسحر وإحراقها حية ، فراحت ضحية الظلم الغشوم كما راحت من قبل القديستان مرجريت وكاترين . وقد كانت جان دارك فى حياتها ومماتها أروع مثال لقصة الكفاح الخالد بين الخير والشر ، ثم أصبحت الساحرة فى حياتها الأرضية قديسة تستحق الاحترام والتبجيل ، وتقام لذكراها الموالد والأعياد بعد مضى خمسة قرون .

ومن يدرس تاريخ جان دارك بعناية يدرك تماماً أنها لم تكن واهمة . فمن رؤى صادقة إلى مشاهدة الأرواح وسماع أصواتها إلى محاولات متكررة كيما تروغ منها لمدة أربع سنوات ، إلى أن أذعنت على مضض ، مما يبين تماماً أنها كانت مسيرة بقوى غير منظورة غلبتها فى النهاية على إرادتها ، لخدمة هدف معين كانت الأرواح تريد تحقيقه . وقد أعجب به الأديب الكبير سير آرثر كونان دويل فنقله إلى الإنكليزية تحت عنوان « لغز جان دارك »[٥] .

---

(١) Dans L'invisible : Spiritisme Et Mediumnité.

(٢) La Grande Enigme.

(٣) Dieu Et L'Univers.

(٤) La Vérité Sur Jeanne D'Arc.

(٥) The Mystery Of Joan Of Arc.

وقد انتخب ليون دنيز رئيساً فخرياً للمؤتمر الروحى الدولى الذى عقد فى باريس فى سنة ١٩٠٠ كما أعيد انتخابه رئيساً للمؤتمر الذى عقد فى سنة ١٩٢٥ وانتقل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٢٧ .

جابرييل ديلانه

من الباحثين الفرنسيين أيضاً جابرييل ديلان Gabriel Delanne (١٨٥٧ — ١٩٢٦) وكان مهندساً ، وتولى فى وقت ما رئاسة تحرير « المجلة العلمية والخلقية للروحية »[١]، وقام ببحث الظواهر الروحية بأسلوب علمى، وكان باحثاً مدققاً أميناً ، ويعتبر من رواد الحركة الروحية الفرنسية، إذ ظهر له أول مؤلف فيها وعنوانه « الظاهرة الروحية »[٢] فى سنة ١٨٩٤ ثم ظهرت له بعد ذلك عدة مؤلفات مثل « الروحية إزاء العلم »[٣] (١٨٩٥) ومثل « بحوث على الوساطة »[٤] (١٨٩٦) و « الروح خالدة ، أو بينات على الحياة المستقبلة »[٥] (١٩٠٤) و« أشباح متجسدة لأحياء ولأموات »[٦] فى جزئين ظهر أولهما فى سنة ١٩٠٩ وثانيهما فى سنة ١٩١١ .

وقد كان ديلان أكثر اعتدالا من ليون دنيز فى موقفه من رجال الكنيسة ، والتزم موقف آلان كاردك المعتدل من ناحية محاولة التوفيق بين آرائهم وآراء الأرواح وقد أسس ديلان مع آخرين « الاتحاد الروحى الفرنسى »[٧] فى سنة ١٩١٧ .

بحاث آخرون

ومن البحاث المعروفين مدام جوليت ألكسندر بيسون J. A. Bisson التى ظلت تواصل تجاربها فى باريس على الوسيطة إيفا من سنة ١٩٠٨ إلى

---

(١) La Revue Scientifique Et Morale Du Spiritisme.
(٢) Le Phenomène Spirite.
(٣) Le Spiritisme Devant La Science.
(٤) Recherches Sur La Mediumnité.
(٥) L'Ame Est Immortelle.
(٦) Les Apparitions Materialisées Des Vivants Et Des Morts.
(٧) L'Union Spirite Francaise.

سنة ١٩١٣ بالاشتراك مع العالم الألمانى الدكتور شرنك فون نوتزنج من ميونيخ Schrenck Von Notzing والتى ورد بيانها فى مؤلف لها عنوانه « الظواهر الموصوفة بالتجسد »(١) (١٩١٤) وفى مؤلف للدكتور نوتزنج عنوانه « ظواهر التجسد »(٢) (وله ترجمة إنكليزية) .

ومنهم الدكتور شازاران L. Ch. Chazarain وله مؤلف عنوانه « الأدلة العلمية على حياة الروح بعد الموت »(٣) (١٩٠٥) وآخر عنوانه « تجسدات غير معروفة كثيراً شوهدت فى باريس »(٤) (١٩١١) .

ومنهم ميشيل ساج Michel Sage ومن مؤلفاته « مدام بيبر وجمعية البحث الروحى الأنجلو أمريكية » (١٩٠٢) بمقدمة من الفيلسوف كامى فلاماريون(٥) و « منطقة الحدود »(٦) (١٩٠٣) ثم ظهر له كتاب « الصعود الكونى »(٧) ، ثم ظهر له كتاب « الروحية مشكلة علمية »(٨) (١٩٣٠) .

ومنهم الراعى ألفريد بينزيك Alfred Bénézech الذى انتقل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٢٦ بعد أن وضع عدة مؤلفات مثل « الظواهر الروحية ومسألة العالم الآخر »(٩) و « الألم هو الحياة مجددة »(١٠) و « محادثات

---

(١) Les Phenomènes Dits De Matérialisation.

(٢) Phenomena Of Materialisation.

(٣) Les Preuves Scientifiques De La Survivance De L'Ame.

(٤) Materialisations Peu Connues Observées à Paris.

(٥) Mme Piper Et La Societé Anglo-Americaine Pour Les Recherches Psychiques (Leymarie).

(٦) La Zone Frontière.

(٧) L'Ascension Cosmique.

(٨) Le Spiritisme Problème Scientifique.

(٩) Les Phenomènes Psychiques Et La Question De L' Au—Delà

(١٠) Souffrir Revivre.

خلقية ودينية »(١) كما ساهم فى تحرير « الجريدة الروحية » .

وقد واصل ابنه الأستاذ شارل بينزيك Charles Bénézech الذى كان مستشاراً بمحاكم الاستئناف بحوث والده وأصدر فيها مؤلفاً عنوانه « الحياة الأرضية وحياة ما بعد القبر »(٢) سنعود إليه فى الجزء الثانى .

ومن البحاث المعروفين أيضاً شارل لانسلان Charles Lancelin الذى له عدة مؤلفات هامة فى هذه الأمور منها « العالم الآخر ومشكلاته » (٣) « و التدليس فى إحداث الظواهر الوساطية » (٤) و « كيف يموت الإنسان وكيف يولد »(٥) و « طريقة الازدواج الشخصى »(٦) و « العودة إلى التجسد »(٧) و « الروح الإنسانية » (٨) و « الحياة بعد الموت » (٩) .

ومنهم الباحث بيير لى كور Pierre Le Cour وله فى الروحية عدة مؤلفات منها « ظواهر ما بعد الموت »(١٠) الذى يسرد فيه اتصالاته مع غير المنظورين من سنة ١٩٠٨ إلى سنة ١٩١٨ ، بما فى ذلك تجارب التجسد التى شاهدها فى « المعهد الدولى لما وراء الروح » فى حضور مديره الدكتور جيلى وبعض الباحثين مؤيدة بالصور التى التقطها للوسيطة إيفا والأرواح ،

---

(١) Causeries Morales Et Religieuses.
(٢) La Vie Terrienne Et La Vie D'Outre Tombe.
(٣) L'Au-dela Et Ses Problemes.
(٤) La Fraude Dans La Production Des Phenomènes Mèdiumniques.
(٥) Comment On Meurt, Comment On Nait?
(٦) Méthode De Dédoublement Personnel.
(٧) La Reincarnation.
(٨) L'Ame Humaine
(٩) La Vie Posthume.
(١٠) Manifestations Posthumes. وراجع ما سبق ص ٢٨٠

إذ إنه من هواة التصوير . ومن مؤلفاته أيضاً « الحاسة السابعة »[١] ، و« البحث عن عالم مفقود[٢] » .

ريفيه سيدر

ومنهم بحاثة معروف وهو ريفيه سيدر René Sudre الأستاذ بمدرسة الدراسات العليا الاجتماعية بباريس ونائب رئيس « المعمل الوطنى للبحث الروحى » بلندن[٣] كما كان مساعداً للدكتور جيلى فى إدارة « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس من سنة ١٩٢١ إلى ١٩٢٦ .

وهو مفكر ممتاز فى علم ما وراء الروح ، وله بحوث عميقة نشرت فى مجلة هذا المعهد بين عامى ١٩٢٦ ، ١٩٣٠ فى نظريات التعليل الروحى للطبيعة وللكون تضاهى فى عمقها بحوث برجسون وشوبنهور وغيرهما من فلاسفة التطور الروحى كما أسهم بدور فعال فى المؤتمرات الروحية الدولية التى عقدت فى كوبنهاجن فى سنة ١٩٢١ ، وفى وارسو فى سنة ١٩٢٣ ، وفى باريس فى سنة ١٩٢٧ وأسس « المكتبة الدولية للعلم الروحى والباراسيكولوجى »[٤] التى قامت بترجمة أهم مؤلفات العلماء سير باريت وكروفورد وشرنك فون نوتزنج وغيرهم إلى اللغة الفرنسية .

وأهم مؤلفاته « مقدمة لعلم ما وراء الروح الإنسانى »[٥] (١٩٢٦) .

متابعة لبحاث آخرين

ومن البحاث المعروفين أيضاً ج سيمون G. Simon الذى له مؤلف عن

---

(١) Le Septième Sens.

(٢) A La Recherche D'un Monde Perdu. L'Atlantide Et Ses Traditions.

(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٢٨ — ٢٣١ .

(٤) Bibliothèque Internationale de Science Psychique et Para-Psychologie

(٥) Introduction A La Méta — Psychique Humaine, Payot.

« الموائد المتكلمة عند فكتور هيجو »[١] (١٩٢٣) . والكونت سيزار دى فيزم Cesar De Vesme (وهو من أب إيطالى وأم فرنسية) وله عدة مؤلفات قيمة منها « تاريخ الروحية التجريبية »[٢] الذى حصل على جائزة أكاديمية العلوم (١٩٢٨) ومنهم ج . لابادية J. Labadié بمؤلفه « عند حدود العالم الآخر »[٣] (١٩٣٩) .

ومنهم أندريه ديماس André Dumas ومن أهم مؤلفاته الروحية « التطور العالمى أو أصل الروح الإنسانية ومصيرها »[٤] و« علم الروح »[٥] (١٩٤٧) ويتضمن الأخير منهما شرحاً للأصول العلمية لدراسة الظواهر فوق المألوفة ونظرية علم ما وراء الروح .

ومنهم موريس ماجر Maurice Magre وهو شاعر ومؤلف مسرحى وصاحب عدة مؤلفات فى الموضوعات الروحية منها : « الموت والحياة المستقبلة »[٦] و « الجمال غير المنظور »[٧] و « فى مطاردة الحكمة »[٨] و « التداخلات الفوق الطبيعية »[٩] .

ومنهم جورج فيتو Georges Vitoux الذى له عدة مؤلفات فى الروحية أهمها « خفايا الجانب الآخر »[١٠] و « الخفاء العلمى »[١١] و « الأشعة السينية وتصوير غير المنظور »[١٢] .

---

(١) Chez Victor Hugo. Les Tables Tournantes de Jersey.
(٢) Histoire Du Spiritisme Experimental. (J. Meyer. Paris).
(٣) Aux Frontières De l'Au—Delà (Grasset. Paris).
(٤) L'Evolution Universelle (Les origines et le devenir de l'ame humaine).
(٥) La Science de L'Ame (Ocia, Paris).
(٦) La Mort Et La Vie Future.
(٧) La Bauté Invisible.
(٨) A La Poursuite De Sagesse.
(٩) Les Interventions Surnaturelles.
(١٠) Les Coulisses De L'Au—Delà.
(١١) L'Occultisme Scientifique.
(١٢) Les Royons x. Et La Photographie De LInvisible.

إدوار سابي

ومنهم إدوار سابي Edoward Saby وهو بدوره صاحب عدة مؤلفات قيمة فى العلم الروحى مثل كتاب « الصعود الإنسانى »[١] (١٩٣٨) وكتاب « ماوراء العالم المنظور »[٢] (١٩٤٧) و« نهاية عالم وقيامته »[٣] و« على طريق الإلهام »[٤]. كما أسس فى سنة ١٩٢٦ مدرسة روحية خاصة اسمها Ecole Addéiste تجمع على حد وصفه « أصحاب العقول المتحررة فى البحث عن الحقيقة ، لمعالجة أمور العقيدة والفلسفة والاجتماع ، وتصدر جريدتين إحداهما تدعى « المجهود الروحى »[٥] والثانية تدعى « جبهة الروح »[٦].

ومن أهداف هذه المدرسة ، بالإضافة إلى التوفيق بين شتى الاتجاهات الروحية ، تعزيز الأخوة بين أعضائها عن طريق محبة العدالة ، ومساعدة أعضائها فى البحث عن الله وشعارها « مزيد من المعرفة لمزيد من المحبة »[٧].

جورج باربارانه

ومنهم جورج باربارانGeorge Barbarin وهو باحث وأديب معاصر غزير الإنتاج ، فقد ألف حتى الآن حوالى أربعين كتاباً فى كافة الموضوعات المتصلة بالروحية التجريبية وفلسفتها وما يرتبط بها من أمور . ومن أهم مؤلفاته « غير المنظور وأنا »[٨] و « مؤلف صغير فى الغيب التجريبى »[٩] و « الدليل الروحى للإنسان العصرى »[١٠] و « كتاب الموت الهادىء »[١١]

(١) L'Ascension Humaine.
(٢) Au Déla Du Monde Visible
(٣) Fin Et Ressurrection D'un Monde.
(٤) Sur Le Sentier De l'Initiation.
(٥) L'Effort Spirituel.
(٦) Le Front De L'Esprit.
(٧) Mieux comprendre pour mieux aimer.
(٨) L'Inivisible Et Moi.
(٩) Petit Traité De Mysticisme. Experimental.
(١٠) Guide Spirituel De L'homme Moderne
(١١) Le Livre De La Mort Douce.

و « هل الله رياضى ؟ »[١] و « ما هو الإشعاع الحيوى؟ »[٢] و « ما بعد الموت »[٣] و « رحلة إلى أطراف العقل »[٤]. وقد ترجم عدد من مؤلفاته إلى لغات شتى .

بعض الأسماء والمراجع في بمود أخرى

ولنترك فرنسا اكتفاء بما بيناه من أسماء ومراجع كيما ننتقل إلى باقى البلاد الأخرى فنجد عدداً كبيراً من أفضل العلماء الذين بحثوا فى الظواهر الروحية واقتنعوا بصحتها وبدلالتها البالغة الخطورة فى بقاء الحياة بعد موت الجسد ، ولنذكر منهم هنا بعض البارزين :

فى بلجيكا : نجد الأديب والشاعر المعروف موريس ماترلنك Maurice Maeterlink (جائزة نوبل فى الأدب فى سنة ١٩١١) يعالج موضوعات الروحية الحديثة بعمق وغزارة فى جملة مؤلفات : منها « مملكة الموتى »[٥] و « الضيف المجهول »[٦] و « أبديتنا وحطام العاصفة »[٧] .

وفى هذا الأخير يقول إن أول ما يخطر على الذهن عند ما نبدأ فى دراسة هذه الظواهر غير المألوفة هو تعليلها بالتدليس وبالدجل ، ولكن أقل إلمام بحياة الوسطاء الثلاثة أو الأربعة الأوائل وعاداتهم وأساليبهم كاف لزحزحة أى ظل من الشك فى هذا الشأن .

وبين جميع التفسيرات المتصورة فإن التفسير الذى يعزو كل شىء إلى الدجل والحيلة هو بغير نزاع أكثرها غرابة وأقلها احتمالا ... فمنذ اللحظة التى يطرق فيها الإنسان طريق هذه المعرفة يجد أن شكوكه قد تبددت غير تاركة وراءها أى أثر ، ويقتنع أن مفتاح اللغز لا يمكن أن يكون فى الدجل ... ومنذ أقل من خمسين عاماً كانت أغلب ظواهر التنويم المغناطيسى المعترف

---

(١) Dieu Est-il Mathématicien ?

(٢) Qu'est-ce Que La Radiesthésie?

(٣) L'Après Mort

(٤) Voyage Au Bout De La Raison.

(٥) Le Royaume Des Morts.

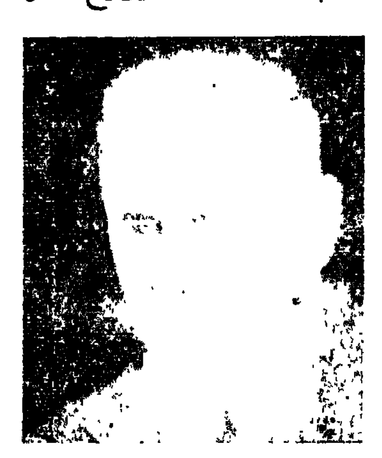
(٦) وله ترجمة انكليزية عنوانها : The Unkown Guest.

(٧) وله ترجمة انكليزية عنوانها : Our Eternity and the Wrack of the Storm.

بها علمياً الآن معتبرة تدليساً ، ويبدو أن الإنسان يأبى أن يعترف أنه تسكن بداخله ملكات تتجاوز كثيراً مدى تصوره . . . ومن مؤلفاته أيضا «العالم العظيم التالى »[١] .

وفى ألمانيا : نجد من المشتغلين بالبحث الروحى عالم النفس والبيولوجيا هانز دريش Hans Driesch أستاذ الفلسفة بجامعة ليبزج وله فيه مؤلف هام عنوانه « البحث الروحى »[٢] . كما نجد منهم الفلكى المشهور جوهان زولنر J. C. F Zollner الأستاذ بجامعة ليبزج (١٨٣٤ — ١٨٨٢) الذى يعد من رواد البحث الروحى وهو يعلن بكل ثقة فى « الفيزياء السماوية »[٣] «نؤكد لبنى الإنسان تأكيداً بعيداً عن الشك أنه يوجد عالم ذكى آخر . ولقد صافحت صديقا من هذا العالم» ثم نشر فى هذا الموضوع كتاباً آخر عنوانه « أوراق علمية »[٤] أثبت فيه ما رآه وحققه بنفسه مع مجموعة أخرى من العلماء من المشاهدات الحسية فى الظواهر الروحية .

ومن الأسماء الألمانيــة الطبيب والبيولوجى شرنك فون نوتزنج Shrenck Von Notzing (١٨٦٢ — ١٩٢٩) وهو من علماء ميونيخ . ومؤلفه « ظواهر التجسد »[٥] يعد من المراجع الأولى فى موضـــوع الاكتوبلازم . كما أن منهم الريشى Ulrici وفيبر Weber ورودلف تشنر R . Tischner الأساتذة بجامعـــة ليبزج . ومنهم كارل دى برل Carl Du Prel (١٨٣٩ — ١٨٩٩) بجامعـــة ميـونيخ وفرتز جرونوالد Grunewald



شرنك فون نوتزنج

(١) وله ترجمة انكليزية عنوانها : The Great Beyond.

(٢) Pschyical Research.

(٣) وله ترجمة انكليزية عنوانها: Transcendental Physics 1882.

(٤) وله ترجمة انكليزية بمعرفة ماسى Massey ترجم إلى سنة ١٨٨٩. Scientific Papers.

(٥) Phenomena Of Materialisation.

كارول جروبر Karl Grüber وبول سونر Paul Sünner وريتشارد بوروالد R. Baerwald وإدوارد هارتمان E. Hartmann وألبير مول A. Moll وماكس دسوار M. Dessoir وغيرهم ..

وفى سويسرا : اشترك فى بحث الظواهر الوساطيـــة العلامة كارل جوستاف يونج C. C. Iung (١٨٧٥ — ١٩٦١) أشهر علماء النفس فى العصر الحاضر تحت وصف الباراسيكولوجى[١] وقرر فى مؤلفه « السيكولوجيا والدين »[٢] أن فكرة العقل الباطن ليست إلا فرض اختير من باب التسهيل . وأن تجريبه السيكولوجى أظهر له غير مرة « أن ثمت أشياء تصدر عن نفس أو عن روح أكثر اكتمالا من الوعى ، وأن هذه الأشياء تتضمن تحليلا أرقى أو نظرة فاحصة أدق لمعرفة لا يستطيع الشعور أن يمدنا بها .... » .

وفى مؤلفه « الإنسان الحديث يبحث عن نفس »[٣] نجده فى طبعة سنة ١٩٤١ فى الفصل العاشر وعنوانه « مسألة الإنسان الحديث الروحية » يبشر بعالم الروح والحياة الروحية ، ويقرر أن عالم المادة قد تبخر واندثر حتى فى ضوء الفيزياء الحديثة . وسنبين فى الجزء الثانى عند الكلام فى موقع عالم الروح كيف قد تبخر عالم المادة هذا واندثر طبقاً لأحدث حقائق الفيزياء . كما سنعود إلى رأى ليونج بالغ أقصى درجات الخطورة عن اقتناعه بوجود الجسد الأثيرى للإنسان فى فصل مقبل .

وفى إيطاليا : تشير المراجع الروحية إلى أعمال وبحوث لومبروزو Lombroso (١٨٣٥ — ١٩٠٩) وهو أبرز الأسماء فى تاريخ علم الإجرام ، وصاحب « المدرسة الوضعية الايطالية » التى أدت جليل الخدمات لدراسة

---

(١) راجع ما سبق فى ص ١٧٥ — ١٨٥ .

(٢) Psychology And Religion.

(٣) Madern Man In Search Of A Soul. 1933,

مكافحة الجريمة . وكان لمبروزو أستاذاً للطب الشرعي وللأمراض العقلية بعدة جامعات إيطالية ، وظل يرمى المصدقين بالظواهر الروحية بالجنون وينتقدهم فى مؤلفاته . ثم أتيحت له فرصة بحث هذه الظواهر فى باريس بالاشتراك مع الفيلسوف كامى فلاماريون Camille Flammarion ومع الفسيولوجى شارل ريشيه Charles Richet الأستاذ بكلية الطب بباريس وعضو أكاديمية العلوم .

كما قام لمبروزو ببعض التجارب فى نابلى بناء على دعوة الأستاذ شيايا Chiaia من علمائها فى فبراير من عام ١٨٩١ . وحضر بعض جلسات روحية مع أسابيا بلادينو فصرح بعدها «بأنى لأشعر بالكثير من الخجل ، كما أشعر بالأسف الشديد لمعارضتى فى كثير من التشبث إمكان وقوع هذه الأمور الحقيقية المسماة ظواهر روحية » . ثم عدل عن رأيه السابق نهائياً وألف فى الروحية مؤلفاً معروفاً عنوانه «ماذا بعد الموت ؟»[1] قال فى مقدمته « لم يكن هناك أحد أشد منى عداء للظواهر الروحية بحكم تربيتى العلمية وميولى النفسية . وكنت أعتبر أن من البديهيات العلمية أن كل قوة ليست إلا خاصية من خواص المادة . وأن كل فكر وظيفة من وظائف المخ . وكنت أهزأ من الموائد المتكلمة ، لكن ولعى بإظهار الحقيقة وكشف غموض الحوادث المرئية قد تغلب على عقيدتى العلمية » . وقال فيه أيضاً : «ولنحذر من ادعائنا دقة العقل واعتقاد أن كل الناس من قبيـــل



لومبروزو

---

(١) وله ترجمة انكليزية عنوانها : After Death - What?

المخرفين والظن بأننا نحن فقط العلماء ، فإن ذلك يوقعنا فى الضلال.. »[١]

ومن العلماء الإيطاليين الذى اقتنعوا بصدق الظواهر الوساطية وبدلالتها المحتومة شكاباريللى Schiaparelli (١٨٣٥ – ١٩١٠) مكتشف قنوات كوكب المريخ ومدير مرصد ميلانو ؛ وعالم الطبيعة جيروزا Gerosa والفسيولوجى دى أميسيس De Amicis والسيكولوجى إرنستو بوزانو Ernesto Bozzano الذى سنفرد فى الباب المقبل فصلا لتلخيص مقال له فى الأرواح نقلا عن مجلة « الكلية البريطانية للعلم الروحى » .

ومن الإيطاليين أيضاً ألفريدو باسينى Alfredo Passini وبوتازى Botazzi وفوا Foa وفنزى مورسيللى[٢] Finzi Morselli وشيايا Chiaia وبروفيريو[٣] Brofferio وهم أساتذة فى الجامعات الإيطالية .

وفى روسيا : تشير البحوث فى الأرواح إلى أعمال الأساتذة بوتلروف Boutlerow وفاجنر Wagner وأوستروجرادسكى Ostrogradsky . وقد كانوا أساتذة بجامعة بطرسبورج (التى أصبح اسمها لينجراد) . ومن أشهرهم أكزاكوف[٤] Aksakoff الذى كان عالما لغويا ووزيراً ومستشاراً للقيصر اسكندر الثالث ومنهم أيضاً الكونت دى بوديسكو De Bodisco الذى كان ياوراً للقيصر ، ثم كوروفيتش .

---

(١) كما ألف لومبروزو كتاباً عنوانه « الظواهر المغناطيسية والروحية » .
Fenomeni Ipnotici e Spiritici
وله ترجمة فرنسية بمعرفة روسينيه Rossigneux ظهرت فى سنة ١٩٣٠ عنوانها :
Hypnotisme et Spiritisme

(٢) من مؤلفاته : Psicologia e Spritismo, Turin 1908.

(٣) من مؤلفاته : Per Lo Spiritismo.

(٤) وكان يصدر جريدة « الدراسات الروحية » أثناء إقامته فى ألمانيا
Psychiche Studien.
ومن مؤلفاته « الروحية والعلم » Spiritualism And Science.

وفى أسبانيا : من الأسماء التى يشار إليها فى هذا الميدان رامون دى لاساجا من علماء الطبيعيات والفيكونت دى توريس سولانو Torrès Solanot .
وقد نشطت حركة البحث الروحى منذ أوائل هذا القرن فلم تعد تخلو مدينة من جمعية أو مجـــلة أو مؤسسة للبحث الروحى . ومنها دائرة برشلونة Centro Barcelones ومعها « اتحادات الدراسات الروحية » L.Union Escolar Espiritista الذى يصدر «مجلة الدراسات النفسية»[1] «واتحاد جمعيات كتالونيا» La Federation Des Groupes De Catalogne تحت رئاسة الفيكونت دى توريس سولانو .

وتصدر هناك مجلة شهرية اسمها «الفجر» تتولى الأرواح التحرير فيها، بما فى ذلك روح الشاعر الايطالى دانتى أليجيرى Dante[2] (١٢٦٥ — ١٣٢١ م) الذى يكتب فيها قصائد رائعة بنفس اللغة الإيطالية القديمة تحت عنوان « من الأرض إلى السماء » ولا تخلو أحياناً من مقالات لبعض من السياسيين المنتقلين .

وفى تركيا : حركة روحيـــة من روادها الدكتور بدرى روهسلمان Badri Ruhselman رئيس « الجمعية التركية لما وراء الطبيعة » ومؤلف عدة كتب روحية منها « الروح والكون » الذى ظهر فى سنة ١٩٤٦ . كما قام بعض أساتذة الجامعات والأطباء بإجراء تجارب على الوسيط ريكال أوتكين Rekal Otken وماست أراى Macit Aray . وفى سنة ١٩٥٠ قام روهسلمان بإلقاء عدة محاضرات بجامعة أنقره فى عالم الروح . كما تأسست فى نفس العام « الجمعية التركية للبحوث الروحية » وبدأت نشاطها بإلقاء المحاضرات عن هذا الموضوع بجامعة استامبول، مما دفع وزير المعارف

---

(١) Revista De Estudios Psicologicos.

(٢) يقول الدكتور حسن عثمان فى ترجمته للكوميديا الإلهية للشاعر دانتى إن ناشر هذه الكوميديا بوكاتشو قال إن « الفردوس » ظل عدة شهور بعد موت دانتى تنقصه الأناشيد الثلاث عشرة الأخيرة وبحث عنها أولاده ومريدوه دون جدوى ... وبعد عدة شهور ظهر الشاعر لابنه جاكوبو فى الحلم وأخبره بمكان القصائد الناقصة فى حائط بمنزل جاردينو حيث مات دانتى، وهناك أمكن العثور عليها، وبذلك كملت الكوميديا (الجحيم ص ٣٣) .

إلى أن يعلن أن الوقت قد حان لإدخال العلم الروحي في مناهج التعليم الجامعي هناك .

وفي المراجع الروحية إشارات كثيرة إلى الحركة الروحية في باقي بلاد العالم ، وإلى جمعيات ومؤتمرات واتحادات ودوائر روحية في آسيا وأفريقيا تبحث هذا الموضوع بما لديها من وسائل علمية ووساطية تتفاوت في قيمتها ونوعها ، وإلى مجلات دورية ومؤلفات شتى ، بما يضيق المقام عن التعرض له هنا ، خصوصاً وأن أغلبها خاص ببلاد تنطق بلغات لا نعرفها .

ونكتفي بهذا القدر من أسماء القائمين على العلم الروحي في شتى بلاد العالم ومن مراجعه الهامة قبل الكلام في «بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية» .

الفصل الرابع

فى بعض الأسماء والمراجع باللغة العربية

وصلت أنباء الكشوف الروحية إلى بلادنا فى تاريخ حديث نسبياً ، وكان بعض المجلات يشير إلى بعضها بطريقة الراغب فى تسلية القارىء أو إثارة روح الطرافة عنده ، أكثر منها بطريقة الراغب فى تعريفه بأخطر موضوع علمى يبحث بدون توقف منذ منتصف القرن الماضى ، ويلزم كل قارىء أن يعرفه على النحو الجاد الذى ينبغى أن يكون طابع الحقائق الخطيرة.

الشيخ طنطاوى جوهرى

وقد بدأ بعض المؤلفات يظهر فى بطء وتثاقل باللغة العربية عن هذا الموضوع . منها مثلا « كتاب الأرواح » للمرحوم الشيخ طنطاوى جوهرى ، أحد أصحاب التفاسير القيمة الذى ظهرت طبعته الأولى فى سنة ١٩١٨ ، وفيه يدافع عن هذا البحث ويبين مدى انطباق نتائجه مع العقيدة ويدفع كل شبهة قد تجىء من هذه الناحية .

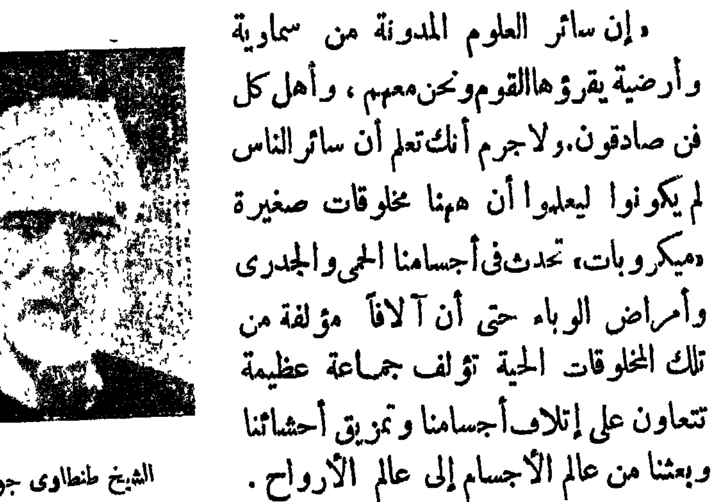
وقد كان الشيخ طنطاوى أستاذاً بدار العلوم ، كما اختير ضمن هيئة التدريس فى الجامعة المصرية القديمة حين انشائها ، ثم كان هدفاً لدسائس كثيرة من بعض الجامدين انتهت به إلى المدارس الثانوية التى ظل فيها أستاذاً حتى أحيل إلى المعاش .

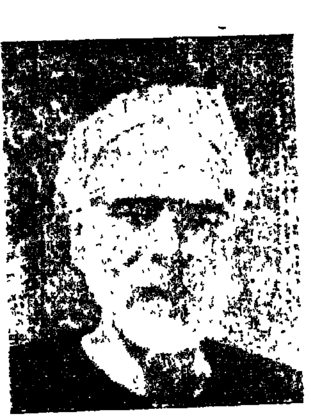
وكان من أبرز أعضاء « دائرة القاهرة الروحية » وقاراً وعلماً وتقوى. ويقول المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير فى رثاء له بعد انتقاله إلى عالم الروح إن صلته « لم تنقطع بنا بعد انتقاله ، فكثيراً ما يحضر جلساتنا ويراه وسطاء الجلاء البصرى ويسلمون عليه ، ورأيته بنفسى فى حجرة التحضير رؤية خاطفة ، فإذا بطنطاوى جوهرى المفقود موجود ، وإذا العقل الفياض

هو العقل الفياض ، وإذا بعواطفه الخيرة متغلبة عليه . وكثيراً ما كان د
على أسئلتنا إما بطريق وسيط الكتابة التلقائية وإما بالحروف النورية ،
يراها الوسيط المختص ويمليها حرفاً حرفاً فى سرعة متناهية ... »[1]

كما كتبت جريدة الجمهورية فى ٢٩ من يناير سنة ١٩٥٦ عنه « عنى الأب
جوميه أحد رهبان دير الدومينيكان منذ سنوات بدراسة عالم مسلم
مصرى لم ينصفه معاصروه وجهلوا قدره ، بل وحاربوه فى مكانته العلمية مع
أنه لا يقل مكانة عن الرازى والزمخشرى وابن سيناء وابن خلدون . ذلك
هو العلامة طنطاوى جوهرى الذى أدخل لأول مرة فى تاريخ البحث
العلمى العربى العلوم الحديثة فى تفسير القرآن الكريم ... »[2] .

فهو قد قام بنفس الدور الذى قام به فى الخارج ذوو الأذهان المتفتحة
عند ما عرفوا كيف يربطون بين الآراء الدينية وبين حقائق العلم الروحى
الحديث وهو لا يجد أية غضاضة فى أن يكون رجوعه فى « كتاب الأرواح »
إلى مراجع الفرنجة وبحوثهم قائلا فى ص ٤٧ من طبعة سنة ١٣٣٨ هجرية
١٩٢٠ ميلادية .





الشيخ طنطاوى جوهرى

« إن سائر العلوم المدونة من سماوية
وأرضية يقرؤها القوم ونحن معهم ، وأهل كل
فن صادقون . ولا جرم أنك تعلم أن سائر الناس
لم يكونوا ليعلموا أن ههنا مخلوقات صغيرة
« ميكروبات » تحدث فى أجسامنا الحمى والجدرى
وأمراض الوباء حتى أن آلافاً مؤلفة من
تلك المخلوقات الحية تؤلف جماعة عظيمة
تتعاون على إتلاف أجسامنا وتمزيق أحشائنا
وبعثنا من عالم الأجسام إلى عالم الأرواح .

(١) عن مجلة « عالم الروح » عدد مارس سنة ١٩٥٦ ص ٢ — ١٠ .
(٢) عن مقال عنوانه « طنطاوى جوهرى » بإمضاء « عطارد » .

فأصبح بفضل علماء أوروبا الإيمان بهذه الحيوانات الذرية التى لا تراها العين يقيناً لا يشك فيه أحد . وقد آمن بها الصعاليك والملوك والجهلاء والعلماء .

« فهكذا هم الذين خاطبوا الأرواح بتلك النفوس العصبية (يقصد النفوس الحساسة Sensitives وهو وصف يطلق بالإنكليزية على الوسطاء) والأمزجة المستعدة للتخاطب مع العالم اللطيف الذى لم نقرأ عنه إلا فى الكتب الدينية ، فهل نصدقهم فى الحيوانات الذرية المسماة (بالميكروبات) ونكذبهم فى حياة الأرواح ؟ ... » .

وهكذا يسترسل هذا العالم الجليل فى مؤلفه هذا (الذى يقع فى أكثر من ثلاثمائة صفحة) فى تبيان الاتفاق التام بين العلم الروحى الحديث وبين العقيدة ، وفى الدفاع عن النتائج التى تكشف عنها هذا العلم . وهو فى نفس الوقت من أصحاب التفاسير الدينية القيمة التى أهمها تفسير « الجواهر » الذى له فى الشرق الأقصى وفى إيران بوجه خاص سمعة واسعة النطاق ، وهو يقع فى خمسة وعشرين جزءاً . وذلك بالإضافة إلى مؤلفات كثيرة فى مختلف الموضوعات ، وقد ترجم بعضها إلى الانجليزية والأمهرية والهندوسية والأندونيسية وغيرها . وله عشرات من البحوث والمقالات فى الشئون الدينية والاجتماعية .

محمد فريد وجدى

لعلهم قلائل الذين يعرفون أن المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى كان يصدر فيما مضى أول جريدة عربية للبحث فى الأمور الروحية الحديثة وهى مجلة « الحياة » . ثم كان ينشر هذه الأمور فى جريدته اليومية « الدستور » ثم فى مجلتى المقتطف والهلال . ولما اسندت إليه رياسة تحرير مجلة الأزهر فى سنة ١٩٣٤ أدخل على أبوابها البحوث الروحية الحديثة إلى أن اعتزل رياستها فى سنة ١٩٥٢ .


الاستاذ محمد فريد وجدى

وظهر مؤلف قيم له من أربعة أجزاء

صغيرة تحت عنوان « على أطلال المذهب المادى » وقد وفق فيه فى عرض هذا الموضوع من عدة جوانب له ، مستعرضاً فيه خلاصة بحوث متعددة جرت فى الخارج بمعرفة علماء وفلاسفة معروفين ، استعراضاً دقيقاً بطريقة الأديب المقتنع بفائدة ما يكتب فى تحطيم المذهب المادى الذى كان قد استحوذ على النفوس فكاد أن يحطم جميع القيم الخلقية الراقية .

وقد كتب فى مقدمته « لقد رأيت أن أكشف النقاب عن حقيقة هذه المسألة التى شغلت جمهور العلماء اليوم وأثرت فى المدركات البشرية تأثيراً قضت به على الفلسفة المادية قضاء لا قيام لها بعده ، وأوجدت للبحث عن الحقيقة التى بدأت الأجيال فى تلمسها عن طريق العلم الطبيعى عهداً جديداً لم يكن يحلم به الباحثون منذ أقدم أزمنة الفلسفة ، وقد أقر بهذه الحقيقة من علماء الطبيعة وكبار الفلاسفة العصريين مئات لا يعقل تواطؤهم على الكذب والانخداع » .

إلى أن يقول « وإنى ما وقفت سنين كثيرة من حياتى العلمية لاستقصاء هذه المباحث إلا لأنها حادث جلل فى تاريخ العلم العصرى سيكون من أثره تعديل مزاج الفلسفة العصرية ، وتكميل بناء المدركات البشرية على المادة والروح معاً »[١] . كما خصص مكاناً لهذه البحوث الروحية فى « دائرة معارف القرن الرابع عشر إلى القرن العشرين» التى وضعها[٢].

هذا وقد كتب المستشرق الألمانى بول كراوس يقول عن محمد فريد وجدى « خلقت كلمة أديب له ... وهو يستمد أدبه وعلمه من وثيق إيمانه وصدق إسلامه ... وإيمانه بالله يضىء له ظلمات الفكر ... وبحوثه تهدى الحيارى من قرائه ... » .

---

(١) راجع أيضاً ما سبق فى ص ١٩٥ ، ١٩٦ بخصوص رأيه فى تقرير الجمعية الجدلية البريطانية .

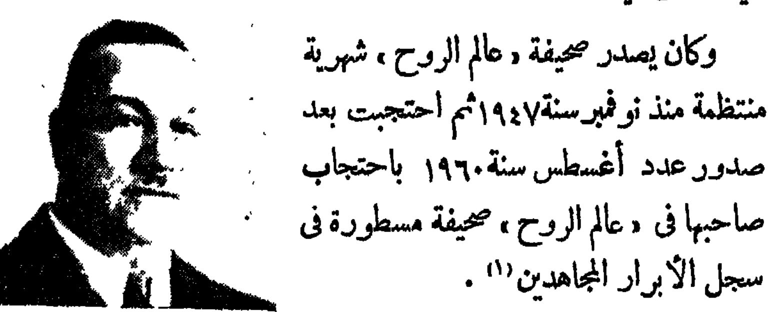
(٢) فى الجزء الرابع تحت كلمة « روح » .

أحمد فهمى أبو الخير

ثم جاء دور المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير الذى كان مراقباً عاماً للسينما التعليمية « بوزارة المعارف » وهو فى نفس الوقت أستاذ قديم «للطبيعة» ومؤلف قدير فيها . وقد ذكر لى أنه رأى يوماً كتاب « على حافة العالم الأثيرى » للعلامة جيمس آرثر فندلاى فظنه يعالج موضوع الأثير فى الطبيعة الحديثة ، فلما قرأه أعجبه موضوع الأرواح ووجد أنه جدير بعناء بحثه فانكب على الاطلاع فيه .

ثم انتقل من الاطلاع إلى التجريب ، ونجحت جلساته بوجه خاص فى موضوع العلاج الروحى ففتح أبواب منزله بالروضة — سنين طوالا — لمن يريد أن يعالج مجاناً . وقد شاهد الكثيرون نجاح بعض حالات الشفاء عنده ، كما شاهدوا الأضواء التى كانت تتطاير فى جو الغرفة من مصدر غير منظور . وبعض الوسطاء المعالجين كان من المثقفين الذين يشغلون مناصب مرموقة كما كان بعضهم الآخر من البسطاء .

وكان الأستاذ أبو الخير نشيطاً فى خدمة القضية الروحية عن اقتناع تام بها ، كما كان كاتباً لبقاً ومحاضراً جذاباً طالما تحمل العناء فى سبيل الدفاع عن اقتناعه ، فكان رحمه الله علماً فى الدعوة الروحية حتى آخر لحظة من حياته الأرضية .



الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير

وكان يصدر صحيفة « عالم الروح » شهرية منتظمة منذ نوفمبر سنة ١٩٤٧ ثم احتجبت بعد صدور عدد أغسطس سنة ١٩٦٠ باحتجاب صاحبها فى « عالم الروح » صحيفة مسطورة فى سجل الأبرار المجاهدين[1] .

وله عدة مؤلفات قيمة منها « ظواهر

(١) وقد نشرت لنا صحيفة « عالم الروح » مشكورة مقالات كثيرة فى علم الروح بتوقيع الحروف الأولى (ر . ص . ع .) كانت بمثابة النواة الأولى للمؤلف الحالى .

الطرح الروحى» و «السيكولوجيا والروح» و «العجيبة الثامنة»[١]. كما نقل إلى اللغة العربية مؤلفين هامين: أولهما «على حافة العالم الأثيرى» للأستاذ جيمس آرثر فندلاى مدير «المعهد الدولى للبحث الروحى» بلندن، وثانيهما «ظواهر حجرة تحضير الأرواح» للطبيب أدوين فردريك باورز الأستاذ بجامعة مينيابوليس بالولايات المتحدة.

وفى مقدمة هـذا الكتاب الأخير (ص ٥١) يناقش الأستاذ أبو الخير معارضى البحث فى الروح قائلا: «يحاول معارضو الروحية الكلاميون — وجلهم من الملاحدة أو بلهاء المتدينين — أن يكسبوا معارضتهم شيئاً من القوة فيقولون إن الروح من أمر الله فلا يصح لنا أن نبحث فيها!! وكأن دعاة المذهب الروحى قالوا إنهم خلقوا روحاً! منطق سقيم وتفكير بالغ منتهى الإسفاف من الوجهتين الدينية والعلمية.

فمن قال إن الروح ليست من أمر الله؟ كل شيء من أمر الله. المادة من أمر الله، والطاقة من أمر الله، وتبادل التحول بين الطاقة والمادة من أمر الله. الضوء من أمر الله، والكهربائية من أمره، والموجات الأثيرية اللاسلكية التى هى أساس الراديو من أمره، والإشعاعات المختلفة بين معلومة ومجهولة من أمره، فهل منع ذلك من البحث الذى أدى إلى الكشوف العلمية البارعة، فالمخترعات العظيمة المدهشة؟ .. لولا البحث فى المادة وحقيقة تكوينها وفى الأثير وخصائصه ومختلف موجاته، ولولا معرفة الاهتزازات وفهم لغتها ما كان يمكن فهم الروح ولا عالم الروح».

كما كتب ينقد الماديين فى مقال له قائلا «ونقاد العلم الروحى الحديث وكارهوه هم سلالة تلك العصابات القديمة التى أرهقت أحرار المفكرين

---

(٢) وهى مارجرى Margery عقيلة الدكتور كراندون. (راجع ما ورد عنها فيما سبق ص ١٢٩ — ١٣٤).

وأوسعتهم تعذيباً وتقتيلا وحرقاً . لكنهم لعجزهم فى الوقت الحاضر عن ارتكاب أعمال القسوة والوحشية مضوا يسممون العقول والأفكار بتلك النظريات المادية الملتوية ، حتى لقد انتهى متحذلق منهم إلى أن جان دارك كانت مصابة بالتهاب فى مجموعها العصبي جعلها تتخيل أنها تسمع أصواتاً وترى أشباحاً ... فاللهم قنا شر هذا التنطع الطبي السيكولوجى » !.[(١)]

جزاك الله « أبا الخير » خيراً بقدر ما كافحت طويلا فى خدمة أخطر قضية علمية فى عصرنا الحاضر ، وفى وقت كانت بحاجة ماسة فيه إلى أمثالك وكأن يد القدر الرحيم قد اختارتك كيما تبذل حياتك من أجلها بكل ما حبتك به من سعة فى الأفق وصلابة فى الحق ودماثة فى الخلق .

على عبد الجليل راضى

ومن يخدمون حاليا بإخلاص قضية علم الروح فى بلادنا صديقنا الدكتور على عبد الجليل راضى الأستاذ بكلية العلوم بجامعة عين شمس ، وقد أنشأ « دائرة الأهرام الروحية »[(٢)] وله عدة مؤلفات قيمة مثل « حياة محمد الروحية » و « العالم غير المنظور » و « وأرواح مرسلة » و « وسفير الأرواح العليا » و « وأضواء على الروحية » . كما نقل إلى اللغة العربية كتاب « ثلاثون سنة بين الموتى » للطبيب الأمريكى كارل ويكلاند[(٣)] ، وقصة « أول فرعون » للوسيطة دجمار أوكنور Dagmar Oconnor .


الدكتور على عبد الجليل راضى

وفى مؤلفه « أضواء على الروحية » الذى ظهر فى سنة ١٩٦١ يقول الدكتور على راضى (ص ٣٩ — ٤١) : « وتكلم الإمام الرازى فى مفاتيح « الغيب » عن درجات الأرواح التى تتصل بالناس فقال « إن من النفوس

(١) مجلة « عالم الروح » عدد فبراير سنة ١٩٥٠ ص ١٣ .
(٢) عنوانها ١٤ شارع اسماعيل أباظة بالمبتديان بالقاهرة .
(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ١٧٢ — ١٧٤ .

البشرية ما يستعين بالأرواح الأرضية وإن اتصال النفس الناطقة بها أسهل من اتصالها بالأرواح السماوية ». ثم وصف طريقة إعداد الوسطاء للأعمال الروحانية فقال، «ولذلك أجمعت الأمر على أنه لا بد لمزاولة هذه الأعمال والوصول إلى غايتها من الانقطاع عن المألوفات والمشتهيات وتقليل الغذاء ومخالطة الخلق ».

وقال فضيلة الشيخ محمد حسنين مخلوف فى كتابه « المطالب القدسية فى أحكام الروح وآثارها الكونية » و « ما أظن ذا فهم مستقيم يرتاب فى كرامات الأنبياء وتصرفات أرواحهم حال الحياة وبعد الممات أو يستغرب حوادث التنويم والتحضير .. »

وقال فى مجلة المساجد عدد ذى القعدة سنة ١٣٦٦ (سبتمبر سنة ١٩٤٧) « ينبغى أن يعلم أن عالم الأرواح يختلف عن عالم المادة اختلافاً كثيراً فى أحواله وأطواره ... » ثم يقول عن الروح بعد الموت « والروح تبقى فى البرزخ — وهو ما بين الحياة الدنيا والحياة الأخرى من يوم الموت إلى يوم البعث والنشور — حية مدركة تسمع وتبصر وتسبح فى ملك الله حيث أراد وقدر، وتتصل بالأرواح الأخرى وتناجيها وتأنس بها، سواء كانت أرواح أحياء أو أرواح أموات[1] ».

وقال المرحوم الأستاذ الأكبر محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر السابق فى مقدمة كتاب «حياة محمد» لمؤلفه المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل « والكهرباء وما نشأ عنها من المخترعات قربت إلى العقل إمكان تحول المادة إلى قوة وتحول القوة إلى مادة. وعلم استحضار الأرواح فسر للناس شيئاً كثيراً مما كانوا فيه يختلفون، وأعان على فهم تجرد الروح وإمكان انفصالها وفهم ما تستطيعه من السرعة فى طى الأبعاد .. »

---

(١) وذلك فى فتواه فى مأتم الأربعين، وهى أيضاً مطبوعة على شكل رسالة بتاريخ ٢٩ أغسطس سنة ١٩٤٧، ونشرت فى الأهرام بتاريخ ١٢ أغسطس من نفس العام.

وقال المرحوم الأستاذ الأكبر محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر فى حديث أدلى به إلى جريدة المصرى بتاريخ ١٩٥٣/١١/١٤ ما يلى « وهناك سؤال لا بد من طرحه فى هذا الشأن، وهو هل رؤيه أرواح الموتى من البشر فى صورة بشرية خاصة بالأنبياء وحدهم أو أنه أمر عام جائز عليهم وعلى غيرهم من البشر ؟ والجواب على هذا السؤال أن اختصاص المولى جل شأنه وحده بأمر الروح يجعل هذا أمراً جائزاً ممكن الوقوع ، إذ أن الجسد ليس إلا قيداً حديدياً للروح تسبح بعد مغادرتها إياه فى عالمها غير المحدود الذى تعرفه . بيد أن الذى يعطيهم الله إشراقة من إشراقه فى عالمنا غير المحدود ويقربهم منه منازل فى الحياة الدنيا قد يرون صوراً لهذه الأرواح » . . .

ونشرت صحيفة الأخبار بتاريخ ١٩٦٠/٤/١ رأياً لفضيلة المفتى المنتدب للديار المصرية جاء فيه « أما دراسة الأرواح دراسة علمية فلا مانع من ذلك شرعاً » .

وأدلى فضيلة الشيخ محمد أبو زهرة أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية الحقوق برأيه إلى مجلة الرائد وقد جاء فيه « الأديان تبيح ولا تمنع البحث فى هذا الموضوع . فمن رأى التجربة فليصدقها ومن لم ير فلا جناح عليه » . . .

* * *

ونضيف إلى ذلك أيضاً فتوى فضيلة المرحوم الشيخ محمد بخيت مفتى الديار المصرية « فى كرامة الأولياء » (الفتوى رقم ٤٣٦ من السجل رقم ٨ بتاريخ ١٩٤٠/٧/٢٤م) وهى صريحة فى جواز وقوع الكرامات للأولياء بعد مماتهم . كما يشير إلى ما كتبه فى مقدمة كتاب « شفاء السقام » للإمام السبكى وهاهو نصه (من ص ١٤) « وكما جاز أن يتوسط حى فى قضاء مصلحة حى أو ميت، والفعل لله وحده، يجوز أن يتوسط روح ميت فى قضاء مصلحة حى أو ميت والفعل لله وحده . والأرواح باقية على الحياة وأفعالها فى عالم الملك... والروح باقية خالدة ففعلها باق وتصرفها فى أفعالها لا يتغير إلا بعدم ظهور الأفعال بواسطة البدن . . . »[1].

---

(١) راجع الفتوى كاملة فى مجلة « عالم الروح » عدد سبتمبر ١٩٤٨ ص ٢٠ — ٢٧ .

وهذه كلها فتاوى صريحة ممن يملكون صفة الإفتاء الديني الصحيح في هذا الموضوع .. فهل للمعارض باسم العقيدة الذى تعود أن يلقى الكلام جزافاً أن يرجع إليها ويقرأها فى روية ويتدبرها - ولو قليلا - قبل أن يغامر باعتراض لاسند له ، وقد مضى وقته نهائياً فى العالم أجمع ؟ . .

ومن ينقب فى أعداد مجلة « عالم الروح » التى كان يصدرها فقيد الروحية المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير يجد بحوثاً دينية كثيرة لإظهار مدى اتفاق تجارب العلم الروحى الحديث وما أسفرت عنه من كشوف مع جوانب العقيدة . ونوجه نظر القارىء بنوع خاص إلى بحث قيم للأستاذ راجح لطفى جمعة القاضى بالمحاكم المصرية عنوانه « الناحية الروحية فى القرآن الكريم » نشر مسلسلا على ٢٤ عدداً ابتداء من يناير سنة ١٩٤٨ إلى نوفمبر سنة ١٩٥٢ . وقد جاء هذا البحث وافياً بالاستشهادات الدينية والعلمية الحاسمة التى تقطع السبيل على كل مكابر .

وقد اختتمه الأستاذ راجح قائلا : « وبعد فإننا نريد أن نقول كلمة أخيرة صريحة هى أن ماجاء فى القرآن الكريم عن الروح والحياة بعد الموت والثواب والعقاب والظواهر الروحية المختلفة ، كل ذلك أثبتته الروحية الحديثة فى أوروبا وأمريكا على أيدى وسطاء أجلاء وعلماء معترف لهم بالفضل والتحرر الفكرى فى الأوساط العلمية - إثباتاً لايتطرق إليه الشك مؤيداً بالتجارب العلمية العملية مصداقاً لقوله عز وجل « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »[1]. وكأنه بذلك قد واصل العمل الجليل الذى قام به من قبل الشيخ طنطاوى جوهرى والعلامة محمد فريد وجدى وغيرهما كثيرون[2].

ولننتقل الآن إلى سرد بعض « البينات والوقائع » .

---

(١) عدد نوفمبر سنة ١٩٥٢ ص ١٥ .

(٢) راجع أيضا آراء الأقدمين من الفلاسفة من أمثال الفارابى وابن سيناء والغزالى وابن رشد وابن باجة وابن طفيل وابن القيم الجوزية فيما سبق (ص ٧٨ - ٨٦) . وللامام المرحوم الشيخ محمد عبده أيضا أقوال صريحة فى « رسالة التوحيد » سنعود إلى بعضها فى الجزء الثانى عند ما نعالج « بعض المشكلات الفلسفية فى ضوء علم الروح الحديث » .

الباب الرابع

فى بعض البينات والوقائع

تمهيد

نظن أن الأبواب السابقة تتضمن بيانات كافية للاقتناع بأن موضوع الروح دخل نطاق البحث العلمى منذ أواخر القرن الماضى ، بل دخل — فى اقتناع كبار الباحثين — نطاق الحقيقة العلمية ، لأنهم يفهمون هذه الحقيقة على انها اقتناع له أسانيده العقلية المحتومة . أما عند من يفهمون الحقيقة العلمية على أنها مكابرة ، أو أنها تتطلب إخضاعاً للروح إلى قوانين آلية ، شأنها شأن المادة الصلبة عندما تخضع لإرادة الإنسان فيشكلها كيفما شاء ووقتما شاء ، فلن تدخل الروح أبداً نطاق هذه « الحقيقة العلمية » لأنه ليس من حقائق الكون ما يتطلب مثل هذا التحول المطلوب شرطاً للاقتناع وإلا فلا[1] .

على أننا بعد إذ قدمنا فى الباب السابق « بعض الأسماء والمراجع » فى البلاد المختلفة فى هذا الموضوع الخطير نرى أنه يلزم فى الباب الحالى أن نقدم « بعض البينات والوقائع » التى اخترناها من هنا وهناك كنماذج سريعة من البينات التى لاتحصى ، والتى تزخر بها الآن المؤلفات والمراجع الروحية التى أشرنا إلى بعضها آنفاً .

وذلك بالإضافة إلى أن المجلات الروحية تحوى هى الأخرى أكداساً أخرى من البينات والوقائع المبينة بشهودها وتفاصيلها وأدلتها ذات الدلالة الواضحة . وهى تتفاوت فى قيمتها الإقناعية ، لكنها لا تقبل — مجتمعة — إلا تأويلا واحداً هو ثبوت استمرار الحياة بعد الموت وقيام الصلة بين عالمى الروح والمادة كأشد مايدل عليه اللفظ . ومن المجلات الروحية ماينطوى على عوامل للثقة فيه لاتقل بحال عن عوامل الثقة التى يستمدها الباحث من أحسن المجلات العلمية ، بالنظر إلى الهيئات الراقية التى تصدرها والتى لامصلحة لها

---

(١) راجع ما سبق ص ٩٧ — ٩٩ .

إلا فى البحث عن الحقيقة العلمية وحدها ، وإلى الضمانات الكثيرة المستمدة من الشخصيات القائمة على تحريرها وإصدارها ومنها مثلا مجلة « العلم الروحى » التى تصدرها الكلية البريطانية للعلم الروحى أربع مرات سنوياً[١]، و« مضابط الجمعية البريطانية للبحث الروحى » [٢] وجريدة هذه الجمعية[٣] و « مضابط الجمعية الأمريكية للبحث الروحى »[٤] وجريدة هذه الجمعية[٥].

وذلك بالإضافة إلى بعض المجلات العريقة المتخصصة فى الأمور الروحية مثل مجلة « العالمين »[٦] التى تصدر شهرياً بمانشستر منذ سنة ١٨٨٧ حتى الآن و « الأنباء الروحية »[٧] و« الإنسان الروحى »[٨] و « خدمة العالم والمجلة الروحية »[٩]، وهى مجلة شهرية تعالج موضوعات الحياة بعد الموت والإصلاح الاجتماعى والخدمة العالمية فى وقت واحد . و « المراقب الروحى » الأمريكية[١٠] و « مجلة المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس »[١١] و « المجلة الروحية » الفرنسية[١٢] وغيرها كثير ، وهى تعد الآن بالعشرات ومنتشرة فى العالم أجمع .

---

(١) Psychic Science.
«Quarterly Transactions Of The British College Of Psychic Science».

(٢) Proceedings Of The S. P. R. (London).
وقد بلغت مجلداتها حتى سنة ١٩٦٢ خمسة وخمسين مجلداً . وراجع ما سبق عنها فى ص ١٩٦ — ٢٠٤ .

(٣) Journal Of The S P. R. (London).
وقد بلغت مجلداتها حتى سنة ١٩٦٢ أربعين مجلداً .

(٤) Proceedings Of The American S. P. R.

(٥) Journal Of The American S. P. R.

(٦) The Two Worlds. وهى الآن فى سنتها الثامنة والسبعين .

(٧) Psychic News.

(٨) The Spiritualist.

(٩) World Service And Psychic Review.

(١٠) Psychic Observer.

(١١) Revue Metapsychique «De l'Institut Mètapsychique International».

(١٢) La Revue Spirite.

وفى عدد أبريل سنة ١٩٢٨ من المجلة التى تصدرها « الكلية البريطانية للعلم الروحى » إحصاء عن المجلات المتخصصة فى العلم الروحى الحديث يبين منه أن عدد هذه المجلات فى الخارج كان حتى ذلك التاريخ ١٥٤ مجلة دورية يصدر منها بانتظام ٦ فى بريطانيا و ٢٣ فى فرنسا وبلجيكا و ٩ فى ألمانيا واسكنديناوة و ١٤ فى شمال أمريكا والمكسيك و ٦٣ فى أمريكا الجنوبية وحدها ، والباقى فى بلاد مختلفة . وتشير كل الدلائل إلى أن هذا العدد فى تزايد مستمر منذ هذا التاريخ حتى الآن .

* * *

وهذه البيانات والوقائع التى سنقدم بعضها فى الباب الحالى ، منتزعة من المراجع الموثوق بها ، ومن المجلات العلمية الراقية ، لم نخترها اعتباطاً ، بل راعينا فى اختيارها مدى الثقة الخاصة التى توحى بها بالنظر إلى قيمة العلماء الذين قدموها وإلى الظروف التى قدمت فيها كما قلنا . هذا إلى أننا راعينا فيها أن تكون من أنواع مختلفة كفيلة بأن تعطى القارىء فكرة عامة عن نواح شتى من البحوث الواردة فى شتى المراجع ومن بلاد مختلفة . وأن تكون من بيئات أكاديمية أو جامعية ، ومن أعلى مستوى عرفه العلم التجريبى حتى الآن .

ونقدمها إلى القارىء بالإضافة إلى تلك البينات الشخصية التى قد يحصل عليها من يوالى التجريب بعناية وصبر فى منزله ،والتى لا نشك فى أن عدداً وفيراً من القراء قد حصل عليها بالفعل بعد انتشار الجلسات العائلية فى بلادنا فى السنين الأخيرة ، على ما لاحظته خلال أحاديثى مع كثير من المعارف والأصدقاء .

ولا ريب أن للتجربة الشخصية فى مجال الاقتناع تأثيراً يفوق كل ما للأدلة المستمدة من تجارب الآخرين ، مهما كانت قوية ومحوطة بالضمانات العلمية المطلوبة . فلا يرجع الفضل فى انتشار الحركة الروحية إلى انتشار

البحوث العلمية — مهما كانت قيمتها — بقدر ما يرجع ابتداء إلى هذه الجلسات العائلية البسيطة التى انتشرت فى كل مكان فنجحت — متى توافرت وسائلها — فى إيجاد صلة وثيقة بين العالمين أشبه ما تكون بصلة التليفون أو الإرسال اللاسلكى . ألم يكن أيهما خرافة كبرى فى الماضى ؟ ... بل من تخيلهما فى الماضى حتى مجرد خيال؟ ...

أما الاعتقاد فى الصلة بين عالمى الروح والمادة فقديم قدم كل حضارة إنسانية، بل قدم كل وجود إنسانى على ما بيناه فى الباب الأول . وتضمنت كتب الأقدمين إشارات كثيرة عنه بوصفه حقيقة واقعة ، لكنها أهملت عند ما ذاع الاعتقاد بمادية الكون فى وقت من الأوقات . إلى أن بعث بحث هذه الصلة من جديد فى منتصف القرن الماضى — على أوسع نطاق وعلى أرقى مستوى علمى — فكان بعثها بعثاً لمعرفة هامة للإنسان، وتحقيقاً لمعجزة حقيقية يصدق عليها قول أحدهم « إن أكبر أعجوبة هى أن تصبح المعجزة الحقيقية أمراً عادياً من أمور الحياة اليومية » . بل كان بعثها بعثاً لأفضل القيم الروحية والخلقية التى تكمن حتماً وراء كل حضارة حقيقية ، على ما سنوضحه تفصيلا فى الجزء الثانى .

الفصل الأول

من تجارب وليام كروكس في موضوع الأرواح

يعد سير وليام كروكس W. Crookes من أبرز العلماء فى الفيزياء والكيمياء الحديثة ، وقد اكتشف عناصر جديدة مثل التاليوم والفيكتوريوم والإستريا . كما اخترع الراديومتر الذى يعمل بتأثير الضوء وحده ، وكذلك الاسبنتار يسكوب Spinthariscope وأنابيب كروكس Crooke,s tubes المستخدمة فى توليد أشعة رنتجن. كما اكتشف خواص المادة المشعة مما دعاه إلى تقسيم المواد تقسيماً رباعياً بعد تقسيمها الثلاثى المعروف إلى مواد صلبة وسائلة وغازية وكان عضواً بالمجمع العلمى البريطانى ثم رئيساً له حتى مماته وحاز جميع ألقاب الشرف العلمية فى بلاده .

فعالم هذه مكانته لا تكون بحوثه فى العلم الروحى التجريبى وشهادته محل مطعن إلا من مكابر أو من مادى موغل فى ماديته بعناد لا يريد عنها بديلا . خصوصاً وأن انحياز كروكس للجانب الروحى جاء — من جانبه هو أيضاً — بعد إنكار تام للظواهر الروحية ، ثم بعد تشكك طال أمداً طويلا . ولم يقتنع إلا بعد تجارب دامت لمدى سنين طويلة شاركه فيها كثير من العلماء المجربين من بينهم أعضاء فى المجمع العلمى البريطانى ، وآخرون من جنسيات مختلفة حضروا بدعوة منه لمشاهدة الظواهر التى قلبت أفكاره المادية رأساً على عقب .

وذلك إلى المدى الذى دفعه لأن يخطب فى المجمع العلمى قائلا : « من بين جميع الصفات التى عاونتنى فى بحوثى الروحية وذللت لى طرق الكشوف الطبيعية — وكانت أحياناً غير متوقعة — اعتقادى الصحيح الراسخ بجهلى ،

وأكثر الذين يدرسون الطبيعة يستحيل أمرهم عاجلا أو آجلا إلى إهمالهم الكلى لجانب عظيم من رأسمالهم العلمى المزعوم لأنهم يرون أن رأسمالهم هذا وهمى محض » ... إلى أن يقول : —

« متى امتحنا عن قرب بعض النتائج العادية للظواهر الفيزيقية نبدأ بإدراك إلى أى مدى تنحصر هذه النتائج أو النواميس فى دائرة أخرى ليس لنا بها أقل علم . أما أنا فإن تخلى عن رأس مالى العلمى الوهمى قد بلغ حداً بعيداً . فقد تقوض عندى هذا النسيج العنكبوتى للعلم كما عبر عن ذلك بعض المؤلفين إلى حد أنه لم يبق منه سوى كرة صغيرة لا تكاد تدرك . .

« ولست آسفاً على الحدود التى يضعها أمامنا جهل الإنسان ، بل اعتبرها منشطاً منقذاً . إنى أعتقد بأنى لست أنا ولا غيرى أهلا لأن نعين مقدماً ما ليس بموجود فى هذا الكون ولا يستطيع أحدمنا أن يقول شيئاً معيناً لا يحصل حولنا فى كل يوم من أيام حياتنا . هذه العقيدة تدع لى أملاً مقوياً بأن اكتشافاً رئيسياً جديداً يمكن أن يحدث فى أى مجال من المجالات فى أقل الأوقات تفكيراً فيه »[1]..

وقدجرى كروكس فى أبحاثه الروحية على أشد الأساليب العلمية صرامة، مصمماً عدة أجهزة لمنع التدليس وخداع الحواس ونفى التأثيرات النفسية . ونجح بعد ذلك كله فى تصوير الجسد الأثيرى للإنسان عن طريق استخدام هليومتر جرينوتش Heliometer Of Greenwich كما نجح فى تصوير روح متجسدة تجسداً تاماً على ما سنوضحه تفصيلا فيما بعد مؤيداً بالصور .

وقد باشر كروكس بحوثه على عددمن الوسطاء مثل مسز مارشال Marshall فى يوليه سنة ١٨٦٩ و ج . ج مورس J. J Morse فى ديسمبر من نفس العام، لكن لعل أشهرهم هو الوسيط دانييل دنجلاس هوم Daniel Dunglas Home. فنى حضور كروكس كانت وساطة هوم تجعل الأكورديون يعزف ألحاناً

(١) «على أطلال المذهب المادى» للمرحوم الأستاذ محمد فريد وجدى ج ١ ص ١٣٦ .
وراجع عن كروكس أيضاً ما سبق ص ٢٠٩ — ٢١١.

جميلة ، وهو داخل قفص حديدى موضوع تحت مائدة فى غير متناول الوسيط كما كان نفس الأكورديون يعزف أحياناً وهو يجوب فى جو الغرفة(١) . هذا فضلا عن ارتفاع الوسيط بكرسيه من على الأرض إلى أبعادمختلفة . ويعد هوم هذا من أقوى وسطاء القرن الماضى ، وكان من أصل اسكتلندى عريق ولم يكن موسراً، ومع ذلك كانت جلساته مجانية دائماً ، لأنه كان يعلم جيداً أنه يقوم برسالة أسمى كثيراً من رسالة جمع المادة . وكان يتمتع بكل صور الوساطة الفيزيقية عدا وساطة الصوت المباشر Direct Voice والمجلوبات الروحية Psychic Apports .



هوم

وقد خضعت تجاربه لعدد كبير من الباحثين غير كروكس فى شتى البلاد إذ كان كثير التجوال فى أنحاء العالم بدعوة من الباحثين الروحيين . فامتحن وساطته فى أمريكا القاضى جون وورث إدموندز J. W. Edmonds رئيس المحكمة العليا بنيويورك والعالمـــان روبرت هير R. Hare وجيمس مابس J. Mapes(٢). كما حقق وساطته العالم والوزير الروسى أكزا كوف Aksakoff.

وقد أثبت كروكس هذه الظواهر فى كتابه المعروف « بحوث فى الظواهر الروحية »(٣) الذى ظهر فى سنة ١٨٧٤ ثم ظهر له مؤلف آخر عنوانه « تجارب جديدة فى القوة الروحية(٤) ».

---

(١) وهذه الظاهرة سجلها أيضا تقرير الجمعية الجدلية . راجع ما سبق ص ١٩٢ .

(٢) راجع ماسبق فى ص ١٥٠، ١٥١ .

(٣) Researches In The Phenomena Of Spiritualism.

(٤) وله ترجمة فرنسية بمعرفة J. Alidel عنوانها :

Nouvelles Experiences Sur La Force Psychique.

وأقوى تجارب كروكس وادعاها للاقتناع تمت مع الوسيطة فلورنس كوك Florence Cooke التي تجسدت فى حضورها روح تجسداً كاملا، هى روح كاتى كنج Katie King، والتى ذكرت أنها كانت تعيش على الأرض تحت اسم أنى أوين مورجان Annie Owen Morgan فى جزيرة جامايكا، فى عهد الملك شارل الأول وأنها أنجبت طفلين وماتت مبكرة فى سن الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين. وذكرت أسماء بلدان وطرقات وجبال وأنهار ومعالم كثيرة فى الجزيرة لم يكن أحد من الحاضرين يعرف عنها شيئاً، وتحقق كروكس فيما بعد من صدق البيانات التى قالتها. كما تحدثت عن ذكرياتها الأرضية، وعن احتلال الجنود الأسبان للجزيرة .. وقد صورها كروكس أكثر من أربعين صورة، وأخضع الروح المتجسدة كما أخضع الوسيطة لكشف طبي دقيق بمعرفة الدكتور جالى Gully الأستاذ بكلية الجراحين وأرسل صورها مع تقريره والتقرير الطبي إلى الجمعية الملكية (المجمع العلمى البريطانى).



فلورنس كوك

ولم يكن تجسد كاتى كنج فى حضور كروكس جديداً على متتبعى كشوف البحث الروحى، فقد وصفها قبله العالم والوزير الروسى أكزاكوف Aksakoff وكان ظهورها عن طريق الوسيط إدنجتون Edington، ووصفها كروكس بعد تجسدها لأول مرة بوقت كاف. وقد وصفتها من بعده مدام دى لافيرسى De Laversey فى المجلة الروحية الفرنسية[1]، كما وصفها من بعده أيضاً الباحث الفرنسى جابرييل ديلان Gabriel Delanne فى

(١) أعداد مارس إلى أكتوبر سنة ١٨٩٧.

مؤلفه « الروح خالدة »[1] . وكل هؤلاء رأوها رؤية العين فى ظروف مختلفة وتواريخ متباعدة .

ونحن ننقل هنا للقارىء وصف هذه الظاهرة الغريبة كما ثبتت فى محضر جلسة يوم ٢١ أبريل من سنة ١٨٧٢، الذى نشره فى جريدة الإنسان الروحى The Spiritualist[2] أحـــد الحاضرين وهو مستر وليام هاريسون W. H. Harrison رئيس تحرير هذه الجريدة الذى دعى لحضور التجربة المثيرة ، وهو مطابق بدوره لما رواه كروكس عنها[3].

« سمع فجأة طرق على ألواح الزجاج وصوت موجه إلى مستر كوك والد الوسيطة فلورنس بأنه ينبغى أن ينزح بالوعة منزله إذا شاء حفظ بنيانه من التداعى ؛ فكلف من قام بفحص البالوعة فوراً وتبين أن قاع المنزل قد امتلأ فعلا بالماء الذى فاض نتيجة للأمطار ، ثم حدثت سلسلة من الظواهر الغريبة التى أخذت تزداد دقة بفضل وساطة مس كوك ، إلى أن كانت الجلسة التى ظهرت فيها كاتى متجسدة فى حالة من نصف الظلام ، وقد وصفها مستر كوك بأن وجهها كان بيضاوياً وأنفها منحنياً ، كما كانت عيناها نابضتين بالحياة ووجهها بالغ الجمال » .

ثم حدثت جلسة التجسد الثانية ، وفى هذه الجلسة جلس لفيف من الحاضرين بين الوسيطة وبين الروح وهو ما يثبت أن الشبح لم يكن ازدواجاً للوسيطة. وقد ثبت أيضاً فى محاضر الجلسات اللاحقة ما يلى:

---

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٨٦ .

(٢) فى المجلد الثامن ص ٢٩٩ وما بعدها .

(٣) وذلك بالإضافة إلى الوصف الذى كتبه كروكس بقلمه فى جريدة الإنسان الروحى فى مجلد سنة ١٨٧٤ ص ٢٧٠ ، وفى الجريدة العلمية الربع السنوية Quarterly Journal Of Science التى كان كروكس نفسه هو رئيس تحريرها فى ذلك الوقت .

« ظهر وجه كاتى لنا وقد التف بالبياض حتى تمنع السيال Fluid من أن يتبدد سراعاً طبقاً لما قالته . ثم أعلنت أن وجهها هو الذى تجسد فحسب وأمكن للجميع أن يروا ملامحه جلية، وقد لاحظنا أن عينيها كانتا مغلقتين واستمر الوجه ظاهراً لمدة نصف دقيقة اختفى بعدها. ثم طلبت زيادة الضوء فأمكن لكل واحد منا أن يبصر وجهها وهو يفيض شباباً وجمالا وسعادة وعينيها وهما تفيضان حيوية وذكاء إلى حد ما . ولم يعد وجهها باهتاً غير محدد كما كان لدى ظهوره فى ٢١ من أبريل سنة ١٨٧٢ لأول مرة لأنها صارت تعلم الآن خيراً من قبل ما ينبغى عليها أن تفعله طبقاً لقولها » .

ثم توالت الجلسات بنجاح وازدادت قوة كاتى كنج شيئاً فشيئاً ، على أنها لم تتملك المقدرة على الظهور بحرية ، وفى بهرة الضوء خارجاً عن الغرفة المظلمة وبشكل إنسانى أمام جمهور من المشاهدين المشدوهين إلا بعد خبرة طويلة ابتدأت غير كاملة فى مبدأ الأمر ولكنها تكاملت تدريجياً . ومنذ تلك اللحظة بسطت على الوسيطة رقابة قاسية منظمة ، فأعلن صحة هذه الظواهر كل من العلماء بنجامين كولمان Benjamin Colman والدكتور جيمس جالى James Gully وجورج سكستون Sexton [1] بعد دراسة أحيطت بكل أسباب التحفظ .

وقد التقط كروكس بيديه لكاتى كنج عدة صور فى ضوء المغنسيوم بلغت أكثر من أربعين صورة على عدة دفعات، وكانت متجسدة فيها تجسداً كاملا وواقفة فى القاعة فى ظروف أخضعت لرقابة بالغة الدقة [2]. ومنذ

---

(١) كان الدكتور جورج سكستون عالما وخطيبا قديراً وكان من أعداء الروحية الحديثة ولكنه انضم إليها بعد تجارب خمس عشرة سنة جملته من أقوى دعاتها . وكان الدكتور جيمس جالى بدوره من أعدائها ثم انقلب إلى الدفاع عنها.

(٢) ويقول كروكس فى مقاله فى مجلة الإنسان الروحى The Spiritualist (مجلد سنة ١٨٧٤ ص ٢٧٠ وما بعدها) إنه كان قد ثبت خمس قواعد للتصوير فى أمكنة مختلفة من الغرفة فى منزله الخاص وكانت الروح تتجسد ليليا فى منزله لمدة أسبوع حتى تمكنه من أن يلتقط لها صوراً فى الضوء الصناعى . وأنه كان يلتقط لها أحيانا خمس عشرة صورة فى الجلسة الواحدة .

بدأت وساطة مس كوك فى الظهور تبرع لها شارل بلاكبورن بهبة مالية كبيرة كفلت لها نفقاتها ولذا كانت جميع جلساتها مجانية .

ولم تتم التجارب التصويرية بغير احتياط فقد اصطحبت مدام كورنر Corner وكريمتها الوسيطة إلى غرفتها حيث طلبتا منها خلع ملابسها لفحصها جيداً ثم ألبستاها معطفاً كبيراً من القماش الرمادى بدلا من ثوبها الذى كانت ترتديه ، ثم اصطحبتاها إلى قاعة الجلسة وقد قيد معصماها بشريط من المعدن كما فحصت جميع أركان الغرفة ، ثم جلست مس كوك ووضع الشريط الذى كان يقيدها فى حلقة من المعدن ثبتت فى الأرض. ووضع فوقها رداء كان بمثابة ستار للخباء وربط طرفه بكرسى بحيث إذا تحركت الوسيطة أحس بها الجميع على الفور . ثم نامت الوسيطة، وبعد لحظات ظهرت كاتى كنج وتقدمت فى الغرفة مرتدية فستاناً أبيض مفتوح الرقبة قصير الأكمام بحيث آثار جمال رقبتها الرائعة وذراعيها إعجاب الحاضرين .

وجه كاتى كنج متجسداً عن قرب

« وعندما أخذت لها الصور فى الأوضاع المطلوبة أخذت تتمشى فى الغرفة متحدثة مع الجميع ومداعبة إياهم ، وأخذت الصور فى ضوء المغنسيوم. أما إضاءة الغرفة فقد استمرت بعد ذلك بواسطة شمعة ومصباح صغير . وقرب انتهاء الجلسة أعلنت كاتى أن قواها فى طريق الانتهاء ، وأنها آخذة فى

الانهيار فشاهدناها تجلس القرفصاء ، ثم اختفى جسدها ولامس رأسها الأرض وكانت الوسيطة لا تزال بعد مقيدة الوثاق » . ثم حدثت تجسدات أخرى عن طريق مس كوك وتحررت محاضر بما حدث وقع عليها الحاضرون .

وقد أنكر الماديون طبعاً صحة هذه الظواهر الغريبة وأثاروا حولها غباراً كثيفاً حتى بين أنصار هذه الروحية الجديدة ، ولكن تجارب كروكس كانت قد طبعت تجسدات كاتى كنج بطابع رسمى لا محل للمنازعة فيه وأبانت كيف أن الجسد الأثيرى لا يمثل المظهر الخارجى للإنسان فحسب، بل وكذلك الأعضاء الدقيقة من جسده ، كما أظهرت تجارب هذا العالم كيف أنه لا يمكن تعليل ظهور كاتى كنج بأنه ازدواج للوسيطة .

* * *

ولتكملة هذا الحديث عن كاتى كنج نقتطف الفقرات الآتية من محضر الجلسة الأخيرة التى ظهرت فيها كاتى متجسدة فى حضور كروكس وعلماء آخرين . «كان بمقدور الجميع أن يروا الوسيطة فى غيبوبتها وقد غطى وجهها بنقاب أحمر لحمايتها من الضوء . وكانت كاتى تتحدث واقفة أمام الحاضرين عن قرب رحيلها . وتقبلت باقة من الورد قدمها لها مستر تاب Tapp كما قدم إليها وليام كروكس بعضاً من أزهار الزنبق ربط بعضها بالبعض الآخر فطلبت كاتى من المستر تاب أن يفك الباقة وينثر الأزهار علينا ونحن من حولها . كما كتبت خطابات وداع إلى بعض الجالسين ووقعت على الخطابات باسم أنى أوين مورجان Annie Owen Morgan قائلة إن هذا هو اسمها الذى كانت تعرف به أثناء حياتها الأرضية .

ثم حررت خطاباً لوسيطتها واختارت لها برعم زهرة كهدية للفراق . ثم أمسكت بمقص وقصت خصلة من شعرها وأعطت إلى الجميع كمية كبيرة منه ، ثم أمسكت بذراع كروكس وأخذت تتجول معه فى أنحاء الغرفة مصافحة أيدى الجميع إلى أن عادت إلى مكانها وقصت قطعاً عديدة من فستانها ونقابها وأهدتها للحاضرين، فسألوها عما إذا كانت تستطيع أن تصلح من التلف

الذى أصابهما كما فعلت فى مرات سابقة فعرضت جزءاً مقطوعاً من فستانها وضربت بيدها عليه ، وللحال عاد الجزء كاملا وجلياً كما كان . . ! (ألا تنفى هذه الحركة — وحدها — القول بأن كاتى كنج كانت سـيدة عادية متنكرة ؟ ...) .

«وأعطت كاتى بعدئذ تعليماتها الأخيرة إلى كروكس وإلى باقى أصدقائها فيما يتعلق بما ينبغى اتباعه نحو الظواهر الأخرى التى وعدت بأن تجريها مستقبلا . ثم بدا الإعياء عليها وقالت والحسرة بادية عليها إنها ترغب فى الرحيل، إن قواها آخذة فى الزوال، وكررت للجميع عبارات الوداع بطريقة عاطفية متناهية فى الرقة ، كما شكرها هؤلاء على ما منحته إياهم من ظواهر رائعة ، وكانت أثناء ذلك تلقى نظرة تفكير وأسى عميقين على الجميع ، وتركت الغطاء ينزل وصارت غير منظورة منا . ثم سمعناها توقظ وسيطتها التى توسلت إليها وهى تذرف دموعها أن تمكث برهة أخرى من الوقت ، ولكن كاتى أجابتها « لا يمكننى يا عزيزتى فقد انتهت رسالتى وليباركك الإله » . وسمعنا صوت قبلة الوداع ثم تقدمت الوسيطة وصارت بيننا وقد هدها الإجهاد والحزن العميق تماماً » .

وظل ظهور كاتى كنج يتكرر لمدة ثلاث سنوات أخرى، وكانت تقول إنها بقيامها بإحداث هذه الظواهر الفيزيقية تحملت كثيراً من العناء ، وإنه صار لها بعد ذلك أن ترقى فى حياة الروح إلى مرتبة أسمى ، وإنه لن يمكنها أن تتصل بعد الآن بوسيطتها عن طريق المراسلة إلا فى فترات متباعدة ، ولو أن بمقدور هذه الأخيرة أن تراها عن طريق وساطة الجلاء البصرى.

ومن الطريف أن الدكتور جلين هاملتون Glen Hamilton رئيس «جمعية البحث الروحى» .S. P R بكندا ذكر أيضاً أن روح كاتى كنج عادت

إلى التجسد من جديد فى أكتوبر من سنة ١٩٣٠ بوساطة الوسيط ميرسيدس Mercedes فى دائرته بمدينة وينيبج[1] .

* * *

ولم يكتف كروكس بسرد وقائع التجسد التى حدثت فى حضوره وفى حضور عدد من العلماء والثقاة بدقة تامة، بل أورد عدة تفاصيل عن الفروق التى سجلها بنفسه بين أوصاف الروح المتجسدة كاتى ومس كوك أهمها :

أولا : أن طول كاتى كنج لم يكن ثابتاً فى جميع الجلسات ، لكنه كان دائماً أطول من طول الوسيطة بأربع بوصات ونصف إلى ست بوصات .

ثانياً : أن رقبة كاتى كانت ملساء من ناحيتى الملمس والنظر حين كانت برقبة كوك بثرة كبيرة وكانت خشنة الملمس ، وكانت بشرة كاتى بيضاء أما بشرة الوسيطة فكانت سمراء نوعاً .

ثالثاً : أن أذنى كاتى كانتا غير مثقوبتين على عكس مس كوك .

رابعاً : أن وجه كاتى كان ضاحكاً ، أما وجه مس كوك فكان فى المعتاد عابساً .

خامساً : أن أصابع كاتى كانت أطول من أصابع مس كوك .

سادساً : أن نبض كاتى كان ٧٥ باستمرار حين كان نبض مس كوك ٩٠ فى الدقيقة . وكانت رئة الروح المتجسدة أسلم من رئة الوسيطة .

سابعاً : أن شعر كاتى كان ذهبياً حين كان شعر الوسيطة أسود فاحماً .

وقد استفسرت جريدة «بانر أوف لايت» Banner Of Light الأمريكية

---

(١) كما تتجسد أحيانا حتى الآن فى حضور الوسيط الأمريكى المعاصر راينهارت . وقد تجسدت بالقاهرة فى حضور عشرات من الأطباء المصريين عندما عقد هذا الوسيط جلسة بنادى الأطباء فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٧ على ما رواه صديقنا الدكتور على راضى أحد شهود الجلسة فى كتيب عنوانه « معجزة فى مصر » ظهر فى سنة ١٩٥٨ يتضمن وصفا للجلسة التى حضرها .

من وليام كروكس عن مدى تحققه من وجود شخصيتين أمامه فرد عليها برسالة مطولة جاء فيها:

« رداً على استفساركم أقرر أنى رأيت كلا من الآنسة كوك وكاتى معاً فى نفس اللحظة ، وكان ذلك بواسطة ضوء مصباح فسفورى ، وقد كان ضوءاً كافياً لتمكينى من أن أشاهد بوضوح كل ما وصفته . إن العين الإنسانية تستطيع فى حالة طبيعية أن تحيط بزاوية واسعة ، وهكذا بدا الشكلان فى مجال البصر أمامى فى وقت واحد، وبسبب أن النور كان ضعيفاً والوجهين يبعد أحدهما عن الآخر بضعة أقدام كنت مضطراً إلى تحويل الضوء ، كما كنت أحول بصرى بالتعاقب من أحد الوجهين إلى الآخر ، وذلك عندما كنت أرغب فى التثبت فى وضوح من وجه كل منهما ، وقد رأيت ومعى ثمانية أشخاص فى الواقعة التى أصفها هنا كاتى والآنسة كوك معاً ، وذلك فى منزلى ...

ثم أضاف كروكس واصفاً الوسيطة فلورنس كوك : « وإن تخيل المرء أن مثل هذه الطالبة الساذجة التى لا تزال فى عامها الخامس عشر تستطيع أن تفهم هذا النوع الهائل من الخداع (الذى كان يتهمها به المعارضون) ثم تتقن القيام به لمدة ثلاثة أعوام تكون خلالها معرضة للفحص العلمى الذى يفرض عليها، خاضعة لكل ما يتخذ معها فى حزم ودقة من الإجراءات أثناء هذا الفحص ، راضية بأن تفتش فى أى وقت قبل الجلسة أو بعدها وتستطيع أن تقوم بهذا الدور فى منزلى أنا بنجاح أكثر مما لو قامت به فى منزل ذويها . أقول إن تخيل المرء أن « كاتى كنج » ذات السنوات الثلاث الماضية هى نتيجة للخداع فإنه يسىء إلى العقل وإلى الشعور الإنسانى أكثر مما يسىء إليهما الاعتقاد بصحة هذا الأمر »[1] .

* * *

(١) وقد نشرت نفس الرسالة جريدة The Spiritualist اللندنية بتاريخ ١٧ يولية سنة ١٨٧٤ ص٢٩ . راجع أيضاً مؤلف سير آرثر كونان دويل عن « تاريخ الروحية » ج ١ ص ٢٤٥ .

ويعطى الباحث والكاتب الروحى ليون دنيز Léon Denis تعليلا لظاهرة تجسد الأرواح — وهى ظاهرة نادرة لكنها حدثت مراراً فى حضور باحثين ثقاة ، وتتضمن المؤلفات الروحية تفاصيل متعددة عنها — فيقول « إن بقاء الجسد الأثيرى على حاله بعد الموت كما كان قبله يفسر ظهور الأطياف وتجسد الأرواح. فالجسد الأثيرى وهو يحيا فى الفضاء طليقاً يملك كل ما يلزم لتكوين الأعضاء المادية بلا استثناء ولكنه لا يستعملها .

فإذا ما وجدت الروح نفسها فى الظروف المواتية، بمجرد أن تتمكن من استعارة المادة السيالة (مادة الا كتوبلازم Ectoplasm من عالم المادة التى تصبح تلبلازم عند معالجتها بمواد أثيرية ، وتتخذ أشكالا مختلفة بخارية وغضة وصلبة ...[1]) ، وكذلك من استعارة القوة الحيوية وهما لازمتان لها ، فإنها تندمج فى الا كتوبلازم وترتدى تدريجياً مظهر المادة الأرضية فيسرى فيها تيار حيوى بتأثير السيال المأخوذ من الوسيط وتنتظم الجزيئات الفيزيقية طبقاً لخريطة الأعضاء ، تلك الخريطة التى يحوى الجسد الأثيرى جميع خطوطها الرئيسية ، ومن ثم يتكون الجسد الإنسانى من جديد وتؤدى الأعضاء وظائفها[2] » .

نقاط للتأمل

إنها مع ذلك حقائق غريبة من شأنها لفرط غرابتها أن تبعث فى نفس القارىء لأول وهلة كثيراً من الريبة والشك وله عذره . لكن حقائق الكون لا يمكن أن يحيط بها إدراكنا القاصر وحواسنا العاجزة ، ولا يمكن أن يرقى إلى بعضها خيالنا مهما كان واسعاً ، لأن الخيال مستمد فى

---

(١) راجع فيها مؤلف جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس » وعنوانه L'Ectoplasmie Et La Materialisation كما عنى العالم البيولوجى الألمانى شرنك نون نوترنج ببحثها ، وأخذ منها حوالى مائة عينة فى أنابيب الاختبار وبين تحليلها الكيميائى ، ووزنها وخواصها العضوية .

(٢) راجع ما سبق عن ليون دنيز ص ٢٨٤ وما بعدها .

الأصل مما يمكن أن تدركه هذه الحواس ، أما ما تقصر عنه ، فيقصر عنه أيضاً خيالنا ، حتى ولو كان حقيقة من حقائق الكون الثابتة التي لا ندركها بحواسنا ، فما أضأل ما تعقله عقولنا ، وما أتفه ما تحسه حواسنا ! !

فمن يتصور بأن هذا الكوكب الثابت تماماً — بحسب إدراك حواسنا — منطلق في فضاء غير محدود بسرعة تبلغ حوالي ١٨٠٠٠ كيلو متر في الساعة . بل من يتصور أنه يتحرك عدة حركات وهو منطلق بهذه السرعة الخيالية ، حتى أن علم الفلك الحديث يقدر حركاته بأربع عشرة حركة مختلفة ، فلا نشعر بواحدة منها حتى تمسنا عن قرب ؟.. فهل يصح أن نجعل حواسنا التافهة هي الفيصل الوحيد بين الحق والباطل ؟.. أم أن من واجبنا أيضاً أن نتواضع قليلا ونسلم بأن إدراكنا قاصر ، كأشد ما يكون القصور ؟ ! ...

لكن للقارىء المتشكك أن يتدبر مع ذلك في هدوء النقاط الآتية ويتأمل فيها ملياً بعين الإنصاف والحيدة : —

أولا : أن من قام بفحص ظاهرة تجسد الروح كان كنبج نخبة من العلماء على رأسهم واحد مشهود له بقوة الملاحظة . وبالدقة والعمق إلى الحد الذي دفعه إلى اكتشاف الالكترون في الذرة ، وحاز في جميع ألقاب الشرف العلمية في بلاده . بما في ذلك رياسة « الجمعية الملكية » أي المجمع العلمي .

وثانيا : أن اقتناعه لم يأتِ نتيجة تجربة واحدة ، بل جاء بعد إنكار تام ، ثم تشكك دام طويلا . وكان له ما يبرره من ناحية خطورة الموضوع واتساع نطاقه ، إلى المدى الذي قلب رأساً على عقب كل نظرياته المادية ، وألقى بها نهائياً في ذمة التاريخ كأثر من مخلفات ماضية أصبحت لا قيمة لها عنده فيما بعد ... [1] .

(١) راجع من أقواله في موضوع الأرواح ما سبق ص ٢٠٩ — ٢١١ .

وثالثاً : أنه اتخذ احتياطات كافية تماماً لدفع كل اعتراض ، وذلك إلى حد أنه طلب من الوسيطة أن تنزل ضيفة مقيمة مع أفراد أسرته فى منزله حتى يخضعها لكل وسائل الفحص ، فظلت تقيم معهم شهوراً عديدة . وكانت كاتى كنج تتجسد كثيراً فى منزله ، وطلبت منه ذات مرة أن تحمل طفلا رضيعاً فسلمه لها فابتسمت له بحنان ثم ردته له ثانية ، والوسيطة تغط فى غيبوبة عميقة لا تدرى شيئاً . فهل يعقل أنه كان طيلة تجاربه هذه ضحية خدعة مستمرة من طالبة ريفية ساذجة فى شبابها المبكر إذ كانت تبلغ الخامسة عشرة فقط من عمرها ؟ ومع ذلك كان يخضعها دائماً للتفتيش الدقيق بمعرفة زوجته ، ولاحتياطات لا يتصور إنسان أدق منها .

ويكفى فى هذا الصدد أن نذكر أنه أخذ يستعين بالأسلاك المعدنية وبجهاز الجلفانومتر Galvanometer بعد توصيله بجسد الوسيطة ، كيما يسجل كل حركاتها . وكان يراقب هذا الجهاز أحد العلماء وهو فارلى Varley ويدون مايسجله من تغييرات فى جسم الوسيطة دقيقة بدقيقة ، وكان جسم الوسيطة يستخدم كموصل كهربائى أثناء غيبوبتها ، وذلك لدفع أى اعتراض محتمل بالخطأ أو بالتدليس . كما طلب كروكس من الروح أن تضع يدها فى سائل أيودور البوتاسيوم Potassium iodure فلم تتحرك عقارب الجلفانومتر ، مع أنها كان ينبغى أن تتحرك لو كانت الروح على صلة بأسلاك معدنية بالوسيطة .

ورابعاً : أن ظهور الروح واختفاءها كان يحدث دائماً بنفس الطريقة وهى انبعاث مادة الاكتوبلازم واضحة فى صورة بخار أو ضباب أو لفائف متعددة الأشكال ويتراوح لونها بين الأبيض والرمادى ، ثم تتشكل تدريجياً حتى تصير بشراً سوياً مستقلا فى مظهره وملابسه ، وملامحه ، وشخصيته وإدراكه تماماً عن الوسيطة .

وخامساً : أن جميع العلماء والبحاث الذين بحثوا هذا الموضوع اتفقوا على

كيفية حصول التجسد وتلاشيه على هذا النحو . وقام عدد منهم بتحليل هذه المادة إلى حد معرفة تركيبها الكيميائى ومنسوجها الجزيئى والذرى . ومنهم مثلا العالم والوزير الروسى أكزاكوف Aksakoff فى مؤلفه Animisme Et Spiritisme وسير ألفريد رسل والاس A. R. Wallace العالم البريطانى فى مؤلفه « بحوث فى الظواهر الروحية »[١] . ومنهم أيضاً العالمان الألمانى شرنك فون نوتزنج Schrenck Von Notzing[٢]. والفرنسى شارل ريشيه Charles Richet وكثيرون غيرهم .

وكل هؤلاء بحثوا ظاهرة التجسد الكلى والجزئى عن طريق انبعاث الاكتوبلازم من جسم الوسيط أو الوسيطة بعناية تامة ، وفى عدد كبير من الجلسات ، فانتهوا إلى نتائج متماثلة . كما بحث غيرهم ظاهرة التجسد عن غير طريق الاكتوبلازم ، إذ أصبح للتجسد الآن عدة صور وسبل أمكن إرجاعها فى ضوء البحوث الروحية الحديثة إلى أربعة على الوجه الآتى : —

الصورة الأولى : تجسد عن طريق الاكتوبلازم، Ectoplasmic وهذه هى الصورة التى ظفرت بعناية العدد الأكبر من الباحثين لسهولة بحثها ، وهذا هو التجسد الصلب أو الجامد Solid .

الصورة الثانية : تجسد مستقل Independant or free وهذا لا يحتاج إلى الاكتوبلازم،وقد سجلت حدوثه عدة مراجع روحية ، ويكون بفعل إرادى من الروح متى توافرت لها الظروف المؤاتية .

الصورة الثالثة : تجسد خفيف أو شفاف ويطلق عليه أحياناً وصف Etherialisation

(١) وقد ترجم إلى الفرنسية تحت عنوان .
Recherches Sur Les Phenomènes Spirites.
وراجع ما سبق فى ص١١٩ — ١٢٢، ١٣٢ — ١٤٠ عن الاكتوبلازم وتجسدات الأيدى فى ظروف شتى ومع وسطاء مختلفين، مع مراعاة أن طبيعة التجسد واحدة سواء أكان جزئيا أم كليا . وراجع ما سبق ص ٢١١ عن ألفريد رسل والاس .

(٢) اقرأ عنه أيضا مقالا بتوقيع فلوريزل فون رويتر Florizel Von Reuter فى مجلة العلم الروحى التى تصدرها « الكلية البريطانية للعلم الروحى » عدد ابريل من سنة ١٩٢٨ ص ١٣ وما بعدها وراجع ما سبق عن نوتزنج ص ٢٩٣ وما سيلى عن ريشيه فى الفصل المقبل .

الصورة الرابعة : تجسد خلال رأس الوسيط أو الوسيطة، ويقتضى أن يتغير وجه أيهما، ويصبح كوجه الشخص المتوفى على نحو أو آخر . وهذا التجسد يطلق عليه وصف Transfiguration . ويضيق المقام عن التعرض هنا لهذه الصور الأربعة بأكثر من ذلك [١].

وسادسا : أن تصوير كاتى كنج عشرات من الصور بالكاميرا ينفى تماماً فكرة التنويم المغناطيسى أو الإيحاء النفسى ، أو الوهم أو نحو ذلك من التعليلات التى يقول بها أحياناً بعض النفسيين، أو تلك التى كانوا يقولون بها فيما مضى. إذ ليس للكاميرا عقل واع ولا باطن ، وكذلك الشأن فى الكشف الطبى عليها وعلى الوسيطة فى وقت واحد بمعرفة أستاذ للجراحة فى كلية للجراحين هو الدكتور جالى Gully .

وسابعا : أن هذه الظاهرة قد تكررت فى بيئات مختلفة، بما فى ذلك عدة معاهد علمية والتقطت فيها أيضاً عشرات من صور مختلفة ، كما حدثت ظاهرة التجسد لأشخاص انتقلوا حديثاً إلى الجانب الآخر ، وكانوا وثيق صلة ببعض الحاضرين ، إلى الحد الذى يستحيل فيه تماماً خداعهم أو التمويه عليهم فالدكتور أدوين فردريك باورز ذكر أن روح أمه قد تجسدت فى إحدى الجلسات وخاطبته بصوتها المعروف لديه وعانقته هو وشقيقه فى نفس الوقت ، وقص خصلة من شعرها المتجسد . وقائل هذا الكلام أستاذ للأمراض العصبية والنفسية فى جامعة مينيا بوليس [٢]. ومئات من أمثال هذه التأكيدات الصريحة من أشخاص لهم جليل اعتبارهم فى البيئات العلمية يقرؤها القارىء فى المراجع الروحية .

وثامنا : بالإضافة إلى ذلك فمن الملاحظ أنه رغم تباين الظروف والبيئات التى حدثت فيها ظاهرة التجسد — كلياً كان أم جزئياً وتاماً كان أم ناقصاً —

---

(١) للمزيد راجع فى هذا الموضوع مؤلفا للوسيط الدانمركى أينر نيلزن Einer Nielsen وعنوانه « أدلة صلبة على الحياة بعد الموت » Solid Proofs Of Survival. (١٩٥٠) وراجع بوجه خاص منه الفصل التاسع عشر وعنوانه « مشكلة التجسد » .

(٢) راجع « ظواهر حجرة تحضير الأرواح » الذى ترجمه إلى العربية المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير ص ٢٤٦ .

فإنه يوجد تشابه واضح فى الأسلوب العام لكيفية التجسد له عدة شواهد ، من بينها مثلا إصرار أرواح السيدات المتجسدات — غالباً — على الظهور مرتديات ما يشبه « الطرحة أو الشال » على رؤوسهن وأكتافهن بما فى ذلك كانى كنج . ويتضح ذلك من هذه الصور المختلفة التى نقدمها فى الصفحات المقبلة لعدة حالات تجسد محوطة بضمانات جمة اخترناها لوسطاء من ستة بلاد: وهى انجلترا وأمريكا وفرنسا والبرازيل والدانمرك وإيطاليا. كما سنلحظ نفس الظاهرة بالنسبة للصور التى سنقدمها فى مناسبة لاحقة لأرواح غير متجسدة . والتى التقطت فى بيئات جادة تماماً وبواسطة أشخاص موثوق بهم . . ألا يدل ذلك وحده على وجود نواميس طبيعية تحكم عالم الأرواح كما تحكم بالتبعية الظواهر الروحية على مختلف أنواعها ؟ ...

وهذه النواميس الطبيعية المشتركة التى سجلها علماء الروح وباحثوها فى كل مكان ألا تكفى وحدها لنفى شبهة الوهم أو الخرافة ؟ ... ومن يشك فى ذلك له أن يتصفح ، بالاضافة إلى المراجع العلمية ، إعداد المجلات الروحية مثل مجلة « الكلية البريطانية للعلم الروحى » ومجلة « المعهد الدولى لما وراء الروح » ومثل مجلة توورلدز « العالمين » والسايكك نيوز « الأنباء الروحية » والسايكك أوبزرفر « المراقب الروحى » ، وغيرها فيجدها حافلة بأخبار التجسدات ، وبالصور والمعلومات المتشابهة فى جوهرها وأسلوبهم العام .

وثاسعا : أن تجسد الأرواح متفق تماماً مع الحوادث التى ورد ذكرها فى الكتب السماوية . ومنها مثلا حادثة تجسد روح النبيين موسى وإيليا على جبل الزيتون فى حضور السيد المسيح وتلاميذه ، وقد ورد عنها فى إنجيل لوقا (أصحاح ٩ عدد ٣٠) « وإذا رجلان يتكلمان معه (مع المسيح) وهما موسى وإيليا » ، وكان موسى قد توفى منذ ١٤٨٢ سنة وتوفى إيليا قبله ب ٩٤٨ سنة . كما ورد فى عدد ٣٢ « وأما بطرس واللذان معه فكانوا قد تثقلوا بالنوم (أى فى غيبوبة وساطية بحسب التعبير العصرى) فلما استيقظوا رأوا مجده والرجلين الواقفين معه» . وورد فى عدد ٣٣ «قال بطرس ليسوع

يا معلم جيد أن تكون ههنا ، فلنصنع ثلاث مظال : لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة » . أى كان بطرس سادراً فى الغيبوبة شأن معظم الوسطاء، ولم يكن يعرف أن خباء واحداً (أو لا خباء) كان كافياً للغرض، وذلك على مالاحظه الدكتور آرثر ج . ولز A. G. Wells مدير « كلية العلم الروحى » بالولايات المتحدة فى مؤلفه « الحياة الآن وإلى الأبد »[1] .

فهل ثمت بقية من شك ؟ إنا نسلم بأن ظاهرة التجسد من الأمور النادرة لكن هل ندرتها تنفى صحتها ؟ وهل ندرة ظاهرة طبيعية أخرى مثل ظهور قوس قزح أو حدوث الكسوف الكلى للشمس تنفى صحتها ؟ . . . هذا هو كل التساؤل من الناحية المنطقية . . . أما الاعتراض بأنها يجب أن تحدث فوراً الآن أمامى حتى اقتنع بها ، فهو كمثل الاعتراض بأنى يجب أن أشاهد الآن ، أو فى الزمان والمكان اللذين أحددهما ، الكسوف الكلى للشمس حتى أسلم أن هناك شيئاً اسمه كسوف كلى للشمس وإلا فلا . وهكذا الشأن بالنسبة لأية ظاهرة طبيعية نادرة الحصول مثل خسوف القمر أو ظهور قوس قزح ، أو حتى نمو زهرة أو شجرة ، أو غير ذلك من كافة الظواهر الطبيعية المألوفة .

فكل هذه الظواهر محكومة بنواميس طبيعية تخرج تماماً عن سلطان العلم المادى فليس له أن يحدثها بوسائل آلية ، وإنما دوره فحسب هو تسجيلها عندما تحدث مع تأسيس نتائجها الضرورية واستخراج دلالاتها المحتومة . وفهم الظواهر الروحية برمتها على وضعها الصحيح هذا يذلل بغير ما ريب الكثير من اعتراضات المعترضين الذين لا يزالون حتى الآن يجهلون طبيعتها ويتصورون خطأ أن العلم المادى يزعم أنه قد أخضع الروح لسلطانه . وهذا ما لم يذهب إليه أحد من قبل ولا من بعد، لأن بحاث الروح خير من يعلمون أن الروح لاتخضع لسلطان المادة بل المادة هى التى تخضع لسلطان الروح.

---

(١) فى الفصل الثانى منه Life New And Forever.

تجسد «كاتى كنج» بالصور

٤ من عشرات من صور «كاتى كنج» متجسدة التقطت فى ضوء المغنسيوم الأبيض



الوسطة فى غيبوبتها على الكرسى إلى اليمين، والروح واقفة إلى اليسار



الروح متأبطة ذراع كروكس



الدكتورجالى Gully الأستاذ بكلية الجراحين وهو يجس نبض الروح المتجسدة .



كروكس واقف إلى يمين الروح المتجسدة

تجسد روحين فى وقت واحد فى حضور إجلنتون



روحان متجسدان معاً وهما « إرنست » و « كانى » وقد كان أولهما أحد الأرواح المرشدة لوسيط التجسد إجلنتون (راجع ما سبق عنه فى ص ١١٢) وقد رسمها الفنان جيمس تيسو James Tissot على نفس الضوء المنبعث من الروحين Self-made light وهذا الضوء سجله باحثون عديدون فى الأرواح . وقد امتحنت وساطة إجلنتون امتحانات صارمة بمعرفة عدة هيئات علمية منها جمعية البحث الروحى S. P. R. بلندن فجازها بنجاح . وقد حدث هذا التجسد الفذ بجلسة ترجع إلى ٢٠ مايو سنة ١٨٧٥ (راجع التفاصيل بمؤلف جابرييل ديلان وعنوانه « أشباح متجسدة لأحياء وأموات » طبعة ١٩١١ الجزء الثانى ص ٣٣٧ — ٣٤١) .

حالة تجسد تام للوجه فى « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس



صورة المركيزة دى سانت أمارانت — التى أعدمها الثوار فى سنة ١٧٨٩ — متجسدة داخل المعهد الدولى لما وراء الروح (جلسة ٢٦ فبراير سنة ١٩١٨) وسط أمائف الاكتوبلازم المنبعثة من جسم الوسيطة إيفا تحت إشراف الدكتور جلى (راجع ما سبق فى ص ٢٧٩ ، ٢٨٠)

←



إميلى دى سانت أمارانت فى طريقها إلى المقصلة (لوحة للرسام جاكوب فى متحف ديزاستامب Des Estampes للمقارنة) .

⟶

من حالات التجسد التام فى حضور مدام ديسبرانس



الفتاة العربية يولاند Yolande متجسدة فى حضور الوسيطة الفرنسية مدام ديسبرانس. وقد كانت الروح تغطى وسيطتها الجالسة برداء أكتوبلازمى لحمايتها من ضوء المغنسيوم ، وقد بدد الضوء جزءاً منه كما ترى فى الصورة .

(عن مؤلفهـا « فى بلاد الظل » Au pays De L'ombre ص ٢٢٤) .

←



روح أخرى متجسدة تجسداً شبه تام فى حضور نفس الوسيطة .

(عن المرجع السابق . وراجع عن الوسيطة ما سبق فى ص ١١١) .

→

من حالات التجسد التام فى الدانمرك



الملكة الراحلة أستريد Astrid تجسدة علنا فى حضور الوسيط الدانمركى أينرنيلزن Einer Nielsen أمام عدد كبير من الشهود. وقام بالتصوير القس السويدى مارتن ليلجبلاد Martin Liljeblad بعد أن وضع ٣ كاميرات فى مواضع متفرقة من القاعة واستخدم الضوء الأبيض (عن كتاب أدلة صلبة على الحياة بعد الموت Solid Proofs Of Survival . راجع تقرير القس السويدى فى الفصل الخامس عشر) . ←



وجه الملكة أثناء حياتها الأرضية للمقارنة



وجه الروح المتجسدة عن قرب

وتتجسد الملكة الراحلة أستريد — التى كانت ولية لعهد السويد قبل أن تصبح قرينة للملك ليوبولد وملكة لبلجيك ، والتى راحت ضحية حادثة اصطدام سيارتها — أحياناً فى لندن أيضاً بنفس الأسلوب والطريقة فى حضور الوسيطة «مسز س» (راجع جريدة الأنباء الروحية «السايكك نيوز» عدد ١٦٩٢ الصادر فى ٧ نوفبر سنة ١٩٦٤) .



روح متجسدة أخرى تحيى القس مارتن لباجيلاد وتضع يدها على كتفه فى جلسات لوسيط الدانمركى أينر نيلزن (راجع ما سبق عن نفس الوسيط ص ١٢١) .



المرحوم الأسقف ناثان سودربلوم Nathan Soderblom متجسداً فى جلسات نفس الوسيط (لاحظ قوة الملامح ومدى وضوحها) .

حالة تجسد جزئى واضحة فى إيطاليا

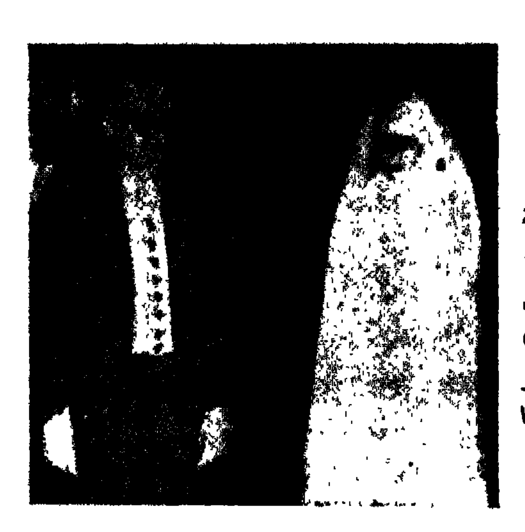


روح متجسدة جزئياً فى حضور الوسيطة الإيطالية ليندا جازيرا Linda Gazzera التى ترى فى غيبوبتها العميقة . وقد حقق وساطتها عدة علماء منهم شارل ريشيه فى مؤلفه « ثلاثون عاماً من البحث الروحى » والدكتور إيمودا E. Imoda من علماء تورينو .

←

(راجع أيضاً ماسبق عن تجسدات الأيدى والأقدام فى ص١٢٣ – ١٤٠).

حالة تجسد تام فى أمريكا



صورة مأخوذة عن صحيفة المراقب الروحى « سـايكك أوبزرفر » Psychic Observer الأمريكية (عدد ٢٥ مارس سنة ١٩٥٠) للفتاة المتجسدة موريل هوائر (فى حضور الوسيطة فالثيو هاروود) واقفـة بجوار والدها الدكتور ميللر ، وقد استخدمت فى التقاطها الأشعة دون الحمراء .

لحظة فقدان التجسد



صورة مأخوذة عن نفس الصحيفة (عدد ١٠ مايو ١٩٥٠) تمثل الفتاة المتجسدة فى لحظة فقدان تجسدها تدريجياً . وقد عزمت الروح المتجسدة البيان لمدة سبع دقائق وقام بالتصوير المصور بايتون Payton أمام ثلاثين شخصاً من بينهم محرر الجريدة ، وقد حمضت الصورة بعد نصف ساعة فقط، واختيرت لجنة من الحاضرين لمراقبة المصور وهو يقوم بالتصوير والتحميض والطبع ، ونشرت الصحيفة أسماء الحاضرين وعناوينهم . وقد وصفت الصحف السيارة هذه الصورة الفريدة بأنها « صورة القرن » .



صورة التقطت بالأشعة دون الحمراء لروح متجسدة (إلى اليمين) تدعى سيلفر بل Silver Belle وهى الرشدة لوسيطة التجسد إيثيل بوست باريش Ethel Post Parrish التى ترى إلى اليسار فى غيبوبتها وبجوارها تقف مساعدة لها . وقد حدث هذا التجسد فى المخيم الروحى الذى يحمل اسم الروح المرشدة بمدينة إيفرانا بمقاطعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة . وقد حدث مرة أن ظهرت حوالى مائة وخمسين روحاً على التعاقب فى هذا المخيم فى جلسة دامت لمدة ثلاث ساعات (عن جريدة السايكك نيوز Psychic News عدد رقم ١٦٨٢ الصادر فى ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٤).



حالة تجسد حديثة فى البرازيل

روح ظهرت فى سان باولو بالبرازيل كيما تهنىء عروسين فى حفل زفافهما واسم الروح Petrius Leferinus (عن صحيفة Yours Fraternally التى يصدرها ربع سنوية اتحاد الروحيين الدولى Interntional Spiritualist Federation عدد رقم ٥٠ وهو الثانى من سنة ١٩٦٢) .

شعر روح متجسدة عرض في «المعهد الدولي للبحث الروحي» بلندن



خصلة من شعر الروح المتجسدة هوايت موز White Moose بجلسة ٥ أبريل ١٩٣٧، عرضت في « المعهد الدولي للبحث الروحي » بلندن ابتداء من ٦ أبريل ١٩٣٧ . وقد فحصها عدد من الخبراء فقال الدكتور و . ج . وولي W J. Wooley بمستشفى سان توماس إنها خصلة من شعر إنسان حي بدون تردد . ثم فحصها في ٢٦ يونية ١٩٣٧ خبراء في معمل كلاركسون ويجما كرز Clarksons Wigmakers فقرروا أنه ليس شعر كائن حي ، وإن كان يشبه شعر اليابانيين . ثم أصبح الشعر جافاً قابلا للكسر ، وقد قرر الخبراء في معمل واطسون Watson's أن السبب في جفافه هو أنه قطع من رأس إنسان ميت . ولم يكن الذين فحصوه يعلمون أنه شعر لروح متجسدة .

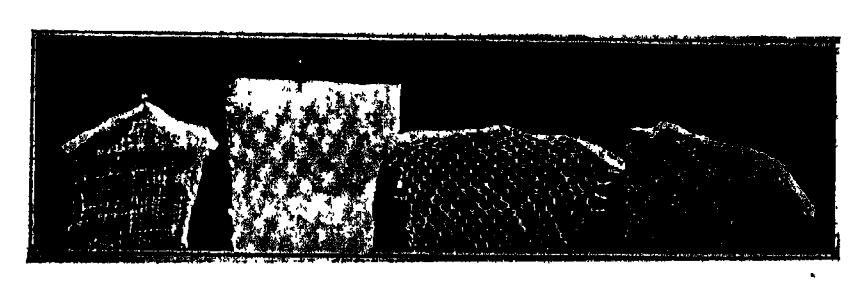
(عن مؤلف التجسدات Materialisations لهاري بودنجتون طبعة ١٩٣٩) .

وأيضاً عينة من رداء روح متجسدة



صورة عينة من رداء كانت ترتديه روح متجسدة . وقد لوحظ أن نسيجه شبكي من نوع غير معروف ، وخال من « البرسل » الذي يوجد في شتى أصناف المنسوجات .

(عن المرجع السابق) .



حرير قطن « شيفون » شفاف شاش

عينات من منسوجات شبكية تبين اختلافها التام عن رداء الروح

الفصل الثانى

شارل ريشيه ينحاز نهائياً إلى النظرية الروحية

ولد شارل ريشيه Charles Richet فى سنة ١٨٥٠ وانتقل إلى عالم الروح فى سنة ١٩٣٥ عن خمسة وثمانين عاماً . وكان عالماً وأستاذاً للفسيولوجيا بكلية الطب بجامعة باريس منذ سنة ١٨٨٧ وعضواً فى أكاديمية الطب منذ سنة ١٨٩٨(١) . وحصل على جائزة نوبل فى الفسيولوجيا فى سنة ١٩١٣ ، كما اختير عضواً فى أكاديمية العلوم فى سنة ١٩١٤. واختير فى سنة ١٩٠٥ رئيساً « لجمعية البحث الروحى » .S. P. R بلندن(٢) . وقام ببحث الظواهر الوساطية تفصيلا فى مؤلفاته التى أهمها « مطول ماوراء الروح» Traité de la Métapsychique الذى أودعه كتقرير فى أكاديمية العلوم فى ١٣ فبراير من سنة ١٩٢٢، وفيه قام ببحث هذه الظواهر وراء العادية -para normaux وقسمها إلى نوعين رئيسيين بالنظر إلى نوعى الوسطاء الذين قد تحدث فى وجودهم وهما : —

النوع الأول : الظواهر الموضوعية Les phenomènes objectifs أو الخارجية ذات الطبيعة الآلية أو الفيزيقية أو الكيمائية ، وهى تلك التى توصف الآن — Psycho Kinésie

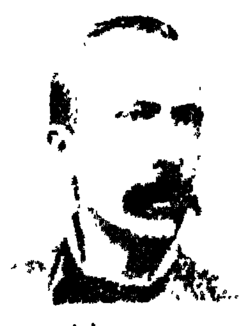
والنوع الثانى : الظواهر الشخصية Les phenomènes subjectifs وهى أكثر شيوعاً من سابقتها . وهى عبارة عن ملكات يتعذر على

(١) بحث بوجه خاص فى القابلية للعدوى ، وتكون البولينا بواسطة الكبد والاستهلاك الأوكسيجينى ، كما بحث فى أمراض الربو والارتكاريا والالتهاب الرئوى والاستعداد الصرعى . إلى جانب بحوثه الروحية .

(٢) راجع ما سبق عنها فى ص١٩٦ وما بعدها.

حواســـنا كشفها ، ويعبر عنها الآن بالإدراك عن غير طريق الحس perception extra-sensorielle

وقام بإجراء آلاف التجارب التى اقتضى بعضها استدعاء الوسيطة الأسبانية أسابيا بلادينو Eusapia Palladino من بلادها فى سنة ١٨٩٤ وسجل فى حضورها تحرك الأجسام الصلبة بدون وسيلة مادية ظاهرة ، وعزف آلات ، والقيام بأعمال نحت عن بعد ، وهى نفس الظواهر التى شاهدها فى حضورها كل من العلماء دوكوروينز D'Ochorowicz ومايرز Myers ولودج Lodge وهنرى سدجويك H. Sidgwick وشرنك فون نوتزنج S. V. Notzing وكامى فلاماريون Camille Flammarion وغيرهم[١] .


ريشيه

كما سجل بالتصوير انبعاث مادة بروتوبلازمية من الوسيطة كانت تصل بينها وبين الأجسام المتحركة . وسلم مع شرنك فون نوتزنج ودوكوروينز أن علة هذه التحركات هى نوع من الاكتوبلازم .

وسجل ريشيه صوت الطرقات العاقلة وغير العاقلة ، وارتفاع الوسيطة كمشكلة علمية حقيقية بغير إيجاد حل لها . كما عالج فى هذا المؤلف موضوع انبعاث الاكتوبلازم كمشكلة تبدو «غير معقولة إطلاقاً ولكنها حقيقية»[٢] « très absurde mais vrai »

وعالج فى هذا المؤلف أيضاً مشكلة المنازل المسكونة التى تعددت وثائقها فى مؤلفاته ومؤلفات لومبروزو Lombroso وبوزانو Bozzano وفلاماريون

---

(١) راجع مؤلفه قوى «الطبيعة غير المعروفة» Les Forces Naturelles Inconnues
وراجع ما سبق عن الوسيطة فى ص ١٠٧ — ١١٠ .

(٢) فصل ٣ ص ٧١٤ — ٧١٥ . Traité de la Métapsychique.

ومجلدات جمعية البحث الروحى .S. P. R وغيرها ، ووزعها بين ظواهر شخصية وموضوعية . وبعد استبعاد حالات معينه لعدم صحتها أو للشك فيها يسلم ريشيه فى هذا المؤلف بصحة وقائع معينة حققها بنفسه من المنازل المسكونة وبثبوتها علمياً ، لكنه لم يرَ فيها حالات تثير مشكلات مستقلة تخالف غيرها من الظواهر التى كان يعتبرها « ماوراء روحية » ويعزوها إلى وسطاء لا يعرفون أنفسهم بين سكان هذه المنازل ، واعتبرها من ضمن الظواهر الموضوعية المتصلة بتحريك — الأجسام الصلبة[١] .

وفى مقام المفاضلة بين الظواهر الروحية الشخصية والموضوعية قرر ريشيه فى جريدة « أعرف كل شىء »[٢] (عدد مايو سنة ١٩٢٣) أنه لا يخفى تفضيله للظواهر الشخصية ، لأنه تبين عن طريق التجربة ، والتجربة وحدها ، أن الحقائق تصل أحياناً للفهم عن طرق غير طرق الإحساس العادية . ويشير إلى أربعين تجربة لا شائبة فيها ، تمت بدقة لا نظير لهـــا مع الوسيط أوسوفيتسكى Ossovietski للرؤية خلال الأجسام الصماء[٣] .

كما أصدر ريشيه مؤلفه عن « حاستنا السادسة » Notre Sixième Sens وقد سلم فيه بأنه توجد فى الإنسان حاسة سادسة مركبة من أكثر من حاسة ، يمكن أن تعتبر بدورها حاسة سابعة أو ثامنة . وبالتالى سلم أن بداخله جهازاً روحياً يمكنه أن يسجل أحياناً أحداث العالم الخارجى ووقائعه ، أو أفكار الآخرين دون أى تنبيه عقلى عن طريق الحواس العادية .

كما قرر أن هـذا الجهاز يمكن أن يتأثر عن طريق ما يسميه باهتزازات العالم الحقيقى[٤] ، الذى تصدر منه من حولنا اهتزازات أى

(١) La télekinésie dans la métapsychique.
وراجع ما سبق عن علم ما وراء الروح ص ٢٧٦ — ٢٧٩ .

(٢) Je Sais Tout.

(٣) راجع مؤلف الأستاذ فردريك سيسيه Frédéric Saisset وعنوانه « ما هو علم ما وراء الروح طبقاً لكل من ريشيه وبرجسون وأوستى باريس ١٩٥٠ ؟ » .
Qu'est-ce que La Métapsychique d'apres Richet, Bergson et Osty.?

(٤) Les vibrations du monde réel.

أمواج تلتقط بعضها حواسنا العادية وبعضها الآخر حواسنا الروحية ، كما لا تلتقط بعضها الآخر : إنما تحدث تأثيرها فى بعض العقول الإنسانية وتكشف لها أجزاء من الحقيقة .

ولأن العقل يكون جزءاً لا يتجزء من الحقيقة فإن هذا الافتراض يطوى ظاهرة التلباثى Télépathie أى التخاطر أو انتقال الأفكار ، ويتجاوزه . إنما لمّ يلتقط بعض الأشخاص هذه الأمواج دون غيرها على غير وعى منهم ؟ . . . إنه لغز . لكن هذه الأمواج الصادرة من العالم الحقيقى الذى يهتز برمته ، ومع ذلك لا يختلط بعضها بالبعض الآخر ، تمثل فى نظر ريشيه مشكلة ليست أكثر غرابة من مشكلة المذياع عندما يلتقط رسائل واردة من باريس أو لندن أو طوكيو أو غيرها غير محدودة العدد ، وتبدو كل واحدة منها بالنظر إلى طول موجتها كما لو كانت صادرة وحدها .

وهذه الحاسة السادسة تصور ريشيه فى مستهل أعماله أنها موجودة لدى كل إنسان بصورة خامدة وقابلة للتنمية والتهذيب ، لكنه لم يصر على ذلك فى ختام أعماله ، بل انتهى إلى أن هذه الحاسة إذا وجدت لدى شخص معين قد لا توجد لدى آخر ، وإذا حدثت لإنسان لمدة لحظة قصيرة من حياته فقد لا تحدث له مرة أخرى .

كما يتعرض ريشيه فى مؤلفه هذا للتنبؤ بالمستقبل Les prémonitions ويسلم بصدق بعض حالاته . كما يسلم بوجود ظاهرة الـ La cryptesthésie أى «السيكومترى» أو قياس الأثر الروحى فى الزمان والمكان بطريق سلعة من السلع المملوكة لشخص معين على قيد الحياة الأرضية أو الروحية ، وهى ظاهرة وساطية تكررت فى بيئات علمية متعددة ويعبر عنها أحياناً بالقياس الروحى[1] . ولا يعللها إلا بهذا التعليل الغامض بوجود اهتزازات تنبعث

---

(١) وهذا التعبير يعرفه أيضاً علماء النفس بمعنى آخر يغاير معناه عند الروحيين فهو عندهم يشير إلى قياس مدة الحالات أو العمليات العقلية ومدى قوتها .

من العالم الحقيق . ويسلم بالظواهر الفيزيقية الوساطية وبوجود تأثير مباشر للعقل فى المادة الصلبة . . وينسب هذه الظواهر إلى قوى عاملة إنسانية الأصل أو المصدر[١] .

بل لقد قرر ريشيه صراحة أن « ثمت براهين كثيرة على أن التجسد سوف يحتل مكانه على أنه حقيقة علمية . إننا لا نفهمه تماماً ، إنه شيء غامض ، لكن هذا الغموض لا يهم لأن التجسد شيء حقيقى » .

ويمكن القول إنه حتى هذا التاريخ لم يكن شارل ريشيه قد انحاز انحيازاً حاسماً وصريحاً لتعليل الظواهر الوساطية التى سلم بصحتها ببقاء الحياة بعد الموت . وذلك وحده يدل على مدى تحفظه واحتياطه ، فكان يستعمل تعبيرات لا تقيده بقيد صريح ، ويسجل الظواهر مستعملا نفس العبارات التى ألفها الروحيون مثل الاهتزازات المنبعثة من العالم المادى وغير المادى، أو العالم الحقيق وغير الحقيق ، ومثل التأثير المباشر للعقل فى المادة . . . دون أن ينسبها صراحة إلى كائنات أو إلى أرواح من عالم آخر . . .

وذلك إلى الحد الذى كان يدفع الباحثين حتى ذلك التاريخ أن يتساءلوا عن حقيقة موقفه من العلم الروحى ، رغم اختياره رئيساً « لجمعية البحث الروحى » بلندن كما قلنا منذ سنة ١٩٠٥ ، ثم مديراً فخرياً « للمعهد الدولى لما وراء الروح» بباريس منذ سنة ١٩١٩،وهو يبحث ضمن مايبحثه الظواهر الروحيةوينسب بعضها صراحة إلىأرواح موتىمعينين بأسمائهم وشخصياتهم وذكرياتهم وحوادثهم الأرضية[٢] .

لكن ينفى كل شك فى هذا الشأن أن ريشيه أخذ بعد ذلك ينظم الجلسات الروحية التى توطدت فيها حقيقة وجود أرواح من العالم الآخر ، وذلك فى حضور علماء آخرين مثل سير أوليفر لودج وفردريك مايرز وغيرهما ،

---

(١) Puissances énergétiques d'origine humaine.

(٢) وراجع ما سبق من عنه فى ص ٢٧٦ وما بعدها .

ويبدو اقتناعه صريحاً من توقيعه مع آخرين على عدة مضابط « لجمعية البحث الروحى » .S. P. R .

وحسم ريشيه كل شك فى موقفه بمقال حرره « بالتقويم السنوى للعلوم الروحية» Les Annales Des Sciences Psychiques قال فيه« إنى لا أرى مقدماً أى سبب يدعونى إلى أن أرفض من جهتى قبول الاعتراف بوجود كائنات عاقلة أخرى غير الإنسان تتدخل فيما بيننا »[1] .

وفى تقاريره التى نشرها فى « التقويم السنوى للعلوم الروحية » وصف ريشيه تفصيلا ظهور شبح متجسد فى جملة جلسات عقدها فى ڤيلا كارمن بمدينة الجزائر — حيث كان يقيم الجنرال نويل Noel وأسرته — للوسيطة إيفا كاريير Eva Carrière (أو مارتا بيرو Marthe Béraud) وكانت وقتذاك خطيبة الضابط موريس نجل الجنرال نويل، وكانت فى التاسعة عشرة من عمرها وفى أوج قوتها الوساطية . وكان الشبح المتجسد لرجل برهمى من الهندوس قال إن « اسمه بيان بوا» Bien Bôa .

ويقول ريشيه فى وصفه إنه كان حائزاً لكل خصائص الحياة ، فقد كان يمشى ويتكلم ويتحرك ويتنفس ككل إنسان ، وكان صلب العود وقوى العضلات إلى حد ما . فلم يكن وجهاً أصم ولا دمية ولا صورة تعكسها مرآة ، وليس هناك مبرر للاعتقاد بأنه كان مجرد شبح له بعض خصائص الحياة ، ولا مجرد إنسان يلعب دور شبح . كما ينفى أن تكون الحالة حالة «تشخيصات» للعقل الباطن ، فقد كان يمشى وعيناه تتلفتان وشفتاه تتحركان عندما كان يحاول الكلام ، وكان تنفسه مسموعاً .

وفى وصف اختفاء هذا الشبح المتجسد يقول ريشيه إن « بيان بوا » كان يحاول أن يحضر بيننا إلا أنه كان أحدب أوذا خطوة مترددة ، ولا يمكن أن أجزم ما إذا كان يسير على قدمين أم ينزلق . وكان أحياناً يميل كما لو كان

---

(١) راجع للمزيد مقالا للأستاذ هنرى بلوندل H. Blondel فى عددى مارس وأبريل سنة ١٩٣٦ من « المجلة الروحية » La Revue Spirite .

على وشك السقوط، أو يسير على ساق واحدة تبدو كما لو كانت عاجزة عن حمله . ثم كان يتجه إلى فتحة الخباء ويدلف إليه بغير أن يوسع فتحته ثم يسقط فجأة ويختفي محدثاً صوت سقوط جسم على الأرض، وكانت الوسيطة في ذلك الوقت تحت إشراف جابريل ديلان (رئيس تحرير الجريدة الروحية والباحث الروحي)[1] .

ثم يقول ريشيه إنه بعد ذلك بحوالى دقيقتين إلى أربع دقائق في المعتاد كان يشاهد في فتحه الخباء من جديد نفس الكرة البيضاء (الرأس) ترتفع بسرعة وفي استقامة تامة إلى مستوى ارتفاع إنسان ، ثم يختفي الشبح فجأة في الأرض محدثاً نفس الصوت الذي يحدثه سقوط جسم صلب على الأرض .

وكان ظهور الشبح المتجسد واختفاؤه بهذه الطريقة مما دفع ريشيه إلى فحص الجدران والأرضية بعناية كافية رغم أنها كانت مصنوعة من الحجر لئلا يعثر على منفذ سرى فلم يجد شيئاً من ذلك ، ولكي يدرأ كل شك استعان بمهندس معماري حرر شهادة بنتيجة فحصه السلبي .

وطلب ريشيه من الروح المتجسدة أن تتنفس وتحقق من وجود ثاني أكسيد الكربون في تنفسها ، إذ قدم إليها زجاجة بها محلول الباريوم eau de baryte ، وعندما تنفست فيها ظهر وجود ثاني أكسيد الكربون l'anhydride Carbonique Co_2 . كل ذلك والوسيطة في غيبوبة تامة على كرسيها تحدث شخيراً عالياً تحت رقابة ديلان ، أما ريشيه فلم يسقط نظره عن زجاجة السائل التي وضعها بين يدي « بيان برا » والتي كانت تبدو كما لو كانت معلقة في الهواء حين كان الشبح ينفخ في الأنبوبة المتصلة بها فيتحرك السائل بصوت مسموع[2].

---

(١) راجع ما سبق عنه في ص ٢٧٦ .

(٢) Annales De Sciences Psychiques. المجلد الثاني ص٢٧٣ وما بعدها. وراجع « تاريخ الروحية » لسير آرثر كونان دويل الجزء الثاني ص ٩٦ — ١٠٠ . ومؤلف شارل ريشيه فيما وراء الروح ص٦٥٩ ومابعدها ومؤلف جابرييل ديلان عن « أشباح متجسدة لأحياء وأموات » ج ٢ ص ٥٤٦ ، ٥٤٧ .

وقد التقط شارل ريشيه وجابريل ديلان عدة صور واضحة تماماً للروح المتجسدة فى حضور الجنرال نويل وقرينته .



صــورة التقطها ريشيه للروح المتجسدة « بيان بوا » ويرى إلى اليسار ، الجنرال نويل Noel ثم قرينته ثم جابريل ديلان G. Delanne ممسكا بكاميرا حيث التقط صوراً أخرى لها (عن مؤلفه أشباح متجسدة لأحياء ولأموات ج ٢ ص ٥٤٣) .

←



صورة أخرى من الأمام للروح المتجسدة (عن المرجع السابق ص ٥٤١) .

→

* * *

وكتب ريشيه فى مجلة الطبيعة (Nature) تحت عنوان « العلم الروحى » يقول « إن الروح يمكن الوصول إليها بقوى تكشف لنا عن حقائق لا يمكن أن يظهرها النظر أو السمع أو اللمس » . كما كتب بعد حوالى ثلاثين

عاماً من البحث فى أمور ما وراء الروح يقول ، إنى — مغلوباً على إرادتى — على أن أقرر فى النهاية أن التفسير الروحى هو النظرية الوحيدة التى بمقدورها أن تفسر جميع نتائج هذه البحوث ، . . .

وفى كتاب « ثلاثون سنة من البحث الروحى[1] » الذى ظهر فى سنة ١٩٢٣ قال ريشيه معتذراً عن بعض آرائه السابقة ، إن عبادة الآراء السارية كانت أمراً سائداً ، فى ذلك الزمن فلم تبذل جهود لتحقيق آراء كروكس أو رفضها ، واكتفى الناس بالسخرية منها . وإنى لأعترف فى خجل بأنى كنت مع العميان عامداً متعمداً . فبدلا من الإشادة بشجاعة رجل علمى ممتاز اجترأ إذ ذاك (فى سنة ١٨٧٢) أن يجهر بأنه توجد حقيقة أشباح وأرواح يمكن تصويرها بالكاميرا ويمكن سماع قلوبها وهى تنبض - بدلا من هذا سخرت منه » .

ومضى ريشيه يقول عن ظاهرة تجسد الأرواح « لدينا بينات طيبة على أنه ينبغى أن يكون لهذه التجسدات الاكتوبلازمية مكانها ومقامها بوصفها حقيقة علمية . ولا ريب أننا قد لاندرك كنهها ، لكن من السخف العريق أن نعتبر الحق سخفاً . ولا أنكر أن الروحيين لامونى على التعبير بكلمة « سخف » هذه ولهم عذرهم ، فهم لم يستطيعوا أن يدركوا أن جهرى بصحة هذه الظواهر كان فى الحقيقة إيلاماً لى .

وفى الواقع أنك حين تسأل فسيولوجياً أو فيزيقياً أو كيماوياً أن يجهر بأن القالب الجسمانى الذى يكون له دورة دم وحرارة وعضلات ، والذى ينفث غاز ثانى أكسيد الكربون والذى له وزن - والذى يتكلم ويفكر - أقول إنك حين تسأله كيما يجهر لك بأن هذا القالب يمكن أن يخرج من جسم آدمى آخر إنما تسأله مجهوداً عقلياً مؤلماً . نعم إنه خارق للعقل ولكنه أمر واقع » .

---

(١) Trente Années De Recherches Psychiques.

وفى هذا الكتاب يروى ريشيه أيضاً كيفية تجسد وجه آخر لسيدة جميلة فى مقتبل العمر قالت إنها ملكة فرعونية ، وكان الوجه يبدو سعيداً جداً فكانت تبتسم من كل قلبها فتكشف ابتسامتها عن صفين من اللآلىء . وظهر الوجه ذات مرة دفعتين أو ثلاثاً ثم اختفى وراء الخباء كما لو كان يلعب « الاستغماية » مع الحاضرين .

وطلبت إليه الملكة المصرية المتجسدة أن يحضر معه مقصاً فى اليوم التالى حتى يقص خصلة من شعرها متى سمح له بذلك ، ولما عادت فى اليوم التالى سألته باهتمام عما إذا كان قد أعد المقص ، ولما شرع فى قص الخصلة الموعودة أحس بيد خفية تمسك بيده وتقوده فى عملية القص فقص ما طوله حوالى ست بوصات ، وطلبت منه الملكة الإسراع ثم اختفت . ويقول ريشيه إنه احتفظ بالخصلة من الشعر الرقيق الناعم كالحرير ، وأنها احتفظت بكل حيويتها ، ولما فحصها بالميكروسكوب تبين أنه شعر آدمى حقيقى[١] .

كما قال عن الأشباح غير المتجسدة التى قد تظهر أحياناً من تلقاء نفسها فى المنازل « يبدو لى أنه فى بضع حالات يحدث أن تسكن الأشباح منزلا ، وإنى لأتردد كثيراً فى كتابه هذا ، ويكاد قلبى يقف عن الكتابة ، لكن الأمر هنا كذلك واقعى . . . » إلى أن قال لن يكون الموت موتاً بل ولوجاً فى حياة أخرى » .

* * *

وفى سنة ١٩٢٧ نشرت جريدة Comoedia الفرنسية آراء كبار العلماء فى شأن الحياة بعد موت الجسد ، فقال ريشيه مخاطباً محرر المجلة « سأجيبك فى صراحة تامة . إننى أحياناً كنت أصدق وأحياناً أخرى كثيرة كنت لا أصدق ، إذ كيف يستطيع فسيولوجى أن يدرك أن هناك بعد الموت

---

(١) المرجع السابق ص ٥٠٨ .
وراجع ما سبق فى ص ٣١٧ وما بعدها عن تجارب سير وليام كروكس ، وص ٣٣٠ — ٣٣٩ عن التجسدات بوجه عام .

وعياً يبقى دون مخ ؟ ولكن من جهة أخرى كيف يستطيع إنكار الحقائق الروحية التى تقدم من الوجهة النظرية تفسيراً أبسط من أى تفسير آخر ؟! ..».

ألم أقل إن هؤلاء العلماء بدأوا بحوثهم منكرين تماماً للحياة بعد الموت وظلوا منكرين طويلا بإصرار وعناد ؟ . . . وهذا الإنكار هو الذى دفعهم إلى مواصلة التجريب لمدى سنين عديدة قبل إعلان رأيهم ، لأن الإنسان المقتنع أو سريع الاقتناع لا يجد فى نفسه الحاجة - ولا القدرة — على التجريب المتواصل لعشرات من السنين ، بل لا يجد الحاجة إلى التجريب الجاد لمدى بضعة شهور . . . وهذه ضمانة من أكبر الضمانات التى تضفى قيمة خاصة على نتائج بحوث عالم منكر شديد المراس مثل ريشيه ومن هم من طرازه .

* * *

وكتب ريشيه أيضاً مقدمة لكتاب للأستاذ جوزيف ماكسفل J. Maxwell نائب الجمهورية بمحكمة استئناف بوردو Bordeaux عن « الظواهر الروحية »[1] قائلا : « يجب على الإنسان مع احترامه العظيم للعلم العصرى أن يعتقد بقوة أن هذا العلم العصرى مهما بلغ من الصحة فهو لا يزال ناقصاً نقصاً هائلا . . . إن حواسنا من القصور والنقص على حال يكاد معها يفلت من شعورها الوجود كل الإفلات . فالقوة المغناطيسية العظيمة لم تعرف إلا عرضاً . وإذا لم يوضع الحديد بجانب حجر المغناطيس اتفاقاً لكنا جهلنا دائماً أن المغناطيس يجذب الحديد . وما كان أحد منذ عشر سنين يحلم بوجود أشعة رنتجن . وقبل اكتشاف الكاميرا كان لا يدرى إنسان تأثير الضوء فى

---

(١) Les Phenomènes Psychiques : Recherches, Observations, Méthodes (Alcan).
وله عـدة مؤلفات أخرى منها La Divination (١٩٢٧) و La Mage (١٩٢٨) و Les Tarots (١٩٣٣) .

أملاح الفضة . ولم تكتشف الأمواج الهرتزية إلا منذ ثلاثين سنة ومنذ مائتي عام كان لا يعرف عن هذه القوة الكهربائية العظيمة إلا خاصية جذب الكهرمان إذا ما دلك بالصوف .

« إذا سألنا رجلا بدائياً ، بل لو سألنا فلاحاً مصرياً أو قروياً روسياً عما يعلمه عن قوى الطبيعة لوجدنا أنه لا يدرى منها عشر ما تسرده الكتب الابتدائية لهذا العلم فى سنة ١٩٠٣ . ويظهر لى أن علماء هذا العصر سيكونون حيال علماء القرون المقبلة فى مثل موقف قروى اليوم إزاء أساتذة الكوليج دى فرانس » ...

إلى أن يقول « لماذا لا نصرخ بصوت جهورى بأن كل هذا العلم الذى نفخر به إلى هذا الحد ليس فى حقيقته إلا إدراك لظواهر الأشياء ؟ أما حقائقها فتفلت منا ولا تقع تحت مداركنا . والطبيعة الصحيحة للنواميس التى تقود المادة الحية أو الخامدة تتعالى عن أن تلم بها عقولنا ...

« إننا نعيش فى وسط ظواهر تتوالى من حولنا ولم نفهم سر واحدة منها فهماً يليق بدرجتها . حتى أن أكثرها سذاجة لا يزال سراً من الأسرار المحجوبة كل الاحتجاب . فما معنى اتحاد الأيدروجين بالأوكسيجين ؟ ومن الذى استطاع أن يفهم ولو مرة واحدة معنى هذا الاتحاد وهو يفضى إلى إبطال خواص الجسمين المتحدين وإيجاد جسم ثالث مخالف للأولين كل المخالفة ؟

« إن العلماء لم يتفقوا حتى الآن على طبيعة الذرة المادية التى توصف بأنها غير قابلة للوزن ، وهى مع ذلك تصبح قابلة له متى اجتمع عدد كبير منها .

« فالأولى بالعالم الصحيح أن يكون متواضعاً وجريئاً فى آن واحد . متواضعاً لأن علومنا ضئيلة ، وجريئاً لأن مجال العوالم المجهولة مفتوح أمامه » ثم اختتم مقدمته قائلا « فالويل للعلماء الذين يظنون أن كتاب الطبيعة قد أغلق وأنه لا يوجد شيء جديد يحسن تفهيمه للإنسان الضعيف ... » وكل ذلك فى مقدمة لكتاب عن « الظواهر الروحية » .

يضاف إلى ذلك أن شارل ريشيه صرح فى مؤتمر علمى انعقد تحت رئاسته بأنه « يمكن دون كبير عناء تصور وجود الذكاء دون أن يكون المخ جهازاً له ، ولو أن ذلك يبدو لأول وهلة غير معقول » . وهذا هو المذهب الروحى فى تعليل الذكاء الذى يناقض المذهب المادى وهو يرى أن الذكاء ليس منفصلا عن الجسد ، وأن التفكير عبارة عن مجرد إفراز يفرزه المخ كما يفرز الكبد الصفراء ، وذلك على حد تعبير العالم الألمانى كارل فوجت Carl Vogt (١٨١٧ — ١٨٩٨) .

وهذا التأكيد الأخير كذبته مشاهدات متعددة . كما نفاه قبل شارل ريشيه العالم الفرنسى كلود برنارد Claude Bernard بحجة منطقية بسيطة وبغير ما بحث فى العلم الروحى التجريبى عندما قال « إننا بقولنا إن المخ يفرز التفكير نكون كمن يقول إن الساعة تفرز الزمن أو فكرة الوقت . إن المخ والساعة جهازان أحدهما حى والآخر ميت . وهذا هو كل الفارق بينهما » . وهذا التقرير الهام يتمشى مع النظرية الروحية وحدها .

وقد أظهرت المشاهدة أن عدداً من الأشخاص أمكنه أن يحتفظ بذكائه مع أن المادة المخية لديه كانت قد أزيلت أو تشوهت . فقد ذكر مثلا الدكتور هوزلاند Husseland فى جريدة الطب العملى[١] الحالة الآتية بمناسبة كلامه عن المخ البشرى «إن شخصاً كان مريضا منذ زمن طويل بالشلل — ولكن لم تبد عليه حتى ساعته الأخيرة أية أعراض لاضطراب عقلى ما — وجدت جمجمته عند التشريح أشبه بصندوق خال إلا من الماء فحسب» . وأشار بعض مجلات الطب إلى حالات أخرى من هذا النوع .

ونجد على وجه الخصوص فى «التقويم السنوى للعلوم الروحية» حالة تحقق

---

(١) عدد أكتوبر سنة ١٩٣٨ .

من صحتها الدكتور روبنصون Robinson وقدمها إدموند بربيه Edmond Perrier إلى أكاديمية العلوم فى ٢٢ديسمبر سنة ١٩١٣ وهى حالة إنسان عاش عاماً كملا وكان عادى المظهر، ومع ذلك كان مخه عبارة عن صديد مغلى لا غير .

كما نجد أيضاً أن جراحنا المعروف الدكتور محمد كامل حسين مدير جامعة عين شمس السابق يكتب فى هذا المعنى قائلا « قد أجريت عمليات قطعت فيها الصلة التشريحية تماماً بين الجزء الجبهى من المخ كله و بين بقية المخ، ولم يتغير تفكير الناس ولم يفقدوا ذاكرتهم أو عواطفهم، كأن الصلة بين المخ الجبهى والجسم صلة لا علاقة لها بالاتصال المادى التشريحى ، ولعله اتصال كهربائى أو كيميائى أو الكترونى ، والأرجح أنه اتصال بطريقة لم تعلم بعد . . »[1]. وهذه الطريقة التى لم تعلم بعد يقول علم الروح إنها عبارة عن اتصال روحى أو بالأدق أثيرى بين «كهربائية» العقل — مصدر كل ذاكرة وكل عاطفة — و بين الجسد المادى الخاضع للعقل عن طريق المخ .

ثم يستطرد الجراح الكبير فى مكان لاحق قائلا « ولا شك أن للنفس حياة خاصة ، وأن دراستها تحتاج إلى طريقة بحث جديدة ، ولكن التحليل النفسى ليس الطريقة الجديدة المرجوة، إنما هو تطبيق التفكير العصرى الحالى على ظواهر لا يصلح لتفسيرها»[2] . وكان ذلك بصدد ما يريده من إثبات أن علم النفس بمفهومه التقليدى علم ضال مفرط فى ضلاله ، وأنه لا يقل ضلالا عن الكيمياء عندما كانت خلواً من كل فكرة صحيحة عن طبيعة الأشياء .

* * *

وهذا الذى لاحظه بعض الأطباء وعلماء الفسيولوجيا وصل إليه أيضا أفضل العلماء فى السيكولوجيا . ومنهم بوجه خاص الفيلسوف هنرى برجسون

---

(١) فى مؤلفه « متنوعات » طبعة ٢ ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٩ ، ١١٠ .

الذى انتهى خلال دراسته لأمراض الذاكرة وأخصها أمراض التعرف ومرض الحبسة وفقدان الذاكرة إلى نفس النتيجة ، وهى «أن العقل ليس هو الروح وإنما هو الدماغ ، وأنه لايوجد محو للذكريات بل اضطراب فى الأجهزة المحركة . وفى عبارة أخرى يقول برجسون إن وظيفة الدماغ هى العمل على أن يكون الفكر حينما يحتاج إلى ذكريات قادراً على أن يحصل من الجسم على حركة معينة هى بمثابة الإطار الذى فيه تدخل الذاكرة من تلقاء نفسها فمهمة الدماغ إذن هى تقديم هذا الإطار دون الذاكرة...

ويخلص برجسون من ذلك إلى أن الفكر مستقل عن الدماغ . ومع ذلك فهذا الاستقلال ليس إنكاراً للتضامن الوثيق بينهما ، وإنما هو إنكار لفكرة أن النفسى يعادل الدماغى ويوازيه ، وبرجسون حينما يقرر هذه العلاقة إنما هو يقررها مستنداً فى ذلك إلى الرؤية والتجربة ...»[١]

وقد وصل إلى نفس هذه النتيجة التى وصل إليها برجسون نتيجة بحوث معملية شاقة فى علم النفس العادى والشاذ العالم المعروف وليام مكدوجال W. Mc Dougall منذ أوائل القرن الحالى فى مؤلفه عن «الجسم والعقل»[٢].

ووصل إليها الدكتور بروض C. P. Broad المفكر والفيلسوف المعاصر فى مؤلفه عن «العقل ومكانه فى الطبيعة»[٣].

وسلم بذلك أيضاً تشارلس فوكس Charles Fox مدير إحدى كليات كمبريدج فى مؤلف له عن «العقل وجثمانه»[٤]. وفى طبعة ١٩٣١ ينتهى إلى أن الاعتراض على الخلود بالصلة المحتومة بين العقل والجسد يرجع إلى تفكير خاطىء وأن العقل يحصل عن طريق الجسد على التجربة اللازمة ،

---

(١) راجع «المذهب فى فلسفة برجسون» للدكتور مراد وهبة القاهرة ١٩٦٠ ص ١٣١ ، ١٣٢ . وراجع ما سبق فى ص ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٢) Body And Mind.

(٣) The Mind And Its Place In Nature.

(٤) The Mind And Its Body.

وأن سمو الروح مستمد من متابعتها الأشياء ذات القيمة الدائمة ، وأن من قدر الإنسان ومصيره أن يحصل على الخبرة مؤملا أن ما قد حصل عليه منها ، بما أنه غير مرتبط بالجسد ، فلا يمكن أن يكون إلى فناء ثم يعد قراءه بأن يعالج موضوع خلود الروح فى مؤلف لاحق .

* * *

وليس معنى ذلك مطلقاً أن التفكير مستقل عن المخ ، بل معناه بحسب أن المخ هو جهاز التفكير لا مصدره ، فإذا فسد الجهاز فسد — بحسب الأصل — التفكير ، ولكن ليس المخ هو مصدر التفكير . كما أن العقل لا يخضع خضوعاً محتوماً للمخ ، بل إن المخ خاضع لنوعين من العوامل : أولهما تأثير العقل فيه وبالتالى فى وظائف الأعضاء ، وثانيهما عوامل الصحة والمرض فيه ، وهى وثيقة صلة بقوانين البيولوجيا والفسيولوجيا التى تلعب دورها فى صحة الجسد المادى وأمراضه . فمن المتصور فى حالات نادرة أن يظل التفكير سليماً حتى مع فساد الجهاز الذى يستخدمه لسبب مرض عضوى فيه ، إذا عرف العقل وهو مصدر كل عاطفة وذاكرة ، كيف يتغلب على ضعف جهازه المادى وهو المخ بصورة من الصور التى لا تزال مجهولة من العلمين المادى والروحى معاً .

وهذه الاتجاهات لا تستقيم — حتى مع ندرتها البالغة — مع التعليل المادى للتفكير وتستقيم مع التعليل الروحى له ، وبالأخص مع قاعدة احتمال بقاء التفكير بعد تحلل المخ بالموت . ولذا قال ج.ب راين أستاذ علم النفس بجامعة ديوك « إن إثبات أن العقل يختلف فى بعض النواحى الرئيسية عن المخ يؤيد النظرية الروحية للإنسان ، وهذا يعنى أن العقل عامل قائم بنفسه فى الهيكل العام للشخصية . وعلى ذلك فإن عالم الفرد لا يتركز تماماً فى العمليات العضوية للمخ المكون من المادة »[1] .

---

(١) عن « العقل وسطوته » المرجع السابق ص ٢٣٨ ، وراجع ما سبق عن راين فى ص ١٧٥ — ١٨٢ .

وذلك كله يتمشى أيضاً مع ما تقول به الروحية الحديثة من أن الإنسان فى المعتاد أذكى بعد الموت بفترة كافية منه قبله ، حين كان يستخدم المخ الجسدى بكل ما فيه من عوامل الضعف المتوارث أحيانا بحكم قوانين الوراثة . فضلا عن تأثير السن وأمراض سوء التغذية والدورة الدموية إذا كان المنتقل قد تعرض لشىء منها قبل انتقاله بفترة طويلة أو قصيرة ، ما دام الإنسان يستخدم العقل بعد الموت متحرراً من قيود جهازه الأرضى العتيق وهو المخ .

وذلك بالإضافة إلى أن الإنسان هنا يستخدم جزءاً فحسب من وعيه معتقلا داخل المخ ، أما هناك فيستخدم الوعى برمته متحرراً من قيود جهازه الأرضى ، مهما كان هذا الجهاز سليماً . وهذا الوعى المتكامل هو الذى يسميه علماء النفس العقل الباطن أو الغير الواعى ، لأنه باطن على المستوى الأرضى وظاهر أو واعٍ على المستوى الروحى ، على ما يبينه مايرز وغيره من بحاث الروحية[1] .

كما يستخدم العقل هناك حواسه متحررة من قيودها الأرضية البالية التى تحد منها وتعيق الكثير من إمكانياتها الفطرية . ومن ثم يعود البصر قوياً ، حتى ولو كان المنتقل قد فقده تماماً على المستوى المادى ، ويعود السمع على نفس الصورة . . . وهكذا . بل تظهر للإنسان حاسة جديدة هى حاسة التلباثى أو قراءة الفكر ، وهى موجودة هنا لكنها معطلة تعطيلا شبه تام لدى الإنسان العادى بسبب « العائق المادى » وهو المخ الذى يغلف إلى حين العقل وموطنه جسده الأثيرى . . . كما تعود هناك الأعضاء التى بترت فى حرب أو فى حادثة قبل انتقاله ، لأن الأعضاء الأثيرية المقابلة لها غير قابلة للبتر ، إذ هى من طبيعة ضوئية كطبيعة الجسد الأثيرى كله ، وليست من طبيعة ترابية كالجسد المادى .

ولنا — فى فصل لاحق — عودة تفصيلية إلى الكلام فى الجسد اللامادى

---

(١) راجع ماسبق عن مايرز فى ص ٢٢١ .

أو الأثيرى هذا ، كما نبين كيف ثبت بأدلة معملية متعددة وجوده فى الإنسان والحيوان معاً ، وهى أدلة من أنواع شتى لكنها تتضافر مجتمعة فى إثبات هذه الحقيقة الكونية الكبرى وهى أن لكل كائن مادى أكثر من جسد . والجسد اللامادى هو الذى يحمل عقل الإنسان وبالتالى حواسه، أما الجسد المادى فيحمل فحسب أدوات التعبير عن العقل والإحساس على المستوى المادى ، الذى نحيا فيه مؤقتا لهدف سام تعرفه نواميس الطبيعة وهو حصولنا على قدر لازم لنا من نمو العقل والأخلاق يؤهلنا لحياة — عقلية فى جوهرها — على المستوى الروحى أرقى من هذه الحياة المادية .

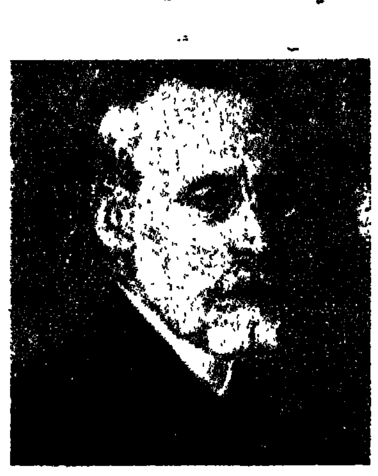
وهكذا تطرق بنا الكلام فى بحوث شارل ريشيه فى العلم الروحى إلى الكلام فى جوانب متعددة لهذا العلم عملا بقاعدة « الشىء بالشىء يذكر » . . ولا غرابة فى ذلك ، فقد كان ريشيه طبيباً وعالما فى الفسيولوجيا ، كما كان باحثا فى النفس والروح فى وقت واحد .

الفصل الثالث

من تجارب إرنستو بوزانو وبحوثه

يعد العالم الإيطالى إرنستو بوزانو Ernesto Bozzano (١٨٦٢ — ١٩٤٥) من أحسن العلماء النفسيين الذين واصلوا بحوثهم بدقة ولسنين طويلة، قبل أن ينحازوا للنظرية الروحية . وقد بدأ بوزانو بحوثه منذ سنة ١٨٩١ واشترك معه فيها عدد من العلماء مثل تيودور ريبو Theodore Ribot وموريسيللى Morselli وبورو Porro وانضم بعدها إلى الروحية العلمية الحديثة . وكان بعد انضمامه لها مقتنعاً بها إلى الحد الذى دفعه إلى أن يكتب فيها فى عمق و تدفق إلى أن انتقل إلى عالم الروح حتى لقد بلغ ما كتبه فيها أربعة وعشرين مؤلفاً ، ومئات من المقالات التى ظلت تظهر بغير انقطاع فى المجلات الروحية الإيطالية مثل جريدة النور والظلام Luce & Ombra والفرنسية مثل « الجريدة الروحية» La Revue Spirite ، والانكليزية مثل مجلة « العلم الروحى » التى تصدرها «الكلية البريطانية للعلم الروحى» .

ومؤلفات بوزانو زاخرة بالتجارب العلمية المدروسة، وكذلك مقالاته. وقد ظلت هذه وتلك تتوالى بغير انقطاع منذ حوالى سنة ١٩١٠ حينما أعلن صحة هذا الموضوع واقتناعه به ، إلى تاريخ انتقاله إلى عالم الروح فى سنة ١٩٤٥ ، أى لمدة تتجاوز ثلاثين عاماً .



إرنستو بوزانو

وقد لخص رأيه فى عبارات صريحة حاسمة نرجو أن يتأملها ملياً المعارض المتسرع الذى قد يتصور أن الموضوع كله

عبارة عن مساجلات كلامية ، عندما قال «لو أن أى إنسان بدلا من أن يضل طريقه فى بيداء مناقشات عملة أقبل على البحوث الروحية ، وواظب عليها لمدى سنين طويلة جامعاً قدراً كبيراً من الوقائع كيما يخضعها إلى طرق التحقيق العلمى ، لانتهى حتماً إلى الاقتناع بأن الظواهر الفوق العادية تكون مزيجاً رائعاً من الأدلة الحيوية والروحية ، التى تشير كلها إلى ثبوت وجود حياة للنفس الإنسانية بعد الموت ثبوتاً علمياً كأشد ما يدل عليه اللفظ . هذا هو اقتناعى الثابت ، ولست أشك فى أن الزمن كفيل بإظهار أنى على صواب[1] » .

وقد بدأ بوزانو بحوثه مؤمناً بالفلسفة الوضعية لا النظرية ، ومتحمساً — مثل الفليسوف الفرنسى برجسون — لمذهب التطور المادى كما وضعه سبنسر ، وذلك قبل أن يصل «على أساس من الوقائع إلى اليقين العلمى ببقاء الإنسان بعد الموت » على حد قوله ...

فهل ينبغى أن تهدر بسهولة شهادة من عالم فى مستوى بوزانو إذا كانت تتضمن ثمرة تجريب دام لأكثر من ثلاثين عاماً ؟ . .. وهل ترجحها أقوال يلقيها جزافاً أى أديب أو متأدب يتصور أنه كلما ازداد عنفاً فى هجومه كلما كان أقرب إلى تقويض عمد هذا البنيان الشامخ من بحوث - علمية هادئة رزينة - دامت لمدة نيف ومائة عام - حتى الآن - وتكشفت - كلها - عن نتائج إيجابية من علماء من الطراز الذى أشرنا إليه فى صفحات هذا المؤلف ؟ وذلك فى أغلب بلاد العالم ؟ وفى نفس البيئات التى تدين لها الحضارة العلمية المعاصرة بالكثير ؟ نترك الجواب للقارىء لا لنا ...

* * *

وفى خطاب أرسله شارل ريشيه ، الذى تحدثنا عنه فى الفصل السابق ، قبل وفاته بشهور قليلة إلى إرنستو بوزانو ، ونشرته جريدة « الأنباء الروحية » اللندنية كما نشره بول ميللر Paul Miller فى مؤلفه « العلم فى حجرة الجلسات الروحية » الذى ظهر فى أواخر سنة ١٩٤٥ ، يقول ريشيه:

---

(١) «المجلة الروحية» الفرنسية عدد فبراير ١٩٣٩ ص ٤٦ .

« صديق العزيز وزميلي الفاضل ... إنني متفق معك تماماً . وما كان لي أن أصدق ذلك التفسير البسيط القائل بأن أحداث حياتنا وتسلسل وجودنا أمور ترجع كلها إلى المصادفة وحدها ، وهذا رغم العجز عن إثباته . هناك قضاء وقدر ، أي قوة ترشدنا وتقودنا حيث تشاء بطرق غريبة مبهمة .. إلى أن قال والآن فلأسر إليك أن ما قررته أنت صحيح ، وأن مالم يستطعه مايرز وهودجسون وهايسلوب وسير أوليفر لودج قد استطعت أنت أن تصل إليه برسائلك الممتعة التي تختص كل منها بموضوع واحد ، تلك الرسائل التي قرأتها بحماس يكاد يشبه الحماس الديني ، فهي تتباين تبايناً غريباً مع تلك النظريات الكدرة التي تعمي علومنا وتبهمها ... »

* * *

ومن التجارب التي ساهم فيها بوزانو نقدم هـــذا التعليق الذي نشرته له مجلة لايت Light بتاريخ ١٠ من مارس سنة ١٩٢٨ ونقلته عنها مجلة «العلم الروحي» - التي تصدرها الكلية البريطانية للعلم الروحي B.C P.S.[1] - والذي نلخصه هنا في هذه الصفحات القليلة عما دار في عدة جلسات عقد بعضها في قلعة تاريخية تمالكها عائلة من النبلاء الإيطاليين تسمى قلعة ميلليزيمو Millesimo Castle ، وقد تم فيها كثير من الظواهر الروحية الناجحة بالنظر إلى تعدد الوسطاء الموهوبين . وقد حضرها غير صاحب التعليق كل من :

— الميركيزة لويزا سنتريوني سكوتو وهي وسيطة روحية .

— المركيز كارلو سنتريوني سكوتو وهو وسيط للصوت المباشر ، فضلا عن أنه محام ونائب سابق وصاحب القصر التاريخي .

— السيدة فابين روسي وهي فرنسية الأصـــل ووسيطة للمجلوبات الروحية .

(١) عدد يناير ١٩٢٩ ص ٢٧٢ — ٣٣٠ .
Quarterly Transactions Of The British College Of Psychic Science.

— السنيور باولو روسى وهو وسيط روحى ومن رجال الأعمال .

— البروفسور تيليو كاستلانى وهو أستاذ للاقتصاد السياسى ومحام .

— البروفسور جليدو باسينى وهو أديب وعالم فى الأدبين الفرنسى والإغريقى .

— مسز جوندولين كيلى هاك ، وهى فنانة أمريكية ووسيطة للكتابة التلقائية والجلاء السمعى .

وها هو تلخيص الظواهر التى نجمت عن إجتماع عدة وسطاء أقوياء — تنوعت مواهبهم الوساطية — فى مكان واحد فى وقت واحد : —

١ — اتصال بأرواح متعـــددة لبعض « المنتقلين » من أقارب الموجودين ، ومع بعض الشخصيات التاريخية مثل رابليه Rabelais وفيكتور هيجو ونابليون وجنرالين أسبانيين هما نافارا Navarra وجريتا Guerrita .

٢ — ظهور آلة موسيقية تسمى الفلكساتون Flex-a-tone أخذت تجوب جو الغرفة وهى تعزف ألحاناً شجية متسقة مع الأنغام التى كانت تنبعث من الجراموفون عند بدء الجلسة[١].

٣ — إحضار مجلوبات روحية مختلفة بعضها مجهول المصدر ، وبعضها من غرف مختلفة بالقصر رغم إغلاقها إغلاقاً محكماً ، مثل صور وأزهار وسيفين ضخمين أحضرت أحدهما روح الجنرال نافارا وثانيهما روح الجنرال جريتا ، فضلا عن قرط ذهبى ثمين أحضرته روح كهدية لإحدى الحاضرات وظل مجهول المصدر .

٤ — تنبؤ بالمستقبل عن مرض أحد أقارب الأسرة بعد يومين ثم وفاته فى هذا المرض ، وقد تحققت النبوءة بحذافيرها .

---

(١) راجع ظواهر مماثلة فيما سبق ص ١٩٢ ، ٣١٦ ، ٣٤١ .

٥ — حديث بالصوت المباشر بلغات لا يتكلمها الحاضرون .

٦ — تجسدات لبعض أعضاء الجسم من أيد وأقدام كانت تلمس الموجودين[1].

وقد تناول بوزانو بحث هذه الظواهر من ناحية القول بمدى إمكان تعليلها بنظرية العقل الباطن مفنداً إمكان هذا التعليل وقائلا : « لعل مما لاحظه القراء أن الأصوات المباشرة التي سمعناها أثناء تجارب قلعة مللينزيمو لم تحدث كلها بطريق البوق[2] ، لأنه كثيراً ما كان يدوى صوت قوى من أبعد أركان السقف أو من أرض الحجرة وسط الحلقة كما لو كان منبعثاً من قبر . فقد كان يتكرر في تجارب مللينزيمو نفس النوع من ظواهر الصوت المباشر التي كانت تحدث في جلسات برادلى Bradley في لندن مع الوسيط فاليانتين Valiantine وكانت لا تقل عن أحسن ما كان يحدث في هذه الجلسات الأخيرة ، وهو مالاحظه أيضاً المركيز سنتريونى ومسيو روسى اللذان حضرا بعض جلسات فاليانتين في لندن ، فقد كان صوت برت ايفيرت Bert Everett الروح الإنجليزية المرشدة يدوى في جلسات ميللينزيمو بنفس القوة التي كان يدوى بها في لندن .

كما كان صوت مرشدنا المحترم دانجلو D'Angelo طبيعياً وواضحاً كصوت إنسان حى . وكذلك كانت أصوات الجنرال نافارا وأسابيا بلادينو وجيريتا ووالدة السيدة المركيزة ورابليه . وقد كان صوت ابنة السيدة المركيزة ضعيفاً ولكن مفهوماً ، حين كان صوت والدتى ضعيفاً بلارنين وصعب الفهم .

وهنا ينبغي أن أقرر أن مجرد ملاحظة كيفية تتابع الأصوات المباشرة في جلسة واحدة بحيث كان يختلف بعضها عن البعض الآخر اختلافاً كلياً ، وتنوعها بشكل بيّن من ناحية قدرتها على التعبير بوضوح يكفى لأن يكوّن —

(١) راجع ظواهر مماثلة فيما سبق في ص ١٣٣ — ١٤٠ مؤيدة بالصور .

(٢) راجع ما سبق في ص ١١٨ موضحاً بصورة بوق طائر .

إذا ما أضيف إلى بعض حقائق الجلسة الأخرى ـ برهاناً صحيحاً عن المصدر الخارجى أو الروحى لهذه الأصوات

وإن تنوع الأصوات ليتفق بشكل واضح مع ما نفترضه من أننا كنا فى حضور شخصيات هؤلاء الموتى ، لأن هذه الشخصيات توجد بينها يقيناً فروق فنية وعقلية مختلفة حسبما تكون قد وصلت إليه من التطور فى المناطق الروحية المتعاقبة (فالأرواح الأقل تطوراً أسهل تعاقباً من الأرواح الأكثر تطوراً) كما ينبغى ألا ننسى أنها جميعها تحتاج إلى مران على استعمال السيال الروحى قبل أن تتمكن من مخاطبتنا بوضوح ، ولذا كانت الأرواح المرشدة — وهى فى حالة من المران المستمر — تتصل بنا فى كل جلسة بأصوات طبيعية تماماً وواضحة كأصوات الأحياء .

وهنا يهمنى أن أسجل الخطورة النظرية لهذه الحقائق المركبة، وكيف أن النظرية الروحيــــة قادرة على تفسيرها ، حين تعجز عن ذلك نظرية «تشخيصات العقل الباطن». The Sub-Concious impersonation. إذ طبقاً لهـذه النظرية تكون شخصية الوسيط الذى فى حالة يقظة نوميـــة[1]. somnambulistic personality هى التى تجسد خلال الإيحاء الصادر لها أو إيحائها الذاتى لنفسها suggestion or auto suggestion أفكار الحاضرين ورغباتهم .

فلعل من يظن أنه فى حالتنا أيضاً كانت هذه الشخصية الباطنة أو تلك التى فى حالة حركة التنويم المغناطيس تقوم بتقليد أساليب المخاطبة المتعددة هذه أو بإتمامها لمحض الرغبة فى خداع الحاضرين!.. ولـكن الذين حضروا جلسة كهذه لاحظوا كيف أن المخاطبة كانت طبيعية، وكيف أن بعض الشخصيات التى لاقت صعوبات فى التعبير عن نفسها كان يجاهد المرة بعد الأخرى حتى نفهمه ـ نقول إن أولئك الذين حضروا جلسة كهذه سيحتجون وسيرفضون

(١) يشير بوزانو إلى الحالة الرابعة من التنويم المغناطيسى التى اكتشفها الدكتور برنارد منذ سنة ١٨٨٤ والتى فيها يكون المنوّم واقعاً تحت تأثير النوم لـكنه يبقى مع ذلك شاعراً بما حوله، محتفظاً بذكرى ما قد يحدث له فى حالة اليقظة النومية Somnambulistic stage

بشدة ، أو يبتسمون فى سخرية — إذا ما أخذ بعض المتشككين الذى لم يشاهد مطلقاً ظواهر كهذه فى المجادلة فى الحقائق — أما إذا غلبنا مهزلة العقل الباطن هنا فإننا سنجد أنفسنا إزاء ظاهرة من ظواهر التنويم الذاتى المتيقظ auto - somnambulistic أية كانت درجة صحتها من الناحية العلمية ، لكن علينا حينئذ أن نفترض أن فى عقل الإنسان الباطن قوة عليا عاقلة ، بل شخصية واعية وأيضاً أخرى شيطانية ، بل مؤذية حمقاء .

وأن افتراضاً كهذا ليبدو فجاً وسخيفاً ، فضلا عن أن حقائق التنويم المغناطيسى تكذبه ، لأن هذه قد أظهرت أن ما يسمى بالنماذج الموضوعية objective types التى يخلقها الإيحاء فى نفوس المنوَّمين تنويماً مغناطيسياً إنما هى أشياء جامدة ليس لديها ابتكار خاص وقوة إرادية أو فكرية وتقوم بدورها فى التمثيلية مقيدة بإرادة المنوِّم . أو بعبارة أخرى إن هذه النماذج لا تحدث إلا بدافع الإيحاء حين لا تحدث مطلقاً فى حالة هذه الشخصيات الواعية التى تجىء وتذهب كما يحلو لها ، كاشفة أسراراً مجهولة من جميع الحاضرين ، متحدثة إليهم بلغات مجهولة من الوسيط — بل وأحياناً منهم — ، قارئة أفكارهم ، لاعبة بحذق على آلات موسيقية لا يعرف أحد من الحاضرين عنها شيئاً ، محضرة مجلوبات رائعة ، موقعة بأسمائها بكتابتها المباشرة ، وصانعة غير ذلك الكثير .

وإنى أعتقد أن فى ذلك ما يسمح لى بأن اقرر بأنه رغم البحوث النظرية التى تشير إلى أن شخصية هذه الأرواح لم تثبت بعد — وبغير خوف من خطأ — أن ما يسمونه « بتشخيصات العقل الباطن » التى تحدث للمنوَّم مغناطيسياً لا تربطها أية صلة بالشخصيات التى تظهر نفسها فى حضور الوسيط عن طريق الصوت المباشر . فإنه فى بعض الأحوال تكون الشخصيات التى تتصل بنا قادرة بغير شك على أن تثبت شخصيتها بالكشف عن حوادث حدثت لها خلال حياتها الأرضية ، مجهولة من الوسيط والحاضرين .

فإذا ما أضيفت إلى ذلك البينة المستمدة من التعرف على صوتها وعلى أسلوبها الخاص فى الحديث بنفس الطريقة، وبنفس الخلال والآراء والسجايا التى عرفت بها خلال حياتها الأرضية، لكان من نافلة القول بعدئذ أن نضيع الوقت فى إثبات شخصية الروح لأنصار نظرية «تشخيصات العقل الباطن» التى ليس فى جانبها أدنى دليل، حين يمكننا من جانبنا أن نستند إلى مجموعة طيبة من البينات التى تشير كلها إلى حقيقة واحدة رئيسية وهى بقاء شخصية الإنسان بعد الموت.

أما من الناحية العلمية البحت، فلو أنه لم تكن هناك حالة كاملة فى هاتين الجلستين لإثبات شخصية أحد الأموات — وهو مالم يكن منه مفر لأن اليقين العلمى التام لا يقوم إلا من مجموعة براهين، ولا يحدث إلا فى سلسلة متتابعة من الجلسات كما حدث فى جلسات دنيز برادلى Dennis Bradley — إلا أن ذلك لا ينفى إمكان القول بأن أسابيا بلادينو والجنرالين جريتا ونافارا أعطونا براهين كاملة تثبت وجودهم بالغرفة حقيقة.

ففى هاتين الجلستين حدثت عدة ظواهر مادية وهى، ولو أنها لم تثبت شخصية أحد منهم، إلا أنها تثبت بغير شك وجود كائنات روحية أجنبية عن جميع الأشخاص الموجودين بالغرفة، وهو ما يؤدى من الناحية النظرية إلى نفس النتيجة. ويكفينى أن أشير إلى الألحان الجميلة التى كانت تنبعث من آلة الفلكساتون، إذ ماذا يعنى ذلك ؟!... فلم يكن أحد من الموجودين يعرف شيئاً عن العزف على الآلة الصغيرة، فمن الذى كان يعزف عليها إذن ؟ جوابان فقط ممكنان على هذا السؤال: إما أن يكون العازف هو العقل الباطن، وإما أن يكون مصدراً روحياً.

منذ عهد غير بعيد حدثت ظاهرة تختلف بعض الشىء عن هذه فى جلسات الوسيط فاليانتين عندما تخاطبت روح صينى قديم بلغتها الأصلية وأعطت قراءة صحيحة لشعرها الذى حرفه الناقلون فجعلوه غير مفهوم، وكان أحد

أعداء الروحية وناقديها موجوداً فقال إنه يعتقد أن هذه ظاهرة تفسيرها من اليسر بمكان ، لأن عقل الوسيط الباطن انتقل إلى الصين باحثاً عن طالب يجيد قراءة هذا النوع الخاص من الشعر ، ثم عاد إلى لندن فى أقل من لمح البصر حيث أدلى بما حصل عليه من معلومات — طازجة وساخنة — إلى الحاضرين ، وكل ذلك قد تم بقصد طيب أو خبيث وهو خداع المجربين .

وطبقاً لهذه النظرية يكون العقل الباطن لأحد وسطائنا قد طار إلى شمال أمريكا حيث بحث عن لاعب خبير على الفلكساتون ، فاختطف منه موهبته الموسيقية — كما يختطف لص حافظة نقود — وعاد بها إلى الجلسة ، وكل ذلك لنفس الغاية الجميلة أو القبيحة وهى خداعنا . هذا هو التعليل الوحيد الذى يمكن لأنصار نظرية العقل الباطن أن يتعلقوا بأهدابه .

إلا أن منطق لا يسمح لى البتة أن أصدق أن الشخصية الباطنة للوسيط يمكنها أن تعزف بمهارة فائقة على آلة لا يعرف عنها هو — ولا أى واحد من الحاضرين — شيئاً . فلا يكون أمامى إلا أن أقبل التفسير الآخر الأقرب إلى التصور وإلى المعقول ، وقد قدمه لنا دانجلو D'Angēlo الروح المرشد ، وهو أن أمريكياً من أهل الشمال كان فى حياته الأرضية عازفاً خبيراً على الساكسوفون ، هو الذى عزف لنا على آلة الفلكساتون . وتجلت هذه الروح خلال الوسيط فاليانتين فى لندن ، ثم فى جلسات ملليزيمو فى إيطاليا . هذا هو رأيى وإنى أتحدى باسم المنطق والعقل السليم كائناً من كان أن يثبت خطأ هذا الرأى .

* * *

أنتقل بعدئذ إلى شخصية رابليه Rabelais التى تجلت خلال الوساطة وهى بحاجة أكثر من غيرها إلى تعقيب وتوضيح ، فالبروفسور جليدو باسينى Glido Passini أحد الحاضرين حجة فى تعرف عبقرية هذا المؤلف الفرنسى الشهير ، وقد قام بترجمة مؤلفاته إلى الإيطالية . وإن الذين يقبلون

النظرية الروحية يصبح من السهل عليهم القول بأن باسيني — وقد درس خصائص أدب المؤلف المذكور بعناية وتقدير له لمدى سنوات طوال — قد أنشأ صلة روحية بين شخصية عقله الباطن وروح رابليه (إذ ينبغي ألا ننسى أن الفكر يحوى قدرة على الانتقال أقوى من القوة المادية التي تنبعث من الإرسال اللاسلكي) .

فالقوة التي مكنت رابليه من الاتصال بباسيني كانت هي هذه الرابطة الروحية ، وهي التي مكنت الأول من معرفة ما كان يجري في حياة هذا الأخير ، وذلك يفسر إذن وجود روح رابليه في هذه الجلسات التي حضرها باسيني ، وعلى هنا أن أشير إلى أنه عندما اتصل بنا رابليه لأول مرة أخبره باسيني أنه قام بترجمة مؤلفاته إلى اللغة الإيطالية فأجابه رابليه « نعم أعلم ذلك » .

فإذا نظرنا إلى هذه الحقائق من وجهة نظر خصومنا فإنهم سيرجعون كل ما أظهره المتوفى إلى «تشخيصات العقل الباطن». هذا ممكن بلاشك. لكنه من الناحية الأخرى أبعد ما يكون عن أن يصلح حجة لدعواهم ، لأن ذلك مما يمكن به أيضاً وبغير نزاع تفسير الحقائق من وجهة النظر الروحية . فإنني أوافق تماماً على أن نظرية «تشخيصات العقل الباطن» تستمد وجودها من أنه قد أمكن بوسائل التنويم المغناطيسي خلق نماذج موضوعية objectivation of types لكن لا صلة بينها وبين الشخصيات الوساطية الحقيقية .

لذا أسارع إلى القول بأن ثمت حقيقة هامة جديرة بالتسجيل ، ولا يمكن التوفيق بينها وبين نظرية « تشخيصات العقل الباطن » ، بل تستوجب استبعاد حالتنا من الحالات التي يجوز فيها تطبيق هذا التفسير . وهي أن الماركيز سنتريوني سكوتو قام بعبء البحث الروحي وذهب إلى لندن لحضور جلسة مع الوسيط فاليانتين كيما يحاول الاتصال بروح ابن عزيز فقده ونجح في ذلك هناك ، أما الآن بعد أن أصبح قادراً على الحصول على وساطة الصوت المباشر بنفسه وفي منزله الخاص ، وحيث لم تكن عنده وعند زوجته سوى فكرة

واحدة هى محاولة الاتصال بهذا الابن ، فلم يحاول ابنهما مع ذلك الاتصال بهما ولا مرة واحدة فى سلسلة من الجلسات التى عقداها فى منزلهما .

وهذه الحقيقة سهل تفسيرها من الناحية الروحية بأن الأرواح ليست دائماً تحت تصرفنا ، لكن لا يمكن مع ذلك التوفيق بينها وبين نظرية « التشخيصات الباطنة » لأنه تبعاً لهذه النظرية تكون جميع الشخصيات الروحية التى تتجلى عن طريق الوسيط محض خداع خلقته أفكار الحاضرين ورغباتهم ، ورغم ذلك فلم يقم الابن ولا مرة واحدة بالاتصال بهما مع ما سببه ذلك من خيبة أمل لدى والديه .

يتعين علينا بعدئذ أن نناقش ظاهرة المجلوبات الروحية ، وجدير بالذكر أن نلاحظ أن الظواهر الثلاث الهامة منها لم تكن حوادث مستقلة ، بل حدثت كجزء لا يتجزأ من عملية إظهار ثلاثة من أرواح الموتى لشخصياتها ، لأنه فى حالتين منها لجأت هذه الأرواح إليها كيما تثبت وجودها الحالى ، حين كانت الأخيرة بمناسبة الإجابة عن سؤال وجهته إحدى الحاضرات ، وهى تستحق تعليقاً خاصاً لخطورتها القصوى من الناحية النظرية .

ذلك أن السيدة المركيزة عندما أثقلت كاهلها نبوءة عن قرب وفاة أحد أقاربها توسلت إلى الروح المخاطبة ألا تتركها نهباً لشك رهيب ، وأن تذكر لها اسم ذلك القريب الذى تنبأت بقرب وفاته فأجابتها الروح قائلة « سأحضر لك صورته » ، وبعد ذلك مباشرة سقطت صورة فوتوغرافية لهذا القريب — داخل إطار — عند قدمى المركيزة .

والخطورة القصوى من الناحية النظرية تنحصر فى أن هذا المجلوب كان نتيجة لنبوءة عن وفاة ، ولسؤال خطر لدى المركيزة عفو الساعة ، وذلك كاف وحده لأن يقلب رأساً على عقب هذه التفسيرات المملة الجاهلة التى تقول بأن الروحية « تدليس عالمى » . ففى هذه الحالة كان على الوسيط المدلس المزعوم أن يتنبأ بأن قريباً لعائلة سنتريونى سكوتو سيصاب بعد يومين بمرض ثم يتوفى (وهو ما تحقق) وأن السيدة المركيزة ستبادره بسؤال كهذا الذى صدر منها كيما يعد مقدماً مجلوبه الزائف المثير .

فما دامت رؤية المستقبل فوق مقدور القوى العادية للوسيط المدلس فلا يكون هناك أحد قد تمكن فى هذه الحالة من إعداد ظاهرة زائفة ، وذلك لأنها كانت نتيجة لظروف غير متوقعة . وتبعاً لذلك أنه مادام قد تحقق لنا بطريق اليقين — صدق هذه الحالة فلا يمكن منطقياً أن يكون لدينا أى شك فى صدق الاثنتين الأخريين ، نظرا لأن المجلوبات الروحية الثلاثة قد تمت على نفس النمط .

أما فيما يتعلق بالحديث بلغات لا يفهمها الوسيط فلا يمكن مقارنتها بنظائرها التى حدثت فى جلسات الوسيط برادلى . لكن إذا ماراعينا أننا حصلنا عليها فى جلستين فقط لتبين كيف أننا حصلنا على ما فيه الكفاية ، فقد تحدثت إلينا أصوات باللغات الانجليزية والفرنسية والأسبانية واللاتينية. فإذا استبعدنا الانجليزية التى كانت لمجرد التحية والفرنسية التى كنا نعرفها جميعاً ، تبقت بعد ذلك اللغتان الأسبانية واللاتينية .

ففيما يتعلق بالأسبانية لم يكن أحد منا يعرفها بل كنا كإيطاليين قادرين على أن نفهمها بدرجات متفاوتة فى وضوحها، لكن ذلك لا يعنى أن أحداً كان قادراً على الكلام بها . أما اللاتينية فلم يكن يعرفها غير الأستاذ باسينى ، ومع ذلك فالقول بأن الصوت المتحدث المباشر قد دلف إلى عقله الباطن كيما يستخرج منه اللاتينية إنما هو فرض لا يقوى على مواجهة الحقائق كما أظهرتها فى مقدمتى للترجمة الإيطالية لكتاب « حكمة الآلهة » .

وعلى أن اضيف الآن إلى الأمثلة الفنية واللغوية التى أشرت إليها فيها مثلاً آخر مما يحدث فى حالة التنويم المغناطيسى واليقظة النومية hypnotic & somnambulistic order ، وهو أنه إذا كانت الأصوات المباشرة التى تتحدث بطلاقة بلغة مجهولة من الوسيط يمكن تفسيرها بقوى العقل الباطن — أى بأن هذه الأصوات استخرجت ما نحتاج إليه من معلومات لغوية من عقول الحاضرين الباطنة — فحينئذ يتعين علينا أن نجد أمثلة متشابهة لذلك فى حالات التنويم المغناطيسى واليقظة النومية ، وبالأخص

عندما يكون المنوَّم قادراً على الجلاء البصرى تحت تأثير التنويم . وبالتالى أن يتمكن هذا الأخير فى حضور طبيب أو أكثر من أن يصف بدقة الأعضاء الداخلية له أو لأحد الموجودين، وكذلك ما قد يشكو منه من أمراض، وأن يعبر عن ذلك — فى بعض الأوقات بالأقل — بألفاظ طبية فنية يكون قد استخرجها من عقل الطبيب المنوِّم medico-hypnotiser ومن قد يكون على صلة روحية بهم . لكن هذه الظاهرة لم يسجلها أحد ، وبدلا منها يصف الشخص المنوَّم الأعضاء الداخلية وحالة المريض الموجود بألفاظ اللغة الدارجة للرجل العادى .

ويستنتج من ذلك أنه مادام المنوَّم مغناطيسياً عاجزاً عن أن يستعمل عدداً محدوداً من الألفاظ الفنية رغم الصلة الوثيقة التى تربطه بالمنوِّم فهو عاجز من باب أولى عن الحديث بطلاقة بلغة مجهولة منه، وهى نتيجة مبنية على حقيقة لاجدال فيها تثبت وجود كائن خارجى أو بتعبير أدق وجود روح .

وأخيراً أعتقد أنى كنت قادراً على إثبات أنه فى هاتين الجلستين نهضت حقيقتان واضحتان : أولاهما أن ظاهرة الصوت المباشر ، ولو أنها ليست وحدها الظاهرة الحقيقية، إلا أنها أكثر الظواهر تأثيراً فى إقناع أشد المتشككين . والثانية أنى خرجت من هذه الجلسات بقرائن قوية جداً على صدق ماتؤكده نفس هذه الأرواح من أنها هى بذاتها أرواح الموتى التى تتصل بالحاضرين عن طريق الصوت المباشر .

وقصارى القول أن جميع ما مضى من حقائق يشير إلى النتائج الآتية :

أولا : أن هذه الأصوات التى يتابع بعضها البعض الآخر بسرعة فى الجلسة الواحدة، ويختلف بعضها عن البعض الآخر بدرجة قوية وتظهر فيما بينها تبايناً قوياً فى قدرتها على التعبير عن نفسها بوضوح يمكن تعليلها بالنظرية الروحية حين تعجز عن ذلك تماماً نظرية «تشخيصات العقل الباطن».

وثانيا : أن نفس النتيجة يمكن استخلاصها من الأصوات التى تتحدث بلغات مجهولة من الوسيط .

وثالثا : يمكن استنتاج نفس النتيجة من ظاهرة اللعب الرائع على آلة

الفاكسافون الصغيرة التى كانت تتابع موسيقى الجراموفون بقدرة موسيقى متمكن . وبما أن أحداً منا لم يكن يعرف شيئاً عن استعمال هذه الآله فلابد من افتراض وجود لاعب غير منظور منا هو يقيناً ليس أحد الجالسين .

رابعاً : أن نفس النتيجة تفرض نفسها علينا أيضاً من الحديث الذى قمت به مع روح أسايابلادينو (الوسيطة الأسبانية التى كانت آنذاك قد غادرت عالم المادة) التى كانت تتحدث بنفس نغمة الصوت التى كانت تستعملها حال حياتها و بنفس اللهجة والمميزات الصغيرة التى لا يمكن تقليدها والتى كانت تتميز بها صلاتها الشخصية بى، وذلك غير الحديث عن المجلوبات الروحية التى حصلنا عليها والتى تحتم علينا اعتقاداً كهذا، والتى تشير إلى حقيقة حضور أرواح الموتى بيننا ، وأن أحدها كان قادراً على التنبؤ بقرب حدوث وفاة .

وبالمقارنة بين ما تقدم وبين حقائق الروحية الأخرى كتجسد الأيدى والأقدام ورفع الأجسام الثقيلة ونقلها عن بعد ، والحصول على التوقيع بواسطة الكتابة المباشرة ، نجد أن هذه الأخيرة مهمة ، لكن أهميتها تضعف إزاء هذه الظاهرة الأهم ، وهى ظاهرة الصوت المباشر . ولو أنها كلها تدعم بعضها البعض فى إظهار هذه القوة غير المحدودة التى نتجت عن تعاون عدد من الوسطاء مجتمعين معاً . وهى تبين أيضاً ما كان يمكن أن يتم لو أمكن الاستمرار فى عقد جلسات كهذه بانتظام . فبوساطة مادية وعقلية كاملة كهذه كان يمكن من المؤكد الإجابة على كثير من الأسئلة المحيرة والمسائل التى بقيت بلا حل حتى الآن فى نطاق العلم الروحى ، وهو ما لم يتم للأسف لاضطرار مسيو ومدام روسى إلى العودة إلى منزلهما بلندن .

وفى الفصل المقبل سنبين كيف أن التعليل بالتلباثى أو بظواهر العقل الباطن، كما لا يصلح لتفسير الظواهر الروحية عند بوزانو، لا يصلح لتعليل بعض الظواهر العقلية الصرف ، وسيتضح ذلك جلياً عندما نعرض لبيان «بعض الوقائع التى لها دلالتها» مأخوذة من مضابط «جمعية البحث الروحى» وجريدتها بلندن .

الفصل الرابع

وقائع لها دلالتها

عن مضابط «جمعية البحث الروحى» وجريدتها .

من الاعتراضات الشائعة التى كثيراً ما يوجهها البعض إلى صحة الظواهر الوساطية، وإلى دلالتها فى الإنباء عن استمرار حياة الروح بعد موت الجسد. الاعتراض بالتلباثى أى بانتقال الأفكار من عقل أحد الجلساء إلى عقل الوسيط . وتعليل الظواهر الوساطية بالتلباثى لا يصمد للنقد لاعتبارات كثيرة أوردنا بعضها فى الفصل السابق على لسان عالم النفس إرنستو بوزانو، ونضيف إليها هنا ما يلى : —

أولا : أن ظاهرة التلباثى، وهى من ظواهر الإدراك عن غير طريق الحواس ، إن كانت تشير إلى أمر له دلالته فى نطاق البحث الروحى فهو إلى استقلال الإدراك عن الحواس المادية ، وهو ما يدحض بذاته النظرية المادية عن الإنسان ، ويشير بذاته إلى «احتمال» بقاء الإدراك بعد تحلل هذه الحواس المادية بالوفاة ، وهو ما يتفق مع النظرية الروحية دون غيرها[1] .

ثانيا : أنه إذا صح علمياً إمكان انتقال الأفكار من عقل إنسان حى إلى عقل إنسان حى آخر بدون أية وسيلة مادية ، وعبر المسافات الشاسعة أحيانا ، فليس ثمت مطلقاً ما يمنع من انتقالها بنفس الكيفية من عقل قد تجرد من جسده المادى إلى عقل إنسان آخر لم يتجرد منه بعد ، وهذا هو ما يفسر الكثير من التفوهات الصحيحة من بعض وسطاء الغيبوبة عن أحداث ماضية قد تشير إلى أشخاص منتقلين معينين بالذات . فالتلباثى — على هذا الوضع — يثبت صحة بعض صور الوساطة الروحية ولا ينفيها، كما قد يثبت إمكان بقاء الوعى بعد انفصاله عن الجسد المادى .

ثالثاً : أن التلباثى لا يصلح مطلقاً لتعليل عدد ضخم من الظواهر

---

(١) راجع رأى الأستاذ ج . ب . راين عن نتائج بحوث جامعة ديوك بأمريكا التى سبقت الإشارة إليها فى ص ١٧٨ .

الوساطة المادية ، مثل تجسد الأرواح ، الذى سجله علماء كثيرون : منهم كروكس فى انجلترا وريشيه فى فرنسا وغيرهما (على ما وضحناه فى الفصلين الأول والثانى من الباب الحالى) — وظهور صورها وكتاباتها على الألواح الحساسة، وتحريك الأجسام الصلبة ، والصوت المباشر ، والعلاج الروحى ، والتنبؤات الصحيحة أحياناً عن المستقبل، والجلوبات والمأخوذات الروحية، التى سجل حدوثها علماء كثيرون مثل إرنستو بوزانو فى إيطاليا (على ما وضحناه فى الفصل الثالث) — إلى غير ذلك من الظواهر الفيزيقة والعقلية التى تتساند وتتكامل فى إثبات النظرية الروحية بجانب ظاهرة التلباثى ، دون أن يصح القول بأن التلباثى بمفرده يصلح لدحضها كلها، أو يصلح لتعليلها ، وبالتالى لنفى دلالتها المحتومة فى الإنباء عن بقاء الوعى بعد موت الجسد ، وهذه كلها سنعرض لها تفصيلا فى باقى فصول هذا الباب، بالإضافة إلى ما أوردناه منها عند الكلام فى بعض الوسطاء المعروفين[1] .

رابعاً : أن هناك عدداً من العلماء والباحثين حصل عن طريق بعض وسطاء التلباثى على معلومات لم يكن يعلمها أحد من الأحياء مطلقاً، بل كانت تشير إلى شخصيات معينة غادرت عالم المادة منذ زمن بعيد أو قريب وثبتت صحتها بطرق التحقيق المادى العادية . والأمثلة على ذلك كثيرة وحققها الباحثون فى أكثر من ميدان من ميادين هذا البحث العلمى الشاق .

ففى ميدان الأدب الروحى مثلا لم تصمد نظرية التلباثى على النقد العلمى حين صمدت النظرية الروحية . ولخطورة هذا الميدان بالذات خصصنا له فصلين كاملين فى آخر الباب الحالى . وفى ميدان تحقيق اللغات القديمة والمعلومات التاريخية التى ترجع إلى الماضى السحيق لم تصمد أيضاً نظرية التلباثى حين صمدت النظرية الروحية على النقد[2].

* * *

(١) راجع ما سبق فى ص ١٠٦ — ١٤٠ .

(٢) راجع فى هذا الشأن بوجه خاص مؤلف الدكتور فردريك وود الذى عنوانه « هذه المعجزة المصرية This Egyptian Miracle » (١٩٣٩) .

وراجع ما سبق فى ص ١١٣، ١١٤ عن الوسيط البرازيلى كارلو ميراميلى .

والمؤلفات التي تدور حول دراسة مدى إمكان تعليل بعض الظواهر الوساطية بالتلباثي كثيرة ، والبحوث شاقة ومتنوعة ، ومنها عدد عالج الموضوع بطريقة منظمة . ونشير على القارىء بنوع خاص ببحوث جون هتنجر التي أجراها « بالكلية الملكية بجامعة لندن » والتي ضمنها مؤلفاته التي أشرنا إليها في مناسبة سابقة[1] ، وخصوصاً أحدث مؤلفاته وهو « التلباثي والروحية . كما نضيف هنا مؤلفين آخرين : أولهما للأستاذ و . ف . نيش W. F. Neech وعنوانه « لم يكن بمقدور إنسان حي أن يعرف »[2] وقد ظهر في سنة ١٩٥٥ ، ويتضمن وقائع متعددة وردت عن طريق الوساطة الروحية لم يكن يعرفها أحد من الأحياء — في أية رقعة من الأرض — وهو ما ينفي تماماً إمكان التعليل بالتلباثي .

ومن ضمن هذه الوقائع يبين للقارىء كيف أمكن لأرواح رهبان « موتى » منذ مئات السنين أن توجه توجيهاً صحيحاً حفريات تقوم بها إحدى الهيئات العلمية للبحث عن آثار الدير الذي كانوا يقيمون فيه، بعد أن اندثرت معالمها تماماً . إلى غير ذلك من شتى البينات التي أوردها المؤلف بتفاصيلها كيما تنفي إمكان تعليل أمثال هذه الظواهر بالتلباثي .

والمؤلف الثاني الذي نشير به على القارىء — عنوانه « بينة ذات مغزى »[3] للأستاذ زويه ريتشموند Zoë Richmond ظهر في سنة ١٩٣٨ متضمناً عدة وقائع مأخوذة — من مضابط « جمعية البحث الروحي » بلندن وجريدتها، ويتعذر تعليلها بالتلباثي ، حين يمكن بسهولة تعليلها ببقاء الوعي الإنساني بعد موت الجسد المادي ، وباتصاله بعقل الوسيط أو الوسيطة بصورة ما .

وقيمة هذه المضابط ليس في أمانتها فحسب ، بل أيضاً في قيمة الجمعية التي

---

(١) راجع ما سبق ص ٢٢٥ ، ٢٢٦

(٢) No Living Person Could Have Known.

(٣) Evidence Of Purpose.

تصدرها، والتي تضم صفوة من علماء المادة والنفس في الجزر البريطانية تقوم ببحث هذا الموضوع وتمحيص وقائعه منذ أكثر من ثمانين عاماً تمحيصاً ناقداً جاداً، حتى أن أعمال هذه الجمعية تؤسس تدريجياً — وعلى أسس وطيدة — علم النفس الحديث على ما وصفها عدد من العلماء المعاصرين .

وهذه الهيئة لا تبحث — فحسب — موضوع الصلات بين عالمي الروح والمادة ، فهي ليست جمعية « تحضير أرواح » كما يتصورها البعض خطأ ، بل إنها جمعية للبحث الروحي بوجه عام كما سبق أن بينا، أو بالأدق جمعية للبحث في « الإنسان » في أضواء معملية جديدة بعيدة عن الارتباط مقدماً بأية فلسفة تسلم بالخلود أو تنكره . وهذه الطريقة العلمية المحايدة تضفي على أعمالها قيمة خاصة ، فإذا كانت أعمال هذه الهيئة العلمية الراقية قد انتهت إلى أن تجعل من الخلود حقيقة علمية، ومن الروح حقيقة معملية ، كان ذلك أقوى في الدلالة على ذلك من أي بحوث أخرى قد تجرى بطريقة متحيزة بعيدة عن روح العلم الصحيح . وهذه البحوث الدقيقة الخطيرة مسجلة في مضابطها وفي جريدتها[1] .

والوقائع — في هذه وتلك معاً — زاخرة بالأدلة على دوام الحياة بعد موت الجسد المادي نقدم منها عدداً محدوداً — لضيق المقام — ويجمع بينها أنه يتعذر تعليلها بنظرية التلباثي أي انتقال الأفكار بين الأحياء، حين يسهل تعليلها ببقاء الوعي بعد انفصاله عن الجسد المادي ، وبوجود صلات متعددة الصور بين عالمين احدهما منظور والآخر غير منظور . فإذا صح أن ثمت تلباثي في الموضوع فهو بين عقلين : أحدهما عقل الوسيط أو الوسيطة وثانيهما عقل كائن متجرد من جسده المنظور ، أي روح تواصل حياتها بصورة ما وفي رقعة ما من هذا الكون الفسيح، وقد رتبنا هذه الوقائع بحسب تواريخها :—

---

(١) راجع ما سبق عن هذه الجمعية في ص ١٩٦ إلى ص ٢٠٧ .

الواقعة الأولى : شبح يظهر تلقائياً Spontaneous Apparition

عن مضابط « جمعية البحث الروحي » S. P. R. Proceedings (المجلد الثانى عشر ص ١١٦ بتاريخ ١٠ يونيه سنة ١٨٩٥) : فيما يلى تقرير عن شبح رآه السيد فنسنت إيدانويز Vincent Idanowicz بمدينة كريزيلوكا بمقاطعة جاجزين بودوليا بروسيا : « فى العاشر من نوفمبر سنة ١٨٩٤ ذهب السيد إيدانويز إلى جاجزين Gajsin كيما يوصى بعمل معطف من الفراء عند ترزى يدعى إزلوما سيوروتا I.Sierota فعرض عليه معطفاً يكاد يكون جديداً ، واقنعه بشرائه بمبلغ خمسة وأربعين روبل بعد أن عرفه بأنه كان قد اشتراه من شخص يدعى لاسوتا Lassota ....

ولما نام السيد إيدانويز نوماً عميقاً فى منزله أيقظه فى الليل « رجل » بملابس سوداء ، ولم يخف منه لكنه تعجب أن يرى شخصاً لا يعرفه ولم يره من قبل بالإضافة إلى تأكده من أن الغرفة محكمة الإغلاق. فسأل القادم الغريب « من أنت وماذا تريد » فأجاب الشبح « اسمى ويزنيسكوسكى Wiszniecoski وأنصحك أن تعيد بأسرع ما يمكن معطف الفراء الذى إشتريته من سيوروتا بمبلغ خمسة وأربعين روبل لأنه ليس ملكاً له ، بل هو ملك قاضٍ مات أخيراً بمرض السل الرئوى، والمعطف ملوث بجراثيم هذا المرض . ولما اختفى الشبح قام السيد إيدانويز ليرى كيف خرج فوجد الباب محكم الإغلاق فظن أن ما رآه مجرد حلم أو هلوسة ، ولا سيما أن شقيقه الذى استيقظ فيما بعد لم يرَ ولم يسمع شيئاً قط، بل سخر منه عندما سمع قصته .

ثم عاد السيد إيدانويز إلى فراشه ، وفى اليوم الثانى ذهب إلى عمله كالمعتاد ولم يخبر أحداً بما حدث فى الليلة الماضية . وفى الليلة التالية ذهب الشقيقان إلى فراشيهما ولكنهما لم يتمكنا من النوم فبقيا يتحدثان عن أعمالهما ... وفجأة سمعا معاً خطوات تقترب من غرفتهما ولاحظا أن الباب الذى كان محكم الإغلاق ينفتح، ولشدة دهشتهما رأيا رجلا فى ثياب سوداء يدخل ويقول

لها « إنكما مستيقظان كلاكما فلا داعى لأن تقول يا سيد فنسنت أن ظهورى بالأمس كان مجرد هلوسة إنى حضرت الليلة كيما أكرر القول بأن نذهب غداً وتطلب من السيد كرونهلم Kronhilm بأن يسمح لك بأن نذهب إلى جاجزين Gajsin وتعيد الفراء إلى السيد إيزلوما سيوروتا، الذى قرر لك أنه ملك شخص يدعى السيد لاسوتا، حين أؤكد لك أنه كان ملكاً لقاض توفى بمرض السل الرئوى وأنه ملوث بجراثيم ذلك المرض . أما عن شخصيتى فإنى كنت موظفاً حكومياً بمدينة ليبوفيتش Lipowice بمقاطعة كييف Kieff ثم مت فى سنة ١٨٩٢ ، ولكن بما أن رسالتى هى حراستك فإنى أحذرك مما قد يحدث لو لم تتبع نصيحتى » ثم اختفى الشبح .

ثم يقول صاحب هذا التقرير بعد أن سمع القصة من السيد فنسنت إيدانوين ومن شقيقه أنه رافقهما بنفسه إلى جاجزين كيما يتحقق من صحة رسالة « الملاك الحارس » وهناك أصر السيد سيوروتا على أنه اشترى هذا المعطف من السيد لاسوتا كما سبق أن قال، فتوجه صاحب التقرير إلى قاضى المدينة فأخبره بأن سلفه كان قد مات فعلا بمرض السل الرئوى ، ولكنه لا يعرف شيئاً عن ملابسه التى تسلمها أقاربه فيما يعتقد، ونصحه بأن يتصل بتاجر للملابس المستعملة يدعى بوراك فونكونوجى Boruch Fonkonogi فقال له إنه فعلا اشترى جميع ملابس القاضى المتوفى فيما عدا المعطف (وكان من الفراء) فقد اشتراه السيد إيزلوما سيوروتا . وإذ عرضناه عليه أكد أنه هو بالذات المعطف الذى شاهده فى مخلفات هذا القاضى ولم يتوصل إلى الحصول عليه »

هذا ماثبت فى مضابط الجمعية ، ويلى ذلك تعليق الأستاذ زويه ريتشموند صاحب المؤلف المشار إليه آنفا . «هذا الشبح يجابهنا بنقطة جديدة دقيقة، إذ أن الشخص الذى رآه لم تكن لديه أية فكرة عنه ، وكان من الممكن نسيان الحادث على أنه مجرد هلوسة لو لم يتكرر حدوثه ثانية أمام شاهد عيان آخر . لذلك فإنه من العسير جداً تفسيره على أساس من التلباثى Telepathic basis وأبسط تفسير هو قبوله على علاته ، إلا إذا قدرنا أن

الوقائع كانت معروفة لدى العقل الأسمى Super-Concious mind للشخص صاحب الرؤية ، وأنه لم يكن بوسعه الوصول إليها إلا على هذا النحو . . .

ومما يؤسف له أن التاريخ لم يسجل ما إذا كان يوجد فعلا موظف حكومى بذلك الاسم توفى فى مدينة ليبوفيتشى Lipowice فى التاريخ الذى حدده أم لا ، وحتى إذا وضحت هذه النقطة فسيكون علينا أن نعلم لمَ أعطى مهمة حراسة السيد فلسنت . . .

* * *

الواقعة الثانية : (عن مضابط « جمعية البحث الروحى » المجلد الواحد والثلاثين ص ٢٥٣) : نظمت السيدة بيدون Beadon جلستين روحيتين للسيدة للى تالبوت Lily Talbot مع الوسيطة السيدة ليونارد ، الأولى منهما فى الساعة الخامسة من بعد ظهر يوم السبت ١٧ مارس سنة ١٩١٧ والثانية فى يوم الإثنين ١٩ منه . ولم تكن السيدة ليونارد تعرف اسم السيدة تالبوت ولا عنوانها ولم يسبق لها رؤيتها .

وفى يوم الإثنين أعطت الروح المهيمنة واسمها فدى Feda وصفاً صحيحاً للغاية لشكل زوجها المتوفى ، وكان زوجها يحاول ـ كما قالت ـ أن يثبت لها شخصيته وأن يؤكد لها أنه هو بعينه ، إلى حد أنها اقتنعت تماماً بذلك . وقد ذكر لها على لسان الروح «فدى» حوادث من الماضى لم تكن معروفة لأحد غيرهما وأشار إلى ممتلكات خاصة قليلة الأهمية، ولكن كان لها إعزاز خاص عنده . . .

وفجأة بدأت فدى تصف كتاباً معيناً قائلة إنه مصنوع من الجلد غامق اللون يتراوح طوله بين ثمانى وعشر بوصات وعرضه بين أربع وخمس بوصات،وأنه ليس مطبوعاً . فتذكرت الجليسة مفكرة جلدية حمراء اللون تخص زوجها المتوفى وكان يسميها «دفتر الأحوال» . فطلبت الروح المهيمنة منها أن تفتح صفحة ١٢ أو ١٣ منه ، إذ أن زوجها يسر جداً لو وجدت الفقرة المطلوبة هناك ، وأخذت تشدد عليها فى الاهتمام بذلك .

ثم أضافت قائلة إن زوجها غير متأكد من اللون فإنه لا يذكره فهناك كتابان « ولكن ستعرفين الكتاب المطلوب برسم بيانى للغات على غلافه » ، وتلا ذلك ذكر سلسلة من الكلمات المتعاقبة من لغات الهندو — أوروبيين والآريين والساميين وغيرها وكررتها مراراً كثيرة ثم قالت « هناك أيضاً سطور غير مستقيمة تمتد من الوسط إلى الجانبين » . ثم قالت « إن هناك جداول للغات العربية والسامية » ثم أكدت الروح المهيمنة على الوسيطة من جديد قائلة للجليسة « انظرى الصفحة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة بعد هذه المحادثة ، فهناك شىء يهمه جداً ويريد أن تعديه بتحقيق طلبه » .

وتقول السيدة ليلى تالبوت إنها فى اليوم التالى بحثت فى منزلها فوجدت دفتراً لزوجها لم تتصفحه من قبل ، لون غلافه من الجلد الأسود الكالح يطابق حجمه الحجم الذى حددته الوسيطة ، فوجدت فيه ورقة عبارة عن جدول عام للغات الآرية والهندو — أوروبية ، ومطابق للوصف الذى أعطته الروح المهيمنة فدى ولم تكن تعرف عنه شيئاً .

كما وجدت فى الصفحه ١٢ ما يلى من مذكرات زوجها المتوفى : —

« اتضح لى من همسات معينة خيل لقائليها بأنى لا أسمعها ومن نظرات حب استطلاع غريبة تراءى لأصحابها بأنى لا أراها بأنى على وشك الموت » .

وفى الحال بدأ عقلى يشعر بسعادة ليست على وشك الوقوع بل هى حقيقة واقعة ، فقد رأيت أشباحا كنت قد نسيت أشكالها ، منها أصدقاء طفولة وزملاء مدرسة . وأصدقاء لى من أيام شبابى وشيخوختى رأيتهم جميعهم يبتسمون لى ، ولم تكن ابتساماتهم ابتسامات شفقة لم أكن أشعر بالحاجة إليها ، بل كانت نظرات حنان متبادلة بين أشخاص ينعمون بنفس السعادة .

لقد رأيت والدتى ووالدى وشقيقاتى الذين سبقونى فى الموت . إنهم لم يكلمونى بل شملونى بعطفهم الذى لم يتغير ، وقرب الوقت الذى ظهروا فيه إلى بدأت أحدد حقيقة موضع جسدى ، أى جاهدت أن أربط بين روحى وجسدى الذى كان يرقد على السرير فى منزلى ، وفشلت المحاولة .

أما عن الرسم البيانى فقد تبين أن به خطوطاً تمتد من الوسط إلى الخارج كما ذكرت الروح المهيمنة » .

هذا ما ثبت بمضابط «جمعية البحث الروحى» بلندن، ويلاحظ أن جميع الوقائع التى ذكرتها الوسيطة للسيدة ليلى تالبوت ، لم تكن معلومة منها ، ولا من أحد من الحاضرين . وقد ثبتت صحتها فيما بعد ، مما تعجز تماماً عن تعليله نظرية انتقال الأفكار أو التلباثى .

والنظرية الروحية تعلل مثل هذه الوقائع الثابتة تعليلا كافياً . فروح زوجها وحدها كانت تعلم هذه الوقائع وقد أرادت أن تثبت شخصيتها بأدلة لا تدحض ، كما كان الزوج المنتقل حريصاً على أن تقرأ زوجته ما سطره لنفسه بنفسه عن الرؤيا التى رآها قبيل انتقاله بأيام ، والتى كتبها فى « دفتر أحواله » كعادته فى كتابة مذكراته اليومية، ثم تذكرها بعد انتقاله إلى هناك، فأراد من زوجته أن تطلع عليها حتى تطمئن وتتعزى بعد افتراقهما بالاقتناع بأن الموت مجرد انتقال للإنسان من حياة إلى حياة أخرى أكثر منها سعادة .

* * *

الواقعة الثالثة (عن مضابط « جمعية البحث الروحى » المجلد السادس والثلاثين ص ٣٠٧) : أرسلت الوسيطة السيدة ليونارد إلى السيدة كاتى داوسن سميث Katie Dawson Smith خطاباً تقول لها فيه «أبلغتنى فدى (روحها المهيمنة) أن زوجك (المتوفى) يقول لك هل معك مفتاحى الصغير؟ إنك كنت ممسكة به فى المرة السابقة ، وأنك عندما كنت تتحركين هنا وهناك كنت تمسكين به . وكان هناك « كيس » قديم ولكن أرجو أن تجديه بأية حالة كان قديماً ممزقاً متسخاً ، مندساً بين أشياء كثيرة . هو يعرف أنه فى حوزتك ويرجو أن تجديه . إنه يدعوه « كعب إيصال» ففتشى عنه ، فإن ذلك يهمه جداً ويعلم جيداً أنه معك وهو بجوار ورقة مغلقة طويلة . وقد لاحظت ذلك عفواً وهو يقول إنه مهم جداً .

وبعد إرسال نتيجة الجلسة إلى سير أوليفر لودج بتاريخ ١٥ يناير

سنة ١٩٢١ أكدت مسز داوسن سميث بأن المعلومات صحيحة . وبعد مضى أربع سنوات ظهرت أهمية الواقعة فضلا عن صحتها، فحررت إلى سير أوليفر لودج خطابا بتاريخ ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٢٤ ملخصه أنها تلقت خطاباً من مكتب تصفية ديون الأعداء يطالبها فيه بمبلغ مستحق على زوجها المتوفى لحساب مؤسسة هامبورج منذ يوليةسنة ١٩١٤ قبل الحرب العالمية أى الأولى.

وكانت تعلم جيدا أن زوجها سدد هذا المبلغ قبل وفاته، ولكن لم يكن لديها الدليل المادى على ذلك ، وعندئذ تذكرت رسالة روح زوجها إليها عن طريق الوسيطة ليونارد منذ أربع سنوات ، فلما بحثت عن الكعب القديم تبين لها أنه يحوى كعب الإيصال المطلوب والذى يفيد السداد، وفعلا أقر محاسب المؤسسة بسبق حصول السداد وأرسل إليها اعتذاره لإزعاجها، وتأكيده بأن الموضوع أصبح منتهياً .

وجلى أن المكان الذى كان الزوج المتوفى يضع فيه إيصال السداد لم يكن أحد يعرفه على الإطلاق من الأحياء ، فلا محل للقول بأن الوسيطة عرفته عن طريق التلباثى . هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنه وقت ورود الرسالة الأولى من روح الزوج فى سنة ١٩٢١ لم يكن أحد يتوقع هذه المطالبة غير المنتظرة من مكتب تصفية ديون الأعداء، ولم يطلب أحد من الوسيطة ولا من الروح المهيمنة شيئاً فى هذا الصدد، بل وردت هذه الرسالة من تلقاء نفسها ، ثم ظهرت خطورة الموضوع بعد حوالى أربع سنوات من ورود هذه الرسالة ، ولذلك كله أهميته البالغة فى نفى إمكان تعليل مثل هذه الواقعة بالتلباثى .

* * *

الواقعة الرابعة رسائل تظهر التصميم بطرق وساطية معترف بها

(عن جريدة «جمعية البحث الروحى» S. P. R. Journal المجلد السادس والعشرين ص ١) . كتبت السيدة نيا ووكر Nea Walker قائلة : فى شهر أغسطس من هذه السنة (١٩٢٩) وصلنى خطاب من الوسيطة السيدة ليونارد Leonard تخبرنى فيه عن كارثة صغيرة ألمت بها وتعزو حدوثها إلى أنها لم تعر التفاتاً إلى تحذير وصلها من فدى Feda (روحها المهيمنة) . والتحذير كما يحدث

غالباً كان فى صورة أمر بألا تفعل شيئاً معيناً ، وهو عقد جلساتها فى غرفتها المعتادة. وبما أن السيدة ليونارد لم تفهم مبررات هذا التحذير فقد تجاهلته.. ونظراً لمعرفة سير أوليفر لودج بالوسيطة رؤى تسجيل هذه الرسالة بالكتابة.

وبتاريخ ١٧ أغسطس من سنة ١٩٢٩ أثناء عقد الجلسة الروحية انشق بياض سقف الغرفة وسقط جزء منه يزيد محيطه على ستة أقدام كما تشقق تماماً بياض باقى السقف ، وكانت طرقعة السقف قوية تشبه الانفجار ، ومع ذلك ظلت الروح المهيمنة « فدى » تدمدم بهدوء أثناء الجلسة قائلة « لا بأس لا بأس ، كل شىء على مايرام» . ولحسن الحظ لم يصب أحد بسوء سوى كاتبة الجلسة التى أصيبت فى رأسها إصابة نرجو ألا تكون خطيرة ...

وفى هذه الواقعة لم يكن أى إنسان يعلم بوجود خلل فى بياض السقف من قبل ، وهو مايجعل تفسير هذه الحادثة بالتلباثى أمراً متعذراً . . .

* * *

خامساً : سلسلة من وقائع أخرى

ثمت نوع آخر من براهين « التصميم أو التأكيد » يثبت صحة الوساطة الروحية وتعجز نظرية التلباثى عن تعليله ، وذلك عند مايسرد الوسيط معلومات متعددة لا تكون معروفة إلا لشخص الميت ، ولا يعلم أحد من الأحياء عنها شيئاً أو يعلم منها قدراً يسيراً ، أو يعلم عدد من الأحياء أجزاء متفرقة منها . فإذا كان هناك من يزعم أن الوسيط جمع هذه المعلومات المتفرقة من عدة عقول أشخاص أحياء فعلينا أن نزن هذه المعلومات ونقدر ما إذا كانت تطابق الأمر المعروض علينا أم لا . فمثلا إذا تمكن الوسيط أن يجمع معلومات منوعة من عقول ا ، ب ، حـ ، د ، جاعلا منها مجموعة واحدة غير معروفة بأكملها لدى أى واحد من هؤلاء الأفراد الأربعة ، فهناك نقطة ينبغى إيضاحها وهى ما إذا كانت هذه المعلومات كلها معروفة كمجموعة لدى شخص خامس أم لا ؟[1]

---

(١) إن البرهان ينبغى هنا أن يكون برهاناً لحقيقة الشخص المتحدث وبرهاناً للوقائع ، كما ينبغى أن يشتمل على أمثلة عديدة لوقائع متشابهة .

ويستشهد الأستاذ زويه ريتشموند فى مؤلفه الآنف الإشارة إليه بأمثلة متعددة جمعتها السيدة ا. و. فيرال A. W. Verrall فى كتاب لها عنوانه «ظواهر الغيبوبة عند السيدة طومسون فى مضابط جمعية البحث الروحى[1]».

ومن هذا الاستشهاد يقدم ريتشموند خمسة أنواع من المعلومات، كتبت عنها السيدة فيرال Verrall تقول: «إن الحالات الخمس التالية متقاربة والمعلومات التى تحويها أمكن إيصالها إلى الحواس بواسطة قريب متوف للوسيطة»

والمعلومات التى وصلت أولا فى إحدى الجلسات كانت متناثرة وغير متناسقة حتى صعب تفسيرها، لهذا أعيدت تلاوة جميع المعلومات التى جمعت فى هذه الجلسة جملة جملة فى جلسة ثانية، وكانت نيللى Nelly (الروح المهيمنة) تقرر بعد كل مقطع ما إذا كانت هذه الجملة صحيحة أم لا، وعما تشير إليه. وبذلك تمكنا من الاستدلال على معانى الأقوال الصادرة من الوسيطة التى كانت فى غيبوبة، وبعضها كان معروفاً إلى السيدة «ا» الجليسة التى قررت أنه حقيقى وبعضها كان غير معروف لديها، وكان عدد الوقائع ستاً، واحدة منها بدت غير صحيحة من أصلها والخمس الأخريات نسردها فيما يلى: —

(١) ذكرت الوسيطه أن للسيد «ا» قريبة كبيرة السن وسيدة نادرة فى مقدرة شغل «التريكو»، وأن هذه السيدة اعتادت أن تحمل دائماً سلة مستديرة الشكل لشغل «التريكو» وكان يحتوى على ربطة لزينة رأسها يمكنك أن تسميها «طاقية» (top - knot) ولقد كانت السيدة «ا» على صلة وثيقة بقريبة لزوجها كبيرة السن اشتهرت بأشغال «التريكو»، ولكن لم ترها قط تحمل شيئاً لشغل «التريكو» أو أى شىء آخر لغطاء الرأس حفظته فى سلة ما. والسيد «ا» لم يتمكن من أن يفسر لنا شيئاً أكثر بخصوص هذه الواقعة، ولكن شقيقات السيد «ا» عند سماعهن هذه الواقعة ذكرن أن تلك القريبة كان شعرها خفيفاً عندما بلغت وسط العمر، وأنها قبل أن تعرفها السيدة «ا» بغطاء الرأس المألوف عندها كانت تلبس شبكة شعر

(١) The Trance Phenomena Of Mrs. Thompson In S. P. R. Proceedings.

سوداء على رأسها ، وكانت قريباتها الشابات يطلقن على هذا الغطاء اسم « الطاقية » وكانت تحملها فى سلة مستديرة الشكل « للتريكو » .

(٢) ذكرت الوسيطة أن والدة السيد « ا » المتوفية كانت على صلة بزوجة ضابط بحرى متقاعد « ويمكنك التأكد من هذه الواقعة » . ولقد كان من المعروف للسيدة وللسيد « ا » أن والدة السيد « ا » لم يكن لها إلا أصدقاء قليلون مقربون لها ، ومن بينهم كانت السيدة « س » التى لم تعرف السيدة « ا » شيئاً عن وظيفة زوجها ، إذ أن السيدة « س » كانت أرملة عند ماتعرفت بها السيدة « ا » وأضاف السيد « ا » قائلا بأن الزوج كان يدعى القبطان « س » ولكنه كان يظن أنه ضابط فى الجيش ، ولكن شقيقات السيد « ا » عرّفنَ بأنه كان قبطاناً فى البحرية واستقال من عمله قبل أن يتزوج ، وأضفن إلى ذلك بأن قلن بأن أرملة القبطان « س » كانت هى السيدة الوحيدة خارج أفراد العائلة التى زارت أمهن أثناء مرضها الأخير .

(٣) ذكرت الوسيطة أن والدة السيد « ا » كانت ترتدى « شالا » من الصوف الأبيض وبأن « الشال » لايزال فى منزل زوجها « إنه هنا فى بيتك يا مسز « ا » وليس فى المنزل الآخر » . ومن الغريب أن السيد والسيدة « ا » كليهما لم يتذكرا البتة أى شىء عن ذلك «الشال» بل أن السيدة « ا » أكدت بأنها لم ترَ مطلقاً حماتها تلبس «شالا » من الصوف الأبيض ، ولكن كريماتها أكدن أن والدتهن كانت تلبس فى المساء « شالا » من الصوف الأبيض عند ما كن أطفالا وقبل أن يتعرف شقيقهن بزوجته ، و«الشال» لايزال فى منزل الزوج . وبما أن « الشال » كانت له ذكريات خاصة لكريمات المتوفاة فقد احتفظن به . وربما تثار نقطة جدل بأن يقال بأن سيدة أخرى فى مثل عمر والدة السيدة « ا » كانت تلبس « شالا » من الصوف الأبيض أيضاً ، ولكن بالطبع لايمكن أن يقال إن « شالا » كهذا لايزال فى منزل السيدة الأخيرة .

(٤) ذكرت الوسيطة أن هذه السيدة نفسها كانت تربط هذا «الشال» بدبوس «بروش» أعطى وصفه بالتفصيل ، فقيل بأن البروش كان يشبه فى طوله «بروش» آخر كانت تلبسه السيدة طومسون فى ذلك الوقت ، ولكنه لايوازيه فى الارتفاع «إنه كان طويلا ويحليه شغل ذهبي حوله وضفائر من الشعر خلفه». وطُلب من السيدة «ا» بأن تسأل «السيدة البدينة» عن ذلك «البروش» ، ولكن السيدة «ا» لم تعلم شيئاً عن هذا «البروش» حين كانت تعلم عن «بروشين» آخرين لا ينطبق عليهما هذا الوصف .

ولكن كريماتها ذكرن أنه كان هناك «بروش» ينطبق عليه تماماً هذا الوصف، إلا أنه لم تكن به ضفائر الشعر من الخلف، وكان «الفص» مصنوعاً من حجر الياقوت الأخضر وكانت تلبسه والدتهن عند ما كن أطفالا ، كما أن شقيقتهن الكبرى لبسته من ثلاثين سنة ، وسألت السيدة «ا» ماذا سيتم بخصوص الاقتراح الخاص بسؤال «السيدة البدينة» عن «البروش». وقد كانت تظن أنها تعنى بالسيدة «الأكثر بدانة» الشقيقة الصغرى التى كانت فى الحقيقة أنحف من شقيقاتها ، وبدا أنه ليست لها أية علاقة «بالبروش» .

ولكن اتضح لها أخيراً أن «البروش» كان مع قطع ذهبية أخرى من المصوغات كانت محفوظة فى درج غرفتها منذ وفاة والدتها . وتحت هذه العوامل سألت السيدة «ا» السيدة الأكثر بدانة عن «البروش» وبالبحث عُثر عليه محفوظاً كما كان منذ أن وضع منذ ست أو سبع سنوات ، ووجد أنه محلى بضفيرتين مختلفتين من الشعر الأسود والرمادى، وكان حجر الياقوت الأخضر اللامع مركباً على قطعة من المعدن وكان يبدو براقاً .

(٥) قررت الوسيطة أن والدة السيدة «ا» كانت سيدة ميالة للتنسيق والنظام ولذا احتفظت بدفتر إيصالات لايزال موجوداً بمنزل زوجها ، وكان به إيصال خاص بجانب إيصالات المصروفات اليومية هو إيصال دواء لدهان

الشعر والبشرة ، وكانت السيدة « ا » تعرف أن حماتها تملك مثل هذا الدفتر ولكن لا تعلم شيئاً عن محتوياته ، وكان السيد « ا » وشقيقاته يعلمون عنه كذلك ، وأكدوا أن والدتهم استعملت نفس الكلمة التى قالتها الوسيطة اسماً لدواء الشعر ، ولكنهم لم يعلموا شيئاً عن ذلك الإيصال .

وقد عثر على الدفتر وكان مكتوباً عليه من الجهتين ، وكان له كذلك فهرست ، ولكن لم توجد فى الفهرست أية إشارة عن إيصال دهان الشعر ، ولكن لما لمسته الشقيقات من صحة معلومات السيدة طومسون الخاصة « بالبروش » أعدن التفتيش بدقة فى دفتر الإيصالات للعثور على إيصال دهان الشعر المذكور ، وأخيراً وجدن أن الإيصالات الخمسة الأخيرة لم تدون فى الفهرست ، وكان من بينها إيصال من أحد الأطباء لدهان الشعر . وكان من المؤكد أن دفتر الإيصالات هذا لم يخرج من بيت صاحبته إطلاقاً ، كما أن السيدة طومسون لم تدخل عتبة هذا المنزل . وكان الإيصال فى وسط الدفتر ، ولكن كان من الصعب لأى شخص تعليل السبب فى عدم إدراج هذا الإيصال فى الفهرست ، حتى أولئك الذين سمح لهم وقتهم بالبحث فى هذا الشأن .

* * *

وفى هذه الوقائع يلاحظ الأستاذ ريتشموند أن ثمت نقاطاً متشابهة وأخرى مختلفة ، فجميع الحالات تتفق فيما يلى :

أولاً : أن المعلومات لم تكن معروفة على الإطلاق للجليسة السيدة « ا » .

ثانياً : من المؤكد أيضاً أن هذه المعلومات لم تكن معروفة فى العقل الواعى للجليس الثانى السيد « ا » .

ثالثاً : من المؤكد أن المعلومات كانت معروفة لتلك السيدة المتوفاة ، ومنها حصلت نيللى (الروح المهيمنة على الوسيطة) على تلك المعلومات . وفى الحالتين ١ و ٢ : من المرجح أن السيد « ا » كان يعلم بطريقة ما شيئاً

عن غطاء الرأس ، وعن وظيفة القبطان « س » ، كما بدا أنه كان قد رأى « الشال » الأبيض من الصوف .

وفى الحالة الثالثة : لم يكن يعلم أن « الشال » لايزال موجوداً للآن .

وفى الحالة الرابعة : إذا كان قد رأى « البروش » وهو طفل فإنه لم يكن يعلم حينذاك شيئاً عن ضفائر الشعر السوداء التى خلف « البروش » ، ومن المؤكد أنه لم يكن يعلم أنه فى حيازة شقيقته الصغرى .

وفى الحالة الخامسة : لم يكن السيد « ا » عالماً بوجود دفتر الإيصالات ، أو يمكن التأكيد أنه لم يطلع عليها ، وأكثر المعلومات كانت معروفة لأشخاص آخرين أحياء .

وإذا كان يمكن إيصال هذه المعلومات بطريقة ما من الأحياء إلى الوسيطة كانت هذه الطريقة بحاجة إلى إثبات . وهؤلاء الأحياء لم يكونوا معروفين للسيدة طومسون ، وهم شخصياً لم يكونوا عالمين أن هناك إشارة قد عملت إلى أقاربهم أو أصدقائهم حتى تتجه خواطرهم نحو ذكريات أقاربهم المتوفين ، علاوة على أن المعلومات لم تكن معروفة بأكملها إلى هؤلاء الأشخاص الأحياء البعيدين ، والشخص الوحيد الذى كان على علم بها كلها هو السيدة المتوفاة نفسها وإذا كانت الاختبارات التى من هذا القبيل كثيرة بهذا الشكل ، فإنه من الصعب ألا نستنتج بأن مصدر المعرفة هو بالأحرى فى وعى الشخص المتوفى الواحد الذى يعرف كل المعلومات بدلا من أن يكون موزعا على وعى إناس كثيرين . . .

* * *

وفى باقى فصول هذا الباب — السابقة واللاحقة — ماينفى تماماً إمكان تعليل أى من الظواهر الوساطية الصحيحة بالتلباثى ، خصوصاً منها الظواهر الفيزيقية ، وأخطرها إطلاقاً ظاهرة تجسد الأرواح التى عرضنا لها فى الفصلين الأول والثانى ، وظاهرة الصوت المباشر وغيره من الظواهر التى عرضنا لها فى الفصل الثالث ، ثم ظاهرة العلاج الروحى التى سنعرض لها فى الفصل المقبل ، ثم باقى الظواهر العلمية والأدبية الحاسمة التى ستتعاقب تباعاً فيما بعد .

الفصل الخامس

مارشال الطيران لورد دودنج

يصبح من أقطاب الروحية الحديثة

يعد مارشال الطيران لورد دودنج Lord Dowding من ألمع الأسماء في تاريخ بريطانيا الحربي ، فقد قاد بمهارة المعارك الجوية خلال الحرب العالمية الثانية ، ويسند إليه البريطانيون فضل إنقاذ بلادهم من الغارات الجوية ، ومن الغزو الذي كان يتهددها بشكل مباشر في عامي ١٩٤٠ ، ١٩٤١ من جانب الأسطول الجوي الألماني وهو في عنفوان جبروته . وعندما يذكرون فضل قائدهم دريك Drake الذي أغرق أسطول الأرمادا ، وفضل نلسون الذي أغرق أسطول نابليون ، فإنهم يذكرون بنفس المقدار فضل المارشال لورد دودنج هذا .

فمن يصدق أن هذا القائد الكبير يجد من مشاغله وقتاً كافياً ليبحث فيه موضوع الأرواح ، كيما يواصل اتصالاته بها أثناء الحرب ، وتحت وابل من القنابل المتساقطة في كل مكان ؟ . . نعم لقد حدث هذا بالفعل وأكده بنفسه في مؤلفاته التي ظهر أولها في سبتمبر سنة١٩٤٥ ، أي في أعقاب الهدنة مباشرة تحت عنوان « بوابة الجثث »[1]،وظهر ثانيها بعده بفترةوجيزة تحت عنوان «منازل كثيرة»[2]، ثم ظهر له مؤلف ثالث تحت عنوان « الكوكب المظلم »[3] ، ورابع تحت عنوان « سحر الآلهة »[4] .

وفي هذه المؤلفات يعرض دودنج خلاصة تجاربه التي واصلها لمدى سنين طويلة ، وعندما كان من أهدافه الرئيسية محاولة الاتصال بأرواح ضباطه وجنوده من قتلى الطيارين في الحرب العالمية الماضية ، ويقول إنه قد اتصل

---

(١) Lychgate.

(٢) Many Mansions.

(٣) The Dark Star.

(٤) Gods' Magic.

بعدد منهم فعلا وحصل على معلومات قيمة كثيرة أفادته فى توجيه دفة المعركة ، التى كانت بالنسبة لبلاده معركة بقاء أو فناء .

كما يقول فى الفصل الأول من كتاب « بوابة الجنث » إنه قد حصل على يقين كامل لا يمكن أن يزعزعه شيء، وإن من بين أسباب يقينه أنه على اتصال مستمر بروح زوجته وعدد من أقاربه وأصدقائه ممن انتقلوا إلى المرحلة التالية من الحياة، وأنه بالإضافة إلى ذلك قد اكتسب أصدقاء جدداً من عالم الروح لم يشاهدهم من قبل على الأرض ويعتبرهم من أعز معارفه وأوثقهم صلة ! .

وكان اقتناعه من البينات التى حصل عليها تاماً إلى حد دفعه لأن يكرس بقية حياته لهذا البحث ، فيصبح من أشهر أقطابه الأحياء ، وإلى حد أنه منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وهو يحاضر فى هذا الموضوع من حين إلى آخر فى الإذاعة البريطانية . كما أخذ يعقد الجلسات العامة للاتصال بالأرواح فى قاعة من أكبر قاعات لندن وهى كنجزواى هول ابتداء من يونيه سنة ١٩٤٦ وكان الوسيط الروحى فيها هو ازلى فلنت Leslie Flint وسيط الصوت المباشر ، وفى حضوره يسمع فى كل جلسة عدد من الحاضرين أصوات طائفة من معارفهم ممن سبقوهم إلى عالم الروح تخاطبهم بصوتها المباشر خلال الميكروفون، وتتعاقب عليه فى سرعة عجيبـــة، فتتعاقب معها الأصوات واللغات واللهجات ، وتدلى كل منها بمعلومات خاصة لا يعلمها إلا بعض أقارب الروح من الموجودين. وتدون محاضر دقيقة لهذه الجلسات تنشر فى المجلات الروحية المعروفة مثل «السايكك نيوز» و «السايكك أوبزرفر»



لورد دودنج

وغيرها . . . فهل تفضل أحد من السادة المعارضين بالاطلاع عليها قبل التصدى بالمعارضة ؟ ... وهل لأحد منهم تعليل مقبول يقدمه لدحض هذه الظواهر يضاهى فى قيمته التعليل الروحى ؟ . . .

ومن ضمن الوساطات الروحية التى امتحنها لورد دودنج وتحقق منها بنفسه وساطة العلاج الروحى ، وقد تعرض لها فى الفصل الثامن من مؤلفه « بوابة الجثث » مبيناً السبل المختلفة التى يتم بها هذا العلاج ، وذاكراً أن الأرواح تعالج المرضى بأساليب متعددة وهى :

أولاً : شفاء عن طريق صلاة المريض وابتهاله إلى الله تعالى ، وهو أسمى صور العلاج الروحى ، وقد شاهد ذوو الجلاء البصرى فى جلساته وسائل غير منظورة تمتد لمعاونة جهود المصلين .

ثانياً : أرواح تتولى تشخيص المرض مستخدمة إشعاعات سينية (أشعة إكس X) تمكن الوسيط من رؤية موطن الإصابة أو الداء ووصفه للطبيب البشرى المعالج .

ثالثاً : أرواح تشخص المرض مباشرة ثم تترك العــــلاج للطب البشرى العادى .

رابعاً : أرواح تشخص المرض ثم يتولى الوسيط العلاج بلمسات بالأيدى أو بحركات أخرى منه .

خامساً : أرواح تشخص المرض ثم تعطى وصفة علاجية من الصيدلية .

سادساً : أرواح تشخص المرض ثم تتولى هى العلاج بالأضواء والألوان .

سابعاً . علاج غيابى يتم بعلم المريض والطبيب المعالج أو بدون علمهما .

ثامناً : علاج غيابى يزور الوسيط فيه المريض وهو فى جسده الأثيرى .

تاسعاً : علاج عن طريق مياه محملة بسيالات روحية spiritually charged waters كما يحدث فى قرية لورد (مزار فرنسى بجهة جبال البرانس حدثت فيه — ولا تزال تحدث — معجزات علاجية كثيرة سجلتها عدة لجان من الأطباء الكبار فى تقارير رسمية) .

عاشراً : علاج تتولاه أيد متجسدة لأرواح بأجهزة طبية بشرية (وسنقدم نماذج منه فى الفصل المقبل) .

حادى عشر : علاج مغناطيسى يختفى فيه العنصر الروحى فى الظاهر فقط لا فى الواقع .

ويعقب المؤلف على ذلك قائلا : لو أنى كنت طبيباً بشرياً لأخذنى الذعر عند قراءة هذا الكلام ، ولتذكرت حكاية طبيب معالج تلقى طلباً بالتليفون وهو يتناول طعامه فقام مندفعاً يرتدى معطفه فسألته زوجته عن الخبر فأجابها « إن السيدة جونز تطلبنى لأن ابنها الصبى جرح إصبعه » فلما أرادت أن تستمهله حتى يتم طعامه بحجة أن الحالة ليست عاجلة أجابها « كلا لا يمكننى الانتظار يا عزيزتى لأن السيدة جونز اشترت كتاباً فى الإسعافات الأولية وأخشى أن تبادر إلى إسعاف الصبى قبل أن يكون لى فضل إسعافه » !

ثم يقول إن عدد المعالجين الروحيين فى هذه البلاد يتزايد يوماً فيوماً وليسوا جميعاً فى مستوى واحد من ناحية إنكار الذات ومن ناحية الفائدة التى يقدمونها للمرضى . وهى مسألة طالما شغلت مجمع الأساقفة لأنها فى الواقع مسألة شائكة لأن الوسيط المعالج الذى يأخذ على عاتقه أن يتدخل بالنصيحة أو بالعمل فى علاج يجريه طبيب قادر إنما يتحمل فى الواقع مسئولية كبرى ، وقد يوقع نفسه تحت طائلة العقاب ...

لكن من الجلى أن التشخيص والعلاج الروحيين — متى أمكن الجمع والتوفيق بينهما وبين العلاج الطبى العادى — لا محل لأن يكونا موضع نقد من أحد . فكثير من أساليب العلاج الروحى التى سبقت الإشارة إليها يمكن الجمع بينها وبين العلاج الطبى العادى ، متى لوحظ أن المريض الذى يعالج روحياً لا يطلب منه الامتناع عن علاجه العادى أو تجاهل نصائح الأطباء .

فبتطبيق ذلك على الوسائل الآنفة الذكر نرى أن أحداً لا يمكن أن يعترض اعتراضاً جدياً على أن يضع الوسيط يده على المريض ، وإن أسوأ ما يمكن أن يعترض به الماديون على هذا العمل هو أنه عديم الجدوى .

والطريقتان الثانية والثالثة تتضمنان بذاتهما ضرورة مساهمة العلاج الطبي العادى فيهما .

أما الطرق الرابعة والخامسة والسادسة فإنها تتطلب من الوسيط أن يكون حذراً ، حتى لا يتعارض علاجه مع العلاج الطبي المستقر، اللهم إلا حيث تكون الحالة ميئوساً منها وقد تخلى عنها الأطباء .

أما عن الطريقتين السابعة والثامنة فلا يمكن أن يدينهما أى نظام مشروع، مالم يسلم كقاعدة أساسية باستحالة الاتصال بالأرواح .

أما عن الطريقه التاسعة فتبدو صحيحة دائماً ، ولم أسمع بعد من أى إنسان أنه اضطهد بسبب أنه ذهب إلى مزار قرية «لورد» Lourdes .

لكن يمكن بسهولة أن أتصور اعتراض البعض على استعمال أدوات جراحية بوساطة أيدٍ متجسدة لأرواح ، ولو أن الصعوبات التى تعوق نجاح علاج كهذا تبدو واضحة .

أما الطريقة الحادية عشرة ، وهى الخاصة بالعلاج المغناطيسى فهى خالية من طابع «العدوى الروحية» وهى لذلك قد تغرى بعض الماديين بفحص ظواهرها التى يمكن إخضاعها لأساليب الفحص العلمى ، لأنه يمكن تكرارها عند الطلب فى ظروف معملية .

ثم يقول المؤلف عن دائرته العلاجية الخاصة . «إننى أكتب بحرج كبير فى الموضوع لأننى لا أعلم إلا بصعوبة مانقوم به فى هذه الدائرة العلاجية . فلسنا نحن المعالجين ، ولو أننا نساهم فحسب بنصيب من القوة فى اهتزازات الموجات الأرضية فتختلط بالاهتزازات العليا وتوجد بذلك خليطاً يستعمل فى أغراض العلاج .

والسبيل كما أفهمه هو هذا : نعطى المعالجين الروحيين اسم شخص مريض فيتولون فحص هالته وجسمه الأثيرى[1] . وكل اعتلال فى الصحة يقابله تغير فى لون أحد هذين الشيئين أو فى كليهما . ثم نستمع بعدئذ لما ينبغى علينا

(١) لنا عودة تفصيلية فى الفصل الثامن إلى الكلام فى الجسد الأثيرى والهالة .

أن نفعله . ثم تعلمنا أن نبنى معاً وفى وقت واحد أقوى ما نقدر عليه من صور ما يسمى « باللون الفكرى »

وقد يظهر فى لحظة ما بريق ضوء خافت ، أو هالة من الضوء يقف المريض فيها ، او يتساقط عليه مطر من الضـــوء « كالألعاب النارية » ، أو غلاف من الضوء تغلف به الأعضاء العليلة . والأضواء المستعملة غالباً ما تكون ذهبية اللون أو فضية أو خضراء أو صفراء أو زرقاء فاتحة أو قاتمة أو وردية. ويعيد العلاج الروحى اللون المعيب فى الجسد الأثيرى إلى حالته الطبيعية ، وهو ما يؤثر بدوره فى الجسد الفيزيقى أى المادى — لا على الفور — بل بعد فترة قد تمتد إلى شهور .

وهذا العمل دفعنى إلى أن أحقق بجلاء معنى عبارة أن « الفكر حقيقة واقعة » التى يرى البعض أنها مجرد مثل جار بلا مغزى . بل إن الفكر على العكس من ذلك شىء ينبغى اعتباره وتقديره إلى حد يدعو إلى العجب والحيرة. فقد حدث ذات مرة أن طلب إلينا أن نتخيل فى أذهاننا ركبة لساق جريحة مربوطة فى أربطة بيضاء وهمية. وقالت لنا الروح ل.ل. « إن أحدكم يفكر فى المادة التى تأخذ فى إحاطة الركبة بها ، إن الركبة المريضة لا تحتاج إلا لهذه المادة كيما تلف بها فى رفق فتشفى » . وكان ذلك صحيحاً فقد كنت أتصور المادة التى كانت تحاط بها الركبة كما لو كانت أربطة تلف فيها .

وفى مناسبة أخرى كنا نشاهد كرة فضية مضيئة فقالت الروح « كلا ياديزى إنك تفكرين فى اللون الأخضر ، بل فكرى فى لون فضى متلألىء » ، فأجابت ديزى بأنها كانت تفكر بالفعل فى لون حلية من حلى شجرة عيد الميلاد تمتاز بلون أخضر خاص بها إن ذلك يبدو مثيراً بعض الشىء ، ولو أن الفائدة ليست مضمونة دائماً بقدر ما يمكننا من الحكم ، إلا أنه يبدو أن أغلب الحالات قد استفادت من هذا الأسلوب فى العلاج وكان بعضها واضحاً فى نتيجته.

ثم يستطرد المؤلف « إنى لست فى مركز من يثبت أن ليس ثمت شىء مما حدث لا يمكن تعليله بالمصادفة ، لكنى واثق من أننا لم نلحق ضرراً بأحد ،

كما إنى أومن عن يقين ثابت أننا ربما نجحنا فى حوالى ٢٥ ٪ من الحالات فى الحصول على الشفاء الذى ما كان ليحدث لولا تدخلنا . وذلك رغم أنى أكتب بتحرج كبير كما قلت، ورغم أنى لم أطرق الموضوع إلا لأنى شعرت أنه ليس من الإنصاف فى شىء أن أكتب فصلا عن العلاج الروحى وأتجاهل فيه كل وصف لتجاربنا الخاصة مهما كانت هذه التجارب محدودة».

* * *

وهذا الذى كتبه دودنج ليس بجديد فى البحث الروحى ، إذ العلاج يعتبر من أهم موضوعاته ، وفيه مؤلفات كثيرة ، وشهد بصحته أطباء كبار شهادات مؤيدة بالوقائع والأسماء والصور والإحصاءات ، وذلك إلى الحد الذى دفع «الجمعية الطبية البريطانية» فى سنة ١٩٥٦ إلى الاعتراف بصحة العلاج الروحى ، كما فتحت مستشفيات متعددة أبوابها للوسطاء المعالجين .

وإلى الحد الذى دفع « المعهد الدولى لما وراء الروح » فى باريس أن يشكل لجنة خاصة دائمة — هى اللجنة السابعة من لجان المعهد — مهمتها متابعة أعمال الوسطاء المعالجين للتمييز بين الصادقين منهم وغير الصادقين[1]. كما جرت فى العلاج الروحى تجارب ناجحة كثيرة فى بلادنا . ومع ذلك فإن من لايروقهم الموضوع يخيل إليهم أنهم إذا نطقوا كلمة إيحاء أو استهواء أو أوهام فقد أوفوا الموضوع حقه وألزموا معارضيهم الحجة ، دون أن يتهموا أنفسهم بعدم الاطلاع أو بالتسرع فى الحكم. على أن من حق القارىء أن يؤجل حكمه على موضوع العلاج الروحى — بالأقل — إلى أن يتم قراءة الفصل المقبل، فهو وثيق صلة بالفصل الحالى .

---

(١) راجع مجلة المعهد لسنة ١٩٦٢، وفى ص ٣ — ٥ منها تجد تشكيل لجانه الثلاث عشرة خلال عام ١٩٦٣ .

الفصل السادس

بينات متنوعة علمية وعلاجية

تفيض المؤلفات الروحية بأدلة لا حصر لها على بقاء الشخصية بعد الموت، ولا يكاد يخلو مؤلف من عشرات منها تتفاوت فى قيمتها التدليلية . والمستفاد منها فى النهاية أن الكائنات العاقلة التى تتحدث أحياناً فى جلسات الاتصال الروحى تختلف تماماً عن الوسيط أو الوسيطة من ناحية المستوى العقلى أو الثقافى . وتتحدث الأرواح أحياناً على مستوى رفيع من ناحية المعرفة أو الأسلوب . وقد يكون ذلك فى حضور وسيط أو وسيطة لا إلمام لأيهما إطلاقاً بالموضوع الذى يدور فيه الحديث . وربما يكون فى غيبوبة تامة بحيث لا يعلم شيئاً حتى عن ماهية الموضوع أو الموضوعات التى دار فيها الحديث .

تحقيق شخصية الروح

وقد يضاف إلى ذلك أن الروح المتحدثة قد تكون لشخص منتقل حديثاً معروف جيداً لأحد الحاضرين أو بعضهم ، فيبدو التطابق واضحاً بين مستواه الثقافى هنا وهناك ، بل بين نفس اللهجتين وتبدو نفس المميزات اللفظية المعروفة واضحة ، ونفس طريقة إدارة دفة الحديث التى تختلف بين شخص وآخر بطبيعة الحال ، بل نبرة الصوت التى قد تظهر عن طريق وساطة الصوت المباشر .

فكما تظل المعرفة على حالها بعد الانتقال تظل كذلك الميول والعواطف والمعلومات والاتجاهات والهوايات ، إلى أن يلحقها بعض التطور على المدى البعيد لا القريب ، وعلى ذلك أجمعت الدراسات الروحية . بل إن الآراء العلمية والأدبية والسياسية وغيرها . . . . ومن مجموعها يتكون طابع يميز

شخصية الإنسان المثقف عن غيره — تظل على حالها أيضاً إلى أن يلحقها مع الوقت مزيد من النضج والنمو .

ومن هذه الناحية يمكن تحقيق شخصية الروح . كما يمكن تحقيقها من ناحية الذكريات الأرضية التي قد تظل عالقة بالذاكرة — في جوهرها بالأقل — خصوصاً بالنسبة للأحداث التي كان لها في نفس الروح قبل الانتقال أثر عميق

* * *

وتحقيق شخصية الروح ليس دائماً أمراً هيناً ، وفي هذا الشأن يشير سير أوليفر لودج بالاعتماد على ثلاث وسائل وهي —

أولا : تجميع عدد من البينات التدريجية التي ينبغي تسجيلها بعناية ومثابرة ، والتي قد تشير مجتمعة إلى شخصية روح معينة .

وثانيا : استخدام طريقة التراسل المتبادل التي تعني تلقي عدة أجزاء غير مفهومة من رسالة واحدة مترابطة عن طريق أكثر من وسيط ، بعد تفاهم مع الروح المرشدة . وبعد ذلك توضع هذه الأجزاء في مواضعها المتفق عليها فتصبح الرسالة واضحة مفهومة . وذلك لتفادي احتمال الدفع بالتدليس من جانب ، واحتمال تداخل عقل الوسيط من جانب آخر ، سواء أكان من وسطاء اليقظة أم الغيبوبة[1] .

وثالثا : الحصول على بيانات مميزة للروح المتصلة ، ويحسن أن تكون جديدة بصورة ما على الموجودين إذا أمكن ذلك . ومن ذلك مثلا أن تدلي الروح ببيان معين عن موضوع معين إذا أمكن التحقق من صحة البيان بالوسائل العادية .

أما استجواب الروح في ذكريات ماضيها القريب أو البعيد ، ومهما كانت هذه الذكريات قوية — في تقديرنا — أو ضعيفة فقلما يأتي بنتائج حاسمة . وقد أجرى سير أوليفر لودج تجربة توضيحية في هذا الشأن ذكرها

---

(١) وطريقة التراسل المتبادل Cross Correspondences من ابتكار عالم النفس المعروف فردريك مايرز قبل انتقاله ، وقد أثبت بها شخصيته الخاصة بعد انتقاله إلى عالم الروح . (راجع ماسبق في ص ٢٢١) .

دنيز برادلى Dennis Bradley فى مؤلفه عن « حكمة الآلهة »[1] . وهى أن لودج كان يتناول الطعام يوماً مع اثنى عشر ولداً من أفراد أسرته فوجه إليهم الحديث قائلا : « افرضوا أنى قد مت وأردتم أن تمتحنوا ذكرياتى لتعرفوا ما إذا كنت أنا هو الذى أحادثكم أم لا ، فاسألونى الآن جميع الأسئلة التى تظنون أن الإجابة عليها قد تثبت شخصيتى لكم » .

وظل الأولاد يستجوبونه لمدة ساعة كاملة عن أشياء عديدة مرت فى حياته وفى حيواتهم ، فعجز عن تذكر أى شىء من الأشياء التى كانت لا تزال عالقة بذاكرتهم ، ولذا قال لهم فى النهاية «إن ذلك يثبت أنى لست أنا . فأنا لست أباكم إذاً ! . . . »

ولذا فإن أحسن البينات المقنعة بحقيقة شخصية الروح هى تلك التى تجىء مصادفة مشيرة إلى ذاكرة روح معينة بالذات، مثلها تلك التى تجىء عن طريق وساطة الصوت المباشر أو الكتابة المباشرة أو التلقائية، أو التجسد، أو الصور وما إلى ذلك . .[2] أو تلك التى تشير إلى مقدرة علمية أو أدبية خاصة كانت تميز الروح قبل انتقالها .

* * *

وكلما طال العهد بالروح فى عالم الروح كلما تعقدت أكثر فأكثر مشكلة محاولة إثبات شخصيتها عن طريق امتحانها فى ذكرياتها الأرضية، التى تأخذ فى التلاشى تدريجياً بطبيعة الحال كيما تحل محلها ذكريات أخرى أجدى للروح وأنفع إذ الذكريات الجديدة تطرد عادة القديمة ، ما لم يكن لبعض الذكريات القديمة أثر يصعب محوه من العقل الباطن أو الواعى بحسب الأحوال.

وفى هذا الشأن تقول الروح جوليا لوسيطها سير وليام ت . ستيد « إن الميلاد فى عالمكم يمحو عادة الذاكرة عما حدث من قبل ، أما الميلاد فى هذا العالم (عالم الروح) فيه نذكر أشياء أكثر مما كان نفعل من قبل ،

---

(١) The Wisdom of the Gods.

(٢) راجع « موسوعة العلم الروحى » Encyclopoedia of Psychic Science تحت كلمة Identity .

ومعنى هذا أيضاً أننا ننسى أشياء كثيرة تدريجياً مثل تلك المتصلة بالماديات والعناوين والممتلكات والأسماء بقدر ما نستغنى عنها ، ولكن تبقى ذاكرة الأشياء التى تحمل الثمار . فهذه نذكرها ، وتنمو قدرة الذاكرة بصورة عجيبة تكاد تكون إعجازاً .

ولكن بعد وقت ما ، وأحياناً بعد وقت قصير ، هناك تأثير جديد يضاف إلى التأثير الآخر الذى يساعدنا على أن نصبح أكثر تواضعاً ويحررنا من الرذائل التى كنا نتمسك بها ...[1] » .

يضاف إلى ذلك اعتبار قد يكون له دوره فى الخطأ فى تعيين شخصية الأرواح خصوصاً منها الشخصيات التاريخية الكبيرة ، وهى أن الأرواح الغير الراقية تميل أحياناً إلى انتحال أسماء ضخمة كيما تسترعى انتباه الحاضرين وتسعد بخداعهم بل إن هناك أرواحاً مصابة بلوثة جنون العظمة — شأن بعض مجانين الأرض — فتعتقد اعتقاداً جازماً بأنها أرواح عظماء معينين عاشوا على الأرض وفى وقت ما تحت اسم شارلمان أو نابوليون مثلا ، ويمكنها الاتصال بالأرضيين والتأثير بصورة ما فى وعى الوسيط أو الوسيطة ، وقد أكد هذه الحقيقة الغريبة الروح المرشد إمبراتور Imperator للأسقف ستانتون موزس[2] .

وهناك اعتبار هام عكس سابقه ، وهو أن الأرواح الراقية العريقة كثيراً ما ترفض الإفصاح عن شخصيتها الحقيقية لاعتبارات واضحة بذاتها ، ولذا فقد تستخدم أسماء تنكرية شتى . ثم هناك اعتبار آخر وهو أن هناك أرواحاً كثيرة تغيرت أسماؤها فى عالم الروح لاعتبارات لا تزال غير واضحة تماماً ، فالروح المتجسدة كاتى كنج قررت لسير وليام كروكس أن اسمها السابق على

(١) « بعد الموت » طبعة ١٩٥٢ ص ١٤٧ .
(٢) راجع مؤلفه عن « شخصية الروح » Spirit-Identity

الأرض هو أني أوين مورجان .. وهكذا من شتى الاعتبارات التي ينبغي أن تراعى عند تحقيق شخصية الروح

* * *

ومن وسائل التثبت من حقيقة شخصية الروح أيضاً النظر إلى شكل الإنسان الذي كان يميزه في أيامه الأخيرة قبل الانتقال ، فإنه يبدو لوسطاء الجلاء البصري على حاله ، بل وفي نفس ملابسه أيضاً إلى أن يحدث تطور تدريجي في الملامح وفي الملابس فيما بعد . ذلك أن ذاكرة الإنسان لها أثر مباشر في الأثير المحيط بها وعندما ترغب أي روح في إظهار نفسها في جلسة ما فإنها تعمد إلى تذكر شكلها الأخير حتى يعرفها الحاضرون . وعليها أن تركز هذه الذاكرة بمقدرة كافية حتى تطبع جسدها الأثيري بالطابع المطلوب للتعرف عليها في المستوى الأرضي .

وكذلك إذا أرادت التجسد متى توافرت وسائله ، أو إظهار نفسها في صورة متى توافرت وساطة التصوير الروحي عند أحد من الموجودين ، ومتى توافرت قدرة الروح على إظهار نفسها عن طريق عملية شاقة للروح وتحتاج إلى مران كاف ، وقد تنجح في النهاية أو لا تنجح .

وغالباً ما تحتاج الروح إلى معونة من أرواح أخرى خبيرة بهذه الأمور تساعدها في إظهار نفسها على النحو الذي يقنع الحاضرين من الأرضيين بحقيقة شخصيتها . لذا كانت صور الأرواح تمثلها عادة في سنيها الأخيرة قبل الانتقال وفي ملامحها المعروفة، وأحياناً في زيها المألوف ، مع أنها تكون عادة قد اكتسبت هناك ملامح أكثر شباباً . والغالبية العظمى تكون قد غيرت أزياءها الضيقة المألوفة على المستوى الأرضي إلى أزياء أكثر احتشاماً واتساعاً .. لذا تقول الأرواح إنها تعرف القادمين الجدد إلى هناك من أمرين : من مظهر الشيخوخة أو الإعياء الذي قد يبدو على وجوه بعضهم ، وأيضاً من أزيائهم، فإن عدداً كبيراً من المنتقلين يظل مصراً على «ارتداء» نفس أزيائه الضيقة القديمة بحكم الذاكرة وحدها لمدد تتفاوت بحسب مرونة كل منهم .

ذلك أنه لا إرغام هناك على إنسان فى أى أمر من أمور الحياة . إنما يجىء التطور بطيئاً أو سريعاً من ناحية تفكير الإنسان وطبعه الخاص . فإذا تطور العقل فقد تطور فى الإنسان كل شىء ، وإذا جمد العقل فقد جمد فيه كل شىء . أليس ذلك هو ما يحدث أيضا على المستوى الأرضى ؟

لذا كان العالم هنا عالما هناك ، والجاهل هنا جاهلا هناك ، إلى أن يتغلب على جهله ويحصل على المعرفة التى تلزمه تدريجياً ، وقد يطول به الأمد إذا كان على درجة من العناد أو الغباء ، وقد يسير فى طريق التقدم بشكل واضح إذا كان على استعداد طيب من ناحية المرونة والذكاء . وسبل المعرفة متوافرة هناك بما يتجاوز كثيراً سبلها على المستوى الأرضى من ناحية المدارس والمكتبات والمعاهد والمتاحف والمعامل وغيرها .

ذلك فضلا عن أن بعض الأرواح قد يحصل على التقدم التدريجى عن طريق الملاحظة المستمرة لأحداث الحياة الأرضية ، وعن طريق الإقبال على العمل الذى قد يروق له والذى يتفق مع ملكاته ومع مستواه العقلى والخلق ، بدون إرغام عليه ولا ضغط من أى إنسان وعند هذه المعانى التقت الدراسات الروحية[١] .

أرواح عالمة تفيد الأرضيين

فلا غرابة إذا وجدنا بعض المثقفين على المستوى الأرضى — أو بعض العلماء — يستفيد أحياناً من الاتصال بأرواح راقية فيتلقى معلومات لم تكن تخطر بباله من قبل، ولم يكن أحد منهم يتصور إمكان الحصول على مثلها عن طريق الوساطة الروحية . وكثير من العلماء الأرضيين المشهود لهم بالعمق وبالاتزان أعلنوا صراحة هذه الحقيقة ، وهى أنهم استفادوا من معلومات بعض الأرواح ، وأنهم اضطروا أن يراجعوا بعض آرائهم فى الحياة ، أو بعض نظرياتهم العلمية فى ضوء معلومات صحيحة تلقوها عن طريق الوساطة الروحية .

(١) ولنا عودة تفصيلية إلى وصف « ظروف الحياة فى عالم الروح » فى الباب الثانى من الجزء الثانى .

وقد صرح بذلك سير أوليفر لودج عالم الطبيعة الذى كان مديراً لجامعة برمنجهام وعضواً فى الجمعية الملكية فى مؤلفه «ريموند أو الحياة والموت». وفيه يراجع هذا العالم الكبير نظرياته القديمة فى ضوء معلوماته الروحية عن المادة والطاقة والزمان والمكان والإنسان. كما يراجع فهمه القديم لجوانب فلسفية كثيرة للحياة، وذلك إلى حد أن أكثر من نصف كتابه الضخم هذا يدور حول هذه المعانى الجديدة التى تخالف آراءه القديمة.

وهذه واقعة تشير إلى المستوى العلمى الذى قد يبلغه بعض الأرواح المتحدثة فى الجلسات الراقية نشرتها جريدة لومين Lumen التى تصدر فى برشلونة ونقلتها عنها المجلة الروحية الفرنسية[1]، ومقتضاها أن الدكتور جوان ريكالد Juan Ricalde وهو جراح بارز بجمهورية باراجواى ورئيس سابق لهذه الجمهورية كان موجوداً فى مدينة سان پاولو بالبرازيل حيث تقيم الكونتيسة تانو Tano، التى كانت تعقد فى منزلها جلسات روحية تدعو إليها بعض الشخصيات. فدعت الدكتور ريكالد إلى حضور إحداها، فحضر رغم أنه أكد لها مقدماً عدم إيمانه بوجود أرواح أو بحياة تلى الموت. لكنه قال إنه على استعداد للاقتناع إذا قدم له الوسيط الدليل المقنع. وبعد أن اتخذت جميع الاحتياطات اللازمة لمنع التدليس أعطت إحدى الأرواح رسالة تناولت فيها بالألفاظ الفنية الدقيقة مسألة من مسائل الجراحات الشديدة التعقيد. وبعد انتهاء الجلسة كتب الدكتور ريكالد بياناً بيده جاء فيه: —

« نعم إن هذا يبدو غير قابل للتصديق لكنه صحيح. فالأرواح موجودة على سبيل اليقين ويمكنها أن ترشدنا. أتعلمون ماذا قالت لى هذه الروح ؟ لقد كنت أستمع إليها وأتبادل معها الحديث خلال ساعتين وعشرين دقيقة كما لو كنت أحادث زميلا عظيماً بخصوص عملية جراحية سأجريها

(١) عدد فبراير ١٩٢٥، La Revue Spirite

غداً ، وأنى لمقتنع أن الأمر خاص بروح لا بإنسان حى . وكانت هذه الروح متخصصة فى الموضوع فأجابت بتدفق وبوضوح على جميع أسئلتى وعلى ما أثاره ذهنى من اعتراضات شتى .

وعلاوة على ذلك فقد أمكننى أن أتحقق من ظاهرة يعجز العلم عن تفسيرها ، فإنه أثناء الغيبوبة تغيرت درجة حرارة الوسيط فجأة ، وكانت تطفر بغتة من خمس إلى ثمانى درجات فخمس عشرة فعشرين درجة حتى وصلت إلى ٣٧ درجة ، ثم إلى ٤٠ درجة سنتيجراد . وكان ذلك هو الشأن أيضاً فى النبض الذى نزلت سرعته إلى ست نبضات فحسب فى الدقيقة » [١] .

* * *

وتشبه ذلك واقعة أخرى وردت بالمجلة الروحية الفرنسية أيضاً [٢] مقتضاها أن أحد العلماء الحاضرين ناقش الروح الراقية التى كانت تشير إلى نفسها بكلمة سيمبول Symbol — أى الرمز — فى موضوع الإشعاعات الكونية المسماة ميليكان Millikan فأجابت الروح بتاريخ ٨ يناير سنة ١٩٣١ .

« تأتى هذه الإشعاعات من الأرض ومن الفضاء فى نفس الوقت ، وبمجرد أن تتقاطع الأشعة الصادرة من الأرض مع تلك الصادرة من الكواكب تنخفض التموجات الطقسية التى تصبح أكثر سيولة وأشد بطئاً فتسمح للطاقة الهدامة فيها أن تمر . وهذه الطاقة عبارة عن كربون وسائل هيدرات الكربون Carbures Hydratés الشديد العنف . ومن خصائصه أنه يسمح بتصحيح الأوزون (غاز ينجم عن تكثيف الأوكسيجين) عن طريق الاحتراق . وبمضى السنين تخرج الغازات المخربة الداخلية ولا يمكن للأوزون أن يتغلب عليها لأنه ضئيل القدر إلى مدى يتعذر تقديره infinitésimale » .

---

(١) سجل الباحثون فى كل مكان هذا التغير الشديد المفاجىء فى النبض والتنفس عند بعض وسطاء الغيبوبة واستخدموا فى ذلك أجهزة دقيقة . ومنهم هير وارد كارنجتون الأمريكى (مجلة Fate عدد سبتمبر سنة ١٩٥٠) ومنهم هارى برايس فى انجلترا فى بحوثه على الوسيط رودى شنيدر والوسيطة ستلا . وراجع أيضاً مقالا للمستر دادلى E. E. Dudley عنوانه « تحول الطاقة فى الجلسات الروحية » فى عدد يوليه ١٩٢٦ من صحيفة « جمعية البحث الروحى الأمريكية » A. S. P. R. Journal.

(٢) عدد ديسمبر سنة ١٩٣٥ .

ويضيف الأستاذ ليون شين Léon Chéne معلقاً على هذا البيان من الروح سيمبول أنه « منذ أوائل سنة ١٩٣١ وعلماء الطبيعة مقتنعون بأن إشعاعات ميليكان تنبعث من مصادر سحابية ومن أماكن فلكية . لكن فى أغسطس سنة ١٩٣٢ أودعت العلامة إيرين كورى Irène Curie تقريراً فى أكاديمية العلوم تزعزع فيه هذا الفرض القديم عن إشعاعات ميليكان . ثم تمكن العالمان دوفيليه Dauvillier ورينيه Regner من ستو تجارت، ثم العالم بيكار Picard من هدم هذا الفرض برمته تقريباً مما يؤيد تماماً أقوال الروح سيمبول هذه ! !

* * *

وهذه واقعة أخرى يرويها جراح برازيلى كبير وأستاذ فى كلية الطب بجامعة بايا Baya ، ونائب سابق فى اتحاد المؤتمر التأسيسى البرازيلى ، وهو الدكتور متى براسيلار Matta Bracellar : —

« توجهت فى ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٢ إلى أنرييدس برادو Enripidés Prado كيما أشاهد عملية فتح خراج لطفل بواسطة طبيب من عالم الروح، وكانت الوسيطة هى مدام آنا برادو Anna Prado . وتقدم إلى الطفل واسمه ج . اندراد J. Andrade وسنه ١١ عاماً ففحصته قبل العملية وتبينت أن به خراجاً تحت إبطه الأيسر . وكان يتعين على إذا ما شئت أن أتدخل بنفسى الانتظار لمدة ثلاثة أيام أو أربعة حتى لا أحمّل المريض سوى اليسير من الألم بالنظر إلى التهاب موضع الخراج . وفى الساعة التاسعة مساء دخل الوسيط إلى الغرفة المظلمة ، وجلس الحاضرون متشابكى الأيدى ، وجلس الغلام بجوارهم بعد أن كشف عن ذراعه الأيسر .

« وبعد نصف ساعة تجسد وجهان ، أحدهما لروح تسمى جواو Joao ترتاد كثيرا جلسات برادو، وثانيهما لروح مجهولة تقدمت نحو الكرسى الذى كان يجلس المريض عليه ، ثم صار جسم جواو أكثر وضوحاً فلمست أصابعه، وأخيراً ظهر شبح كامل تقدم ناحية المريض وانحنى عليه بطريقة شخص

يجرى عملية . وانتهت العملية بعد ثلاثين دقيقة ، فانسحب الشبح واختفى وأخبرنا بفم الوسيط بأنه لم يفتح الخراج أكثر مما فتحه حتى يوفر على المريض ألماً أشد وطأة ، وأن العملية تعد على هذا النحو كافية كيما تؤدى إلى الشفاء العاجل . ثم قال « إن الصغير لن يشعر بأى ألم بعد الآن » .

« ثم أضيئت الغرفة وتقدمت ناحية المريض ، ولفرط دهشتى العظمى تبينت أنه يمسك بيده منديلا ملوثاً بالدم والصديد ، وقد فتح الخراج وكان لا زال ينضح دماً وصديداً . وقد أحس الفتى بحصول التدخل الجراحى أثناء حصوله ، لكنه كان ألماً محتملا بحيث لم نسمع منه أنيناً خلال النصف الساعة »[1] . هذه شهادة أستاذ بإحدى كليات الطب ننقلها للقارىء بحروفها ، فهل له مصلحة فى الكذب أو المبالغة ؟ ...

* * *

وتشبه الواقعة السابقة أخرى رواها مراسل جريدة « دياريرداتوات » البرازيلية ملخصها أن مريضاً إيطالياً يدعى أندريادى برناردى يعمل عاملا فى صناعة الصلب أجرت له الأرواح عملية إزالة الزائدة الدودية ، بعد تجسدها ، وكان ذلك فى غرفة مغلقة ومختومة بالشمع ، وكان ينتظر إلى جوارها أحد عشر شخصاً منهم ثلاثة من الأطباء المنكرين للروحية الذين أصابهم الذهول مما تحققوا منه بأنفسهم قبل الجراحة وبعدها من استئصال الزائدة الدودية للمريض ووضعها فى وعاء للكحول : وقد شهدوا بأنه لا يمكن لغير جراح ماهر جداً أن يقوم بمثل هذه الجراحة ، حتى لو كانت الغرفة مضاءة[2] .

* * *

---

(١) المجلة الروحية الفرنسية عدد مايو سنة ١٩٢٣ ص ٢٣٠ .

(٢) راجع تفصيل الواقعة بقلم الدكتور على راضى فى « مجلة عالم الروح » سنة ١٣ العدد الأول ص ٤ — ٦ .

الكاميرا تسجل وجود إشعاعات غريبة فى غرف الجلسات

وهذه الظواهر الوساطية الفيزيقية التى قد تصل إلى حد تجسد طبيب أو أكثر تجسداً تاماً أو جزئياً للقيام بجراحات تشبه فى وسائلها الخارجية الوسائل الأرضية نادرة مع ذلك . فلم تسجل الجلسات إلا حالات قليلة من هذا القبيل، فلا يتصورن أحد أن هذه هى الطريقة المألوفة فى العلاج الروحى.

بل إن العلاج الروحى كما ذكر لورد داودنج فى الفصل السابق[1] يتم عادة بوسائل مختلفة تماماً عن التجسد الكلى أو الجزئى للروح ، وهو فى ذاته أمر قليل الحدوث . إذ يتم غالباً بواسطة أرواح غير منظورة (إلا من وسطاء الاستشفاف) ، وبوسائل غير مادية هى عبارة — فى أغلبها — عن إشعاعات مختلفة من مصدر غير أرضى يشاهدها أحياناً الحاضرون جميعاً فى الجلسات العلاجية .

وأمكن تسجيل إشعاعات مماثلة بالتصوير الفوتوغرافى بمناسبة تحقيق وساطة ج . لويس من سوث ويلز داخل «الكلية البريطانية للعلم الروحى»، كما أمكن تصوير أجهزة — غير معروفة المصدر — وهى تعمل فى الغرفة ، وكان بعضها يدور بسرعة دوران المروحة الكهربائية ، والوسيط مقيد الوثاق بالحبال فى كرسيه وهو فى غيبوبة عميقة ، فضلا عن وجود جهاز كهربائى متصل بهذه الحبال كيما ينم عن أية حركة قد تصدر من الوسيط كما هو مبين باللوحات الأربع الآتية .

فهل للكاميرا التى التقطت هذه الصور — وهى كثيرة تجدها فى عدد يناير سنة ١٩٢٩ من مجلة «العلم الروحى» التى تصدرها الكلية —[2] عقل باطن صور لها او هاماً خرافية ؟ .. أم هل تواطأ علماء كبار فى معهد علمى راق على خداع البيئات العلمية لغير حكمة مفهومة ولا سبب واضح ؟

---

(١) راجع ما سبق ص ٣٩٠ — ٣٩٤ .

(٢) ص ٣٣١ — وما بعدها Psychic Science.

ظواهر غريبة تسجلها الكاميرا فى « الكلية البريطانية للعلم الروحى »

(١)



الوسيط فى غيبوبته مقيد الوثاق وقد ظهر جهاز مضىء مجهول المصدر يعمل بجواره ، كما ظهر فوقه شبح مصباح بجوار مصباح حقيقى مضىء .

(٢)



الوسيط فى غيبوبته التامة مقيد الوثاق على كرسيه وقد ظهر فى أعلا الصورة جهاز مضىء مجهول المصدر يدور كالنحلة ، كما أخذ مصباح الثريا الأوسط يعطى إشعاعاً قوياً مخالفاً لطبيعته المألوفة فى الصورة رقم (٤)

(٣)



الوسيط فى غيبوبته وبجانبه بطاقة معلقة فى الهواء تدور بسرعة خيالية بدون وسيلة منظورة .



الوسيط مقيد الوثاق فى غيبوبته ومتصلة به أجهزة كهربية تنم عن أية حركة قد يأتى بها . وعندما وضعت منضدة إلى جواره أخذت تدور من تلقاء نفسها بسرعة شديدة .

والعلاج الروحى يتم عادة مجاناً فى بيئات كثيرة وكتبت عنه مؤلفات تعد بالمئات ، وتعرض له باحثون كثيرون من أطباء وغيرهم . وأثبتوا جدواه أحياناً فى علاج بعض حالات من الأمراض الجسدية والعصبية بشرط أن تتوافر لنجاحه وساطة راقية وأرواح قادرة على مباشرته . ومن أهم المراجع فيه كتاب « ثلاثون سنة بين الموتى » ، وهو خلاصة تجارب دامت ثلاثين عاماً فيه للطبيب الأمريكى كارل ويكلاند Carl Wickland[1].

وقد جاءت نتائج تجاربه مؤيدة لتجارب الطبيب الأمريكى تيتوس بول Titus Bull وكيل «جمعية البحث الروحى الأمريكية» A. S P. R. وعضو «الجمعية الأمريكية لتقدم العلوم» التى واصلها لمدى عشرين عاماً ، ولخصها فى مؤلف له ظهر فى سنة ١٩٣٢ عنوانه «تجارب فى علاج العقول المريضة»[2]. وكانت وسيطته فى طرد الأرواح الماسة تدعى مسز ديوك Duke ومبين تلخيص لها فى مجلة «الكلية البريطانية للعلم الروحى[3]» . وتدور كلها حول علاج بعض الأمراض المستعصية التى ثبت بعد بحث كاف أن مصدرها مس روحى Obsession أو استحواذ كامل Possession فنجح فى علاجها هذا الطريق ، بعد أن فشلت تماماً السبل المألوفة من تحليل نفسى وصدمات كهربائية وغيرها .

ومن يريد الاستزادة فى هذا الموضوع يمكنه أن يرجع أيضاً إلى بعض مؤلفات هارى إدواردز Harry Edwards أشهر معالج روحى معاصر ورئيس «الاتحاد الوطنى للمعالجين الروحيين[4]» ومنها «علم العلاج الروحى[5]»

---

(١) راجع عنه ما سبق فى ص ١٧٢ — ١٧٤ .

(٢) Experiences in Healing Relative to Diseased Minds.

(٣) عدد أكتوبر ١٩٢٨ (مجلد ٧ عدد ٣) ص ١٩٧ — ٢١٤ .
والتلخيص بقلم سكرتيرته الخاصة هيلين س لامبرت Helen C. Lambert

(٤) National Federation Of Spiritual Healers.

(٥) The Science Of Spirit Healing.

(١٩٤٥) و «العلاج الروحى»[(1)] (١٩٤٩) وغيرهما[(2)]. وذلك بالإضافة إلى الكتب التى وضعت عن هذا المعالج من مؤلفين ثقاة حققوا وساطته بأنفسهم مثل موريس باربانيل و بول ميللر وقد أشرنا إلى هذه المؤلفات فيما سبق[(3)].

وقد أجرى هارى إدواردز جلسات علاجية علنية متعددة منها جلسة فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٥٤ فى قاعة ألبرت بلندن حضرها ستة آلاف شخص كان من بينهم لجنة من الأطباء أرسلتها «الجمعية الطبية البريطانية» كيما تحقق نفسها ما يتم فى هذه الجلسات من معجزات علاجية محيرة للعقول . كما حضر الاجتماع أعضاء اللجنة التى كان قد شكلها أسقف كانتربرى لتحقيق الظواهر الروحية. وقد نجح هارى إدواردز فى هذه الجلسة فى رد حاسة السمع



هارى إدواردز

لسيدة صماء منذ أربعين عاماً، وفى شفاء عمود فقرى مشوه لطفلة، وحالة شلل أطفال لطفلة أخرى ، وغدة متضخمة فى الرقبة كانت تمنع صاحبتها من

---

(١) Spirit Healing.

(٢) راجع أيضا للمستر هارى إدواردز .

A Guide To Spirit Healing.
Psychic Healing.
The Evidence For Spirit Healing.
The Truth About Spiritual Healing.
The Power Of Spiritual Healing.
The Mediumship Of Jack Webber.
The Mediumship Of Arnold Clare.

وراجع أيضا كتاب The Quest For Healing لمستر جودفرى وين Godfrey Winn (١٩٥٦) ويدور حول وساطة فيفيان درانت ومستر شبرد وغيرهما .

وبالفرنسية راجع كتاب Les Guérissons Supranormales للباحث الروحى رينيه ترنتزوى René Trintzius ومبين به بعض حالات تمت لشفاء معجز على ثلاثة أطباء من أعضاء أكاديمية الطب بباريس بمعرفة الوسيط شارل بارلانج Charles Parlange .

(٣) راجع ما سبق فى ص ٢٥٠ ، ٢٥٤ .

النطق ، وحالات أخرى كثيرة ذكرتها موضحة بالصور جرائد الأوبزرفر ونيوز أوف ذى وورلد ورينولد نيوز وبيبول وصنداى بكتوريال وصنداى جرافيك وديلى سكتش والتيمس وغيرها .

وتاريخ الحركة الروحية يعرف معالجين كبار آخرين غير هارى إدواردز منهم الدكتور بومروى Pomeroy ومسز هيس وفيليسيا د . كروسلى ووليام باريش وليللى .

ومنهم أيضا مسز ريدت Wriedt وسيطة العلاج والصوت المباشر الأمريكية ، ومسز نينا فرانسس Nina Francis ، ومسز إيلين جاريت Eillen Garrett [1] .وقد حقق وساطة بعضهم الأستاذ ر . هـ . سوندرز R. H. Saunders فى مؤلفين هامين له فى العلاج الروحى : أولهما « العلاج عن طريق سفارة الروح[2] » . وثانيهما « الصحة : استردادها والمحافظة عليها[3] » .

وقد كان يهيمن على هؤلاء الوسطاء الثلاثة الأخيرين روح معالج معروف جيداً فى الدوائر العلاجية فى الغرب وهو الطبيب عبد اللطيف الفارسى الذى يرأس إحدى الإرساليات العلاجية الهامة فى الأجواء . كما كانت نفس الروح تهيمن أحيانا على المعالج الشهير باريش Parish وعلى وسيط التجسد الأمريكى فرانك دكر Frank Decker . وقد قدم المؤلف الثانى سير آرثر كونان دويل بمقدمة يسرد فيها بعض أنباء اتصالاته الخاصة بروح الطبيب العالم عبد اللطيف الفارسى هذا .

علماء كبار يحققون صحة العلاج الروحى

وقد قام علماء ذوو سمعة عالمية فى الطب والفسيولوجيا بتحقيق عدد

---

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ١٦٦ .

(٢) Healing Through Spirit Agency.

(٣) Health, its Recovery and Maintenance.

ضخم من حالات الشفاء المعجز فى شتى صوره وأوضاعه . وانتهوا إلى التسليم به حقيقة علمية مقررة ، سواء منه ما يتم بمعرفة معالجين من الوسطاء الذين خضعوا لتجاربهم الصارمة ، أو ما يتم فى مزارات معروفة قد يختفى فيها العنصر الآدمى كيما يتبقى العنصر الروحى الخالص يعمل عن طريق مياه محملة بسيالات روحية بوسائل لا يزال يجهلها العلم المادى .

فمثلا شهد لحالات من الشفاء المعجز التى تحقق منها بنفسه الطبيب العالمى الكسيس كارل Alexis Carrel مدير « معهد روكفلر » بنيويورك[١] والحائز على جائزة نوبل ، وأشـــار إليها إشارة صريحة فى مؤلفه « الإنسان ذلك المجهول L'homme Cet Inconnu وفيه يقول « ولقد حاول المؤلف أن يتعلم خصائص هذه الطريقة فى الشفاء مثلما تعلم طرقه العادية ، وبدأ دراساته لها عام فى ١٩٠٢ ، أى فى وقت كانت وثائق هذا العلم نادرة فيه ، وكان من الصعب جداً على طبيب شاب ومن الخطر على حياته المستقبلة أن يبدى أى اهتمام بمثل هذا الموضوع . . أما اليوم فنى إمكان أى طبيب أن يلاحظ المرضى الذين يحضرون إلى لورد Lourdes (حيث يوجد مزار مشهور) ويفحص السجلات المحفوظة فى المكتب الطبى .

« ولورد مركز لاتحاد طبى دولى ويتكون من عدد كبير من الأطباء ، وقد أخذت الكتب والنشرات التى تبحث الشفاء المعجز تنمو وتكثر ببطء . ومن ثم بدأ الأطباء يصبحون أكثر اهتماماً بهذه الحقائق الخارقة ، ولقد أبلغت حالات كثيرة للجمعية الطبية ببوردو Bördeaux بواسطة

---

(١) ولد الدكتور الكسيس كاريل فى سنة ١٨٧٣ بمدينة ليون بفرنسا ثم أصبح أستاذاً فى كلية الطب بها . ثم سافر إلى الولايات المتحدة فى عام ١٩٠٥ حيث عمل فى معهد روكفلر للأبحاث العلمية بنيويورك لمدة ثلاثين عاما . وحصل على جائزة نوبل فى الطب فى سنة ١٩١٢ ، وأصبح مديراً لهذا المعهد إلى أن عاد إلى فرنسا فى سنة ١٩٣٩ حيث أشرف على عدد من المعاهد الطبية والمستشفيات . وعرف بأبحاثه العميقة فى القلب الميكانيكى وتوفى بباريس فى نوفمبر من عام ١٩٤٤ .

أساتذة مدرسة الطب والدين بأكاديمية نيويورك الطبية التى يرأسها الدكتور بيترسون » ...[١].

كما شهد لحالات متعددة من الشفاء المعجز الدكتور جيمل Cemmel أستاذ الطب الباطنى بجامعة جلاسجو، وزميله الدكتور كولفن Colvin أستاذ الجراحة بنفس الجامعة، وسير وليام أوسلر W. Osler أستاذ الطب الباطنى بجامعة أكسفورد، والدكتور كارميكل Carmichael أستاذ علم الصحة وأمراض المناطق الحارة بجامعة لندن وأحد المؤلفين لكتاب A Text Book of Medicine الذى يدرس فى كليات الطب ... ومثلهم كثيرون الآن.

وهذه الشهادات لم تلق على عواهنها، لأن أمثال هؤلاء لم يتعودوا أن يلقوا هذا النوع من الشهادات جزافاً فى أمور خطيرة تمس إلى أبعد الحدود سمعتهم الأدبية ومكانتهم العلمية لو كانت فيها كلمة واحدة قيلت ارتجالا، فالارتجال فى تكوين الرأى لم يكن يوماً من شيمة هؤلاء العلماء، ولا تغذية أوهام العوام أو الانقياد لها..

* * *

بل ما على المتشكك إلا أن يراجع كتاباً واحداً مثل كتاب « المسألة الكبرى والبينة على حلهـا »[٢] للطبيب جورج لندسى جونسون George Lindsay Johnson الحاصل على أكبر شهادات طبية فى العالم منها شهادة F R.C.S. من انجلترا، و F.R.S. من إيطاليا وغيرها. وفيه يتحدث بدوره عن حالات شفاء خارقة حدثت فى مدينة Lourdes بجبال البرانس حيث يوجد المزار الذى تحدث عنه آنفاً الدكتور كاريل.

وتجد بياناً وافياً أيضاً فى كتاب « البراهين الطبية للعلاج المعجز » لمؤلفه الطبيب الفرنسى لى بك E. Le Bec جراح مستشفى سان جوزيف بباريس، وقد نقله إلى الإنجليزية الدكتور إزارد H. E. Izard وقدمه للقراء

---

(١) راجع الترجمة العربية للأستاذ عادل شفيق ص ١١٨، ١٢٠.

(٢) The Great Problem And The Evidence For Its Solution.

الدكتور إرنست وير Ernest E. Ware كبير جراحي مستشفى سان جون وإليزابث بلندن . كما تجد بياناً آخر عنها فى كتاب « عشرون حالة شفاء فى لورد» لمؤلفه الدكتور دى جراند ميزون دى برينو De Grand Maison De Bruno وقد نقل بدوره إلى اللغة الانجليزية .

ويقدم الدكتور لى بك بيانات إكلينيكية كاملة عن إحدى عشرة حالة لشفاء معجز مع أسماء الأطباء الذين قاموا بفحصها . ومن الحالات التى شفيت:

١ — حالة خطيرة للعروق الدوالى ٢ — كسر قائح فى ساق
٣ — كسر غير قائح فى فخذ ٤ — انحناء فى الظهر بسبب مرض بوت
٥ — قرحة شديدة فى الساق ٦ — ذئبة فى الفم
٧ — اعوجاج فى القدم ٨ — درن بريتونى به ناصور
٩ — ستة ثقوب فى الأمعاء فى وقت واحد
١٠ — حالتان لسرطان بشرى مخاطى ١١ — سل رئوى ذو تجويف

وهذه حالات بحثت بحثاً دقيقاً واتخذت فيها احتياطات كافية تحول دون شبهة الخطأ فى الحكم أو التسرع فى التقدير .

ويقول الدكتور جورج لندسى جونسون فى شأنها « إننا لا نعرف إلا النزر اليسير جداً من قوانين الطبيعة ، ومن ثم تبدو ظواهر كثيرة لأول وهلة أنها مخالفة للطبيعة، فإذا ازدادت معارفنا علمنا أن هذه الظواهر خاضعة فى الواقع لقانون طبيعى ، ويختفى عندئذ مظهرها المعجز الخارق للطبيعة .

لكننا زيادة على تلك القوانين الطبيعية التى تحكم العالم المادى بدأنا نعرف عالماً آخر مخالفاً كل المخالفة لعالمنا ، وهذا العالم هو الذى نسميه عالم الروح . ولامراء فى أننا نعرف الكثير من ظواهر الحياة ، ولكنا سنجد أن هذه الظواهر الحيوية ترجع فى الأصل إلى شىء وراء الحياة . وهذا الشىء هو الذى طالما قلت عنه إنه سبب الحياة التى ماهى فى الواقع إلا المظهر المنظور للنفس . وكلما مضينا فى درس طبيعة الحياة ازددنا اقتناعاً بأنها شىء

منفصل عن العالم الفيزيقي [1] » .

* * *

هذا وقد أذاعت الجمعية الطبية البريطانية تقريراً في سنة ١٩٥٦ جاء فيه أنه « ينبغي التسليم بأن كثيراً من طرق العلاج تخرج عن نطاق علمنا . غير أنه لم يعرف مطلقاً أي نوع من المرض عولج بالطرق الروحانية وحدها ولم يكن ممكناً أن يعالج بالطرق الطبية [2] » .

وليس مقتضى ذلك أن العلاج الروحي مضمون دائماً ، أو أنه في أية صورة من صوره قد يغني عن العلاج الطبي العادي . فهو ليس أكثر من وسيلة من وسائل العلاج التي قد تنجح كما قد تفشل ، وربما تنجح أحياناً في أخطر الأمراض وتفشل في أهونها شأناً فليس هناك علاج روحي « مضمون » في أية حالة من الحالات .

إذ لم يصل العلم بعد إلى معرفة نواميس العلاج الروحي ، ولا إلى أي تحديد لنطاقه ، ولا إلى إخضاعه إلى سبل تماثل بصورة أو بأخرى وسائل العلاج الطبي العادي . وكل ما لوحظ في هذا الشأن أن هناك أمراضاً معينة تعتبر أكثر استجابة للوسائل الروحية من غيرها . وأن هناك أمراضاً قد لا تستجيب لهذه الوسائل ، وبخاصة تلك التي عرف لها مصدر من ميكروب أو فيروس معين .

وكلما ثبت أن أصل الداء اضطراب في وظائف الأعضاء مجهول المصدر ، أو حالة مس أو استحواذ ، كلما كان ذلك ادعى لاحتمال نجاح العلاج الروحي وتفوقه في هذا الشأن على السبل العادية المتبعة في طب الأمراض العقلية والنفسية ، والتي لا يزال بعضها يتعثر في سدود ضخمة من العناد ، هي التي تفسر عجز وسائله وقصورها الواضح حتى الآن .

---

(١) راجع بياناً تفصيلياً عن هذه الحالات نقلا عن كتاب « المسألة الكبرى » للمرحوم الأستاذ أحمد فهمي أبو الخير في مجلة « عالم الروح » عدد نوفبر سنة ١٩٥٤ ص٢ — ٢٦ . وراجع ما سبق في ص١٥٩ ، ١٦٠ عن رأي الفيلسوف وليام جيمس في صحة العلاج الروحي وص٢٠٤ عن رأي برجسون ، وكلاهما أفضل فلاسفة بلاده في عصره وكلاهما اقتنع عن تجارب عملية حقق صحتها بنفسه .

(٢) راجع ما نشر بجريدة أخبار اليوم بتاريخ ٢٢ مايو سنة ١٩٥٦ تحت عنوان « الجمعية الطبية البريطانية تعترف بالعلاج الروحي » .

العلاج الروحي بالصور



حالة لشنج عصبي مفصلي يعالجها هارى إدواردز بنجاح فى طفلة صغيرة (عن كتاب قوة العلاج الروحي الصادر فى سنة ١٩٦٣ ص ٤٨)



حالة التهاب نخاع شوكى polio-myelitis شفيت فى مصحة خاصة بالعلاج الروحى (عن كتاب «العلاج الروحى» ص ٤٨)



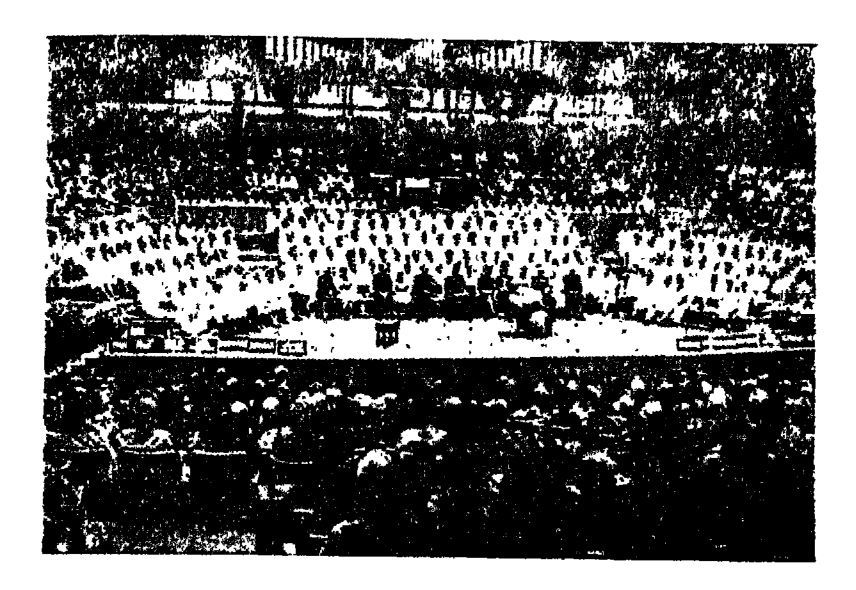
حالة روماتزم مفصلى Rheumatoid Arthritis فى اليدالمين يشفيها هارى إدواردز
بالعلاج الروحى العلى فى قاعة الحفلات الملكية بلندن
(المرجع السابق ص ٦٥)



مريض بروماتزم المفاصل
Rheumatoid Arthritis
يتقدم إلى العلاج الروحى العلنى مستنداً إلى عصاه



نفس المريض بعد شفائه أمام الأطباء وقد
ألقى عصاه وعاد يسير منتصبا



المعالجون من أعضاء « الاتحاد الوطني للمعالجين الروحيين » يعالجون علنا في « القاعة الملكية للحفلات » بلندن Royal Festival Hall تحت إشراف هيئة ضخمة من الأطباء والجراحين توقع الكشف الطبي على كل مريض قبل العلاج الروحي وبعده لتسجيل النتائج . وكل ذلك يحصل بصفة دورية منتظمة (عن كتاب قوة العلاج الروحي الصادر في سنة ١٩٦٣ ص ١١٣)



منظر من الجو لمصحة مخصصة للعلاج الروحي عنوانها The Sanctuary Burrows Lea, Shere, Surrey, England يقصدها سنويا المرضى بأمراض مستعصية التماسا للعلاج الروحي بمعرفة « الاتحاد الوطني للمعالجين الروحيين » (عن المرجع السابق ص ١٢٩)

الفصل السابع

تحقيق ظاهرة الشغب المجهول المصدر

من الألغاز أو الطلاسم التي يقف العلم المادي إزاءها صامتاً لا يحير جواباً ظاهرة الشغب المجهول المصدر ، ومنها ظاهرة « المنازل المسكونة » . وما دام لا يعرف لها تعليلا فلا توجد هذه الظاهرة ، ومن يعتقد بها فهو ساذج يردد خرافات العوام!! .

لكن ما العمل إذا كان بعض كبار العلماء الماديين قد حقق بنفسه هذه الظاهرة ، وتحقق من صحتها بكل الأساليب المادية الصارمة التي يملكها العلم المادي للفحص وللتحقيق ؟ . . ومنهم من خصص لها باباً أو أكثر في مؤلفاته ، ومنهم من خصص لها مؤلفاً برمته أو أكثر . ولم يكن ذلك نقلا عن الغير ، فهي في هذه المؤلفات ليست روايات تروى للتسلية بل إنها تجارب علمية بحت .

وقد كان هؤلاء العلماء ينتقلون مجتمعين أحياناً ومنفردين أحياناً أخرى إلى هذه المنازل ، وقد يقيمون فيها أياماً طويلة ، مستعينين بكل وسائل الخبرة والتحقيق ، وبفنيين كثيرين في أمور شتى بالقدر الذي قد يقتضيه نوع أو أنواع الشغب المجهول المصدر فمثلا يقول القاضي الأمريكي إدموندز Edmonds الذي كان عضواً بالمحكمة العليا بنيويورك — والذي أصبح رئيساً لها ثم رئيساً لمجلس الشيوخ الأمريكي — يقول في تقريره عن الشغب الذي حدث في كوخ هيد سفيل بقرب روشيستر بولاية نيويورك في سنة ١٨٤٦ — والذي بدأت به حركة البحث الروحي الحديث — إنه اضطر إلى التردد على الكوخ مرتين أسبوعياً وإلى الاستعانة بعشرة من العلماء وبخبير في الكهرباء كيما يساعدوه في تعليل هذا الشغب بمصدر مادي معروف قبل أن يكتب

تقريره الخطير هذا ، ويتحمل فيه أمام ضميره وأمام الرأى العام الذى لا يرحم مسئولية التسليم بصحة هذا الشغب وبمصدره الروحى بعد أربعة شهور متوالية من البحث والتحقيق[١] .

ومن يقرأ كتاب « ماوراء الروح »[٢] لعـــالم الفسيولوجيا شارل ريشيه Charles Richet يجد أنه حقق هذه الظاهرة وتحقق بنفسه من بعض حالات إيجابية لها فى فرنسا والجزائر . ولم ينسب هذه الظاهرة إلى أرواح الموتى — لأنه لم يكن بعد قد انحاز إلى النظرية الروحية — وهو ما يعطى لتحقيقه ولشهادته قيمة خاصة — بل سلم فقط بصحة هذه الظاهرة ، كما سلم بوجود الوسيط الذى يجهل نفسه فى المنزل ، ولـكنه لم يخط الخطوة التالية مباشرة وهى نسبتها إلى الأرواح مبالغة منه فى التحفظ ، وحتى يصل إلى نظرية عامة تعلل هذه الظواهر المتدفقة من كل جانب فى مؤلفه هذا . ثم سلم بعد أكثر من ثلاثين عاماً من البحث بأن النظرية الروحية هى التى تعلل وحدها هذه الظواهر مجتمعة على ما سبق بيانه فى مناسبة أخرى[٣] .

وللفيلسوف كامى فلاماريون Camille Flammarion بدوره تحقيق فى هذه الظاهرة فى مؤلف عنوانه « المنازل المسكونة »[٤] استعان فيه بكل وسائل الفحص والتمحيص الدقيقة بغية الوصول إلى الحقيقة العلمية ، وقد تبين له فعلا أن ثمت حوادث من الشغب صحيحة .

وقد بحثها بعناية أيضاً سير وليام باريت — عالم الفيزياء المعروف[٥] — ونشر عنها تقريرين : أحدهما فى مضابط « جمعية البحث الروحى » بلندن

---

(١) راجع تلخيصا وافيا لتقرير القاضى إدموندز فى مؤلف سير آرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle عن تاريخ الروحية The History Of Spiritualism الجزء الأول ص ١٢٥ — ١٣٢ .

(٢) Traité De Métapsychique.

(٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٣٤٠ — ٣٥٧ .

(٤) Les Maisons Hantées.

(٥) راجع ما سبق عنه فى ص ٢١٢ وما بعدها .

وثانيهما فى مجلة جامعة دبلن(١) .

كما بحثها عالم النفس فرانك بودمور(٢) فى مؤلف له عن « الروحية الحديثة »(٣) وفى آخر له عن «دراسات فى البحث الروحى»(٤) وفى تقرير له عن «الأرواح المشاغبة» فى مضابط «جمعية البحث الروحى» أيضاً(٥) .

وبحثها أيضاً عالم النفس الإيطالى إرنستو بوزانو(٦) ، والعالم الجنائى الشهير لومبروزو . ومثلهم الأستاذ أندرو لانج Andrew Lang الذى كان رئيساً « لجمعية البحث الروحى » بلندن، وكتب فيها عدة مؤلفات وبحوث فى مضابط هذه الجمعية(٧) وفى دائرة المعارف البريطانية(٨) .

كما بحثها العالم المعروف هيروارد كارنجتون(٩) ونشر عنها تقريراً فى نشرة « المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن » فى سنة ١٩٣٥(١٠) كما سبق

---

(١) والتقرير الأول عنوانه Poltergeist Old and New منشور فى محاضر « جمعية البحث الروحى » مجلد رقم ٢٥ سنة ١٩١١ والثانى عنوانه The Derrygonnelly Case منشور فى The Dublin University Magazine عدد ديسمبر سنة ١٨٧٧ .

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٢٢ .

(٣) Modern Spiritualism, London 1902.

(٤) Studies In Psychical Research, London 1897.

(٥) Poltergeists.

محاضر جمعية البحث الروحى بلندن مجلد رقم ١٢ سنة ١٨٩٦ — ١٨٩٧ .

وراجع له أيضاً :

The Naturalisation Of The Supernatural. New York And London 1908.

(٦) Dei Fenomeni d'Infestazione, Roma 1919.

(٧) ومنها The Poltergeist. Historically Considered فى محاضر « جمعية البحث الروحى » سنة ١٩٠١ — ١٩٠٢ مجلد رقم ١٧ ص ٣٠٥ — ٣٢٦ .

(٨) ومنها Hauntings : Encyclopaedia Britannica, Cambridge, 1910, Vol. 13 p. 67.

ومنها Poltergeist : Encylcopaedia Britannica, Cambridge 1911, Vol. 22 P.P. 14—17.

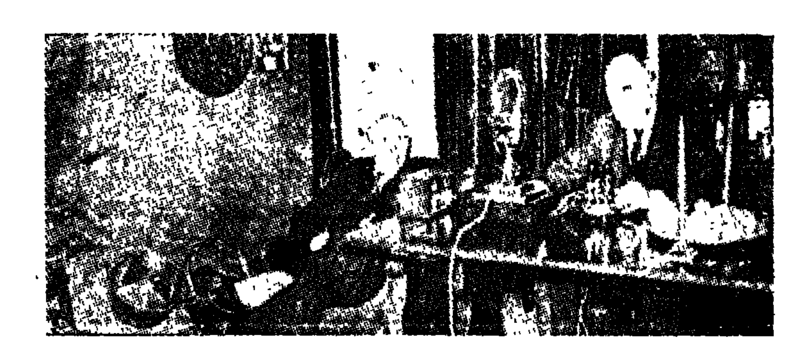
(٩) راجع ما سبق عنه فى ص١٦٥ — ١٦٨.

(١٠) Historic Poltergeist : Bulletin I. of International Institute For Psychical Research, London 1935.

له أن ألف فيها كتاباً منذ سنة ١٩١٥ عنوانه « قصص حقيقية للأشباح[١] ».

ومن اهتم بهذه الظاهرة اهتماماً خاصاً الأستاذ هاري برايس[٢] السكرتير الفخري لجامعة لندن ورئيس « جمعية البحث الروحي » S. P. R. وقد نشر فيها عدة مؤلفات من أهمها « الأرواح المشاغبة فوق انجلترا[٣] » (١٩٤٥) وله مؤلف آخر عنوانه « أكثر منازل انجلترا إيواء للأرواح »[٤].

وللدكتور ناندور فودور Nandor Fodor صاحب « موسوعة العلم



هاري برايس مدير « المعمل الوطني للبحوث الروحية » بلندن وسكرتير جامعتها الفخري يذيع بتاريخ ١٩٣٦/٣/١٠ باللاسلكي من منزل مسكون ما يشاهده من ظواهر وما تسجله الأجهزة الدقيقة من أصوات وتغيرات في درجات الحرارة بدون مصدر مادي

---

(١) True Ghost Stories.

(٢) راجع ما سبق عنه في ص ٢٢٧ .

(٣) Poltergeist Over England.

وفي نهايته يجد القارىء أكثر من مائة مرجع في هذا الموضوع باللغات الانكليزية والفرنسية والألمانية .

(٤) The Most Haunted House In England.

وهو يتضمن نتائج تحقيق استمر عشر سنوات في شأن الشغب الذي كان يحدث في هذا المنزل وقد أعقبه مؤلف آخر عن نفس هذا المنزل ظهر في سنة ١٩٤٦ عنوانه « خاتمة منزل بورلي » .

The End of Borley Rectory : The Most Haunted House In England.

ومن مؤلفاته عن الأرواح المشاغبة أيضاً : - Confessions Of A Ghost-Hunter

The Haunting Of Cashen's Gap.

الروحى[1] «جولاته أيضاً التى نشرها فى موسوعته وفى نشرة «المعهد الدولى للبحث الروحى» بلندن[2]. وفى سنة ١٩٤٠ نشر أيضاً فى هـــذا الموضوع سير إرنست بينيت Ernest Bennett مؤلفا عن « الأشباح والمنازل المسكونة[3]»

وللمرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبوالخير جولاته فى هذا الميدان التى كان ينشرها تباعاً فى مجلته «عالم الروح» وفى مؤلفاته، ثم خصص له مؤلفا برمته تحت عنوان «أرواح وأشباح» (١٩٥٤) .

الأسلوب العلمى فى بحث هذه الظواهر

ولم يقل أى واحد من هؤلاء إن كل ما يقال أو يذاع فى هذا الشأن صحيح لا مطعن عليه، بل سلموا جميعاً بأن ثمت حوادث كثيرة للشغب المفتعل أو الموهوم. وذلك أمر طبيعى، لكن الأمر الهام أنهم تحققوا أيضاً من صحة بعض حوادث لشغب حقيقى مجهول المصدر يعجز العلم المادى عن تعليله حين لا يعجز العلم الروحى . فالتحقيق السلبى فى نتيجته لحالة أو لبضعة حالات فى هذا الشأن لا ينفى إمكان صحة الظاهرة ، لكن التحقيق الإيجابى فى نتيجته — إذا ما أحيط بكل الضمانات العلمية المطلوبة ، وإذا ما جرى بالأسلوب المتأنى الناقد — بل المنكر الذى جرى به — له قيمة كبرى فيه .

فهل ياترى من الأسلوب العلمى فى شىء أن نهدر قيمة بحوث عشرات من العلماء والباحثين الراغبين فى الوصول إلى الحقيقة لمجرد عجز النظريات المادية عن التعليل ؟ وإذا كان الأمر كذلك فلمَ لا تهدر كل قيمة للشهادة

---

(١) Encyclopaedia of Psychic Science.

(٢) The Saragossa Ghost:
Bulletin I. of Internatinal Institute for Psychical Research London 1935.

(٣) Apparitions And Haunted Houses.
وراجع تعليقاً عنه فى مجلة « المعهد الدولى لما وراء الروح» بباريس عدد ٢ من سنة ١٩٤٠ .

أمام المحاكم ؟ بل والثقة حتى فى بحوث علمية دقيقة من علماء محايدين كبار؟ ...
وما مصلحة كل هؤلاء فى التدليس على الناس ؟ ...

بل لندع هذه البحوث الفردية جانباً ولنتساءل من جديد ما مصلحة مجلدات « جمعية البحث الروحى » .S. P. R — وهى تضم صفوة من علماء السيكولوجيا والمادة فى الجزر البريطانية[1] — فى تسجيل ظواهر الشغب المجهول المصدر كحقيقة علمية ثابتة ؟ ...

وما مصلحتها بوجه خاص فى أن تقيم فى يوليه سنة ١٩٥٥ مؤتمراً دولياً داخل كلية نيوهام بجامعة كامبردج حضره ٢٩ خبيراً بوصفهم مندوبين عن عشر دول، وهى بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنرويج وهولندا وسويسرا والدانمرك وهايتى ، وقد ظلوا لمدة سبعة أيام يبحثون موضوع « القواعد الدولية الواجب اتباعها عند تحقيق ظهور الأشباح التى تحدث أصواتاً وتأتى أفعالاً غريبة فى المنازل[2] ... » فهل تعودنا من المؤتمرات الدولية أن تجتمع فى الجامعات العريقة لتغذية الأوهام وخرافات العوام ؟ ! أو للهزل وإثارة روح الاستغراب والطرافة لديهم ؟

وما مصلحة « الكلية البريطانية للعلم الروحى » فى تسجيل حوادث مماثلة للشغب حققها أساتذة الكلية بأنفسهم وبكل وسائل التحقيق المادى الممكنة[3] ؟ ..

وما مصلحة « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس فى تسجيل مثل هذه الحوادث فى مجلته[4] ؟ وفى تشكيل لجنة دائمة من بين علماء المعهد لتتبع هذه الحوادث هى حالياً اللجنة الخامسة من بين لجانه الثلاث عشر[5] ؟ ...

---

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ١٩٦ — ٢٠٧ .

(٢) وقد نشرت أخبار هذا المؤتمر الدولى جريدتا الأهرام والأخبار فى عدد ١٣ يوليه ١٩٥٥ .

(٣) راجع مثلا المجلد السابع من مجلة العلم الروحى Psychic Science التى تصدرها الكلية عدد أكتوبر ١٩٢٧ ص ٢١١ وعدد أكتوبر سنة ١٩٢٨ ص ٢٣٤ وما بعدها .

(٤) راجع مثلا مقالا فى مجلة المعهد (عدد ٢ من سنة ١٩٣٦) بقلم مديره الدكتور أوجين أوستى عنوانه « المنازل المسكونة » Maisons Hantées .

(٥) وهذه اللجنة مختصة أيضاً بفحص ظواهر تحريك الأجسام الصلبة بغير وسيلة مادية Telekinesie ورفعها Lévitation والأرواح الشريرة Poltergeist والمنازل المسكونة =

من أسباب الشغب

بل إن الأمر لم يقف عند مجرد تسجيل بعض حـــوادث لشغب غير معروف المصدر ، إذ تعداه إلى تقصى أسبابها فى العالمين غير المادى والمادى معاً . فنى العالم غير المادى تتصل هذه الأحداث بذكريات معينة دفينة فى عقول الأرواح لا تريد أو لا تقدر أن تتخلى عنها. وهى التى تعلل حدوث هذا الشغب فى ساعات معينة من الليل أو النهار أو فى شهر أو فى شهور معينة من السنة ، كما قد تعلل اتخاذ هذا الشغب مظهراً معيناً دون غيره .

وفى العالم المادى اتضح أن سبب الشغب يرجع إما إلى وجود مخزن لطاقة غير مادية ولا معروفة فى بعض المنازل بسبب تداخل بعض الاهتزازات بين العوالم المختلفة وإما إلى وجود وسيط لنوع أو لآخر من الظواهر الفيزيقية يجهل نفسه فى المنزل ، هو فى المعتاد صبى أو صبية فى سن المراهقة ، وإما يرجع الشغب إلى توافر العاملين معاً . وقد تبين أن لسن المراهقة صلة ما بنشاط الغدة الصنوبرية Pineal Gland التى تقع فى قاعدة المخ ، والتى ربما تكون لهـا صلة مباشرة بالوساطة الروحية من ناحية نشاطها أو خمولها .

هذا وقد كان الفيلسوف ديكارت Descartes يقول إن الغدة الصنوبرية فى الدماغ هى الحلقة المتوسطة بين روح الإنسان وجسده . ويقول المرحوم الأستاذ العقاد فى مؤلفه عن «الله» إن « عدداً من العلماء المعاصرين يؤيدون هذا القول ويدعمونه بالمشاهدة والاستقراء»[1] ، فتأمل فى خطورة هذا القول وفى مغزاه ! .

ويقول الأستاذ هارى برايس مدير « المعمل الوطنى للبحوث الروحية » التابع لجامعة لندن فى مؤلفه عن «الشغب فوق انجلترا» أو ثلاثة قرون من الأشباح الشريرة ، عن نتائج بحوثه الخاصة فى هذا الشأن إن الغالبية العظمى من وسطاء

= Maisons Hantées لأنها كلها من طبيعة واحدة ، فهى ظواهر روحية فيزيقية . راجع مجلة هذا المعهد واسمها Revue Métapsychique عن سنة ١٩٦٢ ، وفى ص ٢ — ٥ منها تجد تشكيل لجان هذا المعهد وتوزيع العمل بينها خلال عام ١٩٦٣ .

(١) ص ١٩٣ .

المراهقة هؤلاء من الفتيات لا من الفتيان ، وأن النسبة تعادل حوالى ٩٥٪ للفتيات فى مقابل ٥٪ للفتيان ، وأن هذه النسبة وحدها تنفى إمكان تعليل هذه الحوادث بالافتعال و «بشقاوة الأولاد» لأن الأولاد فى المعتاد أكثر «شقاوة» من البنات .

كما يقول بأن الوساطة فى النساء عموماً أقوى منها فى الرجال لأسباب قد تكون سيكولوجية ، وقد تكون فسيولوجية متصلة بتكوين المرأة . وبأن ثمت صلة ما بين المشاعر الجنسية وبعض الظواهر الوساطية . كما لوحظ أن حوادث الشغب هذه تكون أسهل وقوعاً كلما كان الوسيط المراهق نائماً ، إذ يكون فى حالة أشبه ما تكون بحالة الغيبوبة التى يقع فيها أغلب وسطاء الظواهر الروحية الأخرى [1] . وأن أغلب هذه الوساطات وقتية تزول بتمام نضج الوسيط أو الوسيطة . كما يرى أندرو روبرتسون Andrew. J. B. Robertson أحد بحاث هذه الأمور أن هذه الوساطة هى عبارة عن اتجاه الطاقة التى يحصل عليها المراهق بالبلوغ إلى غير وجهتها الداخلية الصحيحة [2] .

كما أن التحقيقات العلمية لهذه الظواهر الغريبة تمكنت — فى أحوال كثيرة — عن طريق الاستعانة بوسطاء الاستشفاف البصرى والسمعى من تعيين شخصية الروح أو الأرواح الساكنة فى المكان ، ومن معرفة تاريخ حياتها وظروف انتقالها ، بعد مطابقة معلومات الوسطاء على المعلومات التى تقدمها وسائل التحرى والاستقصاء العادية عن الشخص المنتقل . ووصلت إلى نظرية مترابطة مقتضاها أن الأرواح المشاغبة أرواح غير سعيدة أو غير راقية : —

— فهى إما متألمة من ذكريات أرضية قاسية تعرضت لها قبل انتقالها بسبب آلام جثمانية أو نفسية عانت منها ، ولا تزال تلازمها رغم تخليها عن أجسادها .

— وهى إما تجهل أمر انتقالها لوفاتها بسبب جريمة ، أو حادثة فجائية ، وتتصرف على اعتبار أنها لا تزال تقيم فى هذا المكان .

---

(١) عن الفصل الثلاثين وعنوانه « هل يمكن تعليل الشغب ؟ » .

(٢) المرجع السابق ص ٣٧٨ — ٣٨٢ .

— وإما تعلم أنها انتقلت — وبعضها أرواح قديمة — لكنها لا تزال هائمة على وجهها فى الأرض لتخلفها عن المستوى الروحى المطلوب ، فهى تنتهز فرصة وجود الوسيط الذى يجهل نفسه فى المنزل كيما تسلى نفسها حين تشاهد الناس فى حالة من الذعر والاضطراب بسبب الخوف الناجم عن الشغب ، فهى تسخر منهم بسبب انحطاطها العقلى أو الخلق .

وعن طريق الوسطاء الروحيين أمكن فى جميع الأحوال — تقريباً — إنهاء حالة الشغب هذه بعد جهود تراوحت فى مداها ومدتها ، بمساعدة أرواح راقية كان هدفها ليس مجرد طرد الأرواح المشاغبة بقدر ترقيتها خلقياً والنهوض بها عن طريق التوعية والإقناع . كما كان هدف الأرواح الراقية تخفيف آلامها بوسائل شتى وإفهامها حقيقة حالتها الجديدة .

ومن يراجع البحوث والمؤلفات والمجلدات التى بيناها آنفاً يجدها تدور حول هذه المعانى . أى أنها وصلت إلى حلول مترابطة ، وإلى نتائج إيجابية متماسكة لا ينكرها إلا من تعود الهرب من حقائق الحياة — حلوها ومرها معاً — كيما لا يتنازل قيد إنملة عما تعوده من طريقة معينة للتفكير . فهل يوصل العناد المتأصل إلى أية حقيقة علمية ، أم أن الحقيقة بنت البحث العلمى المحايد والتجربة الطويلة؟.. هذا هو كل التساؤل من الناحية المنطقية بين أنصار البحث الروحى وأعدائه .

وسنعلم فى مناسبة لاحقة كيف أن الروح الراقية — على عكس الأرواح غير الراقية — قد تعثر على الوسيط المناسب فتساعده بالإلهام الراقى وتجعل منه مع الوقت شاعراً أو فيلسوفاً أو عالماً عبقرياً ، بالقدر الذى يتفق مع استعداده الفطرى ومع مجهوداته الخاصة بالإضافة إلى مجهودها معه . فالإلهام الراقى قد يرجع إلى فضل مزدوج تتقاسمه الروح الملهِمة مع الوسيط الملهَم .

وكان موضوع الشغب المجهول المصدر — ومثله المس الروحى — يمثل الجانب المظلم من الوساطة غير الراقية للأرواح غير الراقية ، حين يمثل

موضوع الإلهام الراقى — ومثله الظواهر الوساطية الراقية — وهى كثيرة — الجانب المضىء من الوساطة الراقية للأرواح الراقية .

وكل ذلك لا يعبر عنه شيء قدر قول سويدنبرج الفيلسوف الوسيط «إن من عاش فى العالم المادى داخلياً فى الخير ، يتصرف هناك بمنطق وبحكمة ، بل بحكمة أكثر مما كان يفعل فى العالم المادى لأنه تحرر من الرابطة التى كانت تربطه بالجسد وبالتالى بالأشياء الأرضية التى كانت تولد الظلام وتضع أمام ناظريه نوعاً من الغيوم .

وبالعكس من عاش فى العالم فى الشر يتصرف هناك بحماقة وجنون ، وربما بجنون أكثر مما كان يفعل فى العالم المادى لأنه يشعر نفسه حراً غير مقيد الوثاق . وفى الواقع أنه عندما كان يحيا فى العالم المادى كان يتظاهر بالتعقل ، ويتصنع عن طريق جسده مظهر الإنسان العاقل ، أما إذا نزع عنه هذا الجسد فقد انكشف جنونه .

فالإنسان الشرير الذى يتظاهر بمظهر الإنسان الطيب يصح أن يشبه بوعاء نظيف ولامع من الخارج مغلق بغطاء محكم لكنه يخفى فى داخله قاذورات من كل نوع ... »

كما يقول فى موضع آخر ، إن كل ما فى الإنسان من إرادة ومن ميول يبقى بعد الموت . فمن يريد الشر ويحبه فى الدنيا يريده ويحبه فى الآخرة ، ويزداد ألمه إذا ما منع عنه . . . . ولا يتمنى شيئاً إلا أن يكون حيث يوجد الشر ، ولذا فإن الإنسان هو الذى يندفع مختاراً بعد موته إلى العذاب لا يدفعه أحد إليه . . . . وإنه فى عالم الروح لا يمكن لإنسان أن يقاوم شهوته ، لأن الشهوة تنتمى إلى الميل والميل إلى الإرادة والإرادة إلى الطبيعة ، وكلٌ يتصرف بحسب طبيعته[1] » .

(١) « الجنة والنار » Le Ciel et L'Enfer ترجمة فرنسية بقلم L. Jean Francais فقرة ٥٠٥ ص ٣٧٥ ، وفقرة ٥٤٧ ص ٤١٨ ، وفقرة ٥٧٤ ص ٤٤١ .

الفصل الثامن

بينات على وجود الجسد الأثيرى

أجمع بحاث العلم الروحى فى كل البينات على أنه يوجد لكل كائن حى إنساناً كان أم حيواناً جسد غير مادى يطلق عليه وصف أثيرى أو كوكبى Etheral or Astral Body وهذا الجسد الآخر له كيان مادى إلا أنه بالنظر إلى ارتفاع اهتزازه إلى ما فوق اهتزاز الضوء بكثير لا يكون له على المستوى الأرضى وبالنسبة لحواسنا المادية هذا الكيان المادى الذى يكون له هناك.

وهذا الجسد اللامادى يلازم الجنين فى بطن أمه، ثم ينمو بنمو الجسد المادى، فهو يشكله ويتشكل به عند كل كائن حى لا عند الإنسان فقط، وهو يتخلله كما يتخلل الماء العود الرطب، ويشغل معه نفس الحيز من الفراغ، وهذا جائز علمياً الآن، بالنظر إلى تفاوت مرتبتى الاهتزاز فيما بينهما، وبالتالى لتفاوت سرعة الاهتزاز وبالتالى «طول الموجة» بحسب التعبير الذى يستعمله علم اللاسلكى.

وهذا الجسد اللامادى هو صلة الوصل بين الروح الناطقة — بمعنى الشرارة القدسية التى تهبنا الحياة — وبين الجسد المادى. ويصل بين الجسدين المادى والأثيرى حبل من ضوء يسمى الحبل السرى الروحى psychic imbilical cord وقد وصفه الكتاب المقدس «بالحبل الفضى»، وهو يعد مقابلا للحبل السرى الذى يصل الجنين بالمشيمة ويلزم قطعه وربطه عند الولادة. أما هذا الحبل الفضى فينقطع من تلقاء نفسه عند الوفاة فتتوقف بانقطاعه الحياة فى الجسد المادى، كيما تبدأ الحياة من جديد فى المستوى الكوكبى — وهو أول مستوى تصل إليه النفس بعد الانفصال عن الجسد المادى بالوفاة — عن طريق هذا الجسد اللامادى الخاضع لناموس التطور بحسب مستوى الوجود الذى قد يحيا فيه صاحبه. فمستواه الكوكبى فى العالم

الكوكبي Astral يتطور إلى روحي فى العالم الروحي Spiritual ثم إلى عقلى فى المستوى العقـــلى للوجود Intellectual . وقد تعددت النظريات والمدارس فى شأن هذا الجسد غير المادى المتطور بما يضيق المقام عن تفصيله ، لكنها تسلم كلها بوجوده .

وكان سقراط يؤمن أيضاً بوجود هذا الجسد اللامادى ويقول إن النفس لا تعدو أن تكون « صورة مماثلة للجسم المادى وأنها كمال أولى لجسم طبيعى آلى ذى حياة بالقوة » على حد تعريفه .

وعرفته أيضاً العقائد الهندية كلها . وقد وصفه أحد حكماء الهند القدماء بأنه « الذات الحقيقية للإنسان التى لا تُرى لكنها تَرى ولا تُسمع لكنها تَسمع ولا تدرَك لكنها تدرِك ولا تعرف لكنها تعرِف . هذه هى الذات الآمر الداخلى الذى لا يفنى » .. فنحن نحيا حياتنا الحقيقية فى أعماق هذه الذات لا فى الجسد البالى الذى نكشفه للعالم لكن لا نكشف به العالم ...

كما تحدث عنه بولس الرسول قائلا « يزرع (الإنسان) جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانياً . يوجد جسم حيوانى ويوجد جسم روحانى ، ... الإنسان الأول من الأرض ترابى ، والإنسان الثانى من السماء ... وكما لبسنا صورة الترابى سنلبس أيضا صورة السماوى . فأقول هذا أيها الأخوة إن لحماً ودماً لا يقدران أن يرثا ملكوت الله ، ولا يرث الفساد عدم فساد » [1] .

الجسد الأثيرى فى رأى أوليفر لودج

وقد وصف سير أوليفر لودج هذا الجسد الأثيرى بأنه وسيط الاتصال بالأثير وبالحياة الأخرى وبالله . وهو يكون واسطة يتعرض الجسد المادى عن طريقها للاهتزازات التى يسجلها العقل عن طريق الحواس الخمس (وهى النظر والسمع واللمس والذوق والشم) .

---

(١) فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أصحاح ١٥ عدد ٤٤ — ٥٠ .

كما تحدث لودج عن هذا الجسد الأثيرى فى مؤلفه « لمَ أؤمن بالخلود الشخصى ؟ » (١٩٢٨) قائلا « إنى أسلم بأن الاستخدام العملى للذكاء يحتاج إلى « مركبة جسدية » ولكن لا يلزم فى الجسد أن يكون — فحسب — مكوناً من اجتماع شحنات متقابلة من الطاقة هى التى تعودنا أن نطلق عليها وصف « المادة »، فإن هذا افتراض يقوم على غير أساس وألقى على عواهنه شأن الكثير من الافتراضات الأخرى التى دفعتنا الكشوف العلمية الحديثة (مثل نظريات النسبية)إلى أن نتخلى عنها .

فيمكننى أن أتصور بنياناً مكوناً من الأثير وصلباً ومحسوساً كالمادة العادية ، ولكن مختلفاً عنها فى أنه لا يخضع لحواسنا الحيوانية الحاضرة ، كما لا يذعن لإشراف حضلى مباشرمنا فإن الجزيئات التى تكون أية كتلة عادية من المادة متماسكة فيما بينها عن طريق قوى للتماسك وللارتباط الكيميائى وللجاذبية ، وهى قوى غير مادية يعترف بها العلم اعترافاً متزايداً كوظائف لأثير المكان . فجسم المادة الذى نشاهده ونمسك به ليس هو كل جسمها ، بل ينبغى أن يكون له مقابل أثيرى كيما يمسك بين أجزائه . وهذا المقابل الأثيرى هو المزوِّد الحقيقى بالحياة عند الكائنات الحية فيما أعتقد.

ففى اعتقادى أن الحياة والعقل ليسا مرتبطين بالمادة ارتباطاً مباشراً ، بل إنهما فحسب يملكان العمل عن طريقها بشكل غير مباشر خلال اتصالهما الأوثق صلة بمركبة أثيرية تشكل الأداة الحقيقية لهما ، أى بجسد أثيرى يعمل بالاشتراك معهما (أى مع الحياة والعقل) وبالتالى يتحكم فى المادة .

وبعد أن يبين لودج كيف أن المادة الصلبة ذات أوجه نقص متعددة يقرر أن الأثير لم يتكشف عن آية إشارة لأى نقص فيه أو قصور « فهو شفاف لآخر مدى ، ولا يضيع أية طاقة ، وأى بنيان مكون من الأثير دائم فيما يبدو. ونحن نملك منذ الآن جسداً أثيرياً مستقلا عن الحوادث التى قد تحدث للمادة المحسوسة المتصلة به والمشتركة معه وهذا الجسد الأثيرى سنظل نحوزه لفترة طويلة بعد انفصال المقابل المادى له ..

« وهذا التلخيص الموجز السريع هو النتيجة التى وصلت إليها تدريجياً والذى له أن يبين بطريقة عامة نوع أسس التجربة التى يستقر عليها ، وبعض ما يتضمنه من دلالات . ولا يمكننى الآن أن أواصل السير إلى الحجج الحديثة عن الأثير وضرورته الفلسفية لفهم جميع الظواهر وعرضها ، إلا إذا عولجت بطريقة مجردة صرف من شأنها أن تدع المعادلات الرياضية بغير تفسير فيزيقى لها ، ولكنى سأحاول أن ألخص الوضع العام الذى قادنى إمعان النظر فى الحقائق لأن اقتنع به ، وعندئذ سأبين قصة هذه الحقائق كما وصلت إلى نطاق بصرى ... » [١]

ثم يبين لودج أسانيد هذا الاقتناع فى مؤلفه هذا .

الجسم الأثيرى فى رأى هيوات ماكنزى

وبحسب رأى الأستاذ هيوات ماكنزى J. H. Mckenzie مدير « الكلية البريطانية للعلم الروحى » فى مؤلفه عن « الاتصال بالروح »[٢] يتكون الحبل السرى الروحى الذى يصل بين الجسدين الروحى والفيزيقى من خيوط دقيقة تنبع من رأس الجسد الروحى ورئتيه وقلبه إلى الأجزاء المقابلة لها فى الجسد الفيزيقى . وعندما تغادر الروح جسد الإنسان عند الوفاة فإنها تفلت منه خلال عظام الجمجمة . ولكن فى النوم أو الغيبوبة تغادره من منطقة القفص الصدرى . وبذلك تظل مرتبطة بروابط حيوية بالأعضاء الجسدية .

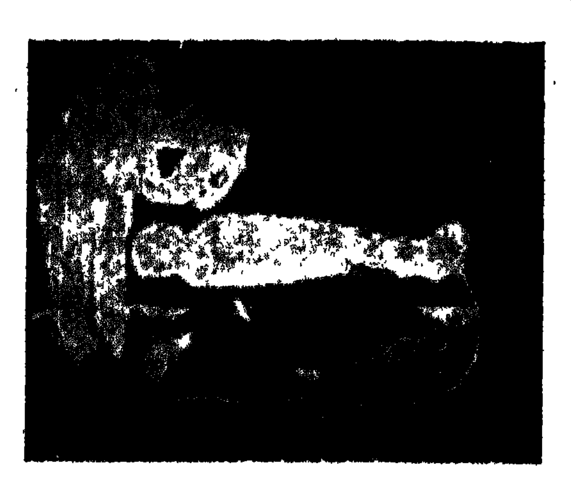
وقد تكون الروح Soul بعيدة عن الجسد المادى حال الحياة بآلاف الأميال ، إذ أن الطبيعة المطاطة للحبل الذى يصل بينهما تسمح للروح بحرية تامة فى التنقل . وهذا ما يحدث فى حالات الطرح الروحى أو الكوكبى Projection of Astral body وطالما كانت الروح مهيمنة على الأعضاء

---

(١) Why I Believe In Personal Immortality. طبعة رابعة : سبتمبر ١٩٢٨ ص ٩ — ١١ .

(٢) Spirit Intercourse.

الفيزيقية عن طريق الحبل الروحى (أو الأثيرى) فإن قوانين التحلل لا يمكن أن تنال من الجسد المادى ، ولكن عند انفصال الحبل الأثيرى يحدث الموت حتماً.



رسم من عمل الأستاذ هيوات ما كنزى يمثل الجسدين المادى واللامادى والحبل الاثيرى الذى يربط بينهما أثناء الاحتضار .

أما قبل هذا الانفصال فلا يحدث الموت حتى وإن راح الوعى أحياناً فى غيبوبة عميقة بسبب الطرح الروحى قد تلتبس فى بعض الأحيان مع غيبوبة الموت الحقيق ، وقد تتوقف أثناءها جميع الأعضاء والأجهزة عن العمل فيبدو الجسد المادى ميتاً وما هو بميت . وقد تحدث نفس هذه الاعراض فى وقت الاحتضار . ولذا فإن بعض حالات والغيبوبة العميقة نبهت العلماء إلى حقيقة هامة وهى وجوب عدم التسرع فى دفن الموتى بوجه عام عقب الاحتضار مباشرة . لأنه فى بعض صور « الغيبوبة الحيوية » قد تتوقف كل أعراض الحياة ومنها دقات القلب والتنفس ودورة الدم بغير وفاة حقيقية . فإذا تنبه « الميت » إلى وعيه وهو فى قبره قاسى أهوالا جساما تجل عن الوصف إلى أن يموت موتا رهيباً بطيئاً أشد فظاعة من كل صور التعذيب التى عرفها البشر . فارحموا موتاكم وتأنوا فى الجزم بالوفاة أيها الأطباء والأقرباء ولذا يشير العلم الحديث بوجوب التأنى فى دفن الموتى

بالأقل إلى ما بعد ظهور البقع الزرقاء على البشرة ، وتتطلب تشريعات كثيرة ألا يدفن الميت قبل مضى ٢٤ ساعة من تشخيص وفاته[1] .

وقد أثبت علم الروح أيضا أن انسلاخ الجسد الأثيرى بالوفاة عن المادى لا يتم بغتة ، ولا انقطاع الحبل الأثيرى الذى يصل بينهما . كما أثبت أن « الوفاة » قد تكون فى حقيقتها غيبوبة كاملة عميقة قد تحدث بسبب الألم أو الإعياء ، ولذا فقد تعقبها أحيانا عودة الصلة بين الجسدين كما كانت من قبل .

أوصاف شتى للجسد الأثيرى

وهذا الجسد الأثيرى هو الرابطة بين الجهاز العصبى والمستودع الكونى للطاقة بحسب التعبير الثيوصوفى . وهو يقابل الجسد الذى يطلق عليه وصف الجسد المطابق The Double فى بحوث علم الروح ، ووصف النموذج أو المثال الأصلى The Archetypal فى بحوث الباراسيكولوجى .

فكل هذه أوصاف شتى للتعبير عن حقيقة واحدة وهى أن للإنسان جسداً آخر غير جسده المادى الخاضع للحواس . وهذا الجسد الآخر غير ماد على المستوى المادى ، ولكنه مادى على المستوى غير المادى (أى الكوكبى أو الروحى أو العقلى بحسب مرحلة التطور التى وصلت إليها النفس) .

وفى الفلسفة الثيوصوفية يطلقون وصف الجسد الأثيرى على هذا الجسد غير المادى حال الحياة الأرضية ويطلقون عليه وصف الجسد الكوكبى فحسب عند تحرره من الجسد المادى بالوفاة ، أما فى المؤلفات الروحية فيستعمل الوصفان كترادفين فيحل أيهما محل الآخر فى التعبير عن الجسد اللامادى للإنسان .

---

(١) تبين من بعض الاحصائيات أن حوالى ٢٪ من « موتى » مدينة نيويورك يدفنون أحياء بسبب الخطأ فى تشخيص الموت والتسرع فى الدفن .

وقد بينا فى مناسبة سابقة كيف تتجسد الأرواح، بعد تحررها من ربقة أجسادها الترابية،عن طريق هذه الأجساد الأثيرية تجسداً تاماً أو جزئياً بحسب قدرة الروح المتجسدة — ومن ورائها الأرواح المرشدة — وإمكانيات الطاقة الوساطية وظروفها ، وكيف أمكن عمل نماذج من الشمع للأعضاء المتجسدة فى عدة معاهد تحت أدق صور الرقابة [1]. كما سنبين فى الفصل المقبل كيف أمكن عن طريق التأثير المباشر للعقل فى المادة الحصول على صور كاملة أو جزئية لأجساد أثيرية لبعض المنتقلين غير متجسدة وبالتالى غير منظورة بالنظر العادى ، بل قد يراها فحسب وسطاء الجلاء البصرى.

الإحساس من خواص الجسد الأثيرى

هذا وقد أثبتت بحوث متعددة أن للإنسان المتقل فى جسده المادى حاسة روحية ، هى التى توصف بأنها حاسة سادسة ، واحدة فى جوهرها لكنها متعددة فى قدرتها وفى أساليب عملها . وهذه القدرة الروحية على الإدراك قد تتم خلال أدوات الإحساس المادية والمخ فى نشاطه العادى ، أى قد تتم بطريقة باثولوجية صرف، كما تتم أحياناً نادرة جداً بطريقة مباشرة أى خارج أعضاء الحس الفيزيقية ، فيرى صاحبها عن غير طريق العين كما قد يسمع عن غير طريق الأذن . . . وهكذا دواليك فتوصـــف بأنها تمثل الإدراك عن غير طريق الحواس Extra-Sensory Perception ويبدو أن هذه الملكات غير خاضعة حتى لقانون التطور البيولوجى .

وقد أكد بعض العلماء مثل جيمس هايسلوب فى أمريكا [2] وإرنستو

---

(١) راجع ما سبق فى ص ١٢٩ — ١٤٠ وراجع ماورد فى مجلة « السايكك نيوز » (عدد ٢٢ مايو سنة ١٩٦٥) عن بحوث العالم الألمانى المعاصر الدكتور هانز جيرلوف Hans Gerloff على ١٧ وسيطاً شاهد عن طريقهم تجسدات لخمسة وتسعين روحاً. وجيرلوف من أحسن علماء البارا سيكولوجى الأحياء ومن مؤلفاته فيها .
The Crisis In Parapsychology : Stagnation or Progress ?

(٢) راجع عنه ما سبق فى ص ١٦٣ .

بوزانوفى إيطاليا[1] بعد بحوث شاقة أن هذه الملكات فوق العادية لا تنتمى إلى الجسد المادى ، بل إلى الروح بمعنى الجسد الأثيرى ، وأنها خاملة ومستترة فى العقل الباطن لكل منا . فلا تعمل بطريقة منتظمة خـــلال حياتنا الأرضية ، ولاتظهر إلا بصورة استثنائية جداً رغم أن استخدامها بطريقة منتظمة كان سيزود الإنسان بأسلحة هامة فى مرحلة كفاحه لأجل الحياة ، لأن الطبيعة قد رسمت لهذه الحاسة السادسة (التى تتضمن فى الواقع جميع الحواس المعروفة) ألا تعمل بكل قوتها إلا بعد الخلاص من ربقة الجسد المادى ، أى لا تعمل إلا فى وسط روحى صرف .

هذا إلى أن المرحلة الحالية التى وصلت إليها معارف الإنسان المادية لا تفسر كيفية عمل الحواس الخمس العادية . فالعين المادية رغم دقتها المفرطة كجهاز لا تفسر مثلا حاسة النظر حتى لو أضيف إليها المخ الذى هو بدوره آلة صماء لا تعمل بغير « كهربائية العقل » ، هذا العقل الذى هو من خصائص الروح لا الجسد المادى . أو هو بالأدق من خصائص الجسد الأثيرى الذى يحمل العقل كما يحمل الحواس الخمس وهى البصر والسمع والشم واللمس والذوق مجتمعة فى قدرة واحدة تعمل عن طريق العقل ، عندما يزودها العقل بالطاقة اللازمة للعمل ، كما تزود الكهرباء أى جهاز مادى بالطاقة التى بدونها لا يمكن أن يعمل شيئاً ، وبدونها يختزل أى جهاز كهربى إلى آلة صماء عاجزة ، كما يختزل المخ نفسه إلى آلة صماء بدون « كهربائية العقل » هذه .

وهذا القول يصدق على كل حاسة من حواسنا الخمس المعروفة . فوراء كل حاسة منها تعمل « كهربائية العقل » هذه عملها محكومة بنواميس طبيعية مفرطة فى عمقها وفى خطورة دورها فى الحياة . وإنما ارتبطت فى أذهان الماديين حاسة البصر مثلا بالعين لأنهم لا حظوا أن فقد العين لمرض أو لعاهة أو لبتر يؤدى حتماً إلى العمى الكلى أو الجزئى ، وفاتهم أن هذه النتيجة حتمية أيضاً حتى لو اعتبرنا العين مجرد أداة للبصر لا مصدراً له ، أو حتى

---

(١) راجع عنه ما سبق فى ص ٣٠٨ ومابعدها .

لو اعتبرناها بمجرد شرط واحد من بين شروط أخرى متعددة لازم توفرها كلها لإمكان البصر الواعى فى المستوى المادى للحياة .

وفى المدارس الروحية يصدق ذلك أيضاً على وظائف الأعضاء اللازمة كلها للحياة على مستوى الوجود المادى لها . فما الذى يدعو القلب لأن ينبض بطريقة منتظمة حوالى ٧٢ مرة فى الدقيقة ؟... إن الذى يدعوه لذلك هو مركز من مراكز الطاقة Chakra كائن فى الجسد الأثيرى فى موضع القلب يمده بالقوة المحركة . كما يمد الجهاز العصبى فى مراكزه الرئيسية بالطاقة التى تكفل له العمل المنتظم طالما كان الجسدان معاً متمتعين بأسباب الصحة التى قد تضطرب فى الجسد الأثيرى لعوامل اعتدنا أن نسميها بالنفسية ، كما قد تضطرب فى الجسد المادى لعوامل شتى بين فسيولوجية وبيولوجية يعرفها جيداً الطب المادى الذى لا يعرف بعد شيئاً يذكر عن مراكز الطاقة هذه وكيفية عملها ، مع أنها بمثابة « الدينامو » الحقيق وراء وظائف الأعضاء الظاهرة والباطنة .

وعدد كبير من وسائل العلاج الروحى إنما يتجه رأساً إلى مراكز الطاقة هذه فى الجسد الأثيرى ، إذا ما لحقها اضطراب ما ، كيما تحاول أن تعيدها إلى اهتزازها الطبيعى ، فتتولى بعدئذ بنفسها محاولة إصلاح ما أفسده الزمن فى وظائف الأعضاء المادية ، وقد يحتاج ذلك إلى زمن قد يطول أو يقصر بحسب الأحوال .

ومراكز الطاقة فى الجسد الأثيرى هذه تتأثر تأثراً مباشراً بانفعالات الإنسان ، ومن هنا جاء تأثير الانفعالات فى الصحة العامة عن طريق وظائف بعض الأعضاء . ولنا عودة فيما بعد للكلام فى مراكز الطاقة فى الجسد الأثيرى التى ابتدأ بعض العلماء فى كشف غوامضها وتعرف بعض أسرارها ، الأمر الذى فتح آفاقاً جديدة بالغة أقصى درجات الخطورة لطب الجسد والروح معاً .

* * *

ومثل ذلك يصدق أيضاً على علاقة العقل بالمخ . فقد تقوضت تماماً

أركان النظرية المادية التى كانت تعتبر العقل نتاجاً للمخ . ووضح الآن لعدد كبير من أفضل علماء الفسيولوجيا والنفس والطب أنها نظرية زائفة وأن «الرأى القائل بأن المخ هو المحور للإنسان تدليس علمى لم يكن له أساس حقيقى» على حد وصف الأستاذ ج . ب . راين بعد تجارب عشرات من السنين فى جامعة ديوك بالولايات المتحدة[1] .

وقد بينا أقوال عدد من الفلاسفة والعلماء فى هذا الشأن فى عدة مناسبات متفرقة[2]، وأصبح الرأى السائد الآن هو تعليل المخ بالعقل ، لا تعليل العقل بالمخ ، مع الاتجاه إلى القول بأن العقل هو المهيمن على المخ وأن المخ هو جهاز مؤقت للعقل لا مصدره .

وإذا قلنا إن المخ هو جهاز العقل فهو جهازه المادى الذى يعبر به مؤقتاً عن نفسه ، ولكنه فى نفس الوقت يقيد نشاطه ويعوق الكثير من إمكانياته الفطرية إلى حين انطلاقه من أسر هذا الصندوق الضيق المحبوس فى عظام الجمجمة والمسمى المخ عن طريق «الوفاة» كما ينطلق الطائر الحبيس من قفصه. و«هناك» يعبر العقل عن نفسه تعبيراً أكثر انطلاقاً وتحرراً ، عندما تكون صورته الواعية الطبيعية هى كل إمكانياته فى مستوى آخر من مستويات الوجود .

ومن السائد الآن فى البحوث الروحية القول بأن المخ لا يمثل تجسد العقل كله ، بل هو تجسد مؤقت لجانب قليل من العقل فحسب لتحقيق هدف التطور والارتقاء فى هذا الجانب المتجسد منه عن طريق الأيام القصيرة من الإقامة فى المستوى المادى للوجود . ومن دواعى الاعتقاد بنظرية العودة للتجسد عند المعتقدين بها ، أنه فى كل تجسد جديد يتقدم جانب جديد من العقل للأمام إلى أن يستغنى العقل عن الحاجة إلى التواجد فى هذا المستوى المادى بتاتاً .

---

(١) راجع ما سبق ص ١٧٧ — ١٧٩ .

(٢) راجع رأى برجسون فى ص ١٨٣ ، ٣٥٣ وريشيه فى ص ٣٥١ وكلود برنارد فى ص ٣٥٢ وعدد آخر من العلماء فى ص ٣٥٢ — ٣٥٥ .

وغنى عن البيان أنه إذا كان مقر المخ هو الجسد المادى للإنسان فإن مقر العقل هو الجسد الأثيرى (حتى على المستوى المادى) .

الجسد الأثيرى غير قابل للبتر أو للفساد

ومن خصائص هذا الجسد الأثيرى أنه لا يهرم مهما هرم الجسد المادى ، وهو غير قابل للبتر . فإذا ما بتر ذراع إنسان حى فى حادث أو فى جراحة فإن الذى يبتر هو ذراعه المادى فقط ، أما الذراع الأثيرى فيظل فى مكانه يؤدى وظائفه كاملة فى حالتى الطرح الروحى المؤقت أى الغيبوبة الوساطية أو النومية أحياناً ، والطرح الروحى النهائى أى الوفاة .

وقد بحث بعض الأطباء والعلماء أمر وجود أعضاء أثيرية فى موضع الأعضاء المادية المبتورة قد يشعر بها أصحابها ويتألمون أحياناً من موضعها ، وقد يتأثرون بما يلامسها من برودة أو حرارة ، وما قد تحركه فيهم من لذة أو ألم ومن راحة أو تعب فى أحوال كثيرة .

وقد أشار العالم الإيطالى إرنستو بوزانو Ernesto Bozzano فى بحث له عنوانه « ظواهر ازدواج الأعضاء »[١] إلى ما ذكرته الدكتورة بلليتيه Pelletier وإلى النتائج التى حصل عليها كل من برنشتين Bernestein وبيترز Piters وير ميتشيل Weir Mitchell فى باريس فى هذا الشأن .

وهو يحيل القارىء بوجه خاص إلى مانشره فى هذا الموضوع الفيلسوف وليام جيمس فى مضابط « الجمعية الأمريكية للبحث الروحى »[٢] عن نتيجة بحث قام به على ٢٨٥ شخصاً من ذوى الأطراف المبتورة ، وفيه يقول إن الإحساس بوجود عضو محل العضو المبتور يظل بعـــد عملية البتر لمدة تتراوح بين بضع ساعات وبضع سنوات وقد ظل شيخ فى السبعين من عمره يشعر بوجود فخذه المبتورة منذ كان فى الثالثة من عمره بنفس القوة والوضوح

---

(١) Les phenoménes de la bilocation

(٢) Proceedings of the American Society For Psychical Research 1885 — 1889p. 294'

اللذين يشعر بهما بوجود فخذه الآخر الذى لم يتناوله البتر . كما يقرر فى نتائج تحرياته هذه أن الإحساس بالحرارة وبالبرودة هو بوجه خاص أقوى أنواع الإحساسات التى قد تظل باقية لدى صاحب العضو المبتور .

ويرى الأستاذ بوزانو أن العضو الشبح يشعر به البعض كاملا فى شكله وحجمه ودرجة حرارته والوضع الذى قد يكون عليه والحركة التى قد يتحركها . لكن فى الغالب يكون الشعور به أقل وضوحاً من غيره ، فيشعر من بترت يده أو ساقه بأطراف الأصابع فقط ، ويكون إحساسه بباقى العضو غامضاً مبهماً . كما قد يحدث أن يكون الإحساس واضحاً لكن يبدو العضو الشبح لصاحبه أكبر من حجمه الطبيعى أو أصغر حجماً . على أن ذلك لا ينفى أن المرضى الذين يحسون بأطرافهم المبتورة يشعرون أن إحساسهم هذا حقيقى . حتى لقد قال مريض إلى وير ميتشل « إنى متيقن من وجود عضوى المبتور أكثر من العضو الذى أنا محتفظ به » .

ومن الغريب أن أحد العلماء الفرنسيين وهو ريزيه Riset بحث أمر هذه الظاهرة منذ أيام نابوليون بونابرت ، ولم يكن العلم الروحى الحديث قد ظهر بعد ، ولم تكن هناك أية فكرة عن الجسد الأثيرى فقال إنه سأل ٤٤٥ شخصاً من مشوهى الحروب والحوادث فقالوا له جميعهم — عدا ١٤ منهم — إنهم يشعرون بأعضائهم كما لو كانت موجودة فى مكانها لم تبتر بعد . وهذه النسبة تتفق — إلى حد ما — مع النسبة التى وصل إليها Piters الذى أشرنا إليه آنفاً . والذى يقول إنه فى حالة واحدة فقط من كل ثلاثين حالة ينعدم لدى المشوه الإحساس بوجود العضو المبتور أو بوجود شبح لهذا العضو . كما يضيف أن هذا الإحساس ينشأ عادة عقب البتر مباشرة كما قد يتأخر ظهوره إلى ثلاثة أيام ، وفى أحوال أخرى قد يتأخر ظهوره إلى ستة أسابيع .

* * *

فهذا الجسد الأثيرى هو الذى يحمل حواس الإنسان وشخصيته وعقله ، أما الجسد المادى فهو غلافه الخارجى . ومن ثم يظهر تماماً صواب ما سبق

أن قلناه من أن أعضاءنا المادية هى أدوات الإحساس لكنها ليست هى مصدر الإحساس .

ولذا فإن العلم الروحى يبين كيف أن سكان عالم الأثير يشعرون بالوجود عن طريق أجسادهم الأثيرية بصورة أكثر وضوحاً وانطلاقاً مما نشعر نحن عن طريق أجسادنا المادية، لأنهم لا يعتمدون على جهاز عصبي محدود القدرة كيما يشعرون ببعض مظاهر الوجود التى من حولهم . فأثير الفضاء قد حل لديهم محل ذلك الجهاز العصبي البالى ولم يعودوا بحاجة لأن يترقبوا دخول أشعة الشمس إلى « نوافذ » أجسادهم حتى يدركوا شيئاً قليلا من هذه المظاهر، لأنهم يحيون فى أثير مضىء ذى طبيعة خاصة على ما لاحظه سير وليام باريت . فهم هناك يحيون فى بيئة الحياة التى بعثت المادة ولم تبعث بها ، وأوجدت وسائل الحس والإدراك ولم توجد عن طريقها . وبعبارة أخرى إنهم يحيون فى بيئة هى أصل الحياة ويشعرون بها عن طريق أجساد أثيرية كانت مصدر أدوات الحس فى الأجساد المادية التى تخلوا عنها « بالوفاة » .

وهذه الحقائق الآن عقيدة فلسفية قبل أن تكون مجرد « وجهة نظر » روحية، أو حتى مجرد نتيجة معملية . ففى مؤلف الفيلسوف برجسون عن « التطور الخالق »[1] نجده ينتهى « إلى نتيجة ميتافيزيقية هامة للغاية وهى أن الحياة تستخدم وسائل متباينة للوصول إلى أغراضها . ومعنى ذلك أن الحياة ليست هى المادة ، ولا هى تنشأ عن المادة ، بل الضد من ذلك هو الصحيح . ويبقى بعد ذلك أن العين ليست هى أصل النظر ، بل النظر هو أصل العين . وفى عبارة أخرى يقول إن العضو ليس أصل الوظيفة ، وإنما الوظيفة أصل العضو . ومن هنا يمكن القول بأن مسير الحياة نحو الإبصار إنما هو مشروط بحركة الحياة ذاتها ، وليس مرتبطاً بظروف خارجية أو بالصدفة على النحو الذى يتصوره التطوريون من أمثال لامارك وداروين »[2].

---

(١) L'evolution Creatrice.

(٢) راجع « المذهب فى فلسفة برجسون » للدكتور مراد وهبة ١٩٦٠ ص ٧٢ .

وهكذا الحال بالنسبة لباقى الحواس التى نعرفها ، فكلها عبارة عن ملكات فى الجسد الأثيرى يستمدها من الروح . فمن يفقد إبصاره هنا ، أو من يولد أعمى لعلة موروثة فى أداة الإبصار الأرضية وهى العين يسترد حاسة البصر بعد إنتقاله إلى هناك وتخلصه من الجهاز المعتل الذى كان يعوق البصر هنا ، وهكذا الحال بالنسبة لأى خلل قد يصيب أى جهاز أرضى من أجهزة الحواس المختلفة . بل إن من ينتقل أبتر الذراع أو الساق سوف يسترد هناك عضوه المبتور ، لأن بتر جزء من الجسد المادى هنا لا يمس فى شيء الجزء المقابل له فى الجسد الأثيرى وهو من طبيعة الضوء وغير قابل للبتر .

« وحينما نخلع عنا ذلك الرداء البالى بعد التغير الموتى نقف فى مأوانا الجديد بجسم أثيرى — يقول الأستاذ جيمس آرثر فندلاى مدير المعهد الدولى للبحث الروحى — وتصبح قوانا الذهنية أنقى، وتصير تحركاتنا أسرع ... ولن نفقد بهذا التغيير شيئاً ذا قيمة ، فسنبقى كما نحن شكلا وملامح وفكراً وعملا . وأولئك الذين فقدوا أذرعهم وأرجلهم يستردونها ، وكذلك يسترد كل نقص جثمانى، لأن العضو الذى فقد هو الفيزيقى فقط . فالفيزيقى ليس إلا غطاء ، وهو يتحلل ويتلاشى باستمرار لكنه يتجدد بالدم ، وهذا دليل آخر على وجود بناء دائم تعلق به المادة الفيزيقية »[1] ... كما يقول نفس المؤلف إن العقل يحصل فى العالم الأثيرى بمضى الزمن على سيطرة كاملة على الجسم الأثيرى بحيث يمكن بالفكر إزالة جميع العاهات الجسمانية أو إبراؤها .

الهالة البشرية The Human Aura

الهالة البشرية عبارة عن إشعاعات ضوئية تصدر من جسم الإنسان وتحيط به من كل جانب ويراها وسطاء الاستشفاف بيضاوية الشكل تعلو وتنخفض بنسب متفاوتة فى أجزاء الجسم المختلفة وتختلف من إنسان إلى

(١) « على حافة العالم الأثيرى » الترجمة العربية ص ١٣١ .

آخر كما تختلف الأشكال والأجسام المادية ولكن على نطاق أوسع وهى ذات ألوان متداخلة مثل قوس قزح ، لكن هناك إنسان يغلب على هالته اللون الأخضر وآخر يغلب عليها اللون الأزرق أو البنى وهكذا .

وهذه الهالة هى السجل الطبيعى الذى يسجل على الإنسان « خائنة الأعين وما تخفى الصدور » . فهى تسجل عليه رغباته وعواطفه ونزعاته وأفكاره ومدى نضجه العقلى والخلقى والروحى . بل تسجل عليه حالته الصحية لأنها تتأثر بآلام الجسد وبأمراضه من ناحيتى الألوان المنبعثة منها ، ومن ناحية تشكيلها العام وما قد يصيبها من انقسام أو انبعاج ، ويبدو هذا التأثر أوضح ما يكون عند المس الروحى ، ومن باب أولى عند الاستحواذ . والمس قد يجىء من ناحية كائن غير منظور فيسبب متاعب صحية أو نفسية أو عصبية لمن قد يكون ضحيته .

والهالة من الموضوعات الهامة التى عنى بها من عنوا ببحث موضوع الأرواح وبخاصة العلاج الروحى . وممن بحثوا الهالة ببراعة البحاثة الروحى شارل لانسلان Charles Lancelin فى مؤلفه « الروح الإنسانية : دراسات تجريبية — روحية — فسيولوجية — بمعرفة روحى »[1] الذى يتضمن ثمرة بحوث فيها دامت من سنة ١٩١١ إلى سنة ١٩٢٠ موضحة باللوحات العديدة للهالة فى مختلف أوضاعها وحالاتها .

كما عنى بدراسة الهالة الدكتور ولتر كيلنر Walter J. Kilner وقد اخترع لوحة الديسيانين لرؤية الهالة فى الضوء العادى Dicyanin Screen . وقد نشر الدكتور كيلنر مؤلفاً تحت اسم Human Atmosphere منـــذ سنة ١٩١١ ثم أعيد نشره فى سنة ١٩٢٠ تحت اسم Human Aura. كما أعيد

---

(١) L'Ame Humaine . وراجع ما سبق عن المؤلف فى ص ٢٨٨

نشره فى سنة ١٩٦٥ تحت هذا الاسم الأخير . ولم يكن المؤلف باحثاً روحياً ، بل كان طبيباً للعلاج بالأشعة بمستشفى سان توماس بلندن،ويعتبر من أوائل الرواد فى بحث موضوع الهالة بأسلوب معملى .

وقد أثبت كيلنر بدراسته وبجهازه أن إشعاعات الروح الإنسانية حقيقة واقعة ليس للخيال فيها أدنى نصيب.وأثبت ما استقر عليه الرأى السائد عند الروحيين من أن اللون الوردى مثلا يمثل الحب العذرى ، والأصفر يشير إلى النشاط العقلى الراقى ، والأزرق القاتم يشير إلى التدين ، والأخضر الرصاصى يشير إلى الخديعة ، والأخضر القاتم يدل على الغيرة،والزاهى على التسامح ، والأحمر الزاهى يرمز إلى الغضب والقوة ، أما الأحمر القاتم فيشير إلى الشهوانية ، والبنى يدل على حب المال والجشع . وهكذا ...

وقد واصل البحث فى هذا الشأن الأستاذ هارى بودنجتون Harry Boddington الذى كان نائباً لرئيس « الاتحاد الروحى الأهلى » بلندن U. N. S. ورئيساً لمجلس مقاطعة لندن فى هذا الاتحاد، واخترع جهاز الـ Kilnascrene [1] كما اخترع جهاز الـ Aurospecs لتنمية موهبة الجلاء البصرى . وله عدة مؤلفات هامةمنها مؤلفه المعروف فى « التجسدات »[2] (١٩٣٨) ومنها مؤلف عنوانه « جامعة الروحية »[3] وثالث عنوانه « أسرار الوساطة »[4] .

---

(١) وقد أسماه على اسم سلفه الدكتور كيلنر تخليداً لذكراه بوصفه صاحب فكرة الكشف على الهالة بهذه الطريقة .

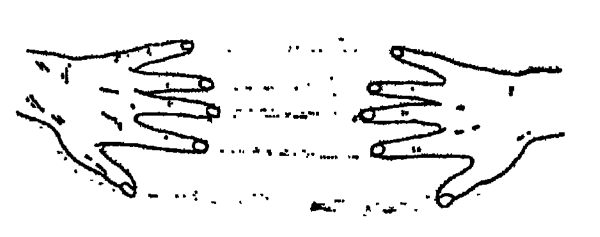
(٢) Materialisations.

(٣) The University Of Spiritualism.

(٤) Secrets Of Mediumship.



← هارى بودنجتون



→
رسم يمثل إشعاعات منبعثة
من يدى الوسيط الروحى
يشاهدها وسطاء الجلاء
البصرى، وتظهر واضحة
خلال جهاز كيلنا سكرين
Kilnascrene

←
قس الإشــعاعات
تتحرك فى كل اتجاه
مع حركة يدى الوسيط
وهو ما ينفى خداع
النظر .



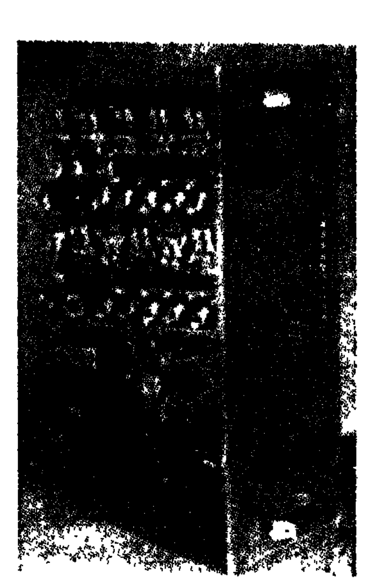
الإشعاعات المنبعثة من يدى الوسيطة ستانيسلاؤا كانت من القوة بحيث جعلت مقصاً ينتصب واقفاً بدون وسيلة مادية منظورة (صورة التقطت داخل المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس ويرى إلى جوار الوسيطة الدكتور أوكورويز الأستاذ بجامعة ليمبرج Lemberg) .

ويروى الدكتور و . ج . ريتشاردز W. C. Richards أنه طلب من وسيطين منفردين زيارة مريض لرؤية هالته ، وبعد أيام عاد كل منهما كيما يصف هالة المريض . وقد اتفق كلاهما على أن الكبد هو أسوأ المواضع فقد كان لون الهالة بجانبه أسود تقريباً ، كما وصف الوسيطان انبعاثات فى مواضع معينة بعضها أسود وبعضها الآخر بنى غامق ، ورأى كلاهما سحابة خفيفة على الصدر . وفى اليوم التالى فحص الطبيب مريضه وتحقق من صدق الوسيطين . كما وجد فى الجلد بقعة معينة قرر المريض أنها من أثر حقنة زرنيخ أخذها منذ عام وكان تأثير البقعة واضحاً فى لون الهالة .

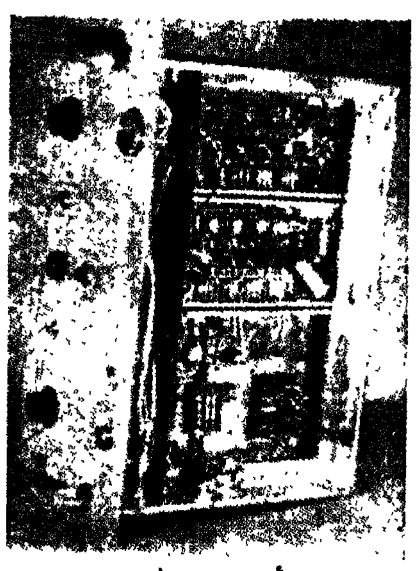
ويوجد جهاز يعرف باسم صندوق أبرامز Abram's Box نسبة إلى مكتشفه الدكتور ألبرت أبرامز ، وهو يحوى عدداً من الريوستاتات Rheostats متصلة على التوالى وتزداد مقاومتها بوساطة ملفات تشبه ما فى جهاز الراديو العادى . وتستخدم فيه ذبذبات الأوم Ohm كيما تدل على الألوان غير المنظورة . وقد راجع الدكتور ريتشاردز هذه الذبذبات اللونية للهالة مع

ذبذبات أفلام ملونة فوجدها متطابقة وحرر بياناً مفصلا لقياس حلقات الهالة Aura rings فى مختلف مراحل التطور[١] .

وهذه الإشارات الموجية الصادرة من الهالة هى التى تنقل الأفكار عن طريق التلباثى عند وسطاء التلباثى ، ولولاها لما توافرت هذه الموهبة عند إنسان . وفى سنة ١٩٦١ صنع المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس جهازاً الكترونيا معقد التركيب لقياس استكشاف وسائل وظروف التواصل والأفكار بين الأفراد Appareil electronique pour biotelecommunication experimentale وهو من تصميم الأستاذ رينيه هاردى René Hardy بعد تجارب سنين طويلة بالاشتراك مع المهندس رينيه ڤاركوليه R. Warcollier مدير المعهد[٢] .



جهاز الكترونى لاستكشاف وسائل وظروف التواصل بالأفكار بين الأفراد



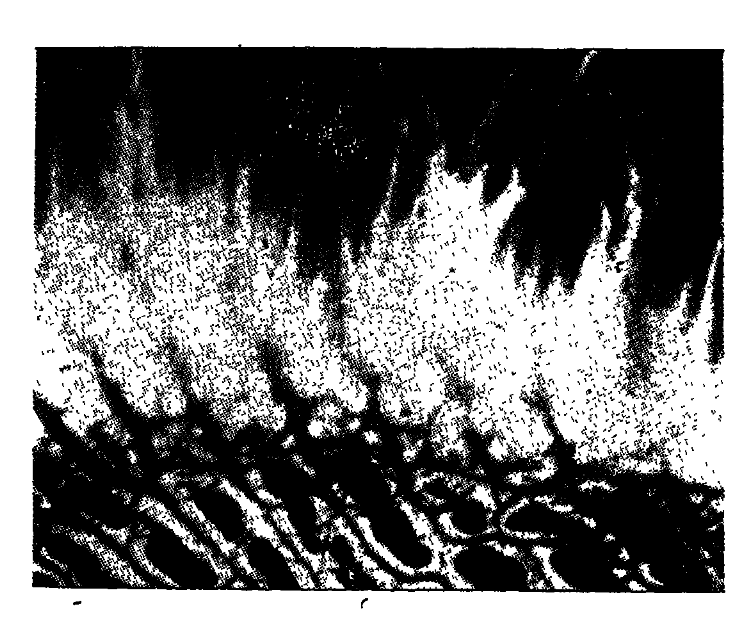
صورة أخرى لنفس الجهاز

(١) وراجع مقالا للأستاذ حسن محمد السكرى فى مجلة « عالم الروح » السنة السادسة عدد مارس ١٩٥٣ ص ١٥ — ٢٠ .

(٢) راجع عدد ديسمبر سنة ١٩٦١ من مجلة المعهد وملحق هذا العدد وهو خاص بهذا الجهاز .

والهالة ليست جزءاً من الجسد المادى ، ولا من خصائصه ، بل هى جزء من الجسد الأثيرى . والإشارات الموجية من خصائص هذا الجسد الأثيرى، الذى هو الإنسان والذى يحمل كل حواسه وصفاته وملكاته ، والذى يلازمه وحده فى رحلة الأبدية ويظل خاضعاً لناموس التطور الروحى . وهذه الهالة ولئن كانت متصلة بهذا الجسد الأثيرى إلا أنها بدورها أعلى اهتزازاً منه بكثير . إلى حد أن الأرواح يرى بعضها البعض متجسداً هناك مع أن الهالة تظل غير منظورة منها فى الظروف العادية .

ومن الأنباء الحديثة فى هذا الشأن أن بعض العلماء السوفييت قد نجح فى الحصول على صور للهالة الآدمية تنبعث منها واضحة شعلات الحياة Flares of life عن طريق استخدام كاميرا متصله بجهاز ذى سرعة تردد عالية high- frepuency كما يظهر من الصورة الآتية[1] .



ويبدو أن هذه الهالة هى الوسيلة الوحيدة التى تصل الإنسان بعالم أرقى — على غير وعى منه — أثناء وجوده على المستوى الأرضى، وتجعله يشعر أن له

(١) عن جريده الأنباء الروحية « السايكك نيوز » عدد ١٥ مايو سنة ١٩٦٥ .

ذات عليا تختلف عن ذاته السفلى أو الحيوانية، ويستمد منها الإلهام والأفكار الراقية . وبسبب ارتفاع اهتزازها فإن اقتحامها يكون أحياناً هدفاً سهلا لبعض الأرواح غير الراقية ، خصوصاً إذا ما حدث فيها انقسام بسبب صدمة عاطفية أو انفعال عنيف كالخوف الشديد أو الحزن المفرط أو الغيظ المكتوم ، مما قد يسبب لصاحبها مرضاً عصبياً أو عضوياً عضالا على ما بيناه فى عدة مناسبات[1] كما أن التأثير فيها هو الوسيلة الطبيعية للروح المرشدة عندما تريد وضع الوسيط فى غيبوبته لتحقيق بعض الظواهر الوساطية . هذه الغيبوبة التى هى بمثابة تخدير مؤقت له عن طريق تنويم هو أشبه ما يكون بالتنويم المغناطيسى العادى لكنه يقع بتأثير من عقل روح على عقل إنسان متجسد يصلح وسيطاً لإمكان التأثير فى إرادته بصورة ما .

تصوير الجسم الأثيرى للإنسان

ودراسة الجسد غير المنظور — بهالته الخارجية — هى حجر الزاوية فى العلم الروحى الحديث وأهم باب فيه . والجسد الأثيرى هو الذى تعود الباحثون فى الروح أن يطلقوا عليه تجاوزاً — فى بلادنا — وصف الروح ، وقد بينا كيف جنى هذا التجاوز اللفظى على تقدم العلم الروحى فيها ، وكيف خلق له معارضين كثيرين من بين من قد يهمهم أحياناً اللفظ قبل المعنى وتعنيهم القشور دون اللباب .. !

وهذا الجسد غير المنظور إلا من وسطاء الاستشفاف يخرج من الجسد المادى عند حدوث ظاهرة الطرح الروحى ، خروجاً تاماً أو جزئياً ، بغير انفصام للحبل الأثيرى الذى يؤدى انفصامه حتماً إلى الوفاة كما سبق أن بينا[2] . لذا كانت دراسة ظواهر الطرح الروحى أو الكوكبى The Phenomena Of Astral Projection إحدى السبل التى أمكن عن طريقها التحقق من

---

(١) راجع ماسبق فى ص ١٦٠ عن رأى وليام جيمس وص ١٦٧ عن رأى هير وارد كارنجتون و ص ١٧٢ عن بحوث كارل ويكلاند و ص ٤٠٧ عن بحوث تيتوس بول .

(٢) راجع ما سبق فى ص ٤٣٠ .

وجود الجسد الأثيرى ومن كيانه المستقل عن كيان الجسد المادى .

وظواهر الطرح الروحى هذه خضعت للتحقيق الدقيق من علماء كبار وهم بصدد بحوثهم فى التنويم المغناطيسى[1]، كما خضعت لهم وهم بصدد بحوثهم فى الظواهر الوساطية الصرف وتمت تجارب ناجحة عديدة للطرح الروحى قضت نهائياً على نظرية مادية الإنسان ، وذلك فى عدد من المعاهد والهيئات الروحية ، فضلا عن الجامعات العادية وهى بصدد إجراء بحوثها فى التنويم المغناطيسى والباراسيكولوجى . بل قد نجحت تجارب جامعة كبريدج فى تصوير الجسد الاثيرى للوسيط جاك وبر أثناء طرحه طرحاً جزئياً



جاك وبر وسيط جامعة كبردج وقد انساب منه جسده الأثيرى وبدا واضحاً وجود جسدين . التقطت هذه الصورة بالأشعة دون الحمراء

(١) مثل الدكتور الكسندر كانون فى مؤلفيه The Shadow Of Destiny و The Power Within ومثل الاستاذ هير وارد كارنجتون فى مؤلفيه The Projection Of Astral Body و The Astral Projection
وراجع أيضاً كتاب « ظواهر الطرح الروحى » للمرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير .

وبعد الاستعانة بجهاز للأشعة دون الحمراء كما يتضح من الصورة . كما نجح سير ويليام كروكس فى تصويره باستعمال جهــاز هيليومتر جرينوتش Heliometer of Creenwich .

وجميع الصور التى سنوردها فى الفصل المقبل عند الكلام فى «تأثير العقل المباشر فى المادة» إنما تمثل أجساداً أثيرية لسكان ذلك العالم الآخر بعد تخليهم بطبيعة الحال عن طريق الوفاة عن أجسادهم المادية . وهى تبدو مماثلة تماماً لأجسادهم الأرضية التى عادت إلى أمها الأرض بهذه الوفاة ، وقد أرجأنا عرضها على القارىء إلى ما بعد الكلام فى الفصل المقبل لأن هذه الصور تثبت هذا التأثير للعقل فى المادة ، كما تثبت وجود الأجساد الأثيرية ، فهى وثيقة صلة بالموضوعين معاً . والمراجع الروحية حافلة الآن بالمئات من هــذه الصور التى جاءت تحت أدق رقابة علمية ، وألفت عنها مؤلفات من علماء لا صالح لهم إلا فى تقرير الحقيقة العلمية مهما بلغت خطورتها ، على ما سيلى تفصيلا فيما بعد .

موقف علم النفس الحديث من الجسم الأثيرى للإنسان

هــذا وقد سلم عالم النفس المعروف مكدوجال بوجود الجسد اللامادى فى الإنسان ، إلى حد أنه قال إنه يفضل — بعد بحوثه فى الباراسيكولوجى — أن يستعمل تعبير الجسد الأثيرى أو الروحى للإنسان بدلا من الحديث عن العقل الباطن[1] .

وحــذا حذو مكدوجال العالم السويسرى كارل جوستاف يونج C.G. Jung وهو أبرز علماء النفس فى العصر الحاضر بغير ريب . وقد اقتنع بعد بحوث مضنية فى الباراسيكولوجى بوجود هذا الجسد أيضاً ، واستعمل فى التعبير عنــه وصف The Archētypal أى النموذج أو المثال الأصلى

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ١٧٤ .

أسوة بعدد من العلماء الآخرين والباحثين[١] . وقال يونج عنه إنه من طبيعة روحية The psychoid nature of the Archetype ، وإنه بالتسليم به لايعارض آراءه السابقة فيعلم النفس، لكنه يدفع بها قدماً إلى الأمام للوصول إلى تعاريف علمية أكثر دقة بعد إذ وجد نفسه مضطراً إلى القيام بتحليل عام لطبيعة النفس ولإيضاح الخصائص الأولية المتعلقة بها، والصلات بين بعضها والبعض الآخر .

لذا يقول يونج إن النفس البيولوجية التي تحمل الغرائز — شأن الأشعة الروحية دون الحمراء « The Psychic Infrared » — تتخلل تدريجياً إلى فسيولوجية الأعضاء ومن هناك تنتشر بظروفها الكيميائية والطبيعية ، وكذلك أيضاً هذا النموذج أي المثال الأصلي أو « الإشعاع فوق البنفسجي الروحي » The Psychic Ultraviolet أو النفس البيولوجية التي تحمل الغرائز يمثل حقلا لا يبرز أياً من الخصائص الفسيولوجية . ومع ذلك لا ينبغي أن ينظر إليه في نهاية التحليل بوصفه محض أمر روحي ، رغم أنه يكشف عن نفسه بطريقة روحية ، ولكنه عبارة عن مجموعة وظائف فسيولوجية تتم بنفس طريقتها .



يونج

ثم يقول يونج إن هذه النماذج الأصلية The Archetypes لا نشعر بها، لكنها خضعت للاختبار كعوامل تلقائية Spontaneous agencies ولا نملك

---

(١) راجع مجلدات Eranos- Jahrbücher (بالألمانية ولها ترجمة كاملة بالانجليزية) في الجزء الثاني عشر (سنة ١٩٤٥) وعنوانه « دراسات في مشكلة النموذج أو المثال الأصلي » Studies on The Problem of the Archetypal

اليوم إلا أن نصف طبيعتها بما يتفق مع آثارها الرئيسية بوصفها روحاً فى المعنى الذى حدده فى مقال له عن « علم ظواهر الروح فى قصص الجنيات » . وإذا كان الأمر كذلك فينبغى تحديد مركز النموذج أى المثال الأصلى تحديداً مشابهاً لتحديد الغريزة الفسيولوجية من ناحية وجوب اعتبار هذا النموذج بطبيعته الروحية بمثابة القنطرة إلى المادة بوجه عام .

ثم يقول إنه فى النظريات القائمة عن هذا النموذج أو المثال الأصلى (للجسد المادى) تواجه الروح والمادة كل منهما الأخرى على المستوى الروحى ، فالمادة أسوة بالروح تبدو فى مملكة النفس ذات صفات متميزة .

وينتهى يونج إلى أن هذا النظر يتطلب وجود نفس مرتبطة بالمادة فى رقعة ما ، أو بعبارة أخرى مادة لها روح خامدة ، ولا تبعد طبيعتها كثيراً عن بعض الصيغ التى صاغها علماء الفيزياء المعاصرين عن المادة الصرف من أمثال إدنجتون وجينز وغيرهما (أى أن لهذا النموذج كياناً لا يختلف فى طبيعته عن الكيان المادى) . ثم يضيف بكل وضوح أنه بهذا الارتباط « يجب أن يذكر القارىء بوجود ظواهر وراء روحية parapsychic phenomena لا يقدر قيمتها الحقيقية إلا أولئك الذين أتيحت لهم فرصة الاقتناع بها عن ملاحظة شخصية .. . »[1] .

هذا هو كلام يونج عالم النفس وأحد ثلاثة عمد قام عليها علم النفس فى القرن العشرين بجانب فرويد وآدلر . وهذه هى ثمرة بحوثه لعشرات من السنين فى الباراسيكولوجى . فهل اطلع أحد من المعارضين على هذه البحوث الخطيرة فى الجسد غير المادى أو فى المثال الأصلى ؟ . . .

---

(١) راجع البحث بأكمله وعنوانه روح السيكولوجيا The Spirit Of Psychology بقلم يونج فى مجلد عنوانه « الروح والطبيعة Spirit And Nature » صدر فى سنة ١٩٥٥ مترجماً عن المجموعة الألمانية الآنف الإشارة إليها ص ٣٧١ — ٤٤٤ وجوهره يدور حول هذا الجسد الأثيرى أى النموذج أو المثال الاصلى The Archetypal .

ويلاحظ أن ما يذكره يونج من أن هذا النموذج أو المثال الأصلى لايبعد فى طبيعته كثيراً عن بعض الصيغ التى صاغها علماء الفيزياء المعاصرين عن المادة يتفق مع أقوال الأرواح من أن لأجسادهم كياناً مادياً بالنسبة لحواسهم . وليس فى ذلك غرابة إذا ما راعينا أن أجسادنا الترابية ليست فى نهاية المطاف أكثر من أجساد أثيرية ذات رتبة اهتزاز منخفضة . فكأن كل الفارق بين الجسدين هو فى درجة الاهتزاز لا فى طبيعته ، لأن كل مادة تصل فى نهاية التحليل إلى أن تكون مجرد اهتزاز أثيرى . ولنا عودة تفصيلية إلى كل ذلك فى الباب الأول من الجزء الثانى معززة بأحدث حقائق الفيزياء.

مراكز الطاقة فى الجسم الأثيرى

وقد حاول علماء كثيرون استكشاف مراكز الطاقة فى هذا النموذج أو الجسد الأثيرى للإنسان ، ومنهم م . فويوم M. Voillaume مستخدماً طريقة التوافق البندولى المعروفة فى علم الإشعاعات الحيوية غير المنظورة Radiesthésie ، ومنهم الدكتور لى برنس A. Le Princè مستخدماً جهاز الراديو بيوميتر Radiobiometer فاثبتا معاً وجود مناطق فى الجسد الأثيرى تطلق طاقة تؤثر بدورها فى الجسد المادى وهى موزعة كالآتى :

المنطقة الأولى : تقع تحت الذقن مباشرة .

« الثانية : « فى مستوى الضفيرة الشمسية Solar Plexus

« الثالثة : « فى مستوى الضفيرة المساريقية Mesentric Plexus .

« الرابعة : « فى مستوى الضفيرة العجزية Sacral Plexus

« الخامسة: « فى مستوى مفاصل الركبتين وتحتهما .

وقد اختبر فويوم عدة أشخاص من المعالجين الروحيين فتبين له أن قوة الطاقة الخارجة من الجهاز العصبى السمبثاوى تزيد عن قوة الطاقة المماثلة الخارجة من الشخص العادى بنسبة تتراوح بين ٣٠٠٪ إلى ١٠٠٠٪ ، أى من ثلاثة إلى عشرة أضعاف .

كما اكتشف لى برنس مناطق أخرى للطاقة تقع خلف الأذن وعند قاع المخ وهى تصدر بدورها إشعاعات قوية .

وقد وضحت هذه الأبحاث بطريقة معملية كيف يتم العلاج الروحى . ذلك لأن لكل خلية حية ذبذبة موجية معينة ، فإذا ما مرض أى عضو فى الإنسان اضطربت ذبذبات خلاياه ومهمة المعالج الروحى هى أن يكون بمثابة جهاز استقبال لإشعاعات معينة آتية من عالم الروح ثم جهاز عاكس إلى العضو المريض، فتحاول الروح المعالجة عن طريق هذا الجهاز الآدمى أن تؤثر فى اهتزازات الخلايا المريضة عن طريق إحداث نوع من التوافق أو الرنين بين التردد الموجى الصادر من الوسيط المعالج وبين الترددالمضطرب للخلايا المريضة ، وذلك حتى ترجع هذه إلى ترددها الصحيح فى الجسد الأثيرى الذى قد ينجح أولا ينجح فى التأثير بدوره تأثيراً طيباً فى العضو المريض من الجسد المادى . وهذه هى إحدى وسائل العلاج الروحى والتى تبين لماذا قد ينجح العلاج الروحى أحياناً ولا ينجح أحياناً أخرى .

* * *

وهذا الذى وصلت إليه بحوث العلم الروحى الحديث من نتائج ، يتفق إلى حدكبير مع ما قرره حكماء الهنود منذ القدم عن وجود مراكز للطاقة او «تشاكراز» Chakras بحسب اللغة السنسكريتية ، وهى دوامات تشبه الأطباق شكلا ، مقرها الجسد الأثيرى أو وراء المادى . وقد يراها أحيانا ذوو الجلاء البصرى. وهذه المراكز يقولون إنها تتلق الطاقة الكونية وتنتج عنها حركة دائرية موجية ثانويةفى سطح الجسد الأثيرى أو ماوراء المادى ، ولكل مركز منها ألوان معينة . وتنقسم هذه المراكز إلى ثلاث مجموعات كالآتى : —

مجموعة ا : تضم مركزين (١) المركزالجذرى Root Chakra ،وهوموجود

عند نهاية العمود الفقرى ومقسم إلى أربعة أجزاء ألوانها أحمر وبرتقالى على التوالى ، وهذا المركز يمتص طاقة خاصة من عالم المادة .

(٢) المركز الطحالى Splenic Chakra ،وهو يقع فوق منطقة الطحال وبه ستة ألوان : أحمر وبرتقالى وأصفر وأخضر وأزرق وبنفسجى ،وهو يمتص القوة الحيوية من الشمس ويوزعها على باقى مراكز القوة بحسب ألوانها .

مجموعة ب : وهى تضم ثلاثة مراكز تمتص القوة اللازمة لشخصية الإنسان .

(٣) المركز السرى Navel Chakra ،وهو يقع مقابل الضفيرةالشمسية ومقسم إلى عشرة أقسام دائرية أو إشعاعات خضراء وحمراء على التوالى . وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالانفعالات والعواطف .

(٤) المركز القلبي Heart Chakra ، وله ١٢ إشعاعاً لونها أصفر ذهبي متألق .

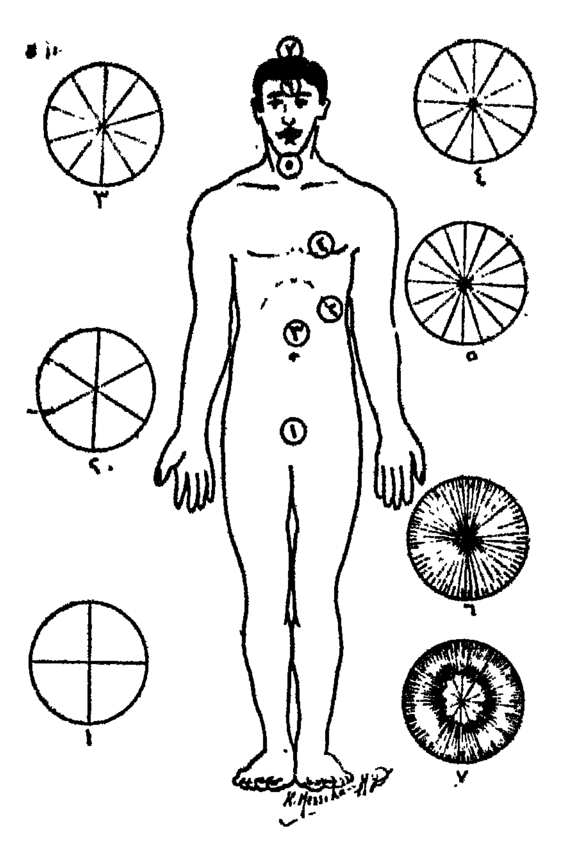
(٥) المركز الحنجرى Throat Chakra ، وهو يقع مقابل الحنجرة وله ١٦ إشعاعاً ويتألق بألوان خضراء وزرقاء تشبه ضوء القمر .

مجموعة حـ : وهى مجموعة المراكز العليا ، وتضم مركزين : —

(٦) المركزالحاجىBrow Chakra، وهو موجود بين الحاجبين ويبدو كأنه منقسم إلى نصفين أحدهما وردى اللون يتخلله بعض الأصفر والثانى بنفسجى مائل إلى الزرقة . وله ٩٦ إشعاعاً وهو وثيق صلة بالغدة النخامية (التى تسيطر على الغدد الصماء بالجسم المادى) .

(٧) المركز الأكليلى أو التاجى Crown Chakra، وهو موجود فى قمة الرأس ويتألق بشدة حيث أنه يحتوى على ٩٦٠ إشعاعاً يغلب عليها اللون البنفسجى ، وفى مركزه ١٢ إشعاعاً تتألق بلون ذهبي خاطف . وقد رسمه القدماء على شكل هالة ذهبية مشرقة تحيط برؤوس القديسين ، وهذا

المركز وثيق صلة بالغدة الصنوبرية Pineal gland وهى نقطة الاتصال بين الروح والجسد[1] .



مراكز الطاقة فى الجسد الأثيرى

عن الجسم غير المادى للحيوان

ولأن لكل كائن حى جسداً غير مادى يمده بالحياة عن طريق الروح ، فقد أجريت تجارب متعددة لتصوير الأجساد غير المادية للحيوانات والحشرات لحظة وفاتها . وقد نجحت هذه التجارب فى معهد برنارد جونستون

(١) هذا التلخيص لمراكز الطاقة تفضل بعمله مشكوراً صديقنا الدكتور خليل مسيحة — وكذلك الرسم المرافق — عن مؤلف للأسقف الدكتور ليد بيتر عنوانه « مراكز الطاقة أو القوة » . Dr. Rev. C. W. Leadbeater : The Chakras (1927)

وراجع ما سبق فى ص ٤٢٣ . عن الغدة الصنوبرية .

Institute Bernard Johnstone بالولايات المتحدة الأمريكية ، حيث قام الدكتور واترز R. A. Waters بعمليات تصوير دقيقة استخدم فيها مخدع ولسون للتمدد[1] — وهو الجهاز المستخدم فى دراسة إشعاعات نشاط الراديوم وفى تصوير الالكترونات أى كهارب الذرة — مطبقاً عملية تحطيم الذرة تطبيقاً ماهراً على مجموعة من الجراد التى قام بتخدير عدد منها تخديراً قوياً من شأنه أن يفضى تدريجياً إلى موتها . فتبين أن آلات التصوير قد سجلت انسلاخ جسم رقيق من جسد الجرادة لحظة موتها فى شكل « شبح جرادة » .

ثم استعمل واترز نفس الطريقة مع فريق آخر من الجراد قام بإعطائه كمية من المخدر لا تكفى لقتله ، فلم تسجل لوحات التصوير الظاهرة التى سجلتها مع الفريق الأول من الجراد .

وقد ذكر واترز أن هذه التجارب أثبتت « نوعاً من طاقة يفقدها الجسم الفيزيقى لحظة حدوث الموت الحقيق ، ولم تدل البينات الفيزيقية المستخلصة على أن ذلك الذى يفقده الجسم نوع من أنواع الطاقة فقط ، بل دلت على أنه جسم غير مادى خرج من الجسم المادى لحظة حدوث الموت ، وقد أمكن رؤيته باستخدام بخار الماء » .

وقد لوحظ أنه فى كل الحالات التى ماتت فيها الجرادة ظهر ظل فى الجهاز يطابق شكلها تقريباً ، أما لما أخذت صورتها وهى تحتضر ثم « أعيدت » إلى الحياة فلم تظهر الأشكال المتكثفة . وأجرى الدكتور واترز تجارب مماثلة على الضفادع والفئران البيضاء، ولكنه فى ٣ حالات فقط من ٤٠ تجربة على الفئران كانت النتائج إيجابية ، وهو يعلل ذلك بصعوبة أخذ الصورة فى لحظة الموت تماماً .

وهكذا نجحت تجارب الدكتور واترز فى النهاية فى إثبات نظرية

---

(١) Wilson Expansion Chamber.

جاسكل Gaskall من أن الروح البشرية « حالة » تقع فى فراغ مابين الذرات وخلايا الإنسان ، والنظرية موضحة تفصيلاً فى كتاب عنوانه «ماهى الحياة»؟. وهذه التجارب شرحتها أيضاً جامعة رينو Reno بولاية نيفادا الأمريكية فى رسالة ترجع إلى سنة ١٩٢٣ عنوانها « المقدار داخل الذرى »[١].

وفى المعهد الدولى للبحث الروحى بلندن يستخدم منذ سنة ١٩٣٥ أيضاً مخدع ولسون للتمدد هذا ، وهو مصنوع فى كبريدج وتجرى به بنجاح نفس التجارب التى جرت فى أمريكا .

كائنات حية تظهر فى جلسات البحث الروحى

فإذا كان لكل كائن حى جسد أثيرى أو لامادى يزوده بالحياة ، فلا غرابة إذا ما ظهر بعض هذه الأجساد فى جلسات البحث الروحى متجسداً أحياناً وغير متجسد أحياناً أخرى أسوة بأجساد البشر. وقد حاولت أرواح مرشدة راقية فى مناسبات عديدة وفى حضور وسطاء معينين إظهار هذه الكائنات الحية لإقناع الحاضرين بعدم انقطاع الحياة فيها ، ولاتوقفها فى أية صورة من صورها رغم انفصالها عن أجسادها المادية ، بما اعتدنا أن نسميه « موتاً » ، وما هو إلا تحول طبيعى للحياة من حالة إلى حالة أخرى[٢] .

وقد سجل هذه الظاهرة الغريبة علماء متعددون فى ظروف تنفى كل خداع وبعد اتخاذ احتياطات صارمة لدرء شبهة الخداع أو التدليس . فمثلا حدثت هذه الظاهرة مراراً داخل « جمعية الدراسات الروحية بوارسو »[٣] فى عامى ١٩١٩ ، ١٩٢٠ فى حضور الوسيط البولنـــدى جان جوزيك

---

(١) The Intra Atomic Quantity

(٢) وقد تحدث بولس الرسول عن الأجساد غير المادية عند الحيوان (لا عند الإنسان فحسب) قائلا « وللبهائم جسد آخر . وللسمك آخر . وللطير آخر . وأجسام سموية وأجسام أرضية ، لكن مجد السمويات شيء ومجد الأرضيات آخر . . . » (فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس ١٥ : ٣٨ — ٤٠)

(٣) La Société de l'Etude Psychique de Varsovie

Jan Guzik . وقد سافر خصيصاً الدكتور جوستاف جيلى مدير « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس إلى وارسو لمشاهدته وحضر معه حوالى خمسين جلسة ناجحة وتحقق من صحتها بعد اتخاذ كافة الضمانات ، ثم اصطحب الوسيط إلى باريس حيث أجرى تجاربه معه من جديد فى سنة ١٩٢٠ .

كما سجل الدكتور جيلى فى مؤلفه « الاكتوبلازم والجلاء البصرى : ملاحظات وتجارب شخصية »(١) فى حضور نفس الوسيط ظهور كائن حى غريب الشكل فى حجم الإنسان له رأس ضخم وجبهة عريضة مستقيمة وذراعان طويلان قويان ، ومغطى بشعر كثيف خشن تنبعث منه رائحة حيوان متوحش أو كلب مبتل أخذ يلعق بلسانه الناعم الضخم يد أحد الحاضرين عندما ربت عليه . وقد أطلق جيلى علـى هذا الـكائن العجيب اسم Le Bithécanthrope والتقط له عدة صور (٢) .

وقد أكد صحة هذه الوقائع ووصفها أيضاً رينيه سيدر Réné Sudre الأستاذ بمدرسة الدراسات الاجتماعية العليا بباريس ووكيل « المعمل الوطنى للبحث الروحى » التابع لجامعة لندن فى جريدة البحث الروحى(٣) بعد أن اشترك بنفسه فى تحقيق وساطة جوزيك .

كما قام « المعهد الدولى لما وراء الروح » بباريس بدعوة أكثر من ثلاثين عالماً من أبرز علماء فرنسا وأعضاء الأكاديميات لتحقيق ظواهر هذا الوسيط البولندى المذهلة ، داخل المعهد وقد اتخذوا احتياطات شديدة ضد التدليس : منها تكليف الوسيط بأن يخلع ملابسه تماماً وأن يرتدى « بيجامة » معدة له خصيصاً بدون جيوب ، وتوقيع كشف طبى دقيق عليه ، واستخدام أجهزة

---

(١) L'Ectoplasmie et la Clairvoyance. Observations et Experiénces Personnelles. Alcan 1924.
راجع بوجه خاص ص ٢٨٨ ، ٢٩٦ وما بعدها

(٢) « ويخلق ما لا تعلمون » .

(٣) Psychic Research سنة ١٩٢٨ ص ٦٠٥ وما بعدها .

كهربية متعددة ، ودهان الأرضية بطلاء لزج كوسيلة للمراقبة ولضمان أن أحداً لا يغادر مكانه من الموجودين أثناء فترة إظلام الجلسات .

وبعد هذه الاحتياطات الصارمة فى عدة جاسات متوالية وقعوا ـ كلهم ـ تقريراً إيجابياً يروى وقائع محددة عن تجسدات وجوه ، وظهور أضواء مجهولة المصدر، وتجسدات كائنات حية مجهولة المصدر ، وسماع أصوات مختلفة لها ، وشم روائح غريبة وظهور بصمات لمخالب حيوانات متعددة تركت آثارها على طلاء الأرضية . ومن الأصوات الغريبة صوت تنفس كلب كان يلهث تعباً ، وصوت أيدى تربت عليه (كما لو كانت تحاول إقناعه بالبقاء واحتمال التجربة) والوسيط فى غيبوبة عميقة لا يدرى شيئاً مما كان يدور فى جو الغرفة من ظواهر مثيرة لا يعرف العلم المادى لها تعليلا .

وهذا التقرير الخطير نشر فى مجلة هذا المعهد الدولى منذ سنة ١٩٢٣ وفى الجرائد السيارة (مثل الماتان) ، ومن الموقعين عليه بايل Bayle مدير إدارة تحقيق الشخصية ، وسينو Cuneo الأستاذ بكلية الطب بجامعة باريس ، والفيلسوف كامى فلاماريون مؤسس الجمعية الفلكية الفرنسية ورئيسها ، والدكتور جيلى مدير المعهد ، ودى جرامون A. De Gramont عضو المجمع العلمى Institut ، وبول جينستى Paul Ginisty ، وهيك Huc مدير جريدة برقية تولوز ، ولاسابلير Lassabliére مدير معمل كلية الطب ، والبروفسور ليكلنش Leclainche من المجمع العلمى أيضاً ، وميشو Michaut مفتش عام الطرق والكبارى ، ومارسيل بريفو Marcel Prevost عضو الأكاديمية ، والبروفسور شارل ريشيه ، والدكتور رهم Rehm المحرر العلمى لجريدة الماتان ، والبروفسور فاليه Vallée مدير المعمل الوطنى للبحوث الصحية ، وسير أوليفر لودج العالم المعروف وعضو الجمعية الملكية بلندن وغيرهم ...

كما خضع نفس الوسيط جوزيك لتجارب «الكلية البريطانية للعلم الروحى» فى سنة ١٩١٩ ، ثم خضع لها من جديد فى شهر ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، ثم جرت

معه سبع جلسات أخرى عقد آخرها فى شهر يونيه من سنة ١٩٢٣ ، وأسفرت عن ثبوت صحة نفس هذه الظواهر الغريبة[١] .

ومثل هذه الظواهر عن تجسد بعض الحيوانات والطيور فى حضور بعض الوسطاء سجلها شارل ريشيه (جائزة نوبل فى الفسيولوجيا) فى حضور وسيط بولندى آخر وهو برجيك Burgik فى مؤلفه « ثلاثون عاماً من البحث الروحى »[٢] (١٩٢٣) وخلال عدد من الجلسات اتخذت فيها جميع الاحتياطات ضد احتمال الخداع أو الحيل .

— وسجلها أيضاً الكولونيل جونسون E.R.Johnson فى حضور الوسيطة مسز ريدت Wriedt ونشرها فى جريدة لايت Light الصادرة فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٢٢ .

— وسجل الكولونيل أولكوت Olcott مثلها فى حضور الوسيط دانيل دنجلاس هوم فى مؤلفه « إناس من العالم الآخر »[٣] .

— وسجل مثلها البروفسور بولوفسكى Pawlowski فى « جريدة جمعية البحث الروحى الأمريكية » (عدد سبتمبر ١٩٢٥)[٤].

ظهور رأس كلب ميت غير متجسد

وهذه واقعة فريدة عن ظهور صورة رأس كلب ميت التقطت مصادفة — كما التقطت مصادفة مئات من صور أجساد أثيرية لآدميين — ننقلها عن مجلة العلم الروحى » التى تصدرها « الكلية البريطانية للعلم الروحى » (عدد أبريل سنة١٩٢٧ ص ٦٠ وما بعدها) . ومقتضاها أن اللادى هيير Hehir كان عندها كلب من فصيلة وولف يسمى تارا Tara وفى يوم الأحد ٢٦ سبتمبر

---

(١) راجع « موسوعة العلم الروحى » تحت كلمة materialsations ص ٢٢٧ وفيها أيضاً وقائع أخرى عن ظهور حيوانات وطيور متجسدة فى غرف البحث الروحى .

(٢) Trente Années de Recherches Psychiques

(٣) People from the Other World

(٤) Journal A. S.P. R.

سنة ١٩٢٦ كانت عندها صديقة تدعى مسز مايرز كايرن M. Cairn فالتقطت صورة لصديقتها اللادى هيير وبجوارها كلبها «تارا» هذا . وبعد تحميض الفيلم وطبعه ظهر فى نفس الصورة رأس كلب آخر عند مؤخر «تارا» يدعى كاتال Kathal كان مملوكاً لمسز مايرز كايرن وتوفى بين يديها فى ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٦ .

وكان الكلبان تارا وكاتال (قبل موته) أليفين حميمين، والتقطت الصورة للكلب «تارا» فى رقعة من حديقة المنزل كانا يلعبان فيها ، وكان من عادة الكلب الميت أن يسند رأسه على مؤخر الكلب تارا على نفس النحو الذى ظهر فى هذه الصورة الفريدة (غاية ما هنالك أن تارا كان واقفاً فى الصورة لا راقداً) .

وتقول مجلة «الكلية البريطانية» إن اعتبارات أربعة ينبغى أن تراعى هنا بالإضافة إلى الثقة المستمدة من شخصية شاهدتى الواقعة وهى : —

١ — أن الصورة التقطت على فيلم كاميرا عادى «١» يستحيل معه تماماً عرض الفيلم للتصوير مرتين إذا ماقيل بأن هذه الصورة ثمرة خداع عن طريق «العرض المزدوج» double exposure، كما يعترض عادة المكابرون عند استعمال الألواح الزجاجية الحساسة . فهذا الاحتمال مستبعد هنا تماماً ، وقد فحص الميجور ت . ر. مورس T.R. Morse محرر المقال الفيلم وتحقق منه بنفسه .

٢ — أنه لا يوجد أى أثر لعرض مزدوج على هذه الصورة .

٣ — أنه لا يوجد فى أرضية الصورة أى شىء قد يقود إلى الاعتقاد بحدوث وهم أو خطأ .

٤ — أن الصوره التقطت فى ضوء الشمس الساطع كما يظهر من الظلال، فهذه الصوره تمثل حالة من تلك الحالات النادرة التى تستحق التحقيق الدقيق، والتى لا يسخر منها إلا من يرفض مقدماً مواجهة كل ظاهرة غير متوقعة أو تعصى على التفسير المادى .



الـكلب « تارا » واقفاً وقد ظهر رأس الـكلب الميت « كاتال » عند مؤخره . لاحظ كيف بدا ظهر الـكلب « تارا » مستقيما بشكل غير مألوف وكيف بدت على عينيه نظرة استسلام «وسرحان» ظاهرة شأن الوسطاء من بنى البشر !..



الـكلب تارا (الـكبير) والكلب كاتال (الصغير) قبل موته تمسك بهما اللادى هيير



صورة عادية للكلب « تارا » تبين ظهره المقوس المألوف

وعلم الروح الحديث لايعترف بفناء أى شىء فى الطبيعة ، ويسلم بأن لجميع الكائنات الحية أجساداً أثيرية تكفل لها البقاء بعد موت أجسادها المادية المماثلة لها كيما تحيا فى البيئة التى تناسبها من عوالم الغيب . بل حتى للحيوانات المنقرضة مكان ما فى هذا الوجود الهائل الاتساع الذى تعددت فيه مستويات الحياة تعدداً لاحدود له ولا نهاية ، على ما سنوضحه فى الجزء الثانى .

ووصول بعض أرواح الحيوانات إلى بعض المستويات الكوكبية أو الأثيرية للوجود لا يعنى مطلقاً وصولها بالضرورة إلى المستويات الروحية أو العقلية التى يبدو أنها خاصة بالكائنات الآدمية وحدها . ذلك أن من الراجح الآن أنه إذا كانت الكائنات الحية كلها تشارك الإنسان فى أن لها مثله أجساداً لا مادية إلا أن فى الإنسان وحده عنصراً روحياً وعقلياً . فإذا كانت الحياة الكوكبية حقاً شائعاً لكل كائن حى بعد حياته المادية فإن الحياة الروحية مقصورة على الإنسان ، ومن باب أولى مستويات الحياة العقلية التى تعلو المستوى الروحى .

وهكذا تتدرج مستويات الوجود من المادى إلى الكوكبى إلى الروحى إلى العقلى ، وكلها يجمعها وصف « أثيرى » فهو أكثر الأوصاف شمولاً واتساعاً . وكل مستوى غير مادى يتضمن مناطق متعددة تعدداً هائلا بحيث يتعذر تحديدها أو حصرها فى الحالة الراهنة لعلم الروح ، خصوصاً وقد تعددت هنا المدارس والنظريات .

الفصل التاسع

فى تأثير العقل المباشر فى المادة

تأثير العقل المباشر فى المادة عقيدة قديمة قال بها بعض فلاسفة الإغريق كأمر ملازم للاعتقاد بوجود الروح وبخلودها فى عالم تخضع فيه المادة خضوعاً مباشراً للعقل . وبعض المعجزات الواردة فى الكتب السماوية لا يمكن تفسيره إلا بأنه يتضمن تطبيقات صريحة ومحددة لتأثير مباشر من عقل النبى أو الرسول فى المادة .

بل إن هذا التأثير هو الذى يوضح كيف يمكن أن يكون خلق هذا الكون كله والمحافظة عليه بتأثير مباشر من العقل الأعظم ، هو الذى خلق المادة بمجرد الإرادة ، وخلق معها ما هو أعظم منها بكثير وهو الحياة ذاتها ، وهو الذى يهيمن عليهما بالعقل وبالإرادة .

وهذا التأثير الذى كان فيما مضى عبارة عن عقيدة فلسفية أصبح الآن حقيقة علمية بفضل دراسات تمت فى نطاق علم الروح الحديث ، وخارج نطاقه أى فى نطاق المادة الصرف إذ تبين أن طبيعة المادة الصلبة فى النهاية ليست سوى أثير فى رتبة اهتزاز معينة ، وهذا الاهتزاز بحاجة إلى مصدر دائم له هو العقل ، لذا قال الشاعر فيرجيل منذ القدم إن العقل هو باعث المادة Mens agitat molem ، أى أن العقل ينبغى أن يعد مصدراً للمادة ، ولا تعد المادة مصدراً للعقل .

ومن ذلك يبين صدق ما أثبته سير أوليفر لودج Oliver Lodge ، وكذلك أعمال بيير كورى Pierre Curie وجوليو كورى Jolio Curie — وقد كان الأخير مديراً للمركز الوطنى للبحوث العلمية فى فرنسا — من أن المادة واحدة تستعملها الروح .

وهو ما كان قد ذهب إليه من قبل الفيلسوف الإرلندى فيما وراء الطبيعة الأسقف جورج بيركلى Berkeley عندما قرر ، أن العالم المادى ليس سوى عالم مظهرى Phenomenal وليس لمادته صفة الدوام ، كما أنه ليس له طاقة خاصة به ، وأنه ليس من شىء حقيقى سوى الروح ، وأنه ليس للكائن الجسدى من مزية سـوى أنه خاضع للحواس ، . كما قرر أن كل ما يلحق بنا من تغييرات محسوسة لا يأتى منا ، بل ينبعث من الروح الأعظم . وأن ظواهر الطبيعة ليست سوى أسلوب يخاطبنا به الإله تعالى ويهيمن به على إرادتنا . فالنتائج هى موضوع العلوم الطبيعية ، أما الأسباب فهى موضوع الثيوصوفية . وأن العالم المادى لن يكون له وجود بعيداً عن عقل يسجل وجوده .

ومراجع العلم الحديث متجهة إلى أن الكون مكون كله من مادة واحدة هى الأثير فى درجات اهتزاز مختلفة تعطى خصائص جميع المواد الصلبة والسائلة والغازية والمشعة ، أى جميع العناصر المعروفة ، وقد أربى عددها على المائة ، فضلا عن العناصر غير المعروفة . وذلك يتفق تماماً مع ما تذهب إليه الفيزياء الحديثة أيضاً من نظريات — تلتقى كلها عند هذا المعنى وهو ان صلابة المادة قد تحطمت منذ اكتشاف نواة الذرة — ثم منذ تحطيم الذرة — وأصبحت عبارة عن أثير له درجة اهتزاز معينة ، وكان ذلك بفضل بحوث علماء كبار مثل أينشتين وهوايتهيد وإدنجتون وجينز ورسل وكومبتون وغيرهم .

لذا فلا غرابة أن نجد أفضل علماء المادة فى العصر الحالى هم أقواهم اقتناعا بوجود عالم الروح على ما أشرنا إليه فى أكثر من مناسبة سابقة . كما نجدهم لا يترددون فى إعلان إيمانهم الثابت بوجود عالم غير منظور تسكن فيه الأرواح .

ومنهم نجد سير آرثر ستانلى إدنجتون A. S. Eddington (١٨٨٣ — ١٩٤٤) الذى يؤكد فى مؤلفه عن « السبل الجديدة فى العلم »[1] وجود

(١) New Pathuways in Science.

عالم الروح ، وبأن الكون كله « محكوم بقوة روحية » . « وأن العالم الفيزيقى يصبح محض افتراض ما لم يتصل به وعى ، وأن العقل لن ينظر إليه بعد الآن باعتباره مجرد نتاج جانبى تطور عن طريق المادة » . كما قرر فى محاضرة له عن « العلم والعالم غير المنظور » أنه « لا بد أن تعود روح الإنسان إلى العالم غير المنظور لأنها تخصه . وصوّر إدنجتون الكون كله فى صورة فكرة منبعثة عن العقل الأعظم .

وقرر سير جيمس جينز James Jeans ١٨٨٧ — ١٩٤٦) فى مؤلفه عن « الفيزياء والفلسفة »[١] . بأن وراء الكون عقلاً مدبراً حكيماً هو العقل الأعظم . وأن هذا العالم المادى بالنسبة لحواسنا هو عالم بالفكر المطلق» . وفى مؤلفه عن «الكون الخفى»[٢] يقرر أيضاً « أن كل هذه الأجسام التى تكون الإطار الرهيب للكون ليس لها أى كيان بغير العقل » . كما يقول الفيلسوف الرياضى المعاصر برتراند آرثر رسل B. A. W. Russell (ولد فى سنة ١٨٧٢) إن «المادة ما هى إلا صيغة رياضية معقدة لحوادث تجرى فى الفضاء المطلق»[٣] .

* * *

وكانت كشوف الفيزياء الحديثة هى التى دفعت عالماً فى الروح مثل جيمس آرثر فندلاى James Arthur Findlay مدير « المعهد الدولى للبحث الروحى » بلندن إلى أن يربط فى مؤلفاته الروحية بينها وبين معلومات الأرواح عن عالم الروح ، وإلى أن يقول فى أحدها :

«وعلى ذلك يكون منطقياً قولك إنه لا مادة حيث لا عقل ، وإن الكون يمكن أن يختزل إلى شىء واحد هو الذى نسميه العقل . ولكن هل نستطيع أن نتصور العقل بدون شىء يؤثر فيه هذا العقل ؟ إنما نحن نقدر وجود العقل وهو يؤثر فى المادة . فالعقل والمادة لا بد وأن يكونا متلازمين

---

(١) Physics And Philosophy .

(٢) The Mysterious universe .

(٣) ولنا عودة إلى آراء اينشتين وكومبتون ورسل فى الجزء الثانى لأنها وثيقة الصلة بموضوعاته.

على الرغم من تباينهما — إذ أن أحدهما إيجابى والآخر سلبى . وعلى ذلك فالاسم الذى أطلقناه على الشىء الذى يتكون منه الكون كله وهو المادة ، لابد وأن يتضمن هاتين الحالتين الإيجابية والسلبية ويجب أن يكون مزدوجاً فى طبيعته ، إذ أن الواحد لا يمكن تصوره بدون الآخر »[١] .

ولذا فإن من ضمن وجوه البحث الرئيسية التى تقوم بها الهيئات العلمية المعنية ببحث موضوع الروح بحث مدى تأثير العقل تأثيراً مباشراً فى المادة تحت وصف Psycho-kinesis . وقد ثبت هذا التأثير بطرق شتى وتحت صور مختلفة موضحة بمجلدات هذه الهيئات ،والتى يضيق عنها موضوع المؤلف الحالى ، الذى خصصناه لعرض الجوانب العامة فحسب من علم الروح الحديث .

وتكفى الإشارة هنا إلى أن الأستاذ ج. ب راين J. B. Rhine عالم النفس المعاصر أثبت هو أيضاً فى بحوثه بجامعة ديوك بالولايات المتحدة الأمريكية هذا التأثير وأجمل نتائجها فى مؤلفه عن « الوصول إلى العقل The Reach Of The Mind » (أو امتداد أثره) . وقد ورد فيه ما معناه أن القوى العقلية يمكنها أن تؤثر فى المادة تأثيراً عملياً ، وأن هذا التأثير العقلى فى المادة لا ينشأ عن قوة فيزيقية .

كما بين راين كيف أن ظاهرة تأثير العقل فى المادة متصلة وثيق الصلة بظاهرة الإدراك عن غير طريق الحواس Extra-Sensory Perception وأن الظاهرتين تتحدان عملياً ومنطقياً : فعند ما يجىء تفاعل للعقل مع المادة عن طريق الحس العادى يوصف بأنه إدراك عن غير طريق الحواس . أما عند ما ينتج هذا التفاعل تغييراً حركياً فيما حوله من مادة بغير واسطة فيزيقية ، فإنه يوصف بأنه حركة عقلية Psycho-Kinesis .

ومما قاله الأستاذ راين عن نتائج بحوثه فى جامعة ديوك فى هذا الشأن « وإذن فللعقل قوة تستطيع التأثير فى المادة ، ومهما كانت الطاقة المحركة

(١) «على حافة العالم الأثيرى» عن الترجمة العربية للأستاذ أحمد أبو الخير طبعة ٣ ص ٤٨ .

وأياً كان نشاطها فإنها تعمل للمادة شيئاً يمكن قياسه إحصائياً . وهى تحدث نتائج فى البيئة المادية لا يمكن تعليلها بأى عامل أو نوع من الطاقة معروف لعلم الطبيعة . وعلى أية حال فلا بد أن نفترض وجود الطاقة ... وإن سجلات الطاقة المحركة تظهر أن زهر النرد « الطاولة » وهو ينحدر كانت تعمل فيه قوة فوق تلك القوى التى كانت تقذف به . وإذن فلا بد من وجود طاقة يمكن تحويلها إلى نشاط مادى ، وهذه الطاقة هى الطاقة العقلية ، وهذه هى المرحلة الخامسة الكبرى فى طريقنا إلى الهدف ، وهو حل مشكلة العلاقة بين الإنسان والعالم المادى (إذ كانت أعمال قسم الباراسيكولوجى فى الجامعة مقسمة إلى عدة مراحل شاقة قبل الوصول إلى هذه النتيجة الخطيرة) .

ثم يقول عن تسلسل هذه المراحل : —

« كانت الأولى فى هذه الخطوات هى النتيجة التى وصلنا إليها من أن العقول يمكن أن تتفاعل مع بعضها بدون تدخل أو وساطة مادية وكانت الثانية هى الإدراك خارج الحواس للأشياء . ومنها ظهر أن العقل يمكن أن يدخل فى علاقة إدراكية عاملة بدون تدخل ما يعرف بالوسائل الحسية الحركية المعروفة . وكانت ثالثة الخطى هو ما وجد من أن هذه القدرة تستطيع أن تتخطى حواجز المكان ، وكذلك حواجز الزمان ، وهذه هى الخطوه الرابعة . وفى هذه الخطوة الخامسة يقوم الجهاز العقلى الخارج عن نطاق المادة بالرجوع إلى الأشياء المادية محدثاً فيها أثراً صغيراً ، ولكنه شاذ وله مغزى فى تأثيره فى الزهر المتدحرج بقوة كافية لتغير من وجهته بدرجة لا يمكن اكتشافها إلا بالطريقة الإحصائية الدقيقة ، ولكن يمكن الوثوق فيها لأنها تسمح بتجمع الأدلة القاطعة عن طريق باحثين مستقلين ... »[1] .

---

(١) عن الترجمة العربية تحت عنوان « العقل وسطوته » للدكتور محمد الحلوجى ص ١٢٠ ، ١٢١ . وقد عبر المترجم عن تأثير العقل فى المادة الذى يرمز إليه المؤلف بحرفى P. K. (وهما اختزال Psycho-Kinesis) بتعبير الطاقة النفسية المحركة . وأدق منه تعبير الطاقة الروحية المحركة ، لأن Psycho تشير فى هذا الميدان إلى الروح لا إلى النفس كما بينا فى مناسبة سابقة (ص ٩٣) .

ثم يقرر بعدئذ « ولم يعد هناك شك فى أن الطاقة المحركة P. K. ليست مادية . فليست هناك تجربة واحدة تعزز الرأى المادى، بل هناك أدلة كثيرة تدحضه . والأدلة التى تثبت أن هذه الطاقة المحركة لا تخضع للقوانين الآلية متنوعة الشكل مختلفة التناسق ، وأن خروج هذه الطاقة على هذه القوانين المادية الآلية ليس هو خروجاً سطحياً ، بل هو يمس الصميم لأن العلاقات المادية التى امتحنت فى هذه التجارب هى الأسس لعلم الميكانيكا ، فاكتشاف الحقيقة وهى أنه لا الكتلة ولا العدد ولا الشكل لها فاعلية فى اختبارات هذه الطاقة يجعلها تأخذ مكانها بجانب اكتشاف أنه لا الزمان ولا المكان لها فاعلية على الإدراك خارج الحواس E. S. P ... »[1] .

ثم يقول « ونستطيع القول بأن اكتشاف الطاقة المحركة P. K. كشىء غير مادى يمثل الخطوة السادسة فى طريقنا إلى فهم طبيعة الإنسان الحقيقية فى الوجود ، وهذا الاكتشاف يتوامم بشكل لطيف مع الخطوات السابقة، فإن هذه الطاقة تكمل الإدراك بالجلاء البصرى ..»[2] .

ويقول أيضاً « وليست الطاقة الروحية التى لا بد من استنتاج وجودها لتفسير نتائج أبحاث الإدراك خارج الحواس والطاقة المحركة هى اختصاص غريب شاذ منعزل ، بل يجب الاعتراف بأنها جـــزء حقيقى واقعى من الكيان الإنسانى المتكامل ...»[3] .

ثم يقول عن تأثير هذا الموضوع فى مشكلة بقاء الإنسان بعد موت الجسد « وهناك صلة أخرى هامة بين الإدراك خارج الحواس E. S. P. والطاقة المحركة P. K. والحياة بعد الموت . فإن لم تكن هذه القدرات فى بنى البشر لكان من الصعب تصور إمكان البقاء بعد الموت ، وبالتأكيد كان يستحيل اكتشافه ، فهو على علاته ظهور لنشاط غير مادى للعقل .

---

(١) المرجع السابق ص ١٣١ ، ١٣٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٣٥ .
(٣) المرجع السابق ص ١٧٥ .

والإدراك الوحيد الممكن فى حالة فناء الجسد هو الخارج عن الحواس ، كما أن الطاقة المحركة ستكون هى الطريقة الوحيدة للتأثير فى أى جزء من العالم المادى . وحتى لكى يتصل عقل الإنسان بعقل حى فلا بد من احتمال تدخل هذه الطاقة المحركة . والتلباثى أو انتقال الأفكار تبدو أنها الطريقة الوحيدة للاتصال بين الأموات والأحياء أو بين بعضهم بعضاً .. »[1] .

ثم يقول عن البحث الروحى الصرف لتحقيق مشكلة إثبات البقاء بعد موت الجسد المادى ، إن فى إمكاننا أن نعمل الكثير لتبسيط وضبط الدراسات التجريبية للوساطة الروحية ، وهذه الدراسة المبدئية للطرق يمكن أن تبدأ دون إبطاء فى التخطيط القادم لرقعة الإدراك خارج الحـــواس والطاقة المحركة . وأحسن خطة لمشكلة البقاء تتطلب الحملة عليها من عدة نواحٍ . والمستكشفون لهذا الميدان يجب أن تكون لديهم الحرية فى العثور على أية ظاهرة تتصل بالبحث فى أى مكان كانت ... وعلينا بالطبع أن نجمع التقارير من كل نوع عن هذه التجارب ، وأن نكون متيقظين لكل فذ عديم النظير منها ، خصوصـــاً تلك التى توحى بصفة خاصة إلى أعمال شخصيات فنيت أجسادها ... »[2] .

وهذا الكلام كتبه راين حوالى سنة ١٩٤٠ ، ويلاحظ فيه مدى التحفظ والاحتياط ، وهو مما يضاعف قيمة شهادته فيما بعد فى سنة ١٩٥٠ لثبوت الحياة بعد فناء الأجساد المادية وللاتصال بأرواح من نسميهم خطأ بالموتى بناء على تجارب جامعة ديوك حتى هذا التاريخ الأخير ، عندما أخذ يحاضر فى الجامعات الأمريكية والبريطانية وفى الإذاعة البريطانية عن ثبوت هذا الاتصال بأرواح « الموتى » تجريبياً على ما بيناه فى مناسبة سابقة[3] .

* * *

(١) المرجع السابق ص ٢٤٧ ، ٢٤٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٥٠ .

(٣) راجع ما سبق فى ص ١٧٥ — ١٨٢ .

وأقوى مظاهر تأثير العقل فى المادة — فى المستوى الأرضى — هو فى تأثير العقل إلى حد ما فى شكل الإنسان وملامحه العامة التى قد تدل على اتجاهاته وملكاته وأخلاقه، وهو ما يعترف به تماما علم الإنسان، ومن ذلك أيضاً تأثير العقل فى وظائف الأعضاء إلى الحد الذى قد يكون له تأثير ملموس فى الصحة أو المرض. وقد درس علماء متعددون هـــذا التأثير المباشر للعقل فى وظائف الأعضاء. منهم العالم الإيطالى سيزارلو مبروزو Cesar Lombroso عندما اكتشف التغييرات الفسيولوجية التى قد يحدثها العقل فى تجاربه على الوسيطة الأسبانية أسابيا بلادينو Eusapia Paladino .

كما أثبت العالم الألمانى أنطون مسمر Anton Mesmer — مؤسس علم التنويم المغناطيسى فى شكله الحديث — تأثير التنويم المغناطيسى فى شفاء بعض الأمراض العضوية منذ سنة ١٧٧٥ . وهو ما سلم به أيضاً الطبيب الفرنسى الكبير شاركو Charcot الأمر الذى دعاه إلى تأسيس مدرسة سالبترير Salepetrierre بباريس فى ســـنة ١٨٧٨ للعلاج الإيحائى مقتفياً خطوات مدرسة نانسى Nancy الأولى فى التنويم المغناطيسى. وعن طريق الاستماع إلى شاركو ومشاهدة تجاربه فى التنويم والإيحاء عرف سيجموند فرويد التنويم وخطورته، فلما عاد إلى فيينا بدأ يستخدمه فى علاج مرضاه.

ومن مجموع البحوث التى جرت فى هذا الميدان ظهر طب العلاج النفسى للأمراض العضوية Psycho therapeutics ، وهو علم معترف بجدواه وأقرت الجمعية البريطانية صحته بإجماع الآراء فى تقرير يرجع إلى عام ١٨٩٢ ، وهو الأمر الذى تكفلت ببحثه وبإثباته جهات البحث العلمى فى الروح بالإضافة إلى جهات البحث العلمى فى التنويم المغناطيسى. وأجمعت عليه بغير عناء هذه المدارس وتلك معاً حتى لقد أصبح من المعروف الآن أن العقل الباطن للإنسان هو الذى يهيمن على وظائف الجسم الحيوية كالدورة الدموية والتنفس ودقات القلب ونمو الخلايا وإفرازات الغدد والهضم ...

والظواهر الوساطية تكاد تكون كلها غير مفهومة ولا ممكنة بغير التسليم

ابتداء بإمكان استقلال الوعي عن الجسد المادى ، وهو الأمر الذى ثبت منذ عرف التنويم المغناطيسى فى العصر الحديث ، ثم بالتسليم بوجود تأثير مباشر للعقل فى المادة يشير بذاته إلى قوة العقل وإلى تفوقه على المادة ، لذا كان العقل هو الذى يوجه المخ ويهيمن عليه لا العكس[1] .

* * *

وظاهرة تجسد الأرواح من مادة تنتزعها بأسلوب عقلى من جسم الوسيط أو الوسيطة ، ثم ظاهرة الملابس تصنعها لنفسها بهذا الأسلوب الذى يسبب ذهول الحاضرين ، ثم ظاهرة الشكل الذى قد تتخذه لنفسها وهو غالباً شكلها القديم قبل انتقالها إلى عالم الروح مباشرة ... كل ذلك يتم بتأثير مباشر من عقل الروح فى مادة الاكتوبلازم أو فى طاقة معينة قد تنتزعها من جسم الوسيط أو الوسيطة بنفس الأسلوب . ومع مراعاة أن ذاكرة الروح فى شأن شكلها الأخير جزء من عقلها بطبيعة الحال .

وتحريك الأرواح للأجسام الصلبة فى غرف البحث الروحى يكون بعقولها لا بأيديها . ومثل ذلك تحويل المادة إلى طاقة ، ثم إعادة الطاقة إلى مادة كيما تتم ظاهرة كظاهرة المجلوبات والمأخوذات الروحية ، فإن كل ذلك يتم بأساليب عقلية خالصة تنبىء بذاتها عن وجود مستوى عقلى للحياة يختلف تماماً عن مستواها المادى الذى نحيا فيه الآن .

بل إن ظهور صورة الروح غير المتجسدة على اللوح الحساس — الذى بدأ منذ سنة ١٨٦١ فى حضور الوسيط د.ه ماملر ببوسطن D.H. Mumler[2] ثم أخذ يتكرر على نفس الوتيرة فى حضور وسطاء متعددين فى بلاد مختلفة وفى بيئات علمية متنوعة بغير انقطاع حتى الآن — يكون بتأثير عقلى مباشر فى هذا الزجاج الحساس مع استعانة عقل الروح بطاقة منبعثة من جسم الوسيط

(١) راجع ماسبق عن رأى راين فى ص ١٧٧ ، وبرجسون فى ص ١٨٣ ، ورأى كاود برنار فى ص ٣٥٢ وويشيه وغيره فى ص ٣٥٣ — ٣٥٥ .

(٢) وقد توفى ماملر فى سنة ١٨٨٤ وله أول مؤلف فى الصور الروحية وعنوانه .
«Personal Experiences Of William H. Mumler in Spirit Photography».
وقد ظهر هذا الكتاب فى سنة ١٨٧٥ وحالياً توجد نسخة منه فى المتحف البريطانى .

تتخذ أحياناً شكل الضباب أو الغيم الأبيض وتظهر على اللوح الحساس محيطة بوجهها من كل جانب ، لأن الروح تنتزع أولا هذه الطاقة من أحد الوسطاء ، وعندما يتجمع منها القدر الكافى تحاول أن تتذكر شكلها القديم قبيل مغادرتها عالمها الأرضى . فإذا ما فعلت ذلك فإنه قد يمكنها مع الإصرار والمران أن تظهر نفسها وسط هذا الضباب فى هذا اللوح بشكل ما كوسيلة لإثبات شخصيتها .

فظاهرة التصوير الفوتوغرافى لأرواح غير منظورة تختلف تماماً عن ظاهرة تصوير روح متجسدة تجسداً تاماً أو جزئياً ، وهى الظاهرة التى حققها كروكس وآخرون غيره فى بلاد عديدة على ما وضحناه فى مناسبة سابقة بالصور[1] . أما إظهار روح غير متجسدة لنفسها على اللوح الحساس فهى ظاهرة تختلف عنها من ناحية أن الروح لا يراها غير وسطاء الجلاء البصرى قبل ظهورها على اللوح الحساس .

بعض المراجع فى الصور الروحية Skotographs & Psychographs

وقد قامت هيئات علمية لها مكانتها ببحوث متواصلة لتحقيق هذه الظاهرة الأخيرة ، وهى ظهور صـــور ورسومات وأشكال ورموز ومخطوطات منوعة على الألواح الحساسة فى حضور بعض الوسطاء منها ما تم عن طريق تحقيق وساطة الوسيط روبرت بورسنيل Robert Boursnell فى داخل « الكليه البريطانية للعلم الروحى » واستخدم فى هذا التحقيق جهاز للأشعة فوق البنفسجية فظهرت عشرات من الصور الواضحة تماماً وبالنظر لاستخدام هذا الجهاز لم يظهر فى هذه الصور الضباب الأبيض الذى يظهر عادة عند عدم استخدامه[2] .

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٣١٦ — ٣٣٩ ، ٣٤٥ — ٣٤٩ .

(٢) راجع مجلة العلم الروحى التى تصدرها الكلية عدد يولية ١٩٢٧ ص ١٠٠ وما بعدها .

وراجع مقالا عن التصوير الروحى لليوجور سبنسر R. F. E. Spencer فى عدد أبريل سنة ١٩٢٢ من نفس المجلة (ص ٨٠ — ١٠٣) وهو موضح بالصور الروحية ، =

وحصل على صور عديدة لأرواح غير متجسدة فى منزله الأسقف شارل تويديل Charles Tweedale رئيس أساقفة يوركشير عن طريق وساطة زوجته وكريمته . كما حصل على رسائل على اللوح الحساس ونشرها فى مؤلفه « أنباء من العالم الآخر »[1] . وبدون الاستعانة بأى جهاز للأشعة غير المنظورة .

وحقق ظاهرة الصور الروحية أيضاً سير ألفريد راسل والاس A. R. Wallace فى مؤلفه عن « المعجزات والروحية الحديثة[2] » . كما خصص لها فصلا العالم والوزير أكزاكوف Aksakoff فى مؤلفه عن « الحيوانية والروحية[3] » وسير آرثر كونان دويل A.C Doyle فى مؤلفـــه عن « حالة التصوير الروحى[4] » .

— وسير أوليفر لودج O. Lodge بعد تجاربه مع الوسيطة آدا إيمادين A E. Deanne .

— وسير وليام باريت W. Barrett بعد تجاربه مع الوسيط هوب W. Hope .

— وستانلى دى برات Stanley De Brath بعد تجاربه مع نفس الوسيط .

— وسير وليام كروكس W. Crookes بعد تجارب مع وسطاء عديدين .

— وهيروارد كارنجتون H. Carrington بعد تجاربه مع الوسيط هوب والوسيطة مسز دين Deanne .

— ودكتور جورج لندسى جونسون George Lindsay Johnson .

— ودكتور جلين هاملتون Glen Hamilton .

— ودكتور جيمس كوتس James Coates بعد تجارب مع وسطاء

= ومقالا آخر لرئيس تحرير هذه المجلة ف . بلاى بوند F. Bligh Bond فى عدد يوليه سنة ١٩٢٢ وفيه يقترح أسلوبا معينا لبحث ظاهرة التصوير الروحى مؤيداً بتجاربه الخاصة فى هذا الشأن (ص ١٣٤ — ١٤٤) .

(١) News From The Next World.

(٢) Miracles And Modern Spirituailsm.

(٣) بالألمانية وله ترجمة فرنسية . Animismus Und Spiritismus.

(٤) The Case For Spirit Photography.

عديدين ، وقد شرحها الأخير فى مؤلفه عن « تصوير غير المنظور »[١] .

— والمعمل الوطنى للبحث الروحى التابع لجامعة لندن عدة تجارب مع الوسطاء وليام هوب وجورج موس ومسز إيرفنج وغيرهم[٢] .

وحصل على عدد ضخم من الصور الروحية الأستاذ ف . و . واريك E. W. Warrick عن طريق وســـاطة السيدتين دين Deanne ومادج دونوهو Madge Donohoe وغيرهما . ونشرها فى مؤلفه « بحوث فى الروحيات »[٣] (١٩٣٨) وهو ثمرة بحوث مثابرة دامت لسنين كثيرة فى ظواهر الكتابة المباشرة والصور الروحية بأسلوب علمى دقيق .

كما حصل المؤلف على صور لمناظر طبيعية ولآلات موسيقية ، ولوحات لتوضيح قصتين واردتين من عالم الروح إحداهما فرعونية والأخرى إغريقية ، وعلى صور أخرى لطيور ولنباتات ومخطوطات واردة من عالم الروح تتضمن القصتين ، وكل ذلك بدون الاستعانة بكاميرا .

وكان بعض الصور والمخطوطات يرد بمساعدة من روح سير أرثركونان دويل بالاشتراك مع روح مارتن دونوهو زوج الوسيطة الراحل ، وعن طريق هيمنة الروح المرشدة جولدن كلود Golden Cloud الذى يقول إنه فرعون قديم . وقـد بلغ مجموع هذه اللوحات كلها حوالى أربعة آلاف وخمسمائة لوحة . وقد قدم هذا المؤلف الثمين للقراء سير أوليفرلودج بمقدمة يشهد فيها بما يعلمه شخصياً عن مؤلف هذا الكتاب من أمانة ومثابرة ودقة .

وجميع اللوحات الحساسة أحضرها الأستاذ واريك بنفسة وقام بعمليات التحميض والطباعة بعيداً عن الوسطاء ، واتخذ جميع الاحتياطات لدرء كل شك أو شبهة فى شأنها . وتبدو المناظر التاريخية فيها واضحة تماماً

---

(١) Photographing The Invisible.

(٢) راجع ما سبق عن المؤلف فى ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٣) تجارب فى الروحيات Experiments In Psychics ص ٣٤١ ، ٣٧٤ ، ٣٨٦ ، ٣٩٠ .

ومتفقة مع وقائع القصتين الفرعونية والاغريقية الواردتين بدورهما من عالم الروح عن طريق هذه اللوحات الحساسة .

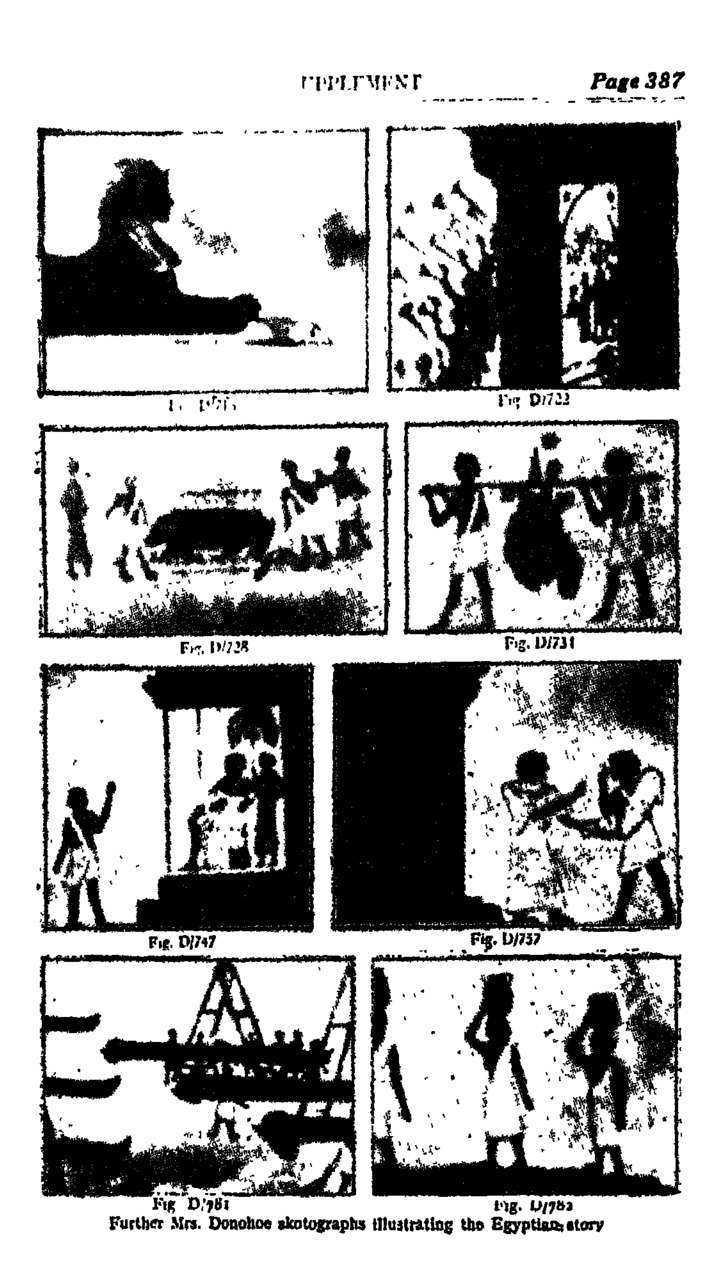
Page 386 SUPPLEMENT



Fig. D/769 — Fig. D/785 — Fig. D/797 — Fig. D/803 — Fig. D/813 — Fig. D/817

Further Mrs. Donohoe's skotographs illustrating the Egyptian story told to C.D (Conan Doyle) and M.D (Martin Donohoe) by Golden Cloud, who was once a pharaoh · sent by them jointly (according to the scripts). These particulars apply to illustrations on the next three pages and to the set on page 341.

ستة نماذج لتوضيح قصة فرعونية ذكرت روح سير آرثر كونان دويل ومارتن دونوهو (زوج الوسيطة الراحل) أن جولدن كلود (الروح المهيمن) قد رواها لهما . وقد بلغت مخطوطات القصة التى كانت تظهر على الألواح الحساسة ٤٧٥ مخطوطاً كما بلغت اللوحات الرائعة نفس العدد تقريباً .



ثمانية نماذج أخرى وردت عن طريق نفس الوسيطة لتوضيح نفس القصة الفرعونية (عن كتاب « تجارب في الروحيات Experiments In Psychics » للأستاذ واريك Warrick ص ٣٨٦ ، ٣٨٧) .

كما شهد بصحة ظاهرة التصوير الروحى الأديب الإرلندى الكبير شو دزموند Shaw Desmond بعد تجارب متعددة مع بعض الوسطاء، وبخاصة مع مس كاثلين هولم Miss Kathleen Holme . ويقول إنها أول وسيطة يمكن فى حضورها الحصول على صور روحية ملونة على ألواح من الزجاج الحساس المختومة والتى لم يمسسها إنسان[1] .

فمن ذا يا ترى هو الذى لفق هذه الآلاف من الصور الروحية التى تزخر بها الآن المراجع الروحية[2] . وكيف وأين ومتى تم التلفيق ؟ وما أدلته

(١) فى مؤلفه « كيف تحيا عندما تموت » ص ٤٦ .
How you Live When You Die

(٢) ومن أراد الاستزادة فى هذا الموضوع فليرجع الى المراجع الآنف ذكرها هنا ، أو إلى المراجع التى بيناها فيما سبق فى باب « بعض الأسماء والمراجع » حيث قد أشرنا فيه إلى بعض من تلك المتصلة بالصور الروحية . وبالاضافة إلى هذه وتلك يمكنه أن يرجع الى بعض المجلات والمطبوعات الدورية التى تبحث فى أمور الروحية ومنها مثلا :

— مضابط جمعية البحث الروحى البريطانية S. P. R. Proceedings حيث يجد فى المجلد السابع الصادر فى سنة ١٨٩١ — ١٨٩٧ مقالا لمسز سيدجويك مبين به قائمة للكتب والمجلات الدورية التى نشرت بينات عن الصور الروحية حتى ذلك التاريخ .

— ومنها جريدة الإنسان الروحى The Spiritualist حيث يجد فى عدد يوليه ١٨٧٢ وفى أعداد متعددة من سنة ١٨٧٥ جملة صور .

— وفى الجريدة الروحية The Spiritual Magazine يجد القارىء فى عددى سبتمبر ١٨٧٢ ونوفمبر ١٨٧٣ صورا أخرى .

— وفى مجلة « العلم الروحى » Psychic Science التى تصدرها « الكلية البريطانية للعلم الروحى » راجع الأعداد الآتية : —

يناير وأبريل واكتوبر ١٩٢٣ . ويناير وأبريل ١٩٢٤ . واكتوبر ١٩٢٥ . ويناير واكتوبر ١٩٢٦ . ويناير وأبريل ويولية ١٩٢٧ . ويناير وابريل واكتوبر ١٩٢٩ . ويناير ويوليه ١٩٣٠ . ويناير واكتوبر ١٩٣٢ . ويناير وابريل ويوليه ١٩٣٣ . ويناير واكتوبر ١٩٣٤ .

— وراجع فى جريدة لايت Light عن الصور الروحية المجلدات الآتية :

سنة ١٩٠٢ ص ٨ ، ٩ ، ٣٤٧
» ١٩٠٣ ص ٤٧ ، ٧٧ ، ١٢٣ .
» ١٩٠٨ ص ٢٨٣ .
» ١٩٠٩ ص ١٤٣ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢١٣ ، ٥٣٧ .
» ١٩١٥ ص ٤٣ ، ٥٥ ، ٩٣ ، ٢٥٧ ، ٥٥٤ .
» ١٩١٦ ص ٢٤ ، ٢٥ ، ٦٦ ، ١٠٥ ، ١٥١ ، ٢٩٣ .

مع كل الاحتياطات الضخمة التي يراعيها العلماء والباحثون الجادون في كل مكان»

= » ١٩١٧ ص ٦٤ ، ٩٥.

» ١٩١٨ ص ٨٠ ، ٩٥ ، ١٤٦ ، ١٥٨ ، ١٧١ ، ١٧٥ ، ١٩١ ، ٣٥٧.

» ١٩١٩ ص ١١ ، ٢٧ ، ٤٦ ، ٨٤ ، ٢٦١ ، ٢٦٧ ، ٢٧٩ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٣٥٢ ، ٣٧٦ ، ٣٩ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠.

» ١٩٢٠ ص ١٠٧ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٥١ ، ١٥٩ ، ١٨١ ، ١٩٠ ، ١٩٦ ، ٢٩٠ ، ٣٤٦ ، ٣٥٦ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٩٦ ، ٤٢٠ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٥٠ ، ٤٥٢ ، ٤٦٦ ، ٤٨٢

» ١٩٢١ ص ١٠ ، ٢٦ ، ٤٢ ، ٥٨ ، ٦٠ ، ٧٤ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٥٥ ، ١٥٨ ، ١٧٢ ، ١٨٨ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٦ ، ٣٩٨ ، ٤٥٢ ، ٤٦٦ ، ٤٧٧ ، ٥٤٣ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٦٠٤ ، ٦١٩ ، ٦٣٨ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٥٠ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨٢٠ ، ٨٣١ .

سنة ١٩٢٢ ص ١٢ ، ٦٥ ، ١٣٤ ، ١٥٤ ، ٢٦٦ ، ٢٩٨ إلى ٣٠٢ ، ٣٢٣ ، ٤١٠ ، ٤٢٢ ، ٤٣٥ ، ٤٤٥ ، ٥١٧ ، ٥٣٢ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٦ ، ٦١٤ ، ٦٣٩ ، ٦٥٣ ، ٦٦٥ ، ٦٨٢ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧٢٠ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨١٠ ، ٨١١ ،

» ١٩٢٣ ص ٤ ، ٨ ، ٣٨ ، ٥٧ ، ٦٠ ، ٧١ ، ١٢٢ ، ١٧٩ ، ٢١٦ ، ٢٥٢ ، ٢٧٧ ، ٣٩٢ ، ٥٥٧ ، ٦١٩ ، ٦٢٣ ، ٦٥١ ، ٧٢٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٧.

» ١٩٢٤ ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٣١ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٧٤ ، ٥٣٥ ، ٥٩٤ ، ٦٢٣ ، ٦٨٧ ، ٧١٥ ، ٧٢١ ، ٧٢٨ ، ٧٣١ ، ٧٣٣ ، ٧٣٦ ، ٧٤٣ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١

» ١٩٢٥ ص ٥ ، ٩ ، ١٦ ، ٢٨ ، ١٢٥ ، ٢٦٩ ، ٣٣٢ ، ٤٣٧ ، ٤٨١ ، ٥٨٠ ، ٥٨٣ ، ٥٨٩ .

» ١٩٢٦ ص ٨٩ ، ١٠١ ، ٣٥٦ ، ٥٠٧ ، ٥٨١.

» ١٩٢٧ ص ١٣٦ ، ٣٥٣ ، ٤٦٤.

» ١٩٢٨ ص ١٢٢ ، ٢٢١ ، ٥٢١ ، ٥٦٦ ، ٥٨٠ .

» ١٩٢٩ ص ٢٠٦ ، ٢٩٨ ، ٣١٠ ، ٥٤٤ ، =

وألا يمكن اكتشاف التلفيق إن وجد ؟ ولماذا ينزل علماء من طراز ألفرد راسل والاس وأوليفر لودج ووليام باريت وكروكس ، وتويديل رئيس أساقفة يوركشير إلى هذا المستوى؟.. . ولماذا ينزل معهم علماء «الجمعية الأمريكية للبحث الروحى » وأيضاً « الجمعيـــة البريطانية للبحث الروحى » S. P. R. و « الـكلية البريطانية للعلم الروحى » و « المعمل الوطنى للبحث الروحى » التابع لجامعة لندن ، و « المعهد الدولى لما وراء الروح بباريس» ، ومن بعدهم عشرات من أفضل العلماء إلى هذا المستوى ؟ وما مصلحتهم ؟ ...

هذه أسئلة على المـكابر أن يعطينا عنها جواباً شافياً قبل أن يعارض لمجرد أنه غير قادر أن يتصور إمكان ذلك ... بل على طالب البحث عن الحقيقة أن يرجع إلى بعض هذه الأبحاث كيما يدرك مدى الاحتياطات الدقيقة التى اتخذت لمنع شبهة التدليس أو التسرع ولدرء الاعتراض به . كما يمكنه أن يلاحظ النتائج المتشابهة التى حصل عليها الباحثون الـكبار فى كل مكان كيما يجزم أن هذه الان حقائق علمية ثابتة وان كانت لا تخضع للأساليب المـادية المألوفة .

فالتصوير الروحى لأرواح أو لمناظر أو لمخطوطات غير منظورة من الحاضرين لا يتم بالأساليب العادية ، بل كما — قلنا — بتأثير مباشر من عقل روح

= « ١٩٣٠ ص ٦٤

« ١٩٣١ ص ٥٢ ، ٧٠ ، ٢٤٥ ، ٣٤٩ ، ٢٦١ ، ٢٨٦ ، ٤٢٥ ، ٤٣٠ ، ٤٧٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٨ ، ٥٢٥

« ١٩٣٢ ص ١٩، ٣١ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ٥٧١ ، ٥٨٣ ، ٥٩٥ ، ٦٥٢ ، ٦٦٥

« ١٩٣٣ ص ٣٣، ٥٥، ٧٠ ، ١٣٤ ، ١٣٩ ، ١٥١ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٧٠ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢١٢ ، ٢١٣، ٢٣٠ ، ٢٥٩ ، ٢٦٢ ، ٢٦٤ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٣٠٥ — ٣٠٩ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٢٥ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٧٤ ، ٤١٨ ، ٤٧٣ ، ٥٨٥ ، ٦١٣

« ١٩٣٤ ص ٢٠، ٦٩، ٢١٢ ، ٣٠٠ ، ٣٦٠ ، ٤٦٧ ، ٥١١ ، ٧١٧ ، ٧٦٩

« ١٩٣٥ ص ٥٥ ، ٤٢١ ، ٤٣٩ ، ٤٥٩ ، ٤٧٤ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٨١٩

« ١٩٣٦ ص ١٥٦ ، ١٩٣ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩ ، ٧٤٤

« ١٩٣٧ ص ١٩٥ ، ٢٦٢ ، ٣٤٢ .

متمرنة فى اللوح الحساس تستخدم فيه طاقة خاصة ينبغى أن تنبعث من جسم الوسيط أو الوسيطة ويبنغى أن يكون الموضوع كلة تحت إشراف روح أو أرواح مرشدة متمرنة بدورها جيداً على كيفية استخدام هذه الطاقة. وقد يحتاج الأمر أحياناً إلى استخدام كاميرا وقد لا يحتاج، كما قد يحتاج إلى جهاز للأشعة فوق البنفسجية أو دون الحمراء وقد لا يحتاج لا لهذا ولا لذاك، بحسب نوع الطاقة وخبرة الأرواح المرشدة وإمكانياتها، ووسائل العمل التى لديها فى جسوم الوسطاء .

وليس مقتضى تعذر الحصول على صورة روحية عند الطلب وطبقاً للأساليب المادية إنكار صحتها ، لأن كل ظاهرة روحية كما سبق أن بينا إن هى إلا ظاهرة طبيعية تحدث فحسب عندما تتوافر لها شروطها ، كظاهرة سقوط المطر أو تجمع السحاب أو ظهور قوس قزح ، أو كظاهرة نمو زهرة . ومهمة العلم الروحى هى تسجيل الظاهرة عندما تحدث دون أن يزعم أن له عليها أى سلطان من طبيعة سلطانه على المادة الصلبة .

وهذا التأثير المباشر للعقل فى المادة يبلغ أوجه فى عالم الروح حيث يكون العقل فى أوج ازدهاره وحريته ، وحيث تكون المادة الصلبة أسرع اهتزازاً بكثير من الضوء البنفسجى ، وهو أسرع الألوان اهتزازاً على المستوى الأرضى . وهذا التأثير يتحكم فى كل مظاهر الحياة هناك . وعلى ذلك أجمعت رسائل الأرواح ، كما أجمعت على أن هذا التأثير هو الذى يمكنها من أن تزاول نشاطها فى الصناعة وفى البناء وفى الفنون الجميلة وفى غيرها . وهو الذى يمكنها من أن تستخرج من الأثير ماتشاء من المواد السائلة والصلبة والغازية وتشكلها على الشكل الذى يلزمها .

ولذا كانت « الكيمياء العقلية » متقدمة جداً فى المناطق العليا من عالم الروح، وتقوم بدور أخطر بكثير من دوره الكيمياء العضوية مثلا على المستوى

---

(١) ولنا إلى ذلك عودة تفصيلية فى الجزء الثانى .

الأرضى ، كما كانت الظواهر الفيزيقية تحتاج — بالإضافة إلى الوساطة القوية — إلى كيميائيين بارعين من عالم الروح ، يحسنون استخراج مادة الإكتوبلازم من جسم الوسيط بوسائل عقلية ويحسنون خلطها بمادة من عندهم فتصبح لفائف من «التلبلازم» متعدد الألوان والأشكال ويتفاوت فى كثافته أو فى رقته بحسب نوع الظواهر المراد إحداثها . كما يحسنون سحب الطاقة المطلوبة بقدر الحاجة إليها وبحسب نوع الظواهر وظروف الوسيط أو الوسطاء ، كما يحسنون إعادة كل شىء إلى حالته السابقة عند نهاية الجلسة بدون إضرار بالوسيط أو بالوسطاء .

وكتب البحث الروحى حافلة بالتجارب وبالمعلومات فى هذا المعنى . فلولا وجود أجساد أثيرية للأرواح على ما بيناه فى الفصل السابق ، ولولا إمكان التأثير المباشر للعقل فى المادة على ما بيناه فى الفصل الحالى ، لما كانت تصبح مفهومة هذه الظواهر ، ولا رسائل الأرواح فى شأن طبيعة الحياة هناك

وفيما يلى نقدم عدة نماذج من صور روحية — تثبت الأمرين معاً — التقطت بواسطة علماء ثقاة ، وهم بصدد تحقيق وساطة بعض وسطاء التصوير الروحى المعروفين فى تاريخ الروحية . والوسطاء من الندرة بمكان ، ولكن ندرة الشىء لا تنفى وجوده ، فالوسيط القوى كما وصفه سير آرثر كونان دويل بمثابة زهرة نادرة فى صحراء جرداء . ومن هؤلاء الوسطاء روبرت بورسينيل وهوب ووبلى ودوروثى تويديل ودين ودونوهو وجون مايرز وغيرهم ... ممن أحيط تحقيق وساطتهم بضمانات جمة وخضع التحقيق لبحوث عدد وافر من أحسن العلماء والباحثين ، الذين لا يعنيهم فى الأمر شىء سوى رغبة الوصول إلى الحقيقة العلمية وتسجيلها بأمانة مهما كانت فى خطورتها واتساع نطاقها تعلو عن أن تعيها — الآن — بعض المدارك والأفهام .

صور لأرواح غير متجسدة

تحقيق وساطة روبرت بورسينيل بالتقاط صور للأرواح فى وجوده مع الاستعانة بالأشعة فوق البنفسجية



(عن مجلة الـكلية البريطانية للعلم الروحى عدد يوليه من سنة ١٩٢٧) .
تـكوين تدريجى لصورة الرأس خلف الوسيط .
←



روح غير متجسدة أشار الوسيط إليها فلما صوبت عدسة الكاميرا فى اتجاهها أثبتت صحة ما قرره الوسيط ، فهل للكاميرا عقل باطن ؟ (المرجع السابق)
→

عن مجلة « الكلية البريطانية للعلم الروحى »

عدد يوليه ١٩٢٧





عن نفس المرجع وفى حضور نفس الوسيط





عن نفس المرجع وفى حضور نفس الوسيط





صورة تمثل رسماً أحدثته يد غير منظورة على اللوح الحساس فى حضور الوسيط



صورة روحية للسيد واين Wain المتوفى فى ٥ أبريل سنة ١٩٢٨ (عن مجلة الكلية البريطانية للعلم الروحى عدد يناير سنة ١٩٢٩) .

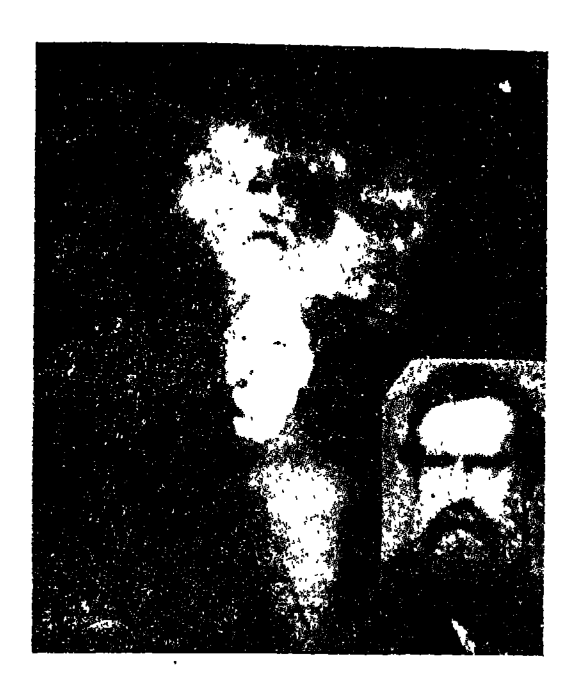
←



صورة روحية للسيدة مارى تويديل تلقاها زوجها شارل تويديل رئيس أساقفة يوركشير فى منزله عن طريق وساطة كريمته دوروثى الجالسة إلى اليمين (عن مؤلفه أنباء من العالم الآخر) .

لاحظ التطابق الواضح بين أسلوب هذه الصورة وسالفتها ومظهرهما العام ، وذلك بالإضافة إلى الثقة المستمدة من الأشخاص الذين قاموا بالتقاطهما ، ومن أن كل فريق كان يعمل على انفراد بغير أية رابطة تربط بينهما .

→



صورة روحية لسير وليام كروكس تلقاها فى منزله الأسقف تويديل (وفى الزاوية اليمنى صورة أرضية له للمقارنة) عن كتاب تويديل « أنباء من العالم التالى » (وراجع ماسبق عن المؤلف فى ص ٢٦٥)



صورة روحية لسير آرثر كونان دويل وفى الزاوية اليمنى من أعلى صـــورة أرضية له للمقارنة (عن المرجع السابق)

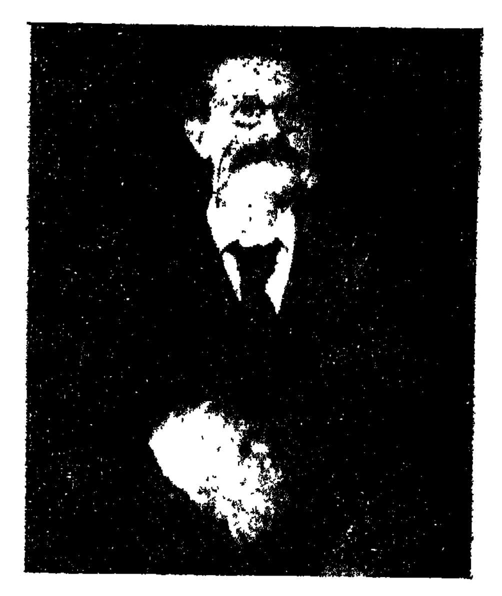
تحقيق وساطة ويلى



عدة وجوه غير منظورة ظهرت على لوح حساس واحد فى جلسة واحدة فى ظروف مؤاتية فى حضور الوسيطين الأمريكى الزى رينولدز Elsie Reynolds والبريطانى إدوارد ويلى Ed. Wyllie . وقد تحدى الدكتور جيمس كوتس James Coates بهذه الصورة خبراء التصوير فى العالم أجمع (عن مؤلفه « تصوير غير المنظور » Photographing The Invisible ص ٣٤٣)



الدكتور جيمس كوتس وقد التقطت له هـــذه الصورة فى حضور الوسيط إدوارد ويلى فظهرت معه صورة روحية للسيد جون آدامسون المتوفى (عن المرجع السابق ص ١٦٧)



إدوارد ويلى وسيط التصوير الروحى
وقد ظهرت معه صــورة لوالدته المتوفاة
(المرجع السابق ص ١٢٥)



سيدة تدعى كلارا آشورث وقد ظهرت
معها صورة لسيدة تدعى آليس هوايتيكر
توفيت منذ ١٨ آبريل ســنة ١٩١٠
وذلك فى حضور نفس الوسيط (عن المرجع
السابق ص ١٩٩) .



←

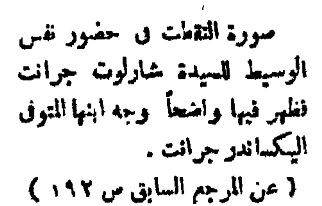
سيدة تدعى مس مكاللوم وقد ظهرت
معها صــورة روحية لوجهين أمكن التعرف
على صاحب أحدهما فقط وهو مستر نيكولسون
(عن المرجع السابق ص ١٨٩)



صورة التقطت فى حضور الوسيط ويل ، فظهرت فيها صورة روحية للطفلة المتوفاة آجنس تويديل سمبسون ابنة زوجة الدكتور جيمس كوتس ، ويقرر الأخير أن صورة الطفلة لا تطابق أية صورة أخرى التقطت لها أثناء حياتها الأرضية ، لكنها تشبه الطفلة المتوفاة تماما فى ملامحها وجلستها وقد أحضرت هذه الصورة للمؤلف سيدة غريبة عنه تدعى مسز شو عندما ظهرت هذه الصورة الواضحة غير المتوقعة .

(عن المرجع السابق ص ١٩٠)





صورة التقطت فى حضور نفس الوسيط للسيدة شارلوت جرانت فظهر فيها واضحاً وجه ابنها المتوفى اليكساندر جرانت .

(عن المرجع السابق ص ١٩٢)

امتحان وساطة ويلى فى أمريكا



صورة لرجل صينى يدعى شارلى التقطت فى حضور الوسيط ويلى بناء على طلب أعضاء جمعية البحث الروحى فى باسادينا The Pasadena Psychical Research Society بكاليفورنيا بأمريكا فى شهر نوفمبر سنة ١٩٠٩ . وقد قصدت الجمعية أن يكون الشخص الجالس للتصوير أجنبياً لا صلة له بالأمور الروحية فظهرت صورة لوجه ابنه الذى لم يكن رآه منذ ثلاث سنين وكان نبأ وفاته بالصين قد أخفى عنه ، ولما استفسر شارلى من أسرته عن حقيقة الموضوع جاءه الرد بأن ابنه قد انتقل حقيقة إلى عالم الروح (عن المرجع السابق ص ١٢١ إلى ١٢٣)

وساطة مارتن



صورة التقطت فى الضوء الأبيض لشبح متجسد فى جلسة علنية بقاعة لنكولن بمدينة دينفر بولاية كولورادو Denver, Colorado فى ٥ أبريل سنة ١٩٠٣ بمعرفة المصور الوسيط ألكسندر مارتن A. Martin فظهر الشبح ومعه عدد من وجوه أرواح غير متجسدة (إلى اليمين) ووجه غير منظور وصدر (إلى اليسار)
(عن المرجع السابق ص ١٣٥) .

وساطة هوب W. Hope



صورة تمثل الدكتور جيمس كوتس وقرينته نشرت فى لندن ماجازين The London Magazine (عدد مايو سنة ١٩٢٠)، وقد التقطت فى حضور الوسيط وليام هوب بمدينة روتزى Rothesay فظهرت بينهما سيدة تبين فيما بعد أنها تدعى ايديا هاى توفيت فى روتزاى فى ١٣ سبتمبر ١٩٠٦ (المرجع السابق ص ٢٣٠)



صورة السيد والسيدة هوبز Hobbs التقطت بدائرة هوب فى سنة ١٩١٩ فظهرت بينهما صورة وجه ابنهما المتوفى
(المرجع السابق ص٢٢٤)



صورة تمثل الدكتور جيمس كوتس التقطت له فى دائرة كرو الروحية، وكان الوسيطان هما وليام هوب ومسز باكستون Mrs Baxton فظهرت إلى اليمين صورة زوجة كوتس المنتقلة إلى عالم الروح.
(المرجع السابق ص ٢٤١).

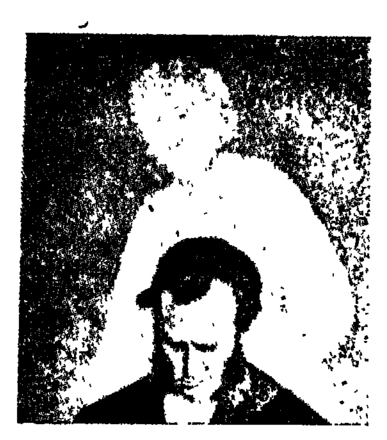
صور روحية متنوعة التقطت فى حضور علماء كبار



صورة التقطها جيمس كوتس فى برمنجهام أثناء تجاربه على الوسيطة السيدة « د » وزوجها وهو وسيط أيضاً . فظهرت صورة روحية لوجه أمكن التعرف على صاحبته (المرجع السابق ص ٢٥٥) .



صورة لسيدة مجهولة ظهرت على اللوح الحساس بدون كاميرا ولا إضاءة خاصة فى حضور الوسيط دجويد D. Duguid (المرجع السابق ص ٢٨٨) .



صورة للوسيط برمسون موراى وخلفه صورة روحية لمدام بونير Bonner (عن كتاب العالم اللغوى والوزير الروسى أكزا كوف « الحيوانية والروحية » (Animisme et Spirtisme)



صورة لسير ألفرد راسل والاس التقطت فى ١٤ مارس ١٨٧٤ فظهرت معه روح والدته المتوفاة التى لا يعرفها الوسيط مستر هدسون . وحصل والاس على صور أخرى روحية تحت الرقابة العلمية (عن مؤلفه المعجزات والروحية الحديثة Miracles And Modern Spiritualism)

وساطة السيدة دين





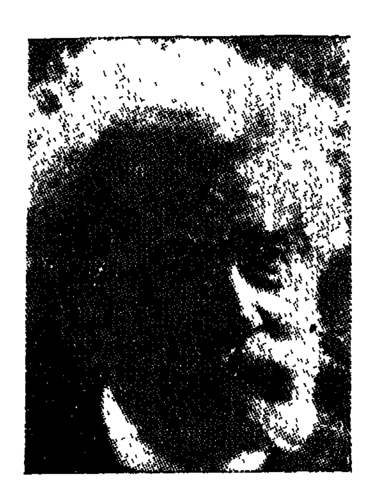


ثلاث صور واضحة فيها ملامح الوجه التقطت عن طريق وساطة السيدة آدا إيما دين
(عن تجارب فى الروحيات Erperiments In Psychics. 1938 للأستاذ واريك ص ٢٢)

وساطة السيدة دونوهو



صور روحية كنماذج من ٦٥٠ صورة أو أكثر ظهرت بدون كاميرا على الألواح الحساسة بعد وضعها على جبين السيدة دونوهو لأرواح غير متجسدة. وأمكن التعرف على عدد محدود من أصحابها
(عن مؤلف تجارب فى الروحيات للأستاذ ف . و . واريك ص ٣٣٧)





إلى اليمين صورة حديثة لروح الفيلسوف الفرنسى المعروف كامى فلاماريون كما ظهرت على اللوح الحساس أثناء اجتماع حافل بقاعة ألبرت بلندن، وكان وسيط التصوير هو الدكتور جون مايرز John Myers طبيب الأسنان وذلك تحت رقابة علمية . وإلى اليسار صـــورة أرضية لنفس الفيلسوف للمقارنة (عن جريدة الأنباء الروحية Psychic News عدد رقم ١٧١١ الصادر فى ٢٠ مارس سنة ١٩٦٥)



بعض أعضاء جمعية دراسة الصور غير المألوفة The Society For The Study Of Supernormal Photography أثناء اجتماعها فى شهر مايو ١٩٢٠ فى « الكلية البريطانية للعلم » الروحى . وقد التقطت هذه الصورة فى حضور وسيط التصوير وليام هوب W. Hope فظهرت فيها صورة وجه غير منظور (أدر الصورة إلى اليسار) ويرى بين أعضاء الجمعية هيوات ماكنزى مدير الكلية وقرينته وسير آرثر كونان دويل وقرينته .

الدكتور كروفورد يثبت حياته بعد الموت

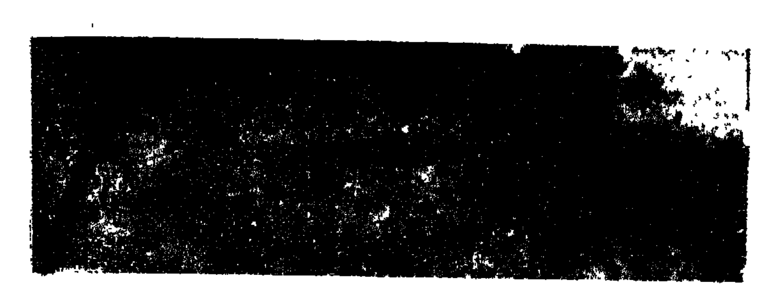


صورة التقطت بدائرة هوب بباكستون في أغسطس سنة ١٩٢٨ لروح الدكتور و . ج . كروفورد W. G. Crawford غير متجسد ، وقد حاول إظهار نفسه مرتين على نفس اللوحة قبل أن يظهر بالوضوح المطلوب . وحتى في المرة الثانية عجز عن إظهار أذنيه (عن كتاب تجارب في الروحيات Experiments In Psychics الأستاذ واريك Warrick ص ٦٥ ، ٩٥ وراجع ما سبق عن الدكتور كروفورد في ص ٢٢٤) .



صورة أرضية للمرحوم الدكتور كروفورد للمقارنة

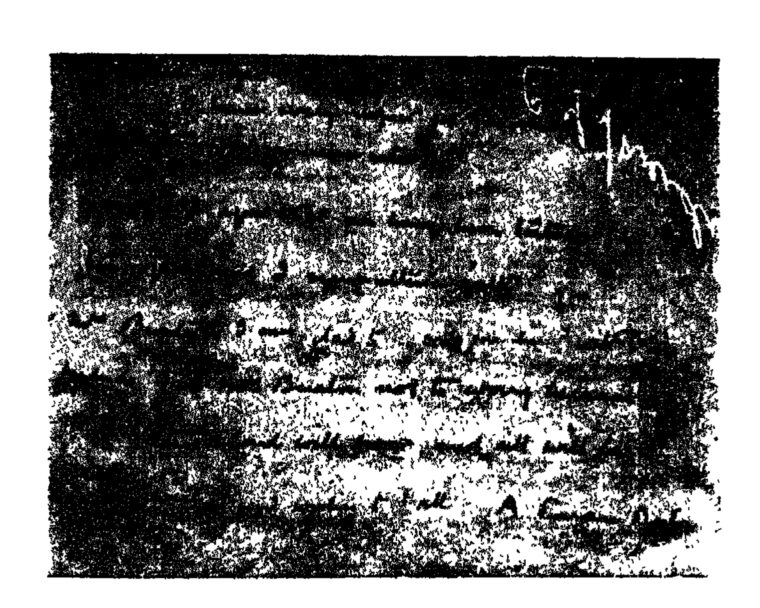
مضاهاة الخطوط بعد مضاهاة الصور



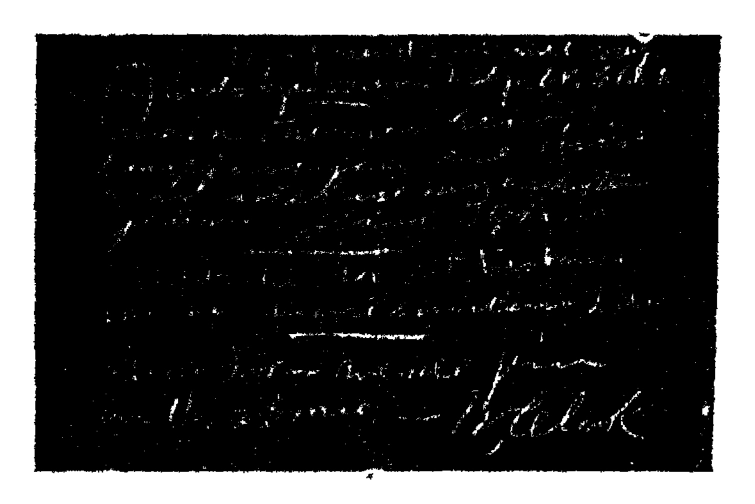
رسالة من روح الدكتور و. ج. كروفورد بخطه وتوقيعه على اللوح الحساس (المرجع السابق ص ٩٣ — ٩٥).

أنموذج مصغر لخط الدكتور و ج كروفورد أثناء حياته الأرضية للمضاهاة .

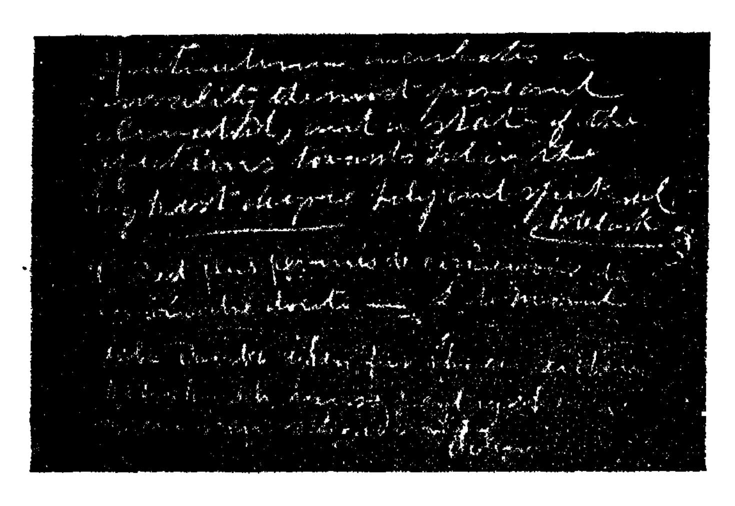
Yours sincerely
W. J. Crawford



رسالة روحية بخط المرحوم سير آرثر كونان دويل وبتوقيعه تلقاها الأسقف شارل تويديل على لوح حساس فى جلساته الخاصة فى منزله (عن مؤلفه : أنباء من العالم الآخر طبعة ١٩٧٤) . كما تلقى عدة صور روحية له بنفس الطريقة .



صورة خطوط وتوقيعات بأيد غير منظورة في حضور الوسيط الدكتور هنري سلاد H. Slade على ألواح « أردواز » منقولة ومختومة بعناية عن كتاب الدكتور بول جبييه Gibier (مساعد باستير) عنوانه « الروحية : دراسة تاريخية وانتقادية وتجريبية »
Le Spiritisme : Etude Historique, Critique Et Experimentale
طبعة ١٨٨٦ ص ٢٩٤ . (راجع ما سبق عن المؤلف في ص ٢٧٠) .



عن المرجع السابق أيضاً ص ٢٩٨

نموذج من خط وتوقيم روح الفيلسوف سويد نبرج عن طريق وسيط الكتابة التلقائية الدكتورجورج ت دكستر G. T. Dexter (عن كتاب «الروحية Spiritualism» من تأليف القاضي إدموندز J. W. Edmonds رئيس المحكمة الاتحادية العليا ثم رئيس السناتو الأمريكي بالاشتراك مع الدكتور دكستر وناتاليل ب . تالمدج N. P. Tallmadge السناتور السابق ومحافظ ولاية وسكونسن Wisconsin . طبعة عاشرة . نيويورك ١٨٦٦ الجزء الأول ص ٣٨٨) .

بنفس الطريقة نموذج من خط وتوقيم روح الشاعر لورد باكون Bacon (عن المرجع السابق ج ١ ص ٣٨٩) .

الفصل العاشر

فى الأدب الروحى والإلهام

ذكرنا فى مناسبة سابقة أن الانتقال إلى عالم الروح عن طريق الموت، لايحدث تغيراً سريعاً ولا مباشراً فى شخصية الإنسان، كما لا يمس ذاكرته إلا مساً خفيفاً من ناحية بعض الذكريات التى لم تحدث فى العقل الباطن أثراً مذكوراً. بل قد يبدو الذهن بعد الانتقال — بفترة تتفاوت فى مداها — أكثر صفاء وتبدو الأخلاق أكثر اكتمالا. لأن طبيعة الحياة الأرضية — بما تستتبعه من التصاق دائم بجسد مادى ثقيل الوطأة على نفس صاحبه دون ما وعى منه — قد تعوق الذكاء من أن يعبر عن نفسه التعبير المطلوب، وقد تعوق الأخلاق — مهما كانت نبيلة — من أن تظهر على نبلها الحقيق إزاء كثرة مطالب الجسد وتطاحن الشهوات والرغبات على المستوى الأرضى.

ومن المتفق عليه أن المستوى الثقافى والخلق والفنى الذى تنتهى به الحياة الأرضية هو نفس المستوى الذى تبدأ به الحياة فى الأثير، فانفصال الجسد الأثيرى عن الجسد المادى يمثل مجرد حادثة للانتقال أو بالأدق وسيلة للميلاد هناك، كما أن انفصال الجنين من بطن أمه وسيلة للميلاد هنا. وميول الإنسان العلمية والفنية والعاطفية تلازمه هناك ملازمة تامة، وهو يجد أمامه فرصاً لتنميتها وصقلها لاتخطر له على بال وهو على المستوى الأرضى. ومن ثم كانت الحياة الأدبية والفنية متقدمة فى عالم الروح إلى حد لا يمكن أن ندركه عندما نكون محكومين بقيود الجسد المادى. أو بعبارة أخرى أن حضارتنا الأرضية تعد تافهة جداً إلى جانب حضارة المناطق الراقية من عالم الروح.

وهذا المستوى الرفيع تشير إليه مئات من كتب واردة من هناك عن طريق وسطاء كبار للإلهام والتلباثى، والكتابة المباشرة أو التلقائية[1].

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٩٩ عن سويدنبرج وفى ص ١٠٢ عن أندروجاكسون دايز وفى ص ١٠٤ عن هدسون تاتل.

بل ورد بعضها عن طريق وسطاء للظواهر الفيزيقية، إذا كان من شأن هذه الوساطة أن تحرك جهازاً للكتابة أو للاستقبال مثل الكومبو نيجراف أو الرفلكتوجراف أو جهاز مورس للاستقبال أو غيرها[1].

وقد لاحظ هذا المستوى أدباء كبار فى الخارج، ممن أشرنا إلى بعض أسمائهم وأسماء مؤلفاتهم فى الباب السابق، وكلها تتضمن الإشادة بهذا المستوى الرفيع لبعض الكتب الواردة من أرواح راقية تأبى أحياناً أن تذكر أسماءها صراحة وتكتفى باستعمال أسماء رمزية، لأنها تقول إن الأسماء لا قيمة لها فى نظرها، وإنها تفضل أن يطلع القراء على آرائها بصرف النظر عن أسمائها الحقيقية التى كانت تتسمى بها عندما كانت على المستوى الأرضى.

ومن هـــذه الأسماء المستعارة مثلا سيلفر بيرش (الشجرة الفضية) وهوايت إيجل (النسر الأبيض) وهوايت هوك (الصقر الأبيض) ومون تريل (طريق القمر) وأجاشا وزودياك وباشينس وورث وغيرها. وفى باب من الجزء الثانى سنورد طائفة من أقوال بعض هـذه الأرواح التى أصبحت تملأ الآن مجلدات كاملة، وأصبح لروح راقية واحدة مثل سيلفر بيرش ما يملأ حتى الآن بالأقل ثمانية كتب تنبض بالفلسفة الحية وتتسم بسعة الأفق وعمق الحكمة مع وضوحها وبساطتها.

وقد تحمل علماء وأدباء وصحفيون كبار مسئولية نشر هذه المؤلفات، ووضع أسمائهم عليها، والتقديم لها بمقدمات والتعليق عليها وشرحها لإبراز قيمتها الأدبية أو الفنية، فضلا عن قيمتها فى الإقناع بصحة الموضوع برمته.

والأمر الذى يهمنا فى الفصلين الحالى والمقبل، ونحن بصدد تقديم بعض البينات الأدبية، أن نقرر أن بعضاً من الأدباء والكتاب والشعراء المعروفين قاموا بعد انتقالهم — بفترات تتراوح فى مداها — بإملاء رسائل أو كتب كاملة تحمل الطابع المميز لآرائهم ولشخصياتهم بما يكفل دفع كل شبهة فى هذا الصدد. ومن هذا البعض مثلا لورد نورثكليف Northcliffe[2]، وجيروم

(١) راجع ما سبق فى ص ١١٥ - ١١٨.

(٢) راجع ما سبق فى ص ٢٤٥.

والاس وإدجار Gerome، وكونراد Conrad وجاك لندن Jack London[1]، وإدجار والاس Edgar Wallace، وآرثر كونان دويل Arthur Conan Doyle[2]، ووليام ستيد William T Stead[3]، وتشارلس ديكنز Ch Dickens وغيرهم.

بل إن الأخير منهم وقد وافته منيته فى ٨ يوليه سنة ١٨٧٠ قبل تتمة روايته الأخيرة «لغز إدوين دروود»[4] أتمها بعد انتقاله عن طريق الوسيط الأمريكى ت.ب. جيمس T. P. James فى مدينة بوسطون خلال سبعة أشهر من الكتابة التلقائية بين عامى ١٨٧٢، ١٨٧٣، وبلغت صفحات التكملة وحدها ألفاً ومائتى صفحة ونشرت فى سنة ١٨٧٤. وقد شهد لفيف من أبرز رجال الأدب والصحافة أنه يتعذر تماماً على أى قارىء أن يميز بين ما كتبه ديكنز قبل وفاته وما كتبه بعدها، سواء فى الأسلوب أو فى العبارة، أو فى تسلسل الحوادث. بل حتى الأغلاط الإملائية التى كانت تميز كتابات ديكنز أثناء حياته ظلت على حالها. والوسيط ليس أكثر من غـــلام يشتغل فى الصناعة الآلية ولا صلة له بالأدب ولا بقصص تشارلس ديكنز.

كما أن أوسكار وايلد Oscar Wilde بعث من هناك كتاباً عنوانه «رسائل جديدة من أوسكار وايلد» عن طريق وساطة الكتابة التلقائية بمعرفة السيدة ترافرز سميث Travers Smith قدم له عالم الطبيعة المعروف سير وليام باريت الذى أشرنا إلى مكانته العلمية وإلى صلته بالبحث الروحى عندما تكلمنا عن «بعض الأسماء والمراجع فى بريطانيا»[5]. كما أملى عدة رسائل

---

(١) راجع فى هذا الشأن كتاب إدوارد بيرون باين Edward Biron Payne وعنوانه روح جاك لندن The Soul Of Jack London الذى ظهر فى سنة ١٩٢٧.

(٢) راجع كتاب «عبر البرزخ» Across The Gulf للأستاذ موريس باربانيل Maurice Barbanell ص ٣٥ — ٤٨.

(٣) المرجع السابق ص ٤٩ — ٦٢.

(٤) The Mystery Of Edwin Drood.

(٥) راجع ما سبق عند ف ص ٢١٢. وراجع فى هذا الشأن مقالا لعالم النفس المعروف إرنستو بوزانو عنوانه «عودة أوسكار وايلد» فى «المجلة الروحية» La Revue Spirite عددا مارس وأبريل سنة ١٩٢٦.

على الدكتور س. ج. سول S. G. Soal أستاذ العلوم بجامعة لندن، وهو فى نفس الوقت عالم فى البارا سيكولوجى ووسيط للكتابة التلقائية، وقد جلس يوماً ممسكاً بالقلم يفكر فى مشكله رياضية فإذا به يكتب رسالة من أوسكار وايلد متميزة بكل خصائص أسلوبه فى التغزل فى محاسن الطبيعة وألوانها الزاهية.

وإذا كانت العقول قد تملك ملكة التأثير المباشر فى المادة الصلبة أحياناً — على ما بيناه فى الفصل السابق بأسانيده العلميه — أفلا يملك العقل المتحرر من ربقة الجسد المادى قدرة التأثير فى عقل إنسان آخر لم يتحرر منه بعد عن طريق التلباثى (أو التخاطر) أو ما يشبهه من وسائل ؟!...

وبالاطلاع فى الكتب الروحية أكاد لا أجد أديباً ولا صحفياً مرموقاً ممن كانوا مهتمين بالحركة الروحية وهم على المستوى الأرضى لم يرسل من هناك رسائل أو كتباً تحمل نفس الطابع المميز من أسلوبه فى التفكير والكتابة، ونفس المستوى الأدبى الذى يمكن لأى ناقد عادى أن يعرفه عنهم. ومن أمثال هؤلاء سير آرثر كونان دويل، وقد أوردنا فقرات مما أملاه فى الباب السابق، وسير وليام ستيد وسنقدم له صفحات كاملة مما أملاه من هناك فى باب من أبواب الجزء الثانى.

بل إن من الأدباء من كانوا ينكرون صحة هذا الموضوع برمته وهم على المستوى الأرضى — وربما بدافع من الإلحاد أحياناً أو من الشك فى وجود حياة أخرى — مثل جورج برنارد شو الأديب الإيرلندى المعروف ثم وضعوا نصب أعينهم بعد انتقالهم أن يحاولوا الاتصال بالأرضيين كيما يثبتوا صحة الموضوع ويعتذروا عن خطئهم السابق. وقد حافظ شو على نفس طريقته التهكمية الفريدة التى تعصى على التقليد[٢].

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٢٤١ — ٢٤٣

(٢) راجع مجلة «عالم الروح» عدد أبريل سنة ١٩٥٢ ص ١٦ — ١٩، عن مجلة رينولدز نيوز Reynolds News. وكانت الوسيطة هى مسز جيرالدين كامينز Geraldine Cummins وكان الاتصال عن طريق الكتابة التلقائية Automatic Writing (راجع ما سبق عن الوسيطة فى ص٢٥٢).

ألغاز يحلها علم الروح

وهكذا يلقى العلم الروحى بتسليمه بالأدب الذى قد يجىء من « الجانب الآخر » — شعراً أو نثراً — أضواء جديدة على لغز بعض العباقرة ، بما يعجز عنه تماماً المذهب المادى ، والسيكولوجيا التى تنكر إمكان وجود هذا الاستحواذ الخارجى .

ومن ذلك مثلا أن شكسبير أبرز شعراء التاريخ ، لم يؤت أى حظ من الثقافة أو الاطلاع مع أن رواياته تتضمن تحليلا عميقاً فى بلاغة شعرية يضرب بها المثل لأدق العواطف والانفعالات الإنسانية، بما يعجز عنه أحسن علماء النفس . كما تتضمن سرداً دقيقاً لتواريخ ملوك سابقين وشعوب متعددة لا يمكن أن يقوم به إلا من أحاط إحاطة تامة بسير الملوك والشعوب التى تناولتها رواياته وأشعاره ، فأين ومتى أتيح لشكسبير كل هذا القدر الهائل من الثقافة ، وقد كان عاملا متواضعاً قبل أن يصبح شاعراً ومؤلفاً مسرحياً؟ .

فى جلسة روحية تمت داخل «الكلية البريطانية للعلم الروحى» صرحت روح الشاعر الإغريقى القديم يوريبيدز Euripidés أنها كانت تلهم شكسبير الشعر حين كان السائد فى ذهن بعض الموجودين أنها ربما تكون روح الشاعر اللورد بيكون Lord Bacon . وظلت هذه الواقعة محفوظة لم تعلن لإنسان لسنتين أو أكثر، ولم يعلق عليها أحد من الباحثين أهمية إلى أن نشر الأديب الإيرلندى المعروف برناردشو B. Shaw بحثاً أدبياً مفصلا عن شعر شكسبير اتهمه فيه بأنه كان ناقلا عن شاعر الإغريق القديم يوريبيدز ، وأنه كان متأثراً بشعره إلى حد صارخ . وساق برناردشو شواهد جمة من الشعرين لتأييد نظريته ولإبراز التشابه بين التراكيب والمعانى عند كل منهما ، مع أن برناردشو لم يكن روحياً ولا صلة له بما جرى فى الكلية ولا أية معرفة به ، بل كان ينكر موضوع الأرواح أصلا ويتهكم عليه أحياناً .

لذا وقف مدير الكلية وأحد مؤسسيها وهو الأستاذ جيمس هيوات ماكنزى J. H. Mc. Kenzie (١٨٧٠ — ١٩٢٩) فى حفل عشاء تعقده الكلية

سنوياً،وكان ذلك بتاريخ أول مارس سنة ١٩٢٨ ، وكان الأديب الكبير برنارد شو مدعواً فيه . فألقى ماكنزى خطاباً فى مواجهته روى فيه هذه الواقعة الطريفة ، وكيف تأيدت بالبحث الأدبى الذى قام شو بنشره عن أوجه الشبه الصارخ الذى لاحظه بين شعرى شكسبير وبوريبيديز ، ثم سأل برنارد شو مداعباً ألا تذكر لنا اسم الروح التى تلهمك الكتابة(١) ؟

ولست أريد أن أجزم بأن شكسبير كان وسيطاً روحياً ملهماً من شاعر الإغريق القديم يوريبيديز أو من غيره . لكن أريد أن أعطى مثالاً سريعاً لواحد من عشرات من الأمثلة التى بحثت فى شأن الوساطة الروحية الراقية بأساليب علمية وداخل معاهد جادة لا يعنيها شىء إلا الوصول إلى الحقيقة العلمية.

الإلهام حقيقة علمية وفلسفية

كما أريد أن أبين كيف أن موضوع الإلهام من عالم خارجى ، وهو عقيدة قديمة قال بها فلاسفة الإغريق والمسيحية والإسلام — ولم تخلُ منه فلسفة من فلسفات التصوريين من أمثال ليبنتز ومالبرانش وباركلى — قد انتقل من نطاق الفلسفة النظرية إلى نطاق البحث التجريبى فى العصر الحاضر . وذلك إلى حد أننا نجد أن دائرة المعارف البريطانية Encyclopaedia Britannica تقرر فى طبعتها الرابعة والعشرين الصادرة فى سنة ١٩٥٦ فى مجلد رقم ٢٢ فى ص ٣٩٨ تحت عنوان Trance أى الغيبوبة مايلى ، بعد إذ شبهت الغيبوبة الوساطية بالتنويم المغناطيسى ، « إن من الظواهر الملفتة للنظر فى الغيبوبة الوساطية حدوث الحديث التلقائى والكتابة التلقائية Automatic speech and writing ...وهما يصدران أحياناً من عدد كبير من الناس الذين يبدون فى صحة عقلية تامة وهم فى حالة اليقظة .وهم لا تظهر عليهم أية ظاهرة أخرى لشذوذ ما ... وقد ازداد الاهتمام بدراسة موضوع الغيبوبة الوساطية عقب البحوث الدقيقة التى تمت فيها، وغالبيتها كانت بواسطة أعضاء من « جمعية

---

(١) راجع مجلة « العلم الروحى » عدد أبريل سنة ١٩٢٨ ص ٦٢ .

البحث الروحى ، Society For Psychical Research [١] عن لهم كفاية جديرة بالاحترام . وهذه البحوث تتجه نحو إعادة نظرية الاستحواذ القديمة من الخارج external possession (أى سيطرة روح على الوسيط) فى الوقت الذى كان ينظر فيه إليها على أنها من غرائب علم الإنســـان (الأنتروبولوجى) » .

ثم تشير دائرة المعارف هذه — وهى معروفة بشديد تحفظها وبطريقتها المحايدة — إلى أعمال العلماء فرانك بودمور[٢] ، و ف و ه . مايرز[٣] ، ووالترف . برنس[٤] Walter F. Prince (١٩٦٣ — ١٩٣٤) فى مؤلفه عن « حالة الوسيطة دوريس فيشر »[٥] ومورتون برنس Morton Prince (١٨٥٥ — ١٩٢٩) فى مؤلفه عن « انفصال الشخصية »[٦] (١٩٠٦) وفى « جريدة السيكولوجيا الشاذة »[٧] التى تصدر بمدينة بوسطن ، ومضابط جمعيتى البحث الروحى البريطانية والأمريكية ، وغيرها من المراجع بلغات مختلفة .

* * *

وقد سلم علماء كبار بهذا الإلهام الخارجى ولو أنهم هم أنفسهم لم يكونوا ملهمين . فنجد مثلا سير أوليفر لودج عالم الطبيعة المعروف يتحدث عنه فى محاضرة له ترجع إلى سنة ١٩١٥ قائلا :—

« ولنذكر فى هذا المقام أننا لسنا أجساماً فقط بل كل منا مركب من عقل ووجدان وروح فضلا عن الجسم ، ويتصل الإنسان بهذه الكائنات العليا المدركة ويناجيها بغير حواسه البدنية ، ويرتاح إلى الاتصال بها أكثر

---

(١) راجع ما سبق عنها فى ص ١٩٦ — ٢٠٧.

(٢) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٢١. (٣) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٢١ .

(٤) وهو عالم سيكولوجى معروف وعضو فى جمعية بوسطون للبحوث الروحية وقد حقق وساطات كثيرة للإلهام وبخاصة وساطة مسز پول ليئور كارن Paul Leonore Curren وسيطة الروح باشينش وورث Patience Worth واشترك معه فى التحقيق وليام ساخت W.E. Saght أستاذ علم النفس بجامعة كورنل Cornell .

(٥) The Doris Fischer Case.

(٦) The Dissociation Of Personnality.

(٧) Jonrnal Of Abnormal Psychology.

مما يرتاح إلى اتصاله بهذا العالم المادى الذى قضى عليه أن يعيش فيه إلى حين.

« إن كل الرجال العظام الذين ماتوا كانوا يرتاحون إلى مناجاة المدركات العليا أكثر مما يرتاحون إلى الأمور الدنيوية . وإذا عملنا على تقوية مداركنا وقوانا اطلعنا على أكثر من ذلك . ومكننا الإلهام من معرفة أمور لا نقدر أن ندركها بغيره . إن طرق البحث المادية ليست كل طرق البحث ولم يزل الرجال العظام منذ قديم الزمان يرون رؤى ويطلعون على حقائق وتظهر منهم بدائه يحاولون تدوينها كيما ينتفع بها غيرهم .. ولا أقول إنى سرت أنا على ذلك فى بحثى ، إذ يظهر أنى محروم من ذلك ... ولكننى قد وصلت إلى نتائج من طرق العلمية المألوفة لا تختلف عن تلك التى وصلوا إليها »[1].

وفى هذا الاتجاه أيضاً يقول كارل ياسبرز Karl Jaspers الفيلسوف الألمانى المعاصر وعالم النفس « إن ماندركه فى التأمل الميتا فيزيقى والخلوة الروحية ، تلك التى ترفعنا فوق أنفسنا فى معيشتنا اليومية ، لا ينبغى أن يتهافت أو يتضاءل ، كما أنه لا ينبغى أن يأخذ أهمية المعرفة التجريبية حين يضطرنا العقل إلى امتحان قيمته ، وينبغى أن يظل مطلبنا الأساسى أن نتبين هل اضأنا فى أنفسنا منائر الحرية أو أطفأناها ، وهل أزكينا فى حياتنا كنوز الداخل أو بددناها »[2] . كما يقول أيضا « إن الوجود المشهود لا يمكن أن يستوعب كل الوجود ، فمن الموجودات مالا تبلغه المعرفة العلمية . ثم إن العلم لا يفسر لنا القيم ولا يفسر معنى العلم ... »[3]

كما نجد الدكتور شارل ريخيت Ch. Recht (جائزة نوبل فى الفسيولوجيا) يعلن قائلا « لقد استطعت فى ادنبرة أن أؤكد أمام مائة من علماء الجسم أن حواسنا الخمس ليست هى الوسائل الوحيدة للمعرفة ، بل إن ثمت شذرات من الحقيقة ترد أحياناً للإدراك بطرق أخرى .. والحقيقة النادرة الحدوث ليس معناها

---

(١) راجع شذرات أخرى من هذه المحاضرة التى تدور كلها على الاتصال بالأرواح فى المقتطف عدد فبراير سنة ١٩١٥ ص ١٦٤ وما بعدها .

(٢) « كارل ياسبرز : مستقبل الإنسانية » ترجمة وتقديم الدكتور عثمان أمين ١٩٦٣ ص ١٠٥ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨ .

أنها غير موجودة ، وهل تنهض صعوبة الدراسة سبباً فى عدم فهمها ... إن الذين سخروا من علم ما وراء الطبيعة ودمغوه بالغموض سوف يخجلون من ذواتهم . . فسلام إذن على العلم الجديد الذى سوف يغير اتجاه العقل البشرى . . » .

وفى نفس هذا الاتجاه نحو الاعتراف بالإلهام الذى لا تعرفه المدارس المادية فى تعليل المعرفة ولا تعترف به ، لأنه يعترف بقوى وراء المادة والحياة معاً أسمى منها نجد بول برينتون Paul Brunton ، وهو دكتور فى الفلسفة وبحاثة معروف فى الروحية الحديثة[1] يقرر «أن ثمت شيئاً ضمن عقل الإنسان والحيوان لا هو بالعقل ولا بالشعور ، بل أعمق من كليهما يمكن أن يكون وصف الإلهام ملائماً له . وعندما يتمكن العلم أن يفسر حقيقة كيف يمكن للحصان أن يتعرف طريقه حاملا فارسه مخموراً لمسافة اميال خلال الظلام حتى يصل به إلى المنزل وكيف يتأتى لجرذان الحقول أن تحفر خنادقها قبل مجىء الطقس البارد ، وكيف تتجه الخراف للاحتماء بجانب الجبال قبل قدوم العاصفة ، وما الذى ينذر السلحفاة بنزول المطر قبل نزوله حتى تنسحب للاحتماء فى مخبئها ، وما الذى يقود النسور لأميال عديدة حيث توجد جثة حيوان ميت... فإلى أن يتمكن العلم من تفسير ذلك علينا أن نتعلم أن الإلهام قد يكون أحياناً مرشداً أفضل من الذكاء . إن العلم أمكنه أن ينتزع من مخالب الطبيعة بعض الأسرار المذهلة لكنه لم يكتشف بعد مصدر الإلهام .

فالذكاء الذى أمكنه أن يعرض ألغازاً كثيرة متعلقة بالإنسان وبقدره وبموته عاجز عن أن يجد لها حلا . وعندما ينجح العلم فى غزو العالم ، وفى كشف القناع عن آخر لغز فيه ، فإنه سيواجه مع ذلك أعظم المشكلات قاطبة وهى « هل توصل الإنسان إلى معرفة نفسه » ؟ . . .[2]

* * *

---

(١) راجع ما سبق عنه فى ص ٢٦٠ .

(٢) الطريق الخفى The Secret Path الطبعة المذكورة ص ٤٦ ، ٤٧ .

وقد وصلت الفلسفة الهندية إلى التسليم بالإلهام أيضاً « فالقوة المفكرة فى تقديرها باردة ، أما العقل الروحى Spiritual mind فحار تموج حياته بالكثير من المشاعر السامية ومنه تفيض الإلهامات . فالشعراء والرسامون والمثالون والكتاب والخطباء وغيرهم من الموهوبين تلقوا عنه هذه الإلهامات منذ القدم كما يتلقونها اليوم وغداً . ومن هذا المعين تلقى الحكيم حكمته .

ويستطيع الإنسان بإنماء وعيه الروحى أن يرتفع بنفسه حتى يتصل بهذه المراكز الرفيعة من طبيعته العليا حيث تضفى عليه من العلم مالم تجرؤ على أن تحلم به قوته العاقلة وذكاؤه المعتاد ، إذا عرفنا كيف نكون واثقين مؤمنين بقوة الروح ، فإنها تقابل ثقتنا بأن تبعث فى عقولنا الومضة من الإلهام بعد الومضة حتى تستنير العقول .

وكلما تقدم الوعى الروحى إزاء اعتماد الإنسان على صوت الروح كلما أمكنه أن يميز بين ذلك الصوت العلوى وبين مواقف الغرائز الدنيا من كيانه وعقله، ويتعلم أن يسلم للروح قياد نفسه حتى تعتمد على تلك اليد العليا التى تأخذ بيدها وتقودها إلى سبيل الرشاد . ليس هذا خيالا ولا مجازاً ، إنما هو واقع وحقيقة من حقائق الحياة عرفها كل من وصل إلى مرحلة معينة من مراحل الطريق ، إذ يجد نفسه وقد أمسكت بزمامها يد الروح تسير بها فى الطريق القويم »[1] .

وتقول نفس الفلسفة أيضاً « امضوا فى الحياة صعداً نحو الروح ، وافتحوا قلوبكم لاستقبال نورها وكونوا دائماً مستعدين لسماع صوت الصمت مستعدين للانقياد لليد التى ترشد فى الخفاء واثقين غير هيابين ، لأن فيكم شرارة من النار الإلهية ، تلك هى الروح ، ذلك النجم المشرق ، ذلك القبس من نور الله ، إنه كالسراج فى المشكاة يضىء نوره مواطئ أقدامكم حتى لا تضلوا الطريق ، وحتى تتقوا العثرات »[2] .

---

(١) « فلسفة اليوجا » ترجمة الأستاذ عريان يوسف سعد ص ٧٣ ، ٧٤ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٢ .

بعض صور العبقرية عبارة إذاً عن إلهام من عالم الروح إلى وسيط قد يجهل نفسه فى عالم المادة . وكلما بعدت الشقة فى درجة الاهتزاز بين الجسد الأثيرى للروح الملهمة والجسد الأثيرى الوسيط كلما كان ذلك أدعى لغيبوبة الوسيط أثناء تلق إلهامه ، غيبوبة تامة أو جزئية . وكلما اقتربت هذه الشقة كلما تيسر للوسيط أن يتلق الإلهام بلا غيبوبة . فالإلهام لذلك قد لا يكون واعياً inconsciente وهذه هى الوساطة الراقية الصريحة ، وقد يكون واعياً consciente وهذه هى العبقرية بمعناها المألوف[1].

وعن طريق العباقرة ووسطاء الإلهام تباشر المناطق الراقية من عالم الروح تأثيرها الحميد فى عالم المادة ، فتأخذ بيده فى طريقه الوعر المسالك وهو يقتحم الصعاب صاعداً إلى قمم الجبال ، وبغير ما قضاء على إرادة الإنسان ولا تحكم فى اختيار الطريق الذى يروقه ، لأن للإنسان قدراً معيناً من حرية الاختيار يسلم به تماماً العلم الروحى .

وقد لوحظ أن الظواهر الوساطية الراقية ومنها الإلهام تكثر فى العصور وفى المجتمعات التى يكثر فيها العباقرة . فحيثما ازدهرت حضارات الروح فقد ازدهرت أيضاً ظواهر العبقرية والإلهام ، وغير الإلهام أيضاً من الظواهر الوساطية الراقية . وحيثما بعدت الحضارات عن القيم الروحية الراقية فقد بعدت بنفس المقدار عن العبقرية وعن الإلهام معاً : عن العبقرية لأن اكتمال الوعى لا يتأتى إلا باكتمال الأخلاق ، وعن الإلهام لأن انحدار الروح يبعد بها عن مواطن الإلهام الراقى فى هذا الكون الهائل الاتساع .

---

(١) يقول الأستاذ محمد زكى عبد القادر فى مقال له فى جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٦٤/٩/٢٤ إن « العبقرى أكثر اتصالا بقوى الكون العليا مما هو بتطلعات الجماعة وآمالها . وهو نتاج هذه القوى . كل ما يصله بالجماعة هو الجسم المادى والمولد والنشأة ، أما العقل والوجدان والقلب والروح فأكثر ما تكون انفصالا عن المجتمع واتصالا بالقوى الكونية العليا .... » وهذه هى نفس نظرة العلم الروحى الحديث إلى العباقرة .

وهذا الإلهام الراقى أحس به بعض الملهمين الكبار وصرح بإحساسه به . فكان سقراط أبو الفلاسفة لا ينفك عن ترديد أن روحاً كانت تملى عليه آراءه . وقد صرح فى وجه قضاته قائلا « يسألوننى لماذا أشغل نفسى بالمسائل العامة ؟ ... إنما يدفعنى إلى ذلك صوت من الأبدية كائن فى وقد سمعته لأول مرة منذ كنت طفلا صغيراً » . وقد حلم سقراط بأنه سيموت فى اليوم التالى مباشرة لوصول مركب معينة إلى ديلوس Delos وهو ما تحقق بالفعل .

كما يقول الفيلسوف الفرنسى فنيلون Fénélon فى « حياة الفلاسفة الأقدمين » عن فيلسوف الإغريق أبيمينيد الذى كان معاصراً للمشرع سولون إن الأرواح كانت ترشده وتوحى إليه بآرائه كما جاء فى تاريخه ، ويضيف أن هذا الفيلسوف كان معتقداً فى تناسخ الأرواح وأنه كان يعتقد أنه كان يحيا فيما سبق تحت اسم « أوكوس » .

وكان تنيسون Tennyson يصرح بأنه يتلقى شعره عن طريق الإلهام من عالم خارجى[1] . وكان يلاحظ معارفه أنه يتحول إلى حالة غير طبيعية وقت نظم شعره الرائع ، وكان يوجه حديثه إلى الروح أحياناً ، ومن ذلك قوله لها « من المكان العميق السحيق ياغلامى ، ومن ذلك المكان البعيد الغور قبل أن يوجد هذا العالم ... ومن ذلك العالم الحق المختبىء وراء ما نحس به من عوالم ، حيث لا تكون هذه العوالم إلا ساحلا له أو من تلك الروح البعيدة العميقة ومع الشهر التاسع ، وإلى ذلك البحر الكثيف المظلم تأتى أنت غلاماً سوياً لأنه قد قيل هناك فى ذلك العالم البعيد دعنا نوجد إنساناً ، ثم قذف بذلك الذى صار إنساناً من الضياء اللامع الذى لا يقدر أن يبصر فيه إنسان إلى ذلك الساحل المضاء بضياء الشمس ونور القمر والمفيأ بالظلال .

أيتها الروح العزيزة المغطى نصفها بفيئها وظلالها وبتلك المادة الجسمانية .

---

(١) وقد بين صحة ذلك موريس ماجر Maurice Magre فى مؤلفه عن « الحقائق الرائعة »

إنك دائما أنت تنوحين عند الولادة ثم تختفين فى عالم السر . . . وبالإجمال أنت تحيين وتختارين من الحبوب والأعناب . . . ثم تفارقين من موت إلى موت عن طريق حياة وحياة ، وتقتربين شيئاً فشيئاً نحو ذاك العالم الذى لم يصنع من مادة ولم يكن فانياً . لكن المعجزة الكبرى أن تكونى أنت لك القدرة على الفعل وعلى إدراك العالم » [1] . .

وكان الشاعر الفرنسى ألفريد دى موسيه Alfred De Musset (١٨١٠ — ١٨٥٧) يقول أيضاً « أنا لا أفعل شيئاً ، لكنى أسمع ما يلقى إلى فأنقله وكأن إنساناً مجهولا يناجينى فى أذنى » .

ونسب إديسون أعظم مخترع فى التاريخ جزءاً من الفضل فى كشوفه إلى الإلهام أيضاً ...

كما قرر جوته Goethe بمناسبة كتابة روايته عن فرتر Werther « لقد كتبت هذه الرواية غير واع تقريباً كما لو كنت غائباً غيبوبة مغناطيسية حركية à la manière d,un somnambule ، حتى لتأخذنى الدهشة عند ما أقرأها » .

ويقول تيوفيل جوتيه Theophile Gautier عن خطة الفيلسوف بلزاك وقت خضوعه للإلهام إنه « كان يشبه إنساناً فى نشوة دينية ، أو إنساناً فى غيبوبة مغناطيسية حركية Somnambule ينام مفتوح العينين غارقاً فى حلم عميق ، إنه لم يكن يسمع ما يقال له » .

وقرر أيضاً شوبنهور Schopenhauer الفيلسوف « إن آرائى الفلسفية جاءت إلى بدون تدخل منى فى اللحظات التى كانت فيها إرادتى شبه نائمة وروحى موجهة فى اتجاه مرسوم لها مقدماً ، بحيث أن شخصى كان يبدو لى غريباً عن هذا الإنتاج » .

---

(١) ترجمة الدكتور محمود حب الله فى كتاب « العقل والدين » وهو السفر الثانى من « إرادة الاعتقاد » من تأليف الفيلسوف وليام جيمس (١٩٤٩) ص ١١٠ .

وقال الأديب كامى موكلير Camille Mauclair إن حياته فى اليقظة كانت بمثابة حلم دائم ، بحيث أنه لم يكن يميز بين الحلم واليقظة ، وأن جميع خططه وتفاصيل كتبه كانت تملى عليه بهذه الطريقة ، وأنه لم يكن يفكر فيما قد يكتبه مسرعاً وبدون توقف .

كما قال الأديب بيير ميل Pierre Mille بمناسبة تحقيق أجراه الأستاذ جاستون بيكار Gaston Bicard عن طريقة العمل لدى الكتاب إنه ألف كتبه الأولى فى نوع من «الحالة الثانوية état second» ، إذ كان — كما يقول — لدى الشعور أنها قد أمليت إلى ممن لا أعرف وبما لا أعرف ، بل كنت فحسب أمسك القلم . وبهذه الطريقة أنجزت كتابة سلسلة Barnavaux ، وأحدث من ذلك أنجزت كتاب La Détresse des Harpagons فى ثمانى عشر يوماً من العمل خمس عشرة ساعة يومياً وبدون توقف ... »

العقل الباطن جهاز الإلهام

هكذا النشاط الروحى غير الواعى قد يحدث فى نطاق الفن والأدب والشعر والفلسفة والعلم ، وقد سجله باحثون علميون أمناء ونحيل القارىء بوجـــه خاص إلى رسالة دكتوراه الدكتور شابانيه Chabaniex عنوانها «العقل الباطن عند الفنانين والعلماء والكتاب»[1] .

وتعليل هذه الظواهر الغريبة بالعقل الباطن لا ينفى مطلقاً حقيقة الإلهام عن طريق الاتصال بعالم خارجى ، لأن هذا الإلهام يكون عن طريق العقل الباطن فى غالب الصور ، وعن طريق العقل الواعى فى أقلها . وهو يتطلب درجة من الغيبوبة التامة أو الناقصة حتى يتم تعطيل العقل الواعى —

---

(١) Le Subconscient Chez Les Artistes, Les Savants, Et Les Ecrivains.

وراجع مؤلف الأستاذ أندريه دوماس André Dumas الذى عنوانه «علم الروح» La Science De l'âme طبعة ١٩٤٧ ص ٥٣ — ٥٨ .

ولو جزئياً — لأنه يطغى مؤقتاً على العقل الباطن ، فينشط العقل الباطن لتلقي ما يراد إرساله إليه من علم أو من معرفة من كائنات ذلك المستوى العالى من مستويات الوجود.

وهذا كله يفسر ما كان يؤمن به ديكارت Descartes الفيلسوف لعظيم من أن إلهام الشعراء منبع لحكمة تفوق تفكير الفلاسفة.

وهكذا من يمعن النظر فى سير الأشخاص الذين غيروا وجه التاريخ الإنسانى يلمس دور الإلهام جلياً عند الكثيرين. فأغلب عباقرة التاريخ وفلاسفته وشعرائه لم يكونوا من المثقفين ثقافة خاصة ولا ممن كانوا طلاباً ممتازين فى دروسهم ، بل كان جلهم من أصحاب النفوس المتواضعة البسيطة الخالية من العقد النفسية ، ومن ادعاء العظمة ، فالغرور هو العدو اللدود للإلهام الراقى. كما كانوا ممن تألموا كثيراً فى طفولتهم وشبابهم من ذل المرض والحرمان والهوان . . . لأن الألم من عوامل صفاء الروح الإنسانية وشفافيتها ، وتطورها السريع للأمام.

والعبقرى — أو وسيط الإلهام الواعى — إن هو إذاً سوى جهاز صغير للاستقبال من صنع الطبيعة. وكلما كان الجهاز مرتفعاً فى اهتزازه كلما كان أقدر على تلقى الإرسال من أمكنة مرتفعة بدورها ، وكلما جاء استقباله نقياً وخالياً من شوائب الأجهزة الضعيفة. وهذه الوساطة يعدها علم الروح من صور الإدراك عن غير طريق الحس extra sensory perception التى وصل إليها بحاث البارا سيكولوجى فى البلاد الانجلوسكسونية وفى ألمانيا، وبحاث ماوراء الروح فى البلاد اللاتينية. وهذا الإدراك عن غير طريق الحواس هو من صور الوساطات العقلية التى تعتبر فى الجملة أرقى فى مستواها من مستوى الوساطات الفيزيقية ، وأرقى الوساطات العقلية إطلاقاً هى وساطة الإلهام.

ومن يصلح وسيطاً للإلهام من روح معينة قد لا يصلح لغيرها بالنظر إلى قدرة الروح — أو الأرواح المرشدة — على السيطرة على حواسه وإيقاعه

فى الغيبوبة ، أو تعطيل عقله الواعى لمدة لحظة أو لحظات وذلك للتمكن من الاتصال بعقله الباطن . فالعقل الإنسانى كما لاحظ سير أوليفر لودج يحق كجبل من الثلج أقله ظاهر فوق سطح الماء وأغلبه مخبوء تحته .

ولأن الروح الملهمة تفعل كما يفعل بالضبط المنوّم فى التنويم المغناطيسى فليس كل إنسان يصلح وسيطاً ، بل هناك قوانين روحية كثيرة لا تزال مجهولة من العلم ، وبخاصة قوانين الروابط العاطفية التى يصعب تعليلها وتحديدها حتى الآن إلا بالقول بوجود نوع من التوافق فى الاهتزازات هو الذى قد يكون مصدر المحبة بين بعض الأشخاص وبعضهم الآخر حتى على المستوى الأرضى . وهو الذى قد يكون مصدر العشق العذرى وغير العذرى . كما قد يكون عدم توافق الاهتزازات مصدراً لكراهية قد يتعذر على أصحابها تعليلها وكل ذلك يبحث فى ضوء علم الروح الحديث على نحو يعجز عنه تماماً أى أسلوب مادى فى تفسير ظواهر الحياة وعصى مشكلاتها .

وبسبب وساطة الإلهام هذه قد يتحدث الوسيط أو الوسيطة أو يكتب بلغة لم يتعلم منها حرفاً بمقدرة تامة على ما أشرنا إليه فى أكثر من موضع[1] ، أو يتحدث فى مواضيع علمية وفلسفية عريصة[2] ، أو قد ينظم شعراً راقياً وهو عديم صلة بالقوافى والعروض على ما سنبينه فى الفصل المقبل . والمراجع الروحية زاخرة الآن بالعديد من الأمثلة فى هذا الشأن ، ونقصد الأمثلة التى خضعت لتجريب معملى وامتحان صارم فى معاهد وهيئات لا مصلحة لها إلا فى الوصول إلى الحقائق وتسجيلها بأمانة .

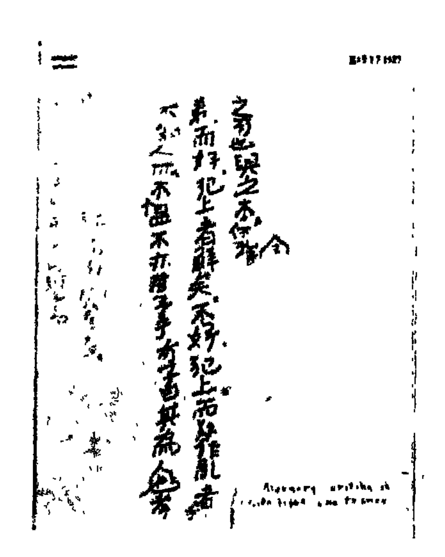
---

(١) راجع ما سبق فى ص ١١٣ عن كارلو ميرابللى .

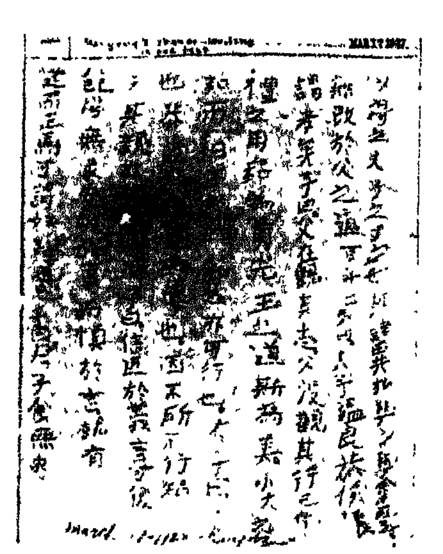
(٢) راجع ما سبق فى ص ١٠٢ عن أندرو جاكسون دافيز وفى ص ١٠٤ — ١٠٦ عن هدسون تاتل .

من حالات الكتابة بلغة لا يعرفها الوسيط

بعض ما أسفر عنه تحقيق وساطة مارجرى عقيلة الدكتور كراندون
أستاذ الجراحة بجامعة هارفارد



كتابة صينية للوسيطة مارجرى في الضوء الأبيض بدون غيبوبة وهى لا تعرف من الصينية حرفاً واحداً ←



كتابة صينية للوسيطه مارجرى في الضوء الأحمر →

وقد تم هـذا التحقيق بمعرفة عدة هيئات علمية تحت أدق رقابة ولمدة سنين طويلة
راجع مجلة « الـكلية البريطانية للعلم الروحى » عدد يوليه ١٩٢٨ ص ٨٧ — ١٦٠
وراجع ما سبق عن الوسيطة في ص ١٢٩ — ١٣٤ .

وفى وساطة الإلهام الواعى وغير الواعى معاًقد يتداخل عقل الوسيط بدور ما مع عقل الروح الملهمة لكن أمكن فى حالات معينة استبعاد هذا التداخل ، والعثور على حالات واضحة لإلهام صريح مستقل تماماً عن عقل الوسيط الواعى والباطن وقدحصل ذلك فى نطاق البحث المباشر فى علم الروح، كما حصل فى نطاق البحث فى البارا سيكولوجى[١] وفيما وراء الروح[٢].

وأظهر حالات هذا الاستقلال التام بين عقل الروح الملهمة وعقل الوسيط تحقق بوجه خاص فى حالات الصوت المباشر . وحالات استعمال أجهزة كاتبة تعمل آلياً عن طريق الروح رأساً مثل الكوميونيجراف والرفلكتوجراف والمؤشر المتحرك والكتابة المباشرة وظهور الصور والمخطوطات وغيرها على الألواح الحساسة وعلى ألواح «الأردواز» المختومة المغلفة بعناية[٣] . ففى الوساطات التى من هذا القبيل يتعذر القول بحصول تداخل من عقل الوسيط فى الرسائل . ولذا يعلق عليها الباحثون الروحيون أهمية تفوق أهمية تفوهات الغيبوبة التى قد يحصل فيها هذا التداخل المحتمل بين العقلين، والذى ثبت إمكان حصوله فى أحوال خاصة .

ويعرف وسيط الظواهر العقلية الراقية بخصائص معينة: منها بساطة الخلق ووضوحه والميل إلى الصدق والصراحة، ومنها الإحساس المرهف مع صفاء السريرة وخلو القلب من الإحن والأحقاد ، ومنها نظرة وديعة حالمة واضح فيها معنى رغبة الإذعان لقوة غير منظورة تبدو أوضح ما تكون عندما يكون مشغولا بتلقى إلهامه . كما يعرف بغزارة إنتاجه وسرعته الواضحة فيه. ثم ببعد الصلة أو انقطاعها بين ثقافته الخاصة أو ناحية تخصصه وبين الناحية التى يعالجها بالإلهام أو بالجلاء السمعى . وأحياناً يروح فى غيبوبة وساطية

---

(١) راجع ما سبق فى ص ١٨٢ — ١٨٥ عن الباراسيكولوجى .

(٢) راجع ما سبق فى ص ٢٧٧ — ٢٧٩ عن علم ما وراء الروح .

(٣) راجع ما سبق فى ص ١١٦ عن بعض الأجهزة الكاتبة و ص ٤٧٣ — ٥٠٠ عن الألواح الحساسة وألواح الأردواز .

تامة أو جزئية ، وقد لا يروح فى أية غيبوبة والغيبوبة أدعى لاستقلال وعيه، ولسهولة اتصالة بوعى الروح المرشدة أو الملهمة .

ولا يشترط فى الوسيط الروحى ضعف الإرادة كما قد يتصور البعض خطأ ، فقد ثبت أن وسيط الالهام كوسيط التنويم المغناطيسى يفضل فيه توافر قدر من قوة الإرادة حتى يمكنه حصر انتباهه وتركيز عقـــله نحو الإيحاءات الموجهة إليه من الخارج . وكل ما يلزمه هو ألا تتوافر عنده رغبة العناد والمقاومة لأى تأثير خارجى ، وذلك أمر مختلف تمـاماً عن ضعف الإرادة . وقد وصلت الدراسات فى كل ذلك إلى حلول إيجابية لا يعوزها ترابط بين المقدمات و بين النتائج .

وكثيراً ما يكون الوسيط الملهم طفلا أو حدثاً صغيراً ، لأن نفوس الأطفال تتميز بالإحساس المرهف مع صفاء السريرة والخلو من الأحقاد، وذلك يلقى أضواء جديدة أيضاً على لغز بعض الأطفال الموهوبين .

لغز الأطفال الموهوبين

فهذا الإلهـام الراقى من عالم غير مادى الذى قد يتخذ أحياناً صورة استحواذ خارجى External possession قد يفسر أيضاً لغز بعض الأطفال الموهوبين الذين أمـكنهم فى سن مبكرة جداً أن يتفوقوا على الكبار فى الموسيقى وفى اللغات وفى الرياضيات وفى غيرها . إن العلم الروحى يقول إنهم عادة من الملهمين أو الوسطاء فى سن مبكرة، والمذهب المادى لا يحير جواباً .

فمثلا كان موزار Mozart يعزف البيان فى السادسة من عمره على نحو أذهل كبار الموسيقيين فى عصره . كما ألف أوبرتين صغيرتين ولحناً كنسياً مشهوراً وقام بقيادة فرقة أوركسترا كبرى وهو فى الحادية عشرة من عمره .

ومثل ذلك أيضاً قيل عن عباقرة الموسيقى من أمثال بيتهوفن Beethoven وباجانينى Paganini وهيندل Haendel ولست Lizst وبيزيه Bizet فقد ظهرت عبقريتهم الموسيقية واضحة ولم يبلغوا بعد العاشرة من عمرهم .

وابتدأ رمبرانت Rembrandt يرسم بمهارة واضحة قبل أن يتعلم القراءة ! . . .

وكان باسكال Pascal رياضياً فذاً منذ طفولته ومراهقته، ونشر وهو فى السادسة عشرة من عمره مؤلفه العظيم « مفصل الأشكال المخروطية » ومثله جوت دى برونزويك Gaut De Brunswick الذى كان يحل المسائل الحسابية المعقدة وهو فى الثالثة من عمره ! !

وحصل فيكتور هيجو V. Hugo وهو فى الثالثة عشرة من عمره على جائزة الأكاديمية الأدبية فى تولوز .

وتعلم يونج Young القراءة وهو فى الثالثة من عمره ، وكان يعرف وهو فى الثامنة ست لغات .

وغير هؤلاء كثيرون ممن يضيق المقام عن ذكرهم . ويعلل بعض الروحيين مثل هـذه المواهب الخارقة للعادة بنظرية العودة للتجسد Re-incarnation ، ويعللها البعض الآخر بتأثير راق من العالم الخارجى . وليس هنا مجال المفاضلة بين حجج كل فريق منهما ، لكن يكفى أن نلاحظ أنه ليس هناك من تعارض محتوم بين النظريتين .

مثال من إلهام نثرى راق

ومن حالات الإلهام الراقى نقدم هذا المثال من النثر الجميل — اخترناه لقيمته الأدبية والخلقية عن محاضرة للباحثـة الفرنسية جان ديمونصو Jeanne Dumonceau ألقتها على جمهور من الباريسيين فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٤٥ وموضوعها « الأرواح المعلمة والحارسة » ، وهى المحاضرة الثانية لها من سلسلة محاضرات فى الإلهام . وفيها تروى أن وسيطاً من وسطاء الإلهام الروحى حرر لروحه المرشدة رسالة فى لحظة من لحظات اليأس والقنوط . فلم تخيب هذه رجاءه بل ردت عليه على الفور بأحسن منها ، والرسالتان قطعتان من الأدب الرفيع، لذا نقدمهما هنا كاملتين : —

نداء الوسيط

«أين أنت أيها المعلم المحبوب ، فمنذ مدة طويلة أبحث عبثاً عنك حتى لقد يئست من العثور عليك . لقد عرفت متع الطفولة العابثة ومع ذلك فلطالما أذهلتني روائع الإله ، وما كنت أعلم إلى من أتوجه كيما يكشف لى عن سرها. ثم دخل الإثم إلى قلبي مع متاعب الحياة وبدأت منذ ذلك اليوم أشك فى إله النور ، وأيقظ البناء الخفى الذى شيده الإنسان الجديد مخاوفى ، إذ أن سلطان هذه الدنيا المادية غرر بى وبدا لى شديد الإغراء .

فكذب على من جديد زاعماً مزهواً أنه مبدع الجمال وما هو إلا متطاول عليه بالهدم حيثما وجده . كما أخذه الصلف فزعم أنه وهبنى السعادة حين طحنتنى الشهوة . وانتحل لنفسه تاج العدالة حين خدع البشر وقادهم إلى حتفهم . ثم حمل قناع الحكمة بفضل منطقه الذى لا يمت إلى الحقيقة إلا مظهراً حين أنه فى مخبره جنون وحماقة . ووعدنى المفلس بكنوز هذه الدنيا . وغامر اللعين بالشعلة القدسية التى فى بأن استثار كبريائى ضد الناموس ، وأراد أن يتخذ منى مطية يستعيد بها مكانه الضائع منذ القدم ، وهو الساقط الذى يوحى إلى النفس محبة المجانين والإخلاص للالتواء ، كما يوحى إليها الطقوس الزائفة وتحقير خيرة الأخيار وبر الحكماء.

ولطالما سقطت فى فخه ، ولئن كنت قد نجوت منه أحياناً فذلك بفضل الألم الذى فتح بصيرتى ، واعتقد أن بمقدورى أن أميز الآن بين الحبة الجيدة وبين الحشائش الضارة .

ولكنى وحيد، وحيد بصورة مخيفة وسط دنيا أحتقرها لمخازيها.فأية صلة مشتركة تربط بينى وبينها ؟ ومن ينقذنى من أعدائى الكثيرين ؟ ومن يحول بينى وبين التردى فى شراكها التى تتعقبنى بشراهة وبغير توقف ؟ إن سلطانها يريد أن يسحقنى كفريسة تحاول أن تتملص من يده ويستثيره أن أرفض

تسليم روحى إليه . ويفكر منتشياً فى كأس الحسرة الذى يحتفظ لى به ويود لو أضاف إليه أيضاً آلام أحقاده الخاصة . وهو يعرفنى جيداً منذ بدأنا نتصارع متلاصقين جنباً إلى جنب ، وإذا ماقنّع نظراته صرت لاأدرى أين هو الشر وأين هو الخير . وإنه ليندمج فى بمهارة فى لحظة استسلامى فيستحوذ الشك على وأصير حينذاك على استعداد لإنكار إيمانى فى مبدع الكون .

إنى لأشعر أنى مهجور فأين أنت أيها المعلم العزيز ؟ ... وكيف سأتعرف عليك وسط الجمع الحاشد ؟ وهل على سماتك مهابة الحكمة أو جلال السيد الذى تنحنى له الحياه ؟ وهل يعلو وجهك هدوء الحزم وإشراقة النعيم وجمال المحبة ؟

وبأى طريق تعتزم المجىء حتى أذهب إلى لقياك ؟ ، فالكون هائل ولست سوى ذرة ضائعة فى هول اتساعه ولعلنى لا أكون حينئذ مستعداً لاستقبالك فاعطنى إشارة أو كلمة وحينئذ فسأقتلع جميع الحشائش الضارة من حقلى ، وسأفتح نوافذ منزلى على مصراعيها حتى تتطاير منه أدران الإثم فتتدفق إليه أمواج الهواء والضياء . وسأجعل منه مكاناً نقياً تدخله دخول ظافر منتصر ، وحينئذ سأكون لك بكليتى لأنى الآن مجرد من البغض والحب معاً .

إن مثلى الأعلى ليستبد بى ويأبى أن يتخذ له شريكا ، وإنى أريد أن أرقى خطوة لخطوة حتى أصل إلى القمة العليا حيث ترنم روحى فى تمجيد الإله الواحد ، ولكن أين أنت أيها المعلم العزيز ؟ » .

إجابة الروح المرشدة

« هأنذا أيها الابن . إنك تناديني ، ولكنى إذا ما هرولت نحوك لا تلمحنى ومع ذلك فكثيراً مامررت بالقرب منك عبثاً فتعلّم أن تميز بين الكائنات والأشياء وستعرف أن تميزنى بعلامة أحملها على جبينى .

إنى أعلم — منذ ولادتك — أن طريقينا سيلتقيان لأن وثاقاً روحياً يربط بمهارة بيننا . ولقد حضرت أثناء نومك لا تبادل وإياك حديث روح إلى روح . وكنت تستمع إلى عندما كنت طفلا إلى أن فرقت بيننا الحياة

فعشتَ وأحببتَ وتألمتَ . وعادت إليك ذات يوم رغبة تذوق الحياة الأبدية فأردت أن تعرف وأن تزداد معرفتك أكثر فأكثر .

وأردتَ أن تغزو دون ما تلكؤ القمة المقدسة بين القمم التى يتأملها الإنسان ذاك الجمال وهو فى طريقه نحو المعرفة فأصابتك العثرات . وإذا كان اليأس قد نال منك منالا فى وقت من الأوقات فإنك لم تتوان فى البحث عن الطريق .

ولقد احتقرتَ الحياة حيناً من الوقت ولكن عليك على العكس من ذلك أن تنظر إليها ملياً وتتعقب معالمها فى وجوه الناس وفى الطبيعة وفى السموات . فلقد حضرتَ إلى الأرض لهذا الغرض لا لشىء سواه . وهل نسيت روحك — على غير وعى منها — ما رسمته من قرار وما تقيدت به من قول ؟ ... ألم تغادر مقرها السماوى للمحنة الحرجة التى تحررها من الظلمات، وكيما تهيىء لنفسها مكاناً فى كنف الإله الواحد ؟ ...

وما عزلتك إلا ثمرة جهلك ، فتعقب الحياة وستعلم حينذاك أى تدرج رائع يوجد بين ما هو أمامك من الكائنات . وستتعرف من بينها على ذويك ومن يمت إليك بصلة القربى ولن تشعر أنك وحدك بعد الآن .

وهل بمقدورك أن تقول إنك بلا بغض ولا حب كما لو كنت خليطاً مضطرباً ؟ فلمَ لا تحب أيها الإنسان المخلوق على صورة الإله ، وكل شىء فى الوجود يحب حتى إياه تعالى ؟ فلا تغلقن دون الحب قلبك ولتعمره بحب عظيم . حب الخليقة المتناسقة ، حب كل ما هو نقى وعادل وجميل ، بل حب الجهلة والأشرار أيضاً حتى وإن كان حبهم سيكون أكثر مشقة لك ولكنه أعظم جزاء ، واذكر أن القديسة تريزا كانت تصلى لأجل الشيطان . فأحبب كل شىء ولا تتعلق بشىء . وقدر أيضاً أنك فى منفى يمكن أن تستدعى منه بين حين وآخر ، ففيم تنفعك كنوز هذا العالم ؟ كن بسيطاً مخلصاً فيمكنك أن تكشف بطريق اليقين النقاب عن الخطأ وعن البهتان حيثما وجدا .

ولا يضيرك أن يغضب التافهون من فضائلك فإنها لتأنيب لهم ، فيحاولون

استدراجك إلى محيطهم الجهنمى الذى يطلقون عليه لفظ العالم . وتعلم كيف تقاومهم بالتمييز الحسن . واحمل روحك على وجهك فيعرفك ذووك ، وأما هؤلاء الآخرون فلن يروا شيئاً لأن النور الحق يعمى بصيرة الجهلاء وينير سبيل العقلاء .

وفى ذاك الوقت ستدرك وجودى وسترى أنى أشبه من الناحية الإنسانية كائنات أخرى . على أن شيئاً ما سيميزنى أمام ناظريك ، ولن يخدعك إلهام نفسك — بعد إذ تتطهر وتتطور — فسترانى فى صور عديدة ولكنى سأكون مع ذلك كما أنا دائماً حتى أتمم شعار آمون .

ولن يكون عملك وانتظارك عبثاً ضائعاً ، فالمعلم على استعداد لاستقبال تلميذه فى أية لحظة ، لكن ليس بمقدور التلميذ أن يعرف معلمه على الدوام . وستعلم يا دانتى Dante الجديد كم هو مبهج أن يقودك حينئذ فيرجيل Virgile فتفتح امامك الأبواب المقدسة، ويغمرك نعيم عظيم لأنك ستجد الملكوت .

واحذر من أن يضيع منك بدأ شطر الحقيقة الموكول إليك ، وأنت فى انتظار ذلك اليوم المزدوج البركات الذى ستراني فيه ظاهراً أمامك . لأنك ستحل يوماً محلى بالقرب من إنسان آخر غيرك ، ثم ستناوله المشعل عندما تكون قد أحسنت الإمساك به بيد ثابتة مستقرة ، وبشجاعة ولباقة[١] » .

وفى الفصل المقبل سنقدم أمثلة عديدة من الإلهام الشعرى الذى يرد متدفقاً من روح شاعرينا العظيمين المرحومين أحمد شوقى وحفنى ناصف وفيه كل القوة الإقناعية اللازمة لمن يريد من الأدباء أن يبحث عن الاقتناع الموضوعى المحايد من أقرب سبله وأيسرها .

---

(١) Conférences Initiatiques. Maitres, Instructeurs et Guides. Les Editions des Champs Elysées. Paris 1946 p. 22—26.

الفصل الحادي عشر

أشعار المرحومين أحمد شوقي وحفني ناصف تتحدى المكابرين

بينت في الفصل السابق كيف أن الإلهام من عالم خارجي أصبح حقيقة علمية بفضل بحوث علم الروح بعد إذ كان في الماضي مجرد عقيدة فلسفية ، وسقت على ذلك شواهد جمة من التجارب العلمية المدققة المتحفظة ، ومن أقوال لفيف من أفضل الفلاسفة والعلماء في عدة بلاد .

ولعل أوضح مثال لهذا الإلهام الراقي في بلانا هو القصائد الرائعة التي ترد في تدفق من روح شاعر العروبة العظيم أمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٧٠ — ١٩٣٢) والتي يمليها بغير ما توقف منذ أكثر من خمس عشرة سنة على وسيطة مصرية فاضلة قرينة نطاسي بارع وهي السيدة حرم الدكتور سلامة روفائيل سعد .

وهذه السيدة الفاضلة ليست أديبة ولا شاعرة ، ولم تنظم في حياتها بيتاً واحداً من الشعر (في غير حالتها الوساطية) ولم يخطر ببالها يوماً أنها ستكتب شعراً ولم تتح لها ظروفها سوى الحصول على الشهادة الابتدائية في سنة ١٩١٤ (نظام انجليزى) ولا صلة لها بالبلاغة العربية ، ولا اطلاع لها في البحور والعروض ، ولا إلمام لها بقواعد النحو والصرف ولذا يعصى عليها بطبيعة الحال كما قد يعصى على الكثيرين فهم معاني ألفاظ العربية الفصحى التي تعودت روح أمير الشعراء أن تستعملها بغزارة وهي تملي أشعارها عليها . وكأنها تتعمد ذلك أحياناً حتى تفحم المكابرين ، وذلك إلى الحد الذي كثيراً ما يقتضي — من نفس الروح الملهمة — توضيح معاني أغلب هذه الألفاظ من اللغة الفصحى التي لا أظن أن أحداً يحسن فهمها سوى بعض أعضاء المجمع اللغوي .

وقد بدأت الوسيطة حياتها الوساطية كمعالجة روحية حوالى سنة ١٩٤٥ وبعد ذلك ببضع سنوات أخذت تظهر عليها موهبة الكتابة عن طريق الجلاء السمعى Clairaudience من روح شوقى الذى أخذ يملى عليها قصائده الفياضة كلما عنّ له ذلك . وهو وحده الذى يختار الظروف والمناسبات ، فهو ليس آلة فى يدها . بل هى عبارة عن جهاز آدمى راق فى يد مجموعة من الأرواح المرشدة الراقية تحرس الجلسة عندما يكون شوقى واقفاً بالقرب منها ومنهم يملى الشعر كلمة فكلمة .



السيدة قرينة الدكتور
سلامه سعد

وهذه القصائد ترد فى تدفق وغزارة حتى أن القصيدة الواحدة تتجاوز أحياناً مائة بيت، وبلغ مجموعها الآن ما يملأ ديواناً كاملا .

وهى تعالج فنوناً من الشعر هى نفس الفنون التى ألفناها من شوقى خلال حياته الأرضية ، ولها نفس الطابع والأسلوب واللغة والبناء الفنى ، ونفس الشاعرية والطريقة، بحيث يكاد القارىء يتمثل شوقى واقفاً يلق الشعر ، ويلتزم أحياناً نفس البحر والقافية إذا ما أراد معارضة نفسه بنفسه ، كما فعل فى قصيدته « إلى المتشككين » التى عارض بها موقفه القديم من التهكم على القائلين بالاتصال بالأرواح .

ثم أقوى من كل ذلك دلالة المناسبات التى وردت فيها هذه القصائد والتى قد لا تعرف الوسيطة عنها شيئاً فى بعض الأحيان :

— فهذه قصيدة يرسلها إلى شاب يعانى من محنة عاطفية كيما يقوى فيها عزيمته بسبب فشله فى مشروع خطبة آنسة معينة مما أثبط عزيمته ودفعه إلى إهمال رسالة كان يعدها للحصول على الدكتوراه ، فأملى هذه القصيدة التى أحدثت أثرها وأعادت إلى هذا الشاب ثقته بنفسه وأمله المشرق فى الحياة .

— وهذه قصيدة يرسلها شوقى إلى حفيدته بمناسبة زفافها ، ويتعمد فيها ذكر اسم العروس والعريس اللذين لا تعرفهما الوسيطة .

— وهذه قصيدة فياضة متدفقة يرسلها شوقى لتلقى فى مهرجان ذكراه .

— وهذه قصيدة أخرى لا تقل عنها روعة يرسلها كيما يعتب بها على ما حدث فى مهرجان ذكراه من نقد لشعره بمعرفة المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد وآخرين ، مما لا تعلم الوسيطة عنه شيئاً لأنها لا تتابع الحركة الأدبية فى مصر .

— وهذه قصيدة بليغة يرسلها كيما يستقبل بها الشاعر الفقيد الدكتور ابراهيم ناجى بمناسبة انتقاله إلى عالم الروح ، والسيدة الوسيطة لا تعرف المرحوم الدكتور ناجى ولا يعنيها أن ترثيه .

— وهذه قصائد سياسية كثيرة عن مصر والعروبة وملوك العرب والسيدة الوسيطة لا صلة لها بالسياسة ، كما لا صلة لها بالشعر فيما خلا موهبتها الوساطية الراقية .

— وهذه قصيدة تطلبها جمعية الشعراء فإذا روح شوقى تمليها قبل انقضاء ثلاثين ساعة مكونة من ثمانين بيتاً من فحول الشعر وهى تفيض روعة وتزخر بتشبيهات تمثل مستوى من الإعجاز الفنى واللغوى الذى كان يميز شعر شوقى ، فضلا عن العتب على أعداء العلم الروحى ومطالبتهم بأن يذللوا أمامه عقباته الجسام بدلا من المكابرة فى الحق .

— وهذه رباعيات عميقة جميلة يعالج بها أمير الشعراء الحكمة البالغة والفلسفة المنظومة التى لا يرقى إلى مثلها أحد من الشعراء ، وكأنى به يطرق هذا الباب الصعب من الشعر محاولا أن يحاكى بها رباعيات عمر الخيام وهى ربما تبزها من بعض الوجوه .

وغير ذلك كثير من عشرات القصائد العصماء التى ظلت تنشرها جريدة « عالم الروح » ثم توقف النشر باحتجاب صاحب الجريدة المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبو الخير فى عالم الروح . أما ورود القصائد فلم يتوقف حتى الآن .

ولما كان المقام يضيق عن إيراد كل قصائد روح شوقى ، لذا نورد بعض مقتطفات من عدد كاف منها، كيما تكون تحت بصر القارىء، كعينة من مستوى هذا الشعر، ولا نتطلب منه حكماً سريعاً الآن، بل إن من حقه — وواجبه أيضاً — قبل إبداء أى حكم عليها أن يرجع إلى هذه القصائد . وهى منشورة فى أعداد مختلفة من مجلة « عالم الروح» سنشير إليها فى ذيل هذه الصفحات ، فسيلحظ على الفور مدى جمال مطالع القصائد — وهى صفة كانت تميز شعر شوقى — فضلا عن مدى غزارة المعانى والتشبيهات، وعن مدى الإمساك التام بعنان اللغة والتمكن منها لفظاً ومعنى إلى المدى الذى لا يضارعه فيه إنسان .

فهل للوسيطة الفاضلة أية مصلحة فى أن تتنصل من كتابة هذا الشعر الراقى لو كان هذا الشعر لها ولم يكن من إملاء أحمد شوقى ؟ .. ولو فرضنا جدلا أنها تخلت عن الأمانة والشرف وهما صفتان لازمتان لكل وساطة راقية أما كان اسمها يصبح الآن على كل لسان كشاعرة مبدعة من شعراء هذا الزمان ؟...

فى قصيدة عنوانها « إلى المتشككين » (وهى مكونة من ٨٧ بيتاً)[١] تقول روح شوقى :

فُضّت رموز الغيب من أحقابه[٢]	والفتح أزهر من عنان قبابه[٣]
وانساب فى العلياء ومض بالنهى[٤]	يستخلص المطموس[٥] من حجّابه
و نقاد نبع الروح صوب منادم	فلك الروابض فى قصىّ[٦] شعابه
والشائق المرموق[٧] فى أوج الذرى	أذكى حنين الكون فى أعجابه[٨]

(١) مجلة « عالم الروح» عدد أبريل سنة ١٩٥٥ ص ١٦ — ٢١ .

(٢) الأحقاب : الدهور .

(٣) عنان قبابه : يقصد بها السماء .

(٤) النهى : العقول .

(٥) المطموس : الذى أمحى.

(٦) القصى :المكان البعيد .

(٧) الشائق المرموق : هو عالم الروح .

(٨) عجائبه .

والروح من روض الخلود سُلافه ... يجلو الظما ما كان من تسكابه

وغداً يهز العالمين يقينه ... جهراً لصدٍّ معارض ومجابه

والفقه[1] أحرز ما البيان وليه ... يطرى سوىَّ الطلع[2] فى أترابه

إن يقبع الجهال فالعلم استوى ... يغزو السماء ببازه وعقابه

واليمن وافى الباحثين هداية ... جاءت بوصل النأى فى إغرابه[3]

والعلم إن يلق الصدور مشوقة ... يدنِ شفيف الطيف رغم ذهابه[4]

طود الخلود منيعة أطلاله ... والعون يرقى الصرح من أبوابه[5]

ليشيد أركان المحجة فى الورى ... تنفى معاثر سهله وهضابه[6]

* * *

أقطاب علم الروح فيض بحوثكم ... يطوى المضلِّل فى فلول عبابه

والروح كم أعيا الحكيم كمينه ... حتى بدا كمغلَّبٍ[7] بعذابه

كم رعدة هزت كيان مباحث ... ورمته بالإعياء فى تجوابه

والطرق[8] دوماً للبحوث دعامة ... تحيي رميم العمق من إجدابه

موج الأثير ، أخى ، بلوت محيطه ... وألفت ما أهداك فى أعقابه[9]

تشجيك من عذب الروائع متعة ... من عازف أو سارد لخطابه

أوقظتَ من عهد التكهن معلناً ... ما بزَّ وحى الغىّ فى إطنابه

كيف ارتضيت الكشف معطار الندا ... مستعذباً للنهج فى إرطابه[10]

* * *

هذا التدفق والأثير وسيلة ... يحكى سمو الروح فى إنجابه

كم من غيوب الخلد روح هفهفت ... تفضى سرائر ما وراء سحابه

وتعد أفهام الورى لطلائع ... فى حاكيات من وثيق لبابه

تملى بشوق فى الصدور مؤجج ... ما ثم تحظى فى الدنا بمشابه

---

(١) الفقه : الفهم .
(٢) الطلع : طلع النخلة .
(٣) وصل النأى : جعله قريباً .
(٤) الشفيف : الرقيق الذى يرى ما تحته .
(٥) العون : المعين .
(٦) المحجة : جادة الطريق .
(٧) المغلب : المغلوب مراراً .
(٨) الطرق : التكهن .
(٩) يقصد بالمعنى قبول الإنسان اختراع الراديو .
(١٠) الإرطاب : رطب البلح .

من هائم يسرى الهوينا هامساً ... بالأوب فى روض الصفى الآبه[١]
والروح هاد إن رعيت هداية ... وشجاك منه العذب ضمن عتابه
فانشد حبيباً أو قريباً فى العلا ... وارشف حنان الحب من أكوابه
والروح إن هز العقول يخصها ... وحيا مشوقاً من صفاء شبابه
يسمو وراء الأفق فى رقراقة ... دقاقة تنصب فى أخصابه[٢]

* * *

من جد سعياً فى الوطيد بنهية ... يبدِ الرفيع الجم من آدابه[٣]
تلقاه فى البطحاء يلغط مفلحاً ... يزهى مَرِىَ العمر فى إعرابه[٤]
وضاءة فى العاديات فعاله ... تغنيه عن جاه . وعن أنسابه
معطارة فى العائشين كأنها ... عبقٌ يغار المسك من أطيابه
لو بالقنوع حباه شك مجحف ... يصليه غماً من جوى إسهابه[٥]
إن التواجد للحصاد مطافه ... والروح يقطع بالنوى لخرابه
ما طاق صبراً فى المشيّد من وعى ... أن التجاهد للثرى ويبابه[٦]

* * *

صاح : بحق المرسلين وصحبة ... حلوا الرحاب بعجبه ومِهابه[٧]
ما قام نص بالقرائن فى الردى ... يطوى شهاب الروح فى أسرابه[٨]
فالجسم يهرأ فى الغداة برقدة ... والروح يمرح ناعماً بشبابه
والمرء إن يوماً تغيب فى الثرى ... ما عدت الأرواح من غيّابه[٩]

---

(١) الأوب : العودة . الآبه : المهتم .

(٢) أخصابه : الغير المجدبة (٣) النهية : واحدة العقل .

(٤) يلغط : يحدث صوتاً . مفلحاً : ناجحاً . إعرابه : يقصد بها تنفيذ مرماه .

(٥) القنوع : الرضا . مجحف : يقصد به هنا معنى مضلل . يصليه : يدخله النار . الجوى : الحرقة .

(٦) المشيد : الطول . التجاهد : بذل الوسع والمقصود ما طاق صبراً فى خلديطول إذا كان منتهى الإنسان بالموت والبقاء فى التراب وأرضه الخربة . ومغزاه أن الروح حى سار .

(٧) مهابه : مكان يهابه الناس .

(٨) أسرابه : جمع سرب وهو ما تحت الأرض من بناء .

(٩) غيابه : الغياب : جمع غائب .

يوم انطلاق الروح من أسر البلى ... يغدو طليقا من صنى بوابه
تالله ما يرضى الخلود بصفده ... بعد التملص من عرى أوصابه(١)
بل يانعات في النعيم جنانه ... يرتاد سهلا من سعى بصوابه
في مرتع الأحياء دقاق المدى ... والروح يمرح في محيط حبابه(٢)
بالشم يأنف أن يغل كأنه ... جسم ثوى في غامر وترابه(٣)

* * *

يا سائلي هل بالتخاطب قنية(٤) ... من هاديات الروح في خطابه(٥)
إن حط في حصن المهيمن(٦) نبنى ... كيف التوصل للوفي يؤتى به؟
الفلك أفصح عن مكامن حسه(٧) ... والعلم جمع من شتات رغابه(٨)
والروح يهرع للأليف إذا دعا ... مستهدفاً من دون ما إرهابه(٩)
طلق الغدو أو الرواح وإنه ... إن شاء غرد مطرباً لصحابه(١٠)
أو شاء أظهر في بهاء قوامه ... وكأنه في الحي من أربابه(١١)
سار كما يسري النسيم بغير ما ... عاد يرد عن المزار وبابه

* * *

يا سارباً ما الروح في ريعانه ... ينسل في قزع العلا وضبابه(١٢)
إلا ليكشف ما تباج هائماً ... في الخلد ينعم بالجنى وعذابه(١٣)

---

(١) يعني لو يقيد المرء بعد الموت لن يرضى الخلود بقيده بعد التملص من عرى أوجاعه .
(٢) حبابه : حبه .
(٣) ثوى بالمكان : أقام به . غامر : الغامر من الأرض ضد العامر .
(٤) قنية ما يقتنى . (٥) خطابه : أي الذين يخطبون ود الروح .
(٦) المهيمن : الإله . (٧) حسه : أي حس الروح .
(٨) رغابه أي رغباته . (٩) أي حضور الروح لا يخيف من يطلبه .
(١٠) يتحدث عن ظاهرة الصوت المباشر .
(١١) يتحدث عن ظاهرة تجسد الأرواح (راجع ما سبق في ص ٣١٧ — ٣٣٩) .
(١٢) السارب : الذاهب على وجهه في الارض . ريعانه : أوله . القزع : السحاب الخفيف .
الضباب : السحاب الكثيف .
(١٣) الجنى : الثمر . عذابه : كل ما هو عذب .

فتراه شعشع فى ظلال المرتجى   نعماء كأس مترع بحبابه[1]
تشجيه من سنن التحول غدوة   تبقى المدى فى علية أحرى به[2]
والليل والظلماء يمحى عدها   هيهات تمسى فى سناء ركابه
يلقى شهادَ الخلد حيا من وعى   أن المضمّن مُهلة لحسابه[3]
تهديه فى رحب الملىّ سماحة   حازت ثناء الحر واستحبابه[4]

ثم ها هو يعارض نفسه فى نهاية القصيدة ويعتذر عن تهكمه على القائلين بمناجاة الأرواح عندما كان فى حياته الأرضية :

إن كنت فى أمس غذوتَ جهالة   تطغى على فتح العلا وُعجابهِ
وأبحت فى دنيا الشكوك وثيقة   يوم ارتهنت العلم فى محرابه
وأقمت سداً دون عذب فراته   ومسخت بالتقريع غض إهابه
مالى وأمس ! والغباء وثورتى   أوهام بطل قد جرحت بنابه
ما كان أحرى أن أميط لثامه   فأحاط علماً ارتوى برضابه
يا ليت كف عن اليراع مداده   ليحيد عن لذع القويم بصابه

* * *

يا قاذف الصوّان عمداً بالثرى   أقسمتُ بالرحمن لست بنابه
من رام صداً لاتصال مباحث   فى الروح أو من شاد فى ترحابه
فى العلم يلقى كالكفيف عصيّة[5]   فيقيم رعداً فى الورى بسبابه
ويزيد سخطاً فى فلاة بحوثهم   ليجرّد العرفان من أثوابه

---

(١) شعشع : مزج .

(٢) سنن : طرق . الغدوة : ما بين صلاة الظهر وطلوع الشمس، أى علية من القوم (الذين ماتوا قبله) .

(٣) شهاد : مشهد . المضمن من الشىء نصفه ؛ أى أن الدنيا وهى شطر من حياة الإنسان هى فترة تؤدى به للحساب .

(٤) الملى : الزمان الطويل . سماحة : جوداً .

(٥) ما استعصى عليه فهمه .

أنى لأعشى[1] أن يمحص فى الدجى غمض الطلاسم فى الفلا وسرابه
هيهات تجدى بالتعاسر حجة فالروح حوّم فى حمى أصحابه
يُرمى بسقم الرأى أو إسفافه من ضنج والإعياء فى إضرابه
إذ يعتصم بالواهيات مفرقاً شمل الرصين مسوغاً لكذابه

* * *

مدُ التشكك فى الحقائق نزوةٌ عن علا متن اللغا[2] فكبا به
من حاك بالتهويل سداً قاتما يخفى سمات العلم عن طلابه
باللغو يلهج والهراء مصانعاً يستنزف الإعجاب من أذنابه
إن يستبح بالزيغ تضليلا فما تخفى الحقائق فى صنيع خضابه[3]
كالطمر[4] زين بموشيات مزيف شأن المداهن والطلا[5] بخطابه
يا ويح روح من حفاظ نسيجه إذ يستبين الحق طى حجابهِ

وهكذا تولت روح شوقى معارضة شعر شوقى — حال حياته الأرضية فى قصيدته التى يقول فيها :

لا تسمعن لعصبة الأرواح ما قالوا بباطل علمهم وكذابه
غلبوا على أعصابهم فتوهموا أوهام مغلوب على أعصابه
الروح للرحمن جل جلاله هى من ضنائن علمه وغيابه

مستخدمة نفس البحر والقافية فى بلاغة وقدرة شعرية فائقة لا يدانى شوقى فيهما أحد من شعراء العربية ، فما بالك بوسيطة روحية بعيدة تماماً عن الشعر وفنونه . وكم شاعر يملك مثل هذه القدرة التى لا تبارى فى الدفاع عن الحركة الروحية وإعلاء قدرها والرد على معارضيها؟..ثم انظره وهو يؤنب نفسه تأنيباً لا رحمة فيه ولا هوادة كيما تدرك قوة هذا الشعر فى دلالته وعمق أهدافه . فهل للسادة المعارضين تعليل مقنع يبز التعليل الروحى ؟...

---

(١) الذى يرى نهاراً ولا يرى ليلا .
(٢) اللغاء : الخسيس من الشىء .
(٣) الخضاب : الحناء .
(٤) الطمر : الثوب الخلق .
(٥) الطلا : الهوى .

وفى قصيدة عنوانها «عالم الروح» بعث بها كيما تتلى فى احتفال مجلة «عالم الروح» بدخولها فى عامها السابع فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٥٣ تقول روح أحمد شوقى :

بالروح أفدى من هواه مسهدّى ... والطرف ساه فى ملاذ المعبدِ
إلف تدله مستهيماً بالعــلا ... حيث المآلُ إلى الإله الأوحد
يستطلع الأسرار مضنى مجتــلى ... شامت مخائل نجبه أن يهتدى
محرابه القدسىّ فكر صائب ... يعلى اليقين على التراث الأمجد
ليصوغ دراً بالخيــال ولؤلؤاً ... همساً بنجوى فى خشوع العابد
كالزهر ينسج للربيع حنينــه ... والروض يهفو للأليف العائد
هيهات يُصرع بالشكوك وحدسها ... كالليث يزأر إن رَمته ويزبدِ
يسعى إلى خلد يروم ضياءه ... ليطوّق الأعناق حر قلائد
والصدر زين بطيلسان جهاده ... يشدو بحزم للعــلا والسؤدد
تطواف روحى فى الرحاب أهاجها ... ببض الصحائف من صنيع مخلد
بالرونق الأخاذ يترى سحرها ... خطت مشوبة ملهم ومزوّد
منــذ العهود الخاليات لأبدٍ ... كنز النفائس للرحيم المهتدى

* * *

لله در المتقين ومن وعى ... كنه الصراط يقوّمنْ ويمهّد
فالنفس تهوى السلسبيل بعذبه ... ظمأى لتطفىء من غليل الشارد
والحرص فى إثر الخلود تنافس ... والنعمة الشــماء رهن مجاهد
خص المكافح بالإشادة فى الذرى ... يعلو الثريا بانتهاج مشــيد
كم ضنت الأفلاك عن أسرارها ! ... تخفى المعــالم عن عيون الحسّد
بنّاء ملك فوق ملك يعتــلى ... خط السبيل لطارق ومعبّــد
فإذا الرغائب بالضــنين وبالمهى ... باتت تحلق فى سجايا المنجد
ما تنثنى فالعزم بات موطــداً ... يعلو الرواسى فى ظلال المرشد

كالطيف يغزو الحصن غزواً فى الضحى ... لا يأبهن لحـــانق ومهدِّد

* * *

يا لائمـــاً خل الملامة وانثنِ ... واربأ بنفسك من سعير أبد
وانظر صفوف الركب يمضى مرغماً ... فرسانه أحنوا الرءوس لحاصد
رغم التشامخ والزهو بأرضـــها ... تأوى الخلائق للسحيق البائد
هذا ثراها بالغرائب مطبـــق ... يطوى الرقاب كسائف بمهند
طىّ الحفائر بعد عز تنطوى ... صفحاتهم من عابث أو زاهد
كل تساوى فى الأديم مدثراً ... ثوب البلى يلق انحلال الفاسد

* * *

يا صاح مهلا ، ما الديار لعالم ... لفظ الأحبة من كرام المحتد
يصلى النوائح والثكالى حرقة ... كاللهب تسرى من فضول الناقد
إذ تصهر الأكباد صهراً فى الحشا ... من شمتة تبدو بعين الحاقد
أرضى إذا هز الحنين نزيلها ... يكويه شـــوق من ضلال الحائد
فهى الصحارى السافيات رمالهـا ... تطوى الجداول والثقاة وتعتدى
هوجاء تذرى من أعاصير الردى ... حمماً تذيب غريمها بمبـــدد
أفعى يشع من البريق سرابها ... تردى الميمم شـــطرها بمكمَّد

* * *

ويح المدّله فى هواها ، ويحه ... إن قال يا نفس انشديها واسعدى
يطوى حثيثاً بالخطى ووئيدها ... عرضاً وطولا فى حصافة صامد
يختال سيراً فى الوهاد مخاطراً ... ويروم ريّاً فى الحمى ليزود
ولو أن أذهاناً تناهت فى الحجى ... تهوى التضلع فى البيان الشاهد
لارتاحت الأفهام من إعيائها ... وتبخرت أوهام كل مكايد
وبنتْ قلوبٌ للنعيم محافلا ... وسعت لخلد ضمن شوق زائد
ورنت لترياق النفوس وعزها ... فى بلسم تلقاه ضمن عقائد
ترضى خلود الروح حقاً مفعماً ... فالخلد مأوى صابرٍ ومكابد

من يزرع التقوى بذوراً فى الدنا ... يجن خصيباً فى النعيم ويحصد
والويل كل الويل يغشى نا كراً ... للخلد أو من يزدرى ليعقد
إن ضج بعد الموت من إذلاله ... فى ظلمة يلقَ كسخ مقعد

إلى أن يقول :—

يا قوم هبوا من سباتٍ إنما ... لا تصلح الأوضاع للمتقاعد
فالسعى فى إثر الخلود رغيبة ... تعلى نفوس المتقين وتسعد
يا « عالم الروح » ارتقيت لخالق ... يا مبعث الصوت الخفى الرائد
دم للهداية منبراً ومعلماً ... والأجر عند الله أجر مجاهد[1]

* * *

ومن قصيدة روح أحمد شوقى التى يهنىء فيها مفيدة بزفافها :—

الحب فى عرض الزمان وطوله ... « بولا » فديتك من ضنا أحياله
لو أن عشق الروح ربك فانعمى ... تعلو الشمائل فى صفاء ظلاله
والقلب يخفق إن ترفق « مؤنس » ... ويطوف دائرة المنى بدلاله
فابقى على روض الحنان عذوبة ... فالعرف إن تجنى شهى نواله
يا ذات قدٍّ بالطلاوة مائس ... عوّذت عرسك بالرسول وآله
هيفاء تخطر بالثبات لرائد ... يحلو الرغيد المرتجى بوصاله
بأبى وأمى والصحابة والألى ... نالوا الرضى جئت الهنا بحلاله
واتتك طيعة المثول سعادةٌ ... والبشر حوّم فى مودة واله
إلف تدله بالجمال مرصعاً ... عقداً نظيماً بالهوى وجلاله
إن كان « مؤنسك » الوفى سلالة ... من « طه »[2] نعم الإلف فى أفضاله
« طه » الرفيع الفذ كعبة من يفى ... حق الفطاحل فى مديح خصاله
العلم طوق والمعارف بابه ... والفقه يقصد حجة بسؤاله

* * *

(١) راجع القصيدة برمتها وهى مكونة من ٦٨ بيتا فى عدد شهر ديسمبر سنة ١٩٥٣ من مجلة عالم الروح ص ٩ — ١٢ .

(٢) فهو نجل الأستاذ الدكتور طه حسين .

وفى قصيدته التى عنوانها «رسالتى إلى ولدى على» يخاطبه قائلا :

يا ابن الأمير[1] فداك حسى ما أنا ... فى المنتأى أو فى التراب فقدته

ما كنتُ يوماً للزوال فريسة ... «شوقى» سما للخلد مذ ودعته

لا تحسبنّ بحق حبك أننى ... فرد طفيف قد مضى وسلوته

كلا علىُّ أنت أدرى من أنا ... أيقنتَ حزمى فى الضنا وبلوته

ما كان رأبى أن أطاطئ هامتى ... فانصاع دهرى صاغراً وشهدته

يارب دهر للمكارم عشته ... فعجبت مما كنته ونظرته

أنت المقدَّر لا سواك شجاعتى ... ما كان منى فى الحى أكبرته

الليل عندى والنهار رهينة ... كم هان سهدى إذ أراك عرفته

أقضى اللبانة[2] من مآرب حجتى ... نصر اليراع . وما جنيت حفظته

ما كنت أرضى بالمديح تملقاً ... سهماً رميت بمن أراك خشيته

والليث يزأر من صلابة خصمه ... لخر المكانة إن هوى وصرعته

* * *

سابرتُ خلى بالمرانة[3] فقته ... فعساك مثلى بالسماحة[4] سدته

عيناك من عينىّ توأمة الوفا ... والعين عنوانٌ[5] لما أخفيته

فاهنأ علىُّ بالحياة وطيبها ... أم[6] العلا بالسهم إن صوبته

واعدد لنفسك ماعددت وأرضها ... من مكرمات الخلق ما عودته

وارعَ اليقين إذا الأمور تعقدت ... واشدد بحق الله إن أقسمته

واحذر شراكاً من حبائل صائد ... تذويه غماً لو بحلمك ذدته[7]

وارضَ الحياة بحلوها وصديدها ... فالكرب يجزع إن رآك جفوته

ما غير أذنك فى الرواة مصدقاً ... فاقضم لسان الم إن أخرسته

* * *

(١) يشير إلى لقبه « أمير الشعراء » .

(٢) الحاجة . (٣) باللين . (٤) الجود . (٥) مرآة .

(٦) أقصد . (٧) طردته .

هذى غوالى النصح خذها نفحة — والنصح مجد لو أراك عقلته[1]
إن قلت آه من ضنى أو كربة — إنى المسرى مثلما عودته
أرعاك دوماً فى الشدائد من عل — فانفض غبار الشك إن صورته
يرعاك روحى فى الأصيل وفى الضحى — حى كيانى . ماثل . ولمسته
أتحس روحى إذ يحيطك قائماً ؟ — صوب لحاظك ! هل تراك عرفته

* * *

للروح مقدرة القدوم بخلوة — تحويه بالوجدان إن أرهفته
فى همسة[2] الكلم المنمق[3] سره — من منبت العرفان ما طالعته
حق اللباقة واللياقة أن تعى — أن الروى نظير ما استمرأته
هذى القطوف[4] بصرفها[5] من «كرمتى» — كم راقك العنقود يوم قطفته
فارشف كؤوس الوحى[6] طى رسالة — ساغت[7] بما حليتها[8] وألفته
والله اسأل أن يزيدك يقظة — كى تقبل الصوت الذى قدسته[9]

* * *

ومن قصيدته إلى « شاب » وعنوانها « نصيحة » ، وقد أشرنا إلى ظروف إرسالها فيما سبق ، وهى مكونة من ٧٢ بيتا نقتطف منها بضعة أجزاء يقول فيها[10] : —

ابنى اسطرت مسيل[11] الحزن والألم
يبدى الأسى وبيان الحال بالكلم
تقسو على شطط[12] الأقدار فى لهف
سومت[13] حظك سوء النكل بالقلم[14]

(١) غلبته بالعقل . (٢) الهمس : الصوت الخفى . (٣) المزين من الكتابة .
(٤) العناقيد . (٥) الصرف : الشراب البحت غير الممزوج .
(٦) الوحى : الإلهام والكلام الخفى . (٧) ساغ : سهل مدخله فى الحلق .
(٨) جملتها حلوة .
(٩) راجع القصيدة برمتها فى عدد مارس سنة ١٩٥٣ من مجلة «عالم الروح» وهى من ٧٨ بيتاً .
(١٠) راجع القصيدة برمتها فى مجلة «عالم الروح» عدد يوليه سنة ١٩٥٧ ص ١٥ — ٢٣ .
(١١) مجرى . (١٢) تباعد عن الحق . (١٣) كلفت . (١٤) سوء الطبع .

مالى أراك سُلبت الصبر فى جزعٍ ؟
كيف ارتضيت بسأمٍ جال فى القيم[١]
يا من صراعك فى الأيام منتشراً
يتلو انتصارك فى الآفاق والقمم
ماذا وحقك جاء الأمس من أفك[٢]
وخز الشمائل والآمال بالظلم[٣]
فيم التقول إن اليأس مهلكة
والعيش أقفر بالخذلان كالصنم[٤]
ما وحدة سكنت بالنفس موحشة
كيف احتواك ملالٌ قاتل الهمم ؟
أفشت يراعك أن النفس حائرة
تشكو التنافر فى الأوضاع والقسم
أضحت تبيت على همٍّ يلازمها
قضَّ المضاجع بين السهد والندم
هانت أمورك باستهداف شائقها
للعىِّ بئس مثار العىِّ فى القدم[٥]
أخلفت ظنك فى إشراقة الظفر
ورميت ذرعك فى أحبولة العدم
حتى خشيت عداء الدهر يا لهفى
ما الجبن صبغة مغوار ومعتصم

إلى أن يقول له :

ماذا انتويت ؟ أتعصى الله فى عَنَت
يا لآثماً وسم الأقدار بالتهم[٦]

---

(١) قيم التواجد الإنسانى . (٢) زور وبهتان أو كذب . (٣) جمع ظلمة .
(٤) أى أصبح العيش لا حياة فيه . (٥) مضى قدما أى لم يعرج ولم ينثن فى المضى بلا توقف .
(٦) تناقش الروح تصميم هذا الشاب فى وقت ما على التخلص من الحياة عندما فشل فى خطبة آنسة كان يهواها .

قف دون لومك والشكوى وكربتها
فرّج همــــومك . ناقشنى فما لفم

إن كنت تبنى على الآمال ما نفعت
شيدتَ صرحك بالإيناع[١] والعظم

أسستَ ســـعيك للعرفان مرتضياً
عمداً تشاد على الإيقاع والنغم

عرف يُجرى لجـــلال العلم مرجعه
صرف المغانم من علم لمغتنم

ليس التدله فى علم بمرتبط
بالعشق أو بغوانى البيد والعجم[٢]

من مارس العلم للإعزاز فى رهط[٣]
يدلى بشرطه لمّـاحاً[٤] ، وذا قدم[٥]

فالعلم معجزة قدسية أبداً
سائل معالمها فى الوادى[٦] والهرم

قل لى بحقك . هل سخّرت مرتضياً
فى موكب لهواك العلم كالخدم ؟

أو رحت تنذر من علم اترصده
وقفاً على صلة بالحدّ واللجُم ؟ [٧]

إلى أن يقول له : —

ماذا يضيرك أن تنسى بلا ملل
فيمَ التوغل فى آهات مضطرم ؟

إن أنت شئت ملال العيش مرتضيا
أين الرجولة واستقرار محتشم ؟

---

(١) الازدهار .
(٢) غير العرب . (٣) أقوام . (٤) لامعاً مضيئاً .
(٥) شجاع . (٦) وادى الملوك والملكات بالأقصر .
(٧) هل نذرت العلم ورصدته وقفاً على صلة معينة بحد وقيدته باللجم كما تلجم الخيل ؟

إن الإباء وسيف اليأس ذو لهب
إن جال أرعد في الوديان والأجم[١] ؟
مرحى بنيّ وفق من غفوة عبرت
فالصحو يعصم في هيجاء مصطدم[٢]
جاوزتَ حدك في الشكوى وما وسعت
والذرع ضاق بعيش الدور والخيم
إعلم بنيّ بأن الله ذو أربٍ
فالحق دونك إن تعصاه بالنهم
خذ بالتعلة[٣] فالهياب[٤] مرتذل[٥]
وارهب مناوأة الرحمن في القسم
هونْ عليك فما في الأمر من جلل
كم شدة بذلت للناس من خدم !
أخشى عليك إذا استرسلت في سأم
يترى ملالك للعذال كالوشم !
وثب العزيمة سحرٌ صانعٌ عجباً
والحزم يخلق إزهاراً من الرّطم[٦]
إن الحياة لأسمى من هوى جسد
فالروض يفخر بالأزهار لا العتم[٧]
والطير يطعم من أرض . فياعجبي
حب الترفع للعلياء في اليمم[٨]
تدلى الخلائق بالنجوى لمتعظٍ
يهوى التفاؤل بالحسنى وبالفهم[٩]

---

(١) الشجر الملتف .　　(٢) أى المصطدم بمناواة الحياة .
(٣) ما يتعلل به .　　(٤) الذى يخاف .　　(٥) محتقر .
(٦) الأرض الغير المستوية ذات القلاقل .　　(٧) شجر الزيتون البرى .
(٨) اليمام أو الحمام البرى .　　(٩) الفهم والمرفة .

فارضَ التطبب بالترياق فى شغف
وارحم جراحك من نزف الضنا كدم

فخر الشباب طموحٌ ليس يقعده
خوف الترفع فوق النوق[1] من سنم[2]

فارفع بحلمك قدر النفس منتصراً
حتى تتوج هام العيش بالفخم

وارقب نصيبك فى الأقدار فى ورع
إن التورع يؤتى السعد للفهم[3]

* * *

وهذه — كاملة — أبياته التى يستقبل فيها الشاعر الفقيد الدكتور إبراهيم ناجى أملاها بمناسبة ذكراه : —

يا ناشراً بلّغ الأفلاك فى سحَر	مافض ذكرك بالأجداث والحفر
نفس الأريب إلى العلياء مطلعها	بالتيه تخطر كالعذراء فى خفر
كالأزهرين بأوج الفلك مكنها	توحى بمأثرة العرفان والفكر
إن وسدوك ففى الجنات سدتها	والنهج أفصح عن صيرورة البشر
أو خيروك فلن ترضى برجعتها	فاهنأ برفعتك الشماء والقدر
روح الخليل تسامت صوب مبدعها	كالدوحة ازدهرت تختال بالثمر
صف الملائك للترحاب تنشدها	لحن المظفر بالأعمال والسير

* * *

هوّن عليك نزيل الخلد من فرَق	جئتَ الهدى كأريج المسك منتشر
نلتَ المراحم من وهاب مغفرة	تجزى الروائع عن تصنيفك العطر
أذكيت لهفة من للشعر فى ظمأ	حين التقاك حليف النظم والدرر
إن ضن أمسك بالأمجاد ناصعة	فاليوم تظفر بالمرغوب والوطر
ماعشت دهرك وسناناً ولا ثملا	حصنت نفسك للجنات والظفر
أكبرت من سنن الرحمن فى شغف	مستلهماً تزن التسديد بالعبر
أيقنت أن رميم الناس قاطبة	تحت الثرى فوطأت السهل فى حذر

(١) الناقة أنثى الجمل وجمعها نوق . (٢) سنم الجمل . (٣) الفهم : السريع الفهم .

أعليت شأوك كالوهان مرتقباً — عقبى الحكيم مثاباً تاج منتصر

يا روح « ناجى » فى إحياء روعته — ناج الأحبة من رقراق مدخرى

زوّد بسائغة للصبر ترشدهم — وانثر حنينك كالأضواء من قمر

قل للألى فقدوا الأحباب لاتهنوا — حكم المسيطر فى راض ومصطبر

كفوا المدامع فالأيام مارقة — والإلف يهجر عند الحد من عمر

كأس الحمام نديم الناس مذدرجوا — كل يجرّع رغم الطول والقصر

فارعوا اليقين فما للشك قائمة — حلم تقشع عن أسطورة القدر

من يستبين فبالتبيان حجته — لايستهان بما فى البحث من صور

« أم الكتاب » رهين البحث فارتقبوا — لقيا الأحبة من توفيق منتظر

و بعد أليست هذه هى طريقة شوقى وروعته بعينها ؟[1]...

* * *

وهاهى أبيات حزينة بعث بها كيما يواسى المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبا الخير فى انتقال ولده نبيل الذى انتقل إلى عالم الروح فى ربيعه السابع عشر[2]:

للروح شأوٌ فى العزاء مقنّع — والصمت فى جلل أعز وأوقعُ

آسى على البعد السحيق بحسه — كم شاء لو يجلو المصاب ويقشع

صبراً « أبا الخير » العزيز بحق من — فى روضة الخلد الرفيع يمتع

ماجئتُ فى دنيا العزاء جديدة[3] — فالخطب يعصى ما يقال ويسمع

إنى عهدتك للعزيز مضمّناً — عوداً « نبيلا » للعلا يستودع

والله حـر فى انتقاء زهوره — والحكم فى دنيا المنون موزع

* * *

يا لوعتى من ذا العزاء وصنوه — صبراً فكم فى الخلْق شاك موجع

فالموت يشق فى العباد مقوضاً — والعالم الملتاع منه مروّع

يمشى الهوينا فى البرية داعياً — من يستضيف ملبياً أو يسمع

والأذن إذ تهفو أسيرة هاتف — هيهات تفلت . لا ، ولا تتمنع

---

(١) القصيدة منشورة فى مجلة عالم الروح عدد يونية سنة ١٩٥٣ ص ٢١ — ٢٣ .

(٢) منشورة فى عدد شهر سبتمبر سنة ١٩٥٥ من مجلة « عالم الروح » ص ٢٦ .

(٣) فهو يذكر والد الفقيد بإيمانه بالروح وبالخلود .

فالمرء إذ يعنى بدعوة آمر ... يستقطع الآمال ثم يودّع

إن شاء رب العالمين قطوفه ... كهلا، شياباً يافعاً أو رضّع

من فى نطاق الحاصدين توافدوا ... الكل طوعاً يستكين ويخضع

فالموت حق، والعباد رهينة ... والعدل لم يستثن إلفاً يجزع

والحى إن ثوى العزيز لمنتأى ... فالقلب يذوى والنياط تقطّع

يا ليت كل العائشين توصلوا ... للصبر إذ يمتد حكم أرفع

* * *

وها هى قصيدة بعث بها كيما تلقى فى مساء السبت ٢٦ أكتوبر سنة ١٩٥٧ فى الحفل الذى أقامته «جمعية الشبان المسلمين» بالقاهرة تكريما لذكراه، وقد وجهت الجمعية الدعوة إلى المرحوم الأستاذ أحمد فهمى أبى الخير كيما يتحدث فى الحفل عن «شوقى فى عالم الروح» بتاريخ الأربعاء ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٧ فاتصل بالتليفون ببلدة ميت أبى غالب حيث تقيم عادة أسرة الدكتور سلامة فى ضيعة لها هناك وطلب عرض الأمر على روح شوقى.

وفى اليوم السابق على الاحتفال مباشرة جاء روح أحمد شوقى إلى إحدى الجلسات العلاجية بمنزل الأستاذ أبى الخير بالروضة ورآه وسطاء الجلاء البصرى وأخبرهم أنه أملى بالفعل القصيدة المطلوبة على قرينة الدكتور سلامة ببلدة ميت أبى غالب وعنوانها «فى المهرجان».

ثم يقول الأستاذ أبو الخير فى مجلة «عالم الروح»[1] إنه خرج ظهر يوم الاحتفال من داره لقضاء أمر ما، وقبيل الثانية بعد الظهر وجد الدكتور سلامة والسيدة حرمه يسيران فى الشارع المؤدى إلى منزله فلما أدركهما قالا له إنهما تلقيا القصيدة بالفعل، ولم يكن أمامهما إلا الحضور شخصياً لتقديم القصيدة قبيل موعد الحفل، ثم العودة ثانياً إلى ميت أبى غالب، وفعلا تسلمها منهما وذهب معهما إلى منزل الأستاذ الدكتور أحمد الشايب لمراجعتها. ولما تم ذلك بلغت الساعة الثالثة بعد الظهر تقريباً، وحضر الحفل فى الميعاد المحدد وتلا على الحاضرين القصيدة، وهاهى كاملة: —

---

(١) عدد ديسمبر ١٩٥٧.

أشرى[1] الوفاء يناغى الشاعر الحانى[2] ... وانساب ينشد فى العلياء عنوانى
أوحى بنافلة[3] فى الحى مغنمها ... مستملح بشذا التكريم يرعانى
روحى ونفح ثقاة الشعر مفخرتى ... ترضى النوال وهذا الحفل أهدانى
أحرزت مكرمة الخلان من وهب ... كالغيث بل أوار الظامئ الرانى[4]
الحق أشهد والإيمان صادقة ... كيل الشكور على الإيثار[5] يعصانى
أوفت على سنن الذكرى محالفة ... مهج تفدى أحيت آى وجدانى
تسمو وتغدق بالمنظوم مزدهراً ... زف الجميل بما أدلاه أقرانى

* * *

يا ناشر اللبق المعطار مرتبطاً ... بالعطف إن منال العطف أحيانى
عهد المغيب إن تزكيه بادرة ... فى المهرجان بنجوى الطائف الدانى[6]
يطرى بنائلة[7] الإملاء معتمداً ... عد المصنف من لبنات بنيانى[8]
يامنية عرضت للروح فاقتدرت ... فض المغلف من إسطاع أزمانى[9]
ما جولتى كهباء الحلم آخيلة ... بل فى العداد أنا حى بتبيانى
والروح خال ليان العيش عاوده ... يدنى القطاف جنى من كرمة المانى
فاختار راسية[10] النظار[11] مغتبطاً ... يرنو لحاضر ما يعزى لأوزانى
تشجيه ماوسعت أنغام ملحمتى ... من متعة كنت فى صوغ ألحانى

* * *

يا لائمى وحنين الأمس روعنى
والضن بعد شكاة[12] الحى أصدانى[13]

---

(١) أشرى البرق : لمع .
(٢) ذو الحنان . (٣) أعطاه نافلة من المعروف .
(٤) المتطلع . (٥) آثر إيثاراً : أكرم .
(٦) يقصد روحه القريبة فى المهرجان . (٧) النائلة : العطية .
(٨) أى تعداد أنواع ما أقام من شعره .
(٩) أى سنوح فرصة المهرجان مكنه من كشف ما خفى من عهده الزاهر .
(١٠) رسى راسية : رسخ وثبت . (١١) النظار : الشديد النظر .
(١٢) الشكاة : ما يشتكى منه . (١٣) تركنى فى عطش .

كم همت مرتقبا أهفو لظاهرةٍ ... تقصى الطوى[1] وتداوى كيد حرمانى!
واليوم أمثل بالأوزان خافقة ... بالشاعرية من صرفى وإمكانى
فى البيان مصان الحق حرمته ... طبق المضمَّن من أنداد عرفانى[2]
علىّ على منن الآلاء منتهجٌ ... رد الجميل على إسعاد إنسانى
إن ترتضوا فأريج الشكر مستندى ... يعلى مكانة من بالود حيانى
أتلو على حقب الأيام منطقه ... بالمستساغ فيدوى نص إعلانى

* * *

يا نخبــــة ضمنت للروح عزته ... بعد التباعد عن آل وأوطان
جاشت سوانح روحى اليوم داعية ... فى حيكم بشوق الرأى والشان
أكبرت شيمة سبّاق يطوّ فنى ... باليانعات وفيـاً ليس ينسانى
يارب شائقة بالزهو ترمقنى ... عبر النطاق[3] لتزهى دوح أفنانى
تقوى الروابط إن دامت أواصرها ... تهدى المناصر من صحبى وأعوانى
فابقوا لمنتهج التكريم ملتمساً ... يبقى على حقب المأمول ديوانى

ولنفترض جدلا كما قد يذهب المعترض الذكى بأن الواقعة التى حدثت فى الجلسة العلاجية هى من خيال وسطاء الجلاء البصرى، وأن وصول القصيدة فى الميعاد المطلوب كان من قبيل الصدفة، فبماذا يعلل المعترض هذا المستوى الراقى من الشعر واتفاقه التام مع شوقى العظيم فى مستواه وطريقته وإعجازه الفنى؟ وهل فى الناطقين بالضاد من يكتب الآن مثل هذا الشعر الذى لا يجود الزمان بمن ينظمة إلا مرة كل بضعة أجيال أو بضعة قرون؟

* * *

ثم هاهى — كاملة — قصيدته التى أملاها بمناسبة « الاحتفال بذكراه السادسة والعشرين » الذى أقامه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب العلوم الاجتماعيـة . وفيها يعتب على بعض الأدباء الذين نقدوا شعره فى هذا الاحتفال . —

---

(١) الجوع . (٢) أى أنه يقول الشعر مثلما قاله لمعرفته به قديماً . (٣) أى عالم الروح .

تحية لوفود المحتفلين

كبرتُ باسم الخالق المعبود ... الحج جمّع أم طواف العيد ؟
أم موكب الأزمان فى يمن سعى ... يوفى النذور بساحة الموعود ؟
أم مهرجان الذكريات مشيداً ... بالخالدين معالم التمجيد ؟
يضفى على رمز البطولة شيقاً ... من عاطر الإحياء والتخليد !
يحدوه أقطاب تلألأ نورهم ... من قادة وأئمــة ووفود
فى قاعة طال الزمان وكم وعى ... من عهدها بروائع الترديد
يا دار حشدك قد أثار بمكمنى ... بعثاً يدب بمهجتى ووريدى
حتى استظلت فى الربوع دعامتى ... واستروحت[1] فى روضة التغريد

* * *

قسماً بمصر وبالوفاء لعهدها ... لست القصى[2] بجفوة وصدود
فالروح يختصم البعاد مغالياً ... كيف البعاد وما أنا ببعيد ؟
من صدّ عنى واستبد ببابه ... « شوق » يطوف ببابه المسدود
أفضى بمكنون الحنين مروّحاً ... عنى العناء وقسوة التسهيد
يا صحب أنتم عبقرية أمة ... نسجت لروحى بردة[3] التأييد
والشرق صفق والعروبة هللت ... واستطربت آفاق كل صعيد
واستهدف الأخيار كل كريمة ... من منطق المأثور والمقصود
إذ عطروا بالذكريات وطيبها ... معنى الكفاح وصولة[4] المجهود

وصفٌ لما سمعت

صورٌ توالت فى المطاف بخاطرى ... واستوقفتنىَ حائراً بشرودى
وإذ الفوارس والجهابذة الألى ... عدّوا المناقب واحتفوا بوجودى
نادوا أشوقى هل لسمعك مغنمٌ ... فى المستهام بفخرك المنشود ؟

---

(١) وجدت الراحة . (٢) البعيد .
(٣) ثوب . (٤) سطوة .

الشعر أقبل يستفىء[1] بدوحة إن أينعت فبغرسك الممدود
فالعبقرية فى رحابك تنجلى تتلو البيان بنهجك المعدود !
ناشدتَ شوقى بالتضامن وحدة عربية شرقية التوكيد
قوّمت خير رسالة فكأنما كنت الإمام لدعوة التوحيد[2]

* * *

يا رائد الأقلام أشهدنا الورى حررت نهجك من ضنى وقيود
كنت المعبر عن مشاعر أمة بالعرف[3] تشهدليس بالتفنيد[4]
توحى بتوجيه وترسم نهضة حُمّلت فيها شقة[5] التعبيد[6]
لا شك أنك للبلاغة موئل[7] علَم المآثر شعلة التجديد
أسست فى دنيا القريض دعامة تهدى على الأجيال كل مجيد
وسقيتنا من راحتيك مصنّفاً من سلسل روّقته لورود
شوقى ! سلامُ للبطولة لائقٌ يا خير لحن دائم الخلود

قبول النقد النزيه والعتب على المغالين

يا ناقدى والنقد منشظف[8] الدنا ومعيّرى عبر الربى والبيد
أتراك مكتمل العريكة[9] نابغاً متخطياً فى الشوط كل سدود ؟
يا لائمى عُسرالكمال على الورى وعرى الكمال لمن إليه سجودى
فالمرء يحتضن الحياة مغلباً والنقص مركب جاهلٍ وبليد
إنى بنيت وكل بان يعتلى قمم الخلود إذا اهتدى لسديد
قدتُ الطلائع فى هوادة راشد ورعيتها بمآثر المنضود
أيقال فى الأهرام صنعة كافر ؟ أم منه جاءت منّةٌ لجدود ؟
لولا المناوىء ما استقام لىَ العلا كالبدر يسخر من هوا ورعود

---

(١) يستظل . (٢) توحيد العرب فى أمة .
(٣) ضد النكر . (٤) الكذب . (٥) مشقة .
(٦) تذليل الطريق . (٧) ملجأ .
(٨) الضيق والشدة . (٩) الطبيعة . الخلق

والنقد للتوجيه أقدس ناصح ... لوفى نزيه الرأى . لا التقييد
ما بين مبضع جارح ومطبب ... يهن البــلاء بصحة التضميد
يا ليت من قذف السهام معادياً ... راعى الذمام وما رمى بسديد

هبذا تجمع الشعراء فى وحدة وطيدة

حقا أخى لستُ الأخير زمانه ... كم من فطاحل لم تزل بمهود !
والعصر ليس بشاعر متفرد ... فعلى الدهــور مكانةٌ لأسود
ماضرلو نحمى القريض من الطوى[1] ... فى وحــدة محبوكة التوطيد
ونبث فى الأوزان ريعان الصبا ... ونرى القديم معانقاً لجديد
ونصوغ من در الصياغة لائقاً ... يحدو القوى لكفاحها المعهود
فالشعر إلهامٌ ونبع سجية[2] ... والشــعر منحة خالق لسـعيد
والملهمون منـالهم لا يكترى ... فالشعر وقفٌ للسراة[3] الصيد[4]

عودة الروح والحنين إلى الشعر

بالأمس رددت الفواجع لوعتى ... ونعى الزمان منيتى وهمودى[5]
وتحطمت عبر النوى قيثارتى ... واللحن عاد مهاتراً بالعود
وتطاول النسيان يعلن غيبتى ... ويروم طمر[6] معالمى وبنودى
فأنا الطموح وما عييت مقيداً ... فأعذت روحى من ضنى المصفود[7]
لأعيد أغنية القريض لأوجها ... وهوى العروبة رائدى ومعيدى
خذوا يمينىَ ما حنثت بعهدها ... مصر الربوع[8] ومرتع المسعود
عشتم وعاشت والسلام يظلكم ... وأنا الشكور بوقفتى وقصيدى

* * *

(١) الجوع .
(٢) السجية : الطبيعة والخلق .
(٣) أصحاب الشرف والمروءة .
(٤) جمع أصيد وهو العزيز الجانب .
(٥) موتى .
(٦) دفن .
(٧) المقيد .
(٨) الديار وما حولها .

وهذه — كاملة — قصيدة عنوانها «نعم .. شوقي ليس جبانا» ظروفها أنه بتاريخ ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٥ نشرت جريدة الجمهورية كلمة بتوقيع حلمى عبد الجواد السباعى ورد فيها ، قال الدكتور طه حسين فى حديث له إن شوقى كان يخشى غضب الخديوى فكان يتحفظ فى شعره ...» ثار الأستاذ حلمى عبد الجواد السباعى عندما سمعه يقول ذلك ، فأرسل إلى الدكتور طه مدافعاً عن شوقى ... والأمر الذى يهمنا هنا أن روح شوقى علمت بنقد الأستاذ الدكتور طه ، فأملت قصيدة عتاب رائعة كالآتى : —

ضج الإباء وهاج النقد من عجبى ... خدنٌ يهاجم ند الفكر والأدب
والروح أجفل من مدعاة من زعموا ... أنى حييت أسير الدر والذهب
والله أشهد بالمحمود آزرنى ... خلقاً وديناً وصنت العهد فى لقبى
ألقت نجمى بالممدوح أرفعه ... فوق السحائب بالأحساب والنسب
ما الجبن صبغة ما استرضاه لى خالق ... بل هاديات العلا الخالى من الأرب

* * *

قيل التحفظ للمنجاة من شطط ... يؤذى النزاهة بالتجريح والعطب
وايم المهيمن فى الأفلاك والشهب ... شدت الرواسخ كالبناء فى الصلَب [١]
حر بربك من أصفاد مرتزق ... شأن السباع ضمنت العز فى سغب [٢]
صغت النظيم من الأضواء لحمته ... كالتاج رأرأ [٣] فى علياء منتسب
طلق السجية كالعداء فى سبَقَ ... أبغى التفوق فالإقدام فى عصبى
ليث أحوّم فى ميدان مكرمتى ... أقضى على غِيَرٍ [٤] يرمين بالنشب
جبت العباب [٥] على المغوار [٦] من وهج ... بلت وقدة [٧] من يصبو إلى وَهَبى [٨]

* * *

(١) ما صلب من الأرض .   (٢) السغب : الجوع .   (٣) لمع .
(٤) غير الدهر : أحداثه .
(٥) العباب : السيل .   (٦) المغوار : الكثير الغارات .
(٧) شدة الحر   (٨) وهبى . عطبى .

لم يبق مافاض للمكدود من نصب[١] ... فانساب يزخر بالأمجاد للعرب
يا صاح مهـلا ، ففيم اليوم لائمة ... والأمس طوّح دون الصد والعتب
صداح بالأمس تستهويه طائلة[٢] ؟ ... مذهل شعرىَ للتكريم كالنصَب[٣]
والشرق فى لهـف التوّاق أخطرنى ... أنى المظفر فى المضمار بالقصب[٤]
واليوم أقذف من أخدان[٥] ملحمة[٦] ... ولت فآذوا ربيب الضاد بالقشب[٧]

* * *

مهلا أخا عرب عـلاّمة الأدب ... دع عنك نقداً سليب الحق والسبب
والهج بربك للعلياء فى جـلد ... فالخل يكرم لا يهتاج بالحصب[٨]
خلدتُ شعرىَ كالأعلام فى قمم ... يعلو أبيا ولا يحتاج بالصخب
ما ضر لو نشر النقاد فى كنفى ... إذ كنت حيا ، وبالمشكوك فى أدبى

* * *

يا لائم النـد كالمغمور[٩] تحسبه ... ولى ، لعمرك ما روحى بمحتجب
روحى يساجل فى أعتوبة نظمت ... تأتيك من عمْق المكنون بالعجب
حقا وإن كنت كالمخبـوء فى جـدَث
أوبت[١٠] كمّا كالمطمور[١١] والجدب[١٢]
خلدت ذكرى فى الأوزان ماوسمت ... معطار طـيّبه فى الأجيال والحقب
لحنٌ يرنم فى الآفاق تسمعـه ... يغنيك عن كاذب المداح بالطرب
أسبغت عقدىَ بالمنظوم دافقه[١٣] ... همسى ونجواى للإطفاء فى اللهب
فيه العزاء إذا التواق[١٤] رجّعه[١٥] ... عنـد الحنين كما يحلو لمغترب[١٦]
وهو المؤهب[١٧] من تغزوه نازلة[١٨] ... وهو الحماسة والدفّاع للرتب

---

(١) نصب . عناء أو تعب . (٢) طائلة . القدرة والفضل .
(٣) النصب . العلم المرفوع . (٤) قصب السبق . (٥) أصحاب وأحباب .
(٦) معركة . (٧) السم . (٨) الحصى . (٩) المدفون . (١٠) السكر . المقدار .
(١١) الحفرة . (١٢) يبس الارض . (١٣) سبغ . اتسع . (١٤) المشتاق .
(١٥) كرره أو ردده . (١٦) غريب الدار . (١٧) أهب . أعد العدة .
(١٨) كارثة .

وهو الخلاصة داوى الخلق من علل ... فالبيت أفصح للتدليل من خطب
عبق على فنن الأيام مطلعه ... كالزهر رصع فى جنات منتخب
فيه المفاخر باستشهاد صائغه ... « طه » بربك لا تنعته بالذنب
واذكر محاسن من فى الخلد مرتعهم ... حزت الرغيبة[1] ملء العمر والطلب[2]

وهذه القصيدة ليست قيمتها فى جمالها فحسب . بل فى أنها تظهر الحقيقة التى أجمع عليها بحاث الروح فى كل مكان وهى أن الأرواح على صلة أوثق بنا مما قد يبدو لنا، وأنها تتابع مايجرى فى عالمنا باهتمام شديد، خصوصاً فى كل ما يتصل بذكرياتها الأرضية وبحكم الناس لها أو عليها ولذا ورد فى القول المأثور « أذكروا محاسن موتاكم » الذى أشار إليه شوقى عندما قال « واذكر محاسن من فى الخلد مرتعهم » ... فى آخر بيت من قصيدته .

* * *

وهذه قصيدة له «فى عيد الأم» تبلغ أبياتها ٩١ بيتاً كل بيت منها إعجاز فنى قائم بذاته يقول فى مطلعها : —

العيد عيدك المجيد

أقدم فتيهك فى الزمان مخلد ... وسناء فجرك رائد يتوقد[3]
مازادك الرغد[4] الوليد تشبباً[5] ... فعريق مجدك بالمديح منضد[6]
قلدت من قدم جليل مهابة ... وبفطرة[7] الرضوان[8] سمحاً تلبد[8]
عاصرت جرداء[10] الهيولى[11] أينعت ... فيك الأمومة والقرائن شهد[12]
بالخصب جادت راحتاك تلاحقاً[13] ... كالدائبين[14] على المدى تتطود[15]

(١) الأمر المرغوب فيه .
(٢) راجع القصيدة فى عدد نوفبر سنة ١٩٥٥ من مجلة « عالم الروح » وفيها بيانات أخرى عن ظروف إرسال هذه القصيدة من عالم الروح . (٣) يتلألأ . (٤) طيب العيش .
(٥) النسيب والمديح (٦) منسق بعضه إلى بعض (٧) الطبع الأول الذى يولد به الإنسان
(٨) عكس السخط . (٩) أى تلصق فى الأرض (١٠) الأرض القاحلة لانبات فيها
(١١) المادة الأولى (١٢) شهود (١٣) تتابعاً (١٤) الليل والنهار (١٥) تطوف فى الأرض.

يا داهراً[1] حواء فيك تغزلت ... واليوم أحفادٌ حبوك وقلدوا
لولاك ما خلق سعى مستهدفاً ... فعلى مناصرة السراة[2] لك اليد
صاحبت عصر الغابرين بغفوة ... طالت لخلتك لا تفيق وتشدد
مستروحاً جبت المجرة والذرى ... فغدا الأحبة فى حنينٍ يوقد

إلى أن يقول : —

فى تكريم العيد تآلف للعقائد

يا عيد ألفت العقائد سائداً ... تدعو لقربى عرفها لا يفقد[3]
أسميت وعى الحاذقين كأنما ... أنت المقوَّم « بالعناية » موفد
بالبشر ضمنتَ العناصر وحدة ... فعلاك فى أوج رسىٌّ فرقد[4]
فقت الأئمة فى استخارة نهجها ... فإذا التوافق بالإخاء مشيد
نصبت فى عرش القلوب دعامة ... صيغت بفحوى فى الأمومة تحمد
تسدى الكرامة للكريمة[5] فى الدنا ... كيما بعرفان الجميل تزود
مصداقة[6] نسج الملاحم[7] بردها[8] ... مهما انطوت حتما يجىء بها الغد
تتعاقب الأيام فى أطوارها ... وربيعها بوثيقة لا يحصد

* * *

أنعم بيومٍ بالقشيب تدثرت ... فيه الأمومة لائقاً لا ينفد
يوم تسامت فى ضحاه ذريعةٌ ... مقضيها بمنزه يتجدد
فبدا كعرس بالتفاخر مطلق ... أو مهرجان بالميامن مفرد
دارت كؤوس بالرحيق كمزنة[9] ... مدرارها[10] يطفى اللهيب وينجد
أ كبرت صفواً من شفيف نميرها[11] ... يهدى الأمومة ما يرام ويورد

---

(١) الداهر . الطويل الأجل . (٢) أصحاب الشرف والمروءة والسخاء .
(٣) يقصد أن عيد الأم ألف الأديان بقرابة الأم الأولى التى ينتسب إليها الجميع .
(٤) نجم فى الشمال يهتدى به . (٥) أى الأم (٦) أى كرامة صادقة .
(٧) الشديد القتل المتماسك . (٨) الثوب المخطط . (٩) سحابة ممطرة .
(١٠) غزيرها . (١١ الماء العذب .

تكريم الأم أمر إلهي

يا يوم سحرك بالصباحة[1] يزدهي جم الشمائل شائقاً يتولد
أصبحت عيداً للوفاء . وطيبه نفح الأمومة ما يشوق ويسعد
رفعوك فوق المشرقين مكانة وبنوا عليك ذرى الجميل وشيدوا

* * *

يا باعثاً سنن المديح على المدى ينساب عذباً بالغناء يردد
عيد الأمومة والحنين سكيبة توق المكرم باليقين يسدّد[2]
ويقيم للأم الرؤوم مواليا للدعوة العليا . الوفا وينضد
فأحق من في الأرض منجبة الورى[3] أمٌّ يطوف بها الرضى والسؤدد
تهدى على منن المراحم آبداً عرش القلوب إذا استقام المقصد
فهي الغدير[4] على الجداول[5] فيضها
تهب الحياة رضية[6] لا تزهد
من دونها لا الشائقات تدرجت للقمة العليا . ولا من أيدوا
والأصل لو يذوى تَقد[7] فروعه ويبيت قحلا[8] دون ما يتورد
والأم لولاها انقضى أس الدنا[9] فإذا اختفت طوق التواجد يقعد

* * *

ما الأم إلا منحة قدسية فهي المؤيد بالهنا والمسعد
كالشمس وهب للخليقة وهجها ليست تروم له الجزاء وتنشد
تحيا بروعتها النفوس قريرة فكلاهما ذخر يشاء ومورد
دولاتها أبد الزمان وطيدة ودم البنين لوحيها يتعبد

حنان الأم وقوة احتمالها

تبق على مر السنين وفية منها القطاف[10] المرتجى يتواجد

---

(١) الإشراق والنور .
(٢) المنسكب من الحنين هو شوق المكرم الذى يسدده بالصدق .
(٣) الناس . (٤) النهر . (٥) الأنهار الصغيرة . (٦) راضية .
(٧) تقطع وتستأصل . (٨) يابساً . (٩) أساس العالم . (١٠) الثمر .

والخلق ما بين المروءة والتقى ... لهجٌ بعاطفة الأمومة يشهدُ
من نبتها نبل المشاعر موثق ... ومسيل حس مرهف لا يخمد
تحنانها قد لا يكال مديحه ... إذ لا يحاكى والدليل مؤيد
ما بين بادرة الجنين بطالع ... يشقى ويسقم بالضنا ويسهد[1]
أو بين حانية تضم وليدها ... بالحدب والإعزاز وهى تهدهد[2]
ترضى بزهد كالضنين بصومه ... حرصاً على فرض يرام ويقصد
والقلب بين الحالتين رهينةٌ ... طوعاً بعاطفة الأمومة يصمد

* * *

ما الأم إلا الطيب يحرق عوده ... والناس ينعشها الشميم[3] فتسعد
تشقى شقاء الفاتحين بغزوة ... وتتاخم الأهوال لا تتخود[4]
رمز البطولة فى جليل صراعها ... والعمر يرخص لو تدانى الموعد[5]
لا تستبيح تنصلا لو تفتدى ... بالروح شبلا فى الحشا يتوسد[6]

الجنة تحت أقدام الأمهات

للأم ما بين الضلوع مرابضٌ ... نصبٌ لها بعد الإله ومعبدُ
حابيتها اللهم حتى استحوذت ... علنا على سنن تقيم وتقعد
أوحيت للجنات فى أبهائها ... تحنى الرقاب لوطئها وتعبّد
أو ليس يخضع للخطى ووئيدها ... روض الجنان نضيرها وبمهد ؟
سبحان من جعل الرياض بروعها ... تجثو لمن تهب الكيان وتسجد
يا روض مالك للظباء مطأطئاً ... هاماً يجلله الجمان[7] وعسجد[8]

* * *

هذا النضار وذا الصفاء ودره ... كلٌ بلثم العقب[9] راح يزوّد

(١) يقصد متاعب الحمل . (٢) بعد الوضع وضم الوليد .
(٣) الرائحة الطيبة . (٤) تمايل . (٥) موعد الوضع .
(٦) أى أنها تفضل أن تموت وتفتدى الجنين حيا .
(٧) اللؤلؤ والدر . (٧) الذهب .
(٩) العقب . مؤخرة القدم .

عقب[١] إذا وطىء استهامت جنة | تطرى جلالا لائقاً لا ينقد
فكأنما خطرت دليلة كاعباً | والسندسى رهين من تتأود[٢]
يرنو بسحر من سديل خمارها[٣] | يبدى اعتزازاً بالوقار يؤكد
إن المهابة من خمار دليلة | عجب لطائفة الرجال مسدد
عجبوا لمالكة الرياض بسطوة | تعصى عليهم بالإباء وتبعد
هيفاء تنعم بالمطامع بينما | شمشون من هذا المنال يجرد

* * *

قف سائل الأيك[٤] الرصين[٥] عن الألى
تعنو[٦] الرقاب لبطشهم وتبدد
وعن الفوارس جُن من أحيالها[٧] | عند التسايف غاشم[٨] يتمرد[٩]
وعن المطوح بالرؤوس رخيصة | يوم التكالب[١٠] والعداء مجرد[١١]
هل بالشموخ[١٢] وبالمهابة روضوا | طبع الرياض فهالها المستأسد ؟
آه لمن رقت حواشيها ارتضت | نعماء يحدوها « المقام الأرغد »[١٣]
نالت على حقب الزمان منالها | ما قدم الأزبان[١٤] فيه مهند
بل منحة الرحمن فى عليائه | قولا كريماً للأمومة يسند

* * *

فاعجب لرائدة الرجال عتادها | ليس القنا ، بل صبرها والمولد
تأسو الجراح وتفتدى . ومراسها | إن انجبت فنجيبة[١٥] تتجلد

---

(١) العقب . مؤخر القدم أيضاً . (٢) تمايل .
(٣) نقاب شفاف يغطى الوجه . (٤) الشجر الكثير الملتف .
(٥) المستحكم الثابت . (٦) تذل . (٧) قواها .
(٨) التضارب بالسيف . (٩) ظالم .
(١٠) المجاهرة بالعدوان . (١١) مكشوف .
(١٢) الاعتزاز والتكبر . (١٣) السماء .
(١٤) الأزبان : الحسن . أى أن الأم نالت مقاما رفيعا دون احتياج إلى سيف .
(١٥) ذكية عاقلة .

واليوم يوم الراشدين فسددوا دين الأمومة والجراحة ضمدوا[1]

فاستكرموا[2] الإسداء وفق مروءة فلئن وهبتم فالأمومة أجودُ

صيغوا بوحى القلب شيمة[3] منطق عذب الطلى[4] مستخلص يستغرد[5]

واهدوا البيان بمستحب رنينه نجوى لأم بالسماح تجوّد

واقضوا على شوك الجوى من وردها واستأصلوا شجراً يهين ويكمد

واعلوا يقيناً عنبرياً حبها واستمطروا طيب الرضاء وعيدوا[6]

* * *

ثم ها هى قصيدة رائعة له عن « يقظة الزمن » نقتطف منها الأجزاء الآتية : —

الدهر من فنن الروائع ينجب يوماً . وللأوضاع يوماً يقلب

صلداً إذا طبع الرواسخ أو دعا سجد الرواة لما يسوق وأعجبوا

يهجو النقيصة لا يرد بلومة كالسوط إن نقمت يداه يؤدب

ويحل إخراج الخوارج فى الحمى ليعيذ من شطط يضيم ويعطب

والدهر بالمرصاد هبّ ملاحقاً غِراً يؤرّقه الملام ويرعب[7]

كم حطم الرعديد فى نزواته والناب فى المتلاف سهماً ينشب

يلقيه للأقدار دون ذريعة تقضى على هجو يغض ويغضب

فالدهر عند الظن مرآة الخطى والدهر مصداق الصدى لا يكذب

* * *

هيهات يختلق الثناء مصانعاً فالمجد عنده للمؤهل مأرب

يطرى البواسل بالفخار وبالعلا وينزه الأنساب وهو يلقّب

---

(١) أى أن عيد الأم يسدد فيه كل عاقل دين الأمومة ويواسى متاعبها .

(٢) اختاروا الكرائم . (٣) الشيمة : الطبع .

(٤) مالذ . (٥) استغرده : أى طلب منه الغناء .

(٦) راجع القصيدة بأكملها فى مجلة عالم الروح عدد مايو سنة ١٩٥٧ ص ٨ — ٢٠ .

(٧) يتحدث عن ملك سابق لبلد شقيق .

وله الأيادى الناصعات مواليا ليشيد ذروة ماجد إذ يحدب
إن جاد سمحاً بامتداح بطولة يسمو بمؤتلق يرام ويرغب
يأبى على ملق الموارب نفحة تعيي نطاق الحق . أو قد تسلب
فالدهر يحتضن الحقوق بصائب يقضى ليقظة آبه . لا يغصب

* * *

يا دهر طولك فى العروبة حرمة للراشدين هى الهدى والمذهب
روجت مفخرة العروبة مذ غدت مهداً لمن وُهب الكريم الطيب
موسى وعيسى والنبى محمد نادوا بمكرمة الإخاء وأوجبوا
شادوا التعايش بالسلام ووحدة لا الحقد تشمل لا ولا ما يرهب
رسموا الوفاء . وفى وروف ظلاله بالحب يمرح جائل يتطلب
شرع تنسمه الشعوب فأينعت مُثل التآلف مذ تسامى الأصوب
ما غاض فى حقب جلال يقينه فهو الحياة ونبعها لا ينضب

اتحاد العروبة تقريب الأديان

واليوم تزدهر الربوع بنفحة قدسية التقويم لا تتهيب
أرست على سنن الإخاء عقيدة تدعو التضامن بالطموح ينصّب
تسمو بفحواها الحصانة للألى شدوا السواعد للجهاد ورحبوا
شم الشمائل يفتدون عروبة بالروح أو فالنصر منهم أقرب
خلوا المذاهب للرحيم وشأنه فالحب للأوطان دين يُنسب
دين تحالفه الميامن شائداً طود العروبة شامخاً لا ينقب
دك الفوارق فى معاقل حسها ليقيم للأوطان شأواً يحسب

ثم انظره وهو يحيي — فى نفس القصيدة — البطلة الجزائرية جميلة بوحريد فى روعة لا يدانيه فيها أحد :

كيف استبدبك الوفاء وما انطوى بين الجوانح للقيود يُحبب ؟
يا ذات قدٍّ بالدلال ترعرعت ماذا وحقك فى المشانق يرغب ؟

قدستِ قافلة تسير إلى العلا   وبكل غالٍ للسيادة ترقبُ
قدست أرجاء حللت ربوعها   فغدا وفاؤك للقلوب يطيِّب
يا شمس أضفت من شعاع ضيائها   لخوى حماس قد وعاه المغرب
ما أنت فرد بل قوام عروبة   للخلد صينت تستقيم وتكسب
نصبت هيمنة الحياة كريمة   والحر ثوبه بالكرامة يقشب
طبعوا جلالك بالقيود مهابة   فى مثل روعه لا يزين مذهبَ
إن شيعوك إلى السجون فقد هفا   قلب العروبة للبطولة يصحب

* * *

صبراً جميلة لا تلين قناتك   فالمجد تجمع ما يطب ويصعب
والموت كأس فى الورى إن آجلا   أو عاجلا لا بد يوما يُشرب
فاستعذبى كأس الجهاد وهوّنى   إن التجلد للخلود يؤهب
يا غرب قف وارهب بطولة ظبية   قالت لأشباه الرجال «تهيبوا»
« إنى وراء عشيرة تتحرر   جان دارك قامت فى الجزائر تخطب»
«إن عذبونى ما علىّ من الضنى   هيهات للروح الأبىّ تسربوا »
« ما نالوا إلا الذل فى أعماقهم   فبعصمتى حطمت ما قد رتبوا »
« والجسم يذبل للكرامة فدية   حراً عفيفاً فاق ما يُتطلب »

إلى أن يقول فى ختام قصيدته :—

الشرق والغرب فى الميزان

يا شرق أنت منار هدى فى الورى   مهد الإخاء فلا يشوب تعصّب
شمس المعارف فى حماك بزوغها   هيهات فى شرق تغيب وتغرب
يا غرب حسب الشمس أن بريقها   للشرق يجذبه الحنين فيقرب
والغرب يرقب من هزيل ذبولها   طيف المنازع يستعيذ ويهرب
يا غرب قف وارع الفروق موازناً   بين القرائن تلقَ حالك يصعب
يا شرق آزر فى مساندة العلا   تؤتَ التفوق فى الجهاد وتوهب
دم ولتعانق بالبشائر ناعماً   ثغر الصباح وبالحبور ترحّب

* * *

وها هى – كاملة – قصيدة يخاطب بها « جمعية الشعراء » طلبت منه بمناسبة الاجتماع الأول للجمعية فى ٢٠ من يونيه سنة ١٩٥٨ من لجنة مؤلفة من صديقنا الدكتور على راضى الأستاذ بكلية العلوم ، وأستاذ من الجامعة الأزهرية ورئيس تحرير إحدى المجلات .

مؤازرة الجمعية والشعراء

لواء الشعر فى قممٍ تسامى ... وفى أوجٍ ترفع واستقاما
يعضده السماح[1] بمكرمات ... تقود ركابهم أبداً أماما
موالاة النظيم لهم شعـار ... ليدّخر الخلود له المقاما
فقل نصر القريض على العوادى[2] ... وأُهدى الطالع الأسمى الدواما
وتاج النظم والأدب المعلّى ... بذى حججٍ تلألأ واستهاما
وزهر الوافدين على صفاء ... أهاجوا الروح فى لهَجٍ فهاما
وعاودنى الحنين لدوح فن ... هو المحراب إن شئت اعتصاما
أهلّ الروح مغتبطاً نضيراً ... بروض العائشين هوى المقاما
تنسم فى الربوع شميم ضوع[3] ... فرفرف فيه مؤتنساً وحاما

* * *

وفى إمداد ملحمة القوافى ... غدا السبّاق ممتدحاً وحامى
وفى دعوى القريض سليل قربى ... يؤازر فى تضامنه الكراما
وما يدنى الشبيه سوى شبيهٍ ... بعطف الروح يأتلف انسجاماً
فإن أدنو فلى فيكم « عزيزٌ »[4] ... نديم الشعر أنصره التزاماً
أحى والغيب زودكم يقيناً ... يفيض الشهد فى كأس الندامى[5]
لئن شئتم مباحثة القوافى ... فللتبيان اعتزل الملاما
ولى وعىٌ يوازن كل نقـد ... والإنصاف يرتقب اهتماما

(١) السماح : أهل الجود . (٢) العوادى ضائقات الدهر .
(٣) الرائحة الطيبة .
(٤) الأستاذ المحترم محمد عزيز أباظة رئيس جمعية الشعراء وصديقه الوفى .
(٥) الندامى جمع ندمان وهو نديم الشراب .

إذا النقاد صال لهم بيان ... فللنقاد أن يحموا الذماما
فسيف النقد إذ يغتال سهواً ... يحطم بالتحامل ما ترامى
وما عبر الليالى على تجنى ... لو أن الروح لم يرشق سهاما
وفى عبق النزاهة لى شهيد[1] ... يعيذ الروح أن يلقى العقاما[2]
وما دعواى دون الحق تبنى ... فللخـلان أحتكم احتكاماً
وما استجديت إطراء يوالى ... فقد تزكى المجاملة الخصاما
فإن تقضوا بصائبة لروحى ... لذلتم عوائقه الجساما

تحية الشعراء

حماة الشعر فى قيم تجلت ... لحشد الدر خشية أن يضاما
لئن مدت تصالحكم أيادٍ ... فروحى اليوم يقرؤكم سلاما
سلاما مجمعاً سند القوافى ... ووطد بالمحالفة الوئاما
لأنتم كالشموع غدت ضياء ... يزيد الدهر شعلتها اضطراما
حللتم بالجلال على يقين ... بأن الشعر يلتزم النظاما
ونوهتم لدوتكم بنجوى ... فأيقظت الهواجع والنياما
وللإبقاء روحتم حنينا ... لعهد غاب فى حقب وغاما
وصنتم ما تشف به الخنايا ... وصغتم فى حفاوته العظاما[3]
وفى شمل المكارم ما يوالى ... نظيماً يفتدى ما الحى قاما

مناصرة الشعر القديم

بنيتم للقريض صروح مجد ... واطريتم نصابه والقواما
فإن ولّى الزمان فلن يولّى ... حليف الدهر من شعر القدامى
وإن باد العريق فقل عفاء ... غدا التجديد فى حلل اليتامى
فأوزان العريق على وقار ... تقود الشعر صفا حيث قاما
كألوية تدثرت المعالى ... تضمن فى مهابتها الجساما[4]

---

(١) شهيد : شاهد .
(٢) العقام : داء لا يبرأ منه .
(٣) العظام : الأمور العظيمة .
(٤) أمر جسيم : أمر عظيم .

كـكل كريمة خطرت بشمل — تسطّر فى غلالتهـــا احتشاما
وأقدار الحرائر كيف تخـــفى — وفى الهفهاف ما يدعو احتراما ؟
فسل ذات اليســـار ببرد بزّ (١) — ومن تهوى الملاءة واللثاما
أمن وشم الخليع لها الدثارا — كمن صقل الكمال لها الوساما ؟

* * *

فصفو الشعر إذ يسمو ائتلاقا — كوهج النـــور يكتسح الظلاما
هو الدر المثمن بالغوالى — يشع كرامة عاماً فعاما
ففى أوج الصدارة توجوه — ليأتم الثقات به ائتماما
فمن نظم المنمق بالتروى — يعول أن يدانى له الغماما
ليعتصر الشهى بكل قطر — ويأبى فى المنافسة اقتساما
وذو هدف على حكم يعلى — نظيم العقد لا يخشى انفصاما

التنويه عن الشعر المنفر

ومحتضن القريض على اغتراب — ففى الأوهام يرتطم ارتطاما
كمحترف الغنــاء بغير لحن — يسجل فى غوايته الحطاما
ومن يبغ الشاعر للتلهى — فهـــذى الطامة الكبرى إلاما
فللموهوب أنوار تناهت — ويحتضن الفراش بها الزؤاما
وبالأحيال (٢) واهاً من دعاة — على الشعراء قد شاءوا انقساما

* * *

سلوهم كيف يجذبهم جديد — ولم يبلغ برقيتـــه التماما ؟
سلوهم أين مفخرة القوافى — ليعتمد الدليل لها القياما ؟
عرى الأوزان صيغت من رواء — ففى أحرازها نبغى الضماما (٣)
ومن يتل الجزاف بلا رنين — على المنظوم قد ألقى السماما (٤)
ومن أوحى الجديد بغير أسّ — علام استن مبتدعاً علاما ؟
فواها للألى سئموا القوافى — وللأوزان قد حفروا الرجاما (٥)

(١) حرير . (٢) جمع أحيل وهو الأكثر احتيالا
(٣) الضمام : ماضممت شيئا الى شىء آخر . (٤) السمام : السموم .
(٥) الرجام : القبور .

الشعر كالغذاء

فما نظم القريض سوى غذاء ... ومن يهد فاحماً لا عظاما
وتحتسب الكياسة فيه ملحاً ... ودون الملح قد نأبى الطعاما
وللذواق ما يسع احتمالا ... وإلا يرتضى عنه الصياما
لعمرى ما بصلب الشعر إلا ... عيون نستقى منها المداما
تهادن شجو صادٍ من لبان ... إذا بل الأوار نفى الضراما [1]
فيرتشف الرحيق بلا ملام ... ويأنس فى عذوبته المراما

* * *

ومن كرم ابن هانىء لى سلاف ... يؤيد ظامئاً يأبى الفطاما
نهلتم من طلاه كؤوس راح ... وأشجاكم فما قلتم حراما
هو المنظوم للمكلوم سلوى ... إذا أعلا على القدر اتهاما
هو الترياق طب من عضال ... وتلتئم الجراح به التئاما
هو الأدواء فى كبد المعنّى ... يداعب فى هوادته المناما
هو السحر الحلال يشيع روعا ... على الأحياء يشجيهم هياما
على الأيام حالف كل مجد ... هو الأنوار بددت القتاما
هو الآفاق تزخر بالأمانى ... لمن سكنوا القصور أو الخياما
وعند الخطب يصلى الخصم نقماً ... يدك قوى الفيالق والدعاما [2]
وفى ركب الحضارة حيث دوّى ... بنى الأمجاد أو وضع الصماما [3]
هو المنظوم فى الأيام سيفٌ ... يوالى ، أو أذى يودى انتقاما

* * *

فويح الروح إن يصدأ حسامى ... فما عودت أن أرضى انهزاما
سأنظم للخلود كريم در ... يبث الهدى أو يدوى الكلاما [4]
تعالى الله فى وهب حبانى ... فبالكتمان لن ألقى الختاما
ولولا الشعر فى نغم تغنى ... يشنف كل واعٍ كيف راما
لأجدبت الحياة بلا ربيع ... وآهٍ لو ربيع العمر ناما

---

(١) اضرام : حرقة العطش .
(٢) الدعام : العماد .
(٣) الصمام للقارورة : ما يجعل فى فمها سداداً .
(٤) الكلام : الجروح .

حكمة وفلسفة فى رباعيات رائعة

بعض نماذج من رباعياته الغزيرة التى بعث بها

١ — تحت عنوان « ذكريات »

يا حبيبَ الروح ما روحى بطيّاتِ الظلامْ
صفوُها الرقراقَ يغزو مستحثات السلام
وهى فى الأفلاك تسرى أو بأسراب الغَمَام
ما غفاة الأرض مثلى إنّ روحى لا تنام

* * *

بعثها أضحى ضميناً تِلوْ إغفاء الهشيمْ
واستقَتْ شهداً عُجاباً حال إتيانٍ قويم
غضةٌ ترتاد نِدَّ الحور أعراسَ النعيم
وارتضى الوجدان عمداً صِبغَ من ضوءٍ كريم

* * *

كلما طيرٌ تَغَنّى فى أفانين الورودْ
أو بدت تختالُ شمسٌ فى مجالاتِ الوجود
أو شدا الشادى بحقٍ فى صلاةٍ أو سجود
إننى فى الحىّ أغدو ضامنًا حفظ العهودْ

* * *

ما سجا طيفى بديجور يُظْمى بالأوام(١)
إنما كالنيّرين استعلت الروح المُقام
واحتوانى العهدُ حراً مستجيراً لا أضام
حيث أحيا فى نعيمٍ صحبة القوم الكرام

* * *

ثم يقول :

قد لَهَوْنا فى حياةٍ مثل أعمارِ الزهور
وانطواه الدهر يُخفِى ما بَطيّاتَ الصدور
فاصطفينا الدهر خِلاًّ وهو صِلٌّ(٢) فى قشور
كان يخفى الموت عنا بين بسْمات الثغور

* * *

وارتضينا العيش رَغْداً بين أحضان الزمان
عاطراً يغزو حِمانا مثل أحلام الحسان
إن خطرن فى رياضٍ رُصّعت بالأقحوان
راقصاتٍ ضاحكاتٍ فى سياجٍ من أمان

* * *

يالها من ذكرياتٍ لم ينل منها الجمود
رغم شحّ الدهر تبقى عبْرَ ومضٍ أو رُعُود

---

(١) حر العطش .

(٢) الصل : الحية التى لاتنفع منها الرقية .

لم تعدْ تُقصى جَنَاها رابيات أو سدود
فهى دومًا فى ركابى فى محفّات الخلود

* * *

يا حبيبى كان صحوًا ضافيًا حلو المنالْ
ظلّلتنا فى حِماهُ حانياتٌ مِن دلال
فانتفت عنا همومٌ وانتفى قيلٌ وقال
والتمسنا المجد نسعى فى ربوعٍ أو ظلال

* * *

يا رَعَى اللهُ ربوعًا فى حياتى باسماتْ
كلما استعرضتُ فيها من ضُحىً أو أمسيات
خطّت الروح المعلّى من نظيم العاطرات
عبقها كالمسك يسمو للسهى والساريات[1]

٢ — وفى رباعيات أخرى يقول فى « مناجاة النيل »

إيه سقيًا للندى يا منهل الأم الرؤومْ
دافق الأغداق صِرفًا كم وددنا أن يدوم
عشتَ فينا خير ساقٍ من عصارات الكروم
ما سلوتُ العهد أشهدتُ الثريا والنجوم

* * *

(١) راجع عدد مارس ١٩٥٦ من مجلة « عالم الروح » .

لا على « شوق » فشوق الروح آى المعجزاتْ
شعلةُ الأشواق إن تغزو الحنايا الخافقات
فَرْدها والله « شوق » فى حياةٍ أو ممات
لا يدانينى شغوفٌ يُرتجَى فى الكائنات

* * *

وقفتى يانيل أشدو الحق نوراً للغيورْ
منةٌ من فتح مَنْ أهدى السموات البدورْ
جئتُها من فى البرايا حجة العلم الوقور[1]
ليس بالألفاظ تهدى بل بمضمون السطور

* * *

فاتركوا الأقلام تهمى[2] رُبَّ غيثٍ للجفافْ
ربّ أمدادٍ[3] على الأيام تجتاز الشغاف[4]
والجنَى يحلو اساعٍ ساعٍ نحو الضِفافِ
يقطف الأرطاب مِن بعد التنائى والطوَاف

٣ — وفى ذكريات أخرى يقول فى « مناجاة مصر »

أنصتى مصر لنجوى مِن قصىٍّ فى الشتاتْ
علّ من نسج القوافى تستعيدى الخاليات

---

(١) العلم الروحى .
(٢) تسيل والخطاب المناوئين فى هذا البيت .
(٣) امتداد البصر .
(٤) جمع شغف وهو غلاف القلب أى حجابه .

فالقـــريض اليوم[1] دينٌ لاحقٌ الأوليـــات[2]
واغفرى سهواً وتقصـــيراً كعفو الأمهـــاتْ

***

مصر كالزهراء فى أوج تهـــادت بالبهـــاء
ســـنة الأفضال أوفت من أزاهير الضياء
يوم كان الوحى يترى مثل صفو الأتقيـــاء
ملهمـــا قلبى ليزكى من تغـــاريد الرجاء

***

مجدها والنيـــل والصحـــراء والوادى الظليـــلْ
عرَّبت فى الشرق لحن العز والعيش النبيـــل
فى مبانٍ شامخـــات ثوَّبتْ من لا يميل
ظلّة[3] الهيبان[4] فيهـــا حُلِّلَت[5] كيما يطيل[6]

***

إلى أن يقول :

فاذكرينى مثلما آليـــتُ أن أرعى الودادْ
انصفى بالله « شـوقى » واقصرى شق البعـــاد
وارتضينى فى عِـــداد الحـــىّ لمّاح العتـــاد
مادعا يوماً لدرء الخطب داعٍ للجهاد

***

(١) الذى يعلى من عالم الروح . (٢) يشير إلى الشوقيات . (٣) احتماء .
(٤) الخائف . (٥) صارت حلالا . (٦) يمد إقامته .

إلى أن يقول :

عصرك الزاهى استحث اليوم زَهْوَ الغابرينْ
فانشرى الأعلام وابق قبلةً للناظرين
كلما استعلتْ ترينَ الخصم مطواعاً يلين
مثلما الأهرامُ قامت غصّةً للحاسدين

***

مصر ما أنت الفرادى من نَدَامى[1] للذهابْ
أنت أطوادٌ الرواسى والملا[2] عُودٌ وغاب
لستِ شهراً ! لست عاماً ! لست أرقام الحساب !
شاخت الأيام واستبقيت إزهار الشباب

***

إيه مصرُ أنت مهدٌ أنت لحدُ المستهيم
طوّف الرواد فى وادى حِمَاك المستديم
دولةٌ دالت وأخرى قد توارت فى الأديم
واعتليتِ المجد — والأجيالُ تعلو — من قديم

* * *

فانعمى فى وارف الأمجاد بين العالمينْ

---

(١) خلان . (٢) سائر البشر .

إنما استمطرتِ حقاً من سماء الخالدينْ
سوّغ المعلاة والإطراء بين العابدين
لحنه الأخاذ شدوٌ ساحرٌ عذبُ الرنين(١)

٤ — وفى رباعيات أخرى عنوانها « استعراض الماضى » تقول روح أمير الشعراء

مصر يا إصباح فجرٍ هزّنى بالذكرياتْ
بَرْدُها آىٌ لروحى مذ أفاقت من سُبات
دثّر الوجدان إشراق الصبا واليانعات
فانثنى شجوى وإجداب الليالى الخافقات

* * *

صفحة الماضى ورقٌّ ليس لى عنها عزوفْ
ثغرها يفترُّ عن دوحٍ لتوّاقٍ شغوف
يجتلى الوضّاح سمحاً يشتهى دانى القطوف
وهى إستارٌ شجىٌّ تحتوينى فى وروف

* * *

كيف أسلو ما يوازى ملء عمرى باعتداد ؟
من سجايا فاقت المقدور فى نهج السداد

---

(١) راجع مجلة « عالم الروح » عدد يونيه سنة ١٩٥٦ .

عنبرىٌّ وردها تالله وثابُ الرشاد
سلسلٌ للروح صفوٌ حينما الذكرى عماد !

* * *

إننى فى الخلد أحيا ذاكراً عهدى الجميل
عهدَ سَعْىٍ قد حلالى بين أهرامٍ ونيل
فى حِمَى الأسلاف أتلو صفحة العيش الجليل
يومها استوحيت أنى مثلهم أنوى الرحيل

* * *

بالحِجى ناجيتُ نفسى أين سكان القصور ؟
أين أخناتنْ وخوفُو ؟ أين رمسيس المصور ؟
خلفوا الوادى وباتوا بين أطلال الصخور ؟
هل كَنَفْسِى قد تواروْا بين أقران[1] القبور ؟

* * *

أين أحمسْ ؟ أين مينا ؟ والشقاة المالكين ؟
أين أبطالٍ كرقش[2] الدُّرِّ فى تاج الجبين ؟
أين حتشبسوتُ تزهو فى رُوَاقِ المعجبين ؟
أين نيفرْتِى تُناجى مَنْ شجاها بالحنين ؟

* * *

(١) أصحاب .
(٢) زخرفة بالدر .

أين من شادوا عُجابًا في حضاراتِ العصورْ ؟
باقتــداراتِ المُعلّى حطّموا قيدَ الثبور[١]
وارتضــوا عيشًا أبيًا فاق أعيــاد الحبور
يا لأبهــاءٍ توارتْ بين أطياف الدهور !

* * *

أين أوزيرس وإيزس واستجاباتُ الحيــاه ؟
أين توتنخو وخفرعْ بين إعــزاز وجاه ؟
أين تيجانَ تهاوتْ بانحناءات الجبــاه ؟
أين كهانٌ بأسرارٍ يوالون الإله ؟

* * *

هالني صمتٌ تفشّى في فــلاةٍ من دمارْ
قلت ويحَ الدوح والأسْــدُ استكنّوا في القــرار
بينما الأهــرام قامت شــامخاتٍ في وقار
ترقب الأجيــال تفنى وهي دومًا في ازدهار !

* * *

روّعتني في المنــايا نازلاتٌ بي تطــوفْ
فهي كالفاعي[٢] يصيب مِن قِسِيٍّ[٣] صوبَ فوف[٤]
يفطم الإنبات والإزهــار بالحدّ المخــوف[٥]
إنه الهــزّاع[٦] ! ويحٌ من تمادى في القُصُوف[٧]

---

(١) الثبور = الحسرة والهلاك .
(٢) الغضبان المزبد . (٣) أقواس بها سهام .
(٤) القشرة التي تكون على الحبة . والمعنى أن تصويب النازلات كان دقيقا محكما .
(٥) الأجل المحتوم . (٦) الأسد الكثير الافتراس . (٧) في الأكل والشراب واللهو

بالهُدَى سرّحتُ وعيًا فاحصًا عُمْق الشتيت
ما مدى ذكراىَ إثر المُوجِبِ[1] الباغى المقيت ؟
هل صدى لخوى وجودى طى كتمان يبيت ؟
واحتضان المجد وقفٌ مستغلٌ ما حييت ؟

* * *

حارَ فى الأقدار عقلى مُضرمًا فىّ الوجيبْ
فاستعاذ القلبُ من أشجانىَ اللائى تذيب
خَلّنِى الأسلاف أدعو أرتجى طيفَ المُجيب
علّنى أجلو رموزًا إن أطاب[2] المستجيب

* * *

هام فكرى بين أرجاء من دويلات الخيالْ
ناهلاً من نبعها وهبًا معيذًا من ملال
فارتأى الوجدان أطيافًا يحاديها الجلال
يومها استلغيت[3] مصدا قًا[4] أواتيه السؤال

* * *

قلت يا صاح المُفَدّى كيف حال الراقدين ؟
هل بدنياهم بكاءٌ هل يدانيهم أنين ؟
هل يُرى فيهم حيارى أو ذوو قلب حزين ؟

---

(١) الموجب : الموت (٢) أجاب إجابة جيدة . (٤) لاغى بالحديث . (٣) صادقًا .

هل أضيروا بعــد عزٍّ أم تُراهم آمــنين ؟

* * *

هل من التغريب[1] يَغشَى النفــسَ هَدٌّ أو ضمور ؟

هل سكونَ الرمسِ مثلا فَلٌّ ارَجْفانٍ[2] يثور

مُضْمِرًا سُعْرَ الجوى بين المُعانى والضَجُورْ ؟

أم تُرى يَلْــقَى ليانًا فيه مطواعٌ صــبور ؟

* * *

هل فراق الأرض يُضنِى عندما يدعَى الأمين ؟

أم بلا رهبٍ يلبِّى دعـوة الحــق المبين ؟

هاتِ بالتبيـــان فتحاً صاحِ[3] من نَهْل اليقين

يهتدى قلــبى إذا ما آىَ صــدقٍ يستبين

* * *

يا مجـــيرى حطِّم الأســـدال[4] عن غُمض القصيد

نفى أكبرتُ ما استكرمتُ[5] من ذخر الرشيد

وارتضِ نَجزًا لســؤلى زاخراً علمــاً يفيد

علّ بالإيضاح يعلو المُــرتقى الخافى الطريد[6]

---

(١) النزوح عن الوطن أو الموت . (٢) خائف .

(٣) يا صاحبى . (٤) الستور . (٥) اختار الكرائم .

(٦) الطويل الأمد .

وراجع الرباعيات فى مجلة « عالم الروح » عدد يوليه ١٩٥٦ .

مؤازرة كريمة من روح أمير الشعراء

ليس لكاتب هذه السطور أى ميل نحو نظم القريض ، ولكنه كان فى وقت ما يستظهر بعض أجزاء من قصائد لشوقى ولغيره من الشعراء المعروفين ، ويحب حتى الآن قراءة الشعر الجيد ويرتاح إليه . وكان يتابع بطبيعة الحال قصائد روحى أحمد شوقى وحفنى ناصف فى «مجلة عالم الروح» ، ويجد فيها نفس الطابع والمميزات المألوفة التى تعودها منهما ، ولم يلمس أى فارق فى المستوى يدعوه للظن فى أمرها ، خصوصاً وهو يجد فى اطلاعه فى المراجع الروحية الأجنبية التى وضعها علماء ثقاة تجارب كثيرة مماثلة ، عن قطع أدبية وأشعار رائعة واردة عن طريق الوساطة الروحية من أدباء معروفين وشعراء كبار محدثين وقدماء ، ممن انتقلوا إلى « الجانب الآخر » من الحياة على ما ذكر بعضه فى الفصل السابق .

ولم يكن يعرف السيدة الوسيطة ، كما لم يجمعه بها أى مجلس مشترك من قبل ، بل كان أول لقاء معها فى أواخر شهر أبريل ١٩٦٥ بمصر الجديدة بمنزل أحد أنجالها وهو يعمل طبيباً مثل والده ، فالوسيطة أم لأربعة أنجال ناجحين منهم طبيبان ومهندسان . ومن أول لقاء لمس ما حباها الله به من كريم الشمائل ، وما أغدق عليها من بساطة النفوس الطيبة الوديعة التى تبعث من الثقة فى نفس المستمع أكثر مما يبعثه أحياناً الاستماع إلى بعض العلماء والمتعلمين ، أو الأدباء والمتأدبين !....

ومما هو جدير بالذكر أن السيدة الوسيطة لم تقرأ شعراً منذ مغادرتها مدرستها الابتدائية فى سنة ١٩١٤ ولم يكن لها أى اطلاع فى الشوقيات ، أو فى أى ديوان آخر ولا أية نزعة معينة نحو الشعر أو النثر . ولكن بعد أن أخذت موهبتها الوساطية فى النمو لاحظت أنها تستمع إلى روح تناجيها بشعر منظوم وتطلب منها أن تحاول أن تكتبه ، وعرفت أن هذه هى روح شاعرنا الخالد أحمد شوقى . وبعد أن أملاها عدة قصائد طلب منها أن

تقرأ أحياناً فى الشوقيات ، حتى تحسن الإنصات إليه وتتحاشى بعض أخطاء الإملاء .

فقرأت فى الشوقيات قليلا استجابة لطلبه ، ولو أنها لا تزال حتى الآن عرضة للوقوع فى أغلاط قليلة إملائية أو استماعية يفطن القارىء بسهولة إلى حقيقة مصدرها ، وهو عدم الإلمام الكافى من الوسيطة باللغة الفصحى الصعبة التى تستخدمها الروح أحياناً على النحو الذى يتضح من قراءة بعض هذه القصائد التى أوردناها آنفاً .

ومن جهة ثانية فإن الوسيطة لا تستمع بأذنيها الماديتين إلى ما قد يلقى إليها عبر الأثير ، بل تسمع عن طريق حاسة التلباثى أو التخاطر ، أى ما يملى عليها عن طريق حاسة السمع الروحيه وموضعها الجسد الأثيرى كما أجمع بحاث علم الروح على ما بيناه فى مناسبة سابقة[1].

ومن جهة ثالثة فإن من أسباب هذه الأغلاط المحتملة أن الروح أحياناً ترتجل الشعر ارتجالا ، وذلك ما يؤكده وسطاء الجلاء البصرى الذين يرون روح شوقى واقفاً بجوار الوسيطة يملى عليها ما قد يرتجل من شعر فيما يبدو لهم . وكثيراً ما يلجأ إلى التغيير والتبديل فى العبارات والتراكيب على نفس النحو الذى عرف عن شوقى منذ حياته الأرضية ، إلى حد أنه كان أحيانا عند إعادة طبع أجزاء الشوقيات التى طبعت فى حياته يغير فى بعض التراكيب والعبارات ، ولو بعد نشرها .. فما بالك به قبل هذا النشر وما يتطلبه بطبيعة الحال من تصويب ومن مراجعة دقيقة ؟!

وكان المؤلف عند هذه الزيارة الأولى لأسرة السيدة الوسيطة يعمل فى إعداد هذه الطبعة الثانية من كتاب « الإنسان روح لا جسد » فعنّ له أن يطلب منها أن تعرض على روح أمير الشعراء أن يبعث بتصدير شعرى لهذه الطبعة . وانتهت الزيارة على وعد منها بأن تعرض على الروح الكريمة هذه الرغبة إن شاءت استجابت إليها مشكورة ، وعلى وعد بزيارة ثانية .

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٤٣٣ — ٤٣٧ .

وفى اليوم التالى مباشرة تمت زيارة أخرى، وقد اصطحب فيها صديقاً عزيزاً يشغل منصباً كبيراً بوزارة الاقتصاد ، وقد حباه الله بموهبتى الجلاء ين البصرى والسمعى معاً ولا تربطه أية صلة بأسرة الدكتور سلامة ، ولم يكن يعلم شيئاً البتة عن موضوع قصيدة التصدير المأمولة هذه .

وكانت الزيارة ليلا، وبعد التعارف والحديث لفترة من الوقت ، طلب الصديق الزائر أن يخفف نوعاً ضوء غرفة الاستقبال وعقدت جلسة روحية حضرت فيها عدة أرواح ، ثم قال بعد برهة إنه يشاهد روح أمير الشعراء وهو يدعو قرينة الدكتور لأن تمسك قلماً وورقة ، ويوجه إليك حديثاً قائلا « إذا كان قصد المرء صادقاً صدقت نبوءته وأحلامه ، ومن كان ذا فهم وعى ، فذلك علم وإعلامه » . وكان الوسيط يلقى الكلمات ببطء وبصعوبة . ولم يفهم الصديق الوسيط فى ذلك الوقت معنى هذه العبارة الغامضة المقتضبة ، ولكنى فهمتها كما فهمتها السيدة قرينة الدكتور سلامة على أنها ربما تتضمن وعداً لبقاً بإرسال التصدير المطلوب بدون ارتباط صريح ولا تحديد لموعد ما ، ثم انصرفنا وعاد الدكتور وأسرته بعد بضعة أيام إلى قرية ميت أبى غالب حيث إقامتهم الدائمة فى ضيعة لهم هناك .

وبعد بضعة أسابيع من هذا اللقاء تلقى المؤلف من الدكتور الفاضل عن طريق البريد القصيدة الأولى التى وضعها فى تصدير هذا الجزء ، كما بعث شوقى بقصيدة ثانية للمؤازرة والتشجيع . وبعد حوالى شهرين آخرين ، وكان الرأى قد استقر على إصدار الطبعة الثانية فى جزئين بعد جزء واحد بالنظر إلى الزيادات العديدة فيها ، تفضل شوقى فبعث بقصيدة أخرى طويلة أعطاها عنوان « تحية وتأييد لكتاب الإنسان روح لا جسد » سيجدها القارىء فى تصدير الجزء الثانى .

وقد حدث فى القاهرة أن كنت بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٦٥ فى زيارة لهذا الصديق الموظف الكبير بوزارة الاقتصاد بمنزله بمصر الجديدة ،

وفى أثناء الزيارة رأى عقد جلسة روحية حضرت فيها عدة أرواح من بينها روح أمير الشعراء ،وبعد أن تحدثنا برهة فى شأن قصائده التى أملاها بقرية ميت أبى غالب على السيدة قرينة الدكتور سلامة ، انتهى الحديث بوعد منه أنه ربما يرسل قصيدة جديدة من نفس البحر الذى استخدمه فى القصيدة السابقة (وهو البحر الكامل) بل لقد اتفقنا على موضوعها وهو فلسفة الخلود وبعض الحكم والمبادىء الخلقية بوجه عام . وفى أول أكتوبر ١٩٦٥ تلقيت هذه القصيدة وعنوانها « إنى أدمن الخلود لكم يدى» فى خطاب من الدكتور سلامة ببلدة ميت أبى غالب من نفس البحر ، ومتضمنة الإشارة إلى الوعد السابق وإلى لزوم الوفاء بالعهد، كما تضمنت نفس الاتجاهات التى جرى الحديث حولها فى القاهرة فى شهر أغسطس .

وفى هذه القصائد الأربع يشجع أمير الشعراء كاتب هذه السطور كثيراً ويؤازره مؤازرة كريمة فى جهده المتواضع لخدمة المعرفة الروحية ، وقد غمره فى بعض أبياتها بثناء جم لا يعتقد أنه يستحق منه شيئاً بالمرة ، وإن كان يعبر عن أمر فعن مشاعره الفياضة ، وعن العواطف المتدفقة النبيلة التى كانت تميز أمير الشعراء منذ حياته بين ظهرانينا . وقد عرضها على عدد من أفضل أدباء العصر ، وعلى أستاذ فى الجامعة الأزهرية من كبار العروضيين لمراجعتها ، فأقروا بأن فيها جلية خصائص شعر شوقى على ما سيلى بيانه فيما بعد .

عن القصيدة الأولى

وقد نشرت أولى هذه القصائد فى تصدير هذا الجزء ، ومما يسترعى الانتباه فى شأنها أن صديقاً كريماً من العروضيين قال لى ، إنه مع تسليمه بأن هذه القصيدة تحوى جلية نفس خصائص شاعرية شوقى وعذوبته وطريقته وتتابع أفكاره ، قد لاحظ أنه استخدم فى صدر أربعة أبيات منها جوازاً شعرياً قد لا يقره البعض من العروضيين المتشددين ، وهو ذلك الجواز الذى يعبر عنه بالقبض ، أى حذف الخامس الساكن فى الكلمة مثل فعولنْ عندما تصبح فعولُ . وهذا مايستغربه من شوقى بالذات لما عرف عنه من البعد عن أى تجديد والتمسك بالعروض الأصلية على حالها .

وبرغم ما قد يقال من أن تطور الآراء والأساليب جائز - بل محتوم - فى عالم الروح كما هو جائز محتوم هنا فى عالم المادة ، خصوصاً على المدى البعيد ، فقد عرضت وجهة النظر هذه على صديق آخر من العروضيين فقال إن هذا الجواز الشعرى صحيح مقبول سواء فى أحد شطرى البيت أم فيهما معاً وفى جميع البحور، وأن شوقى نفسه أقر هذا الجواز الشعرى محل النقاش حتى فى قصائده التى كتبها حال حياته الأرضية ، ومنها قصائد له من نفس البحر الوافر الذى استخدمه فى قصيدة التصدير هذه . ومن ذلك قوله فى قصيدة « سلوا قلبى » : —

ولا ينبيك عن خلق الليالى كمن فقد الأحبة والصحابا

وفى هذا البيت يستخدم الجواز الشعرى فى العجز دون الصدر .

وكذلك فى قصيدة له من نفس البحر عنوانها « بعد المنفى » وضعها عقب رجوعه إلى أرض الوطن بعد الحرب العظمى الأولى ، إذ يقول فى مطلعها : —

أنادى الرسم لو ملك الجوابا وأجزيه بدمعى لو أثابا[1]

وفى هذا البيت الأخير استعمل أمير الشعراء الجواز الشعرى محل النقاش فى كل من الصدر والعجز .

وفى قصيدة أخرى له عنوانها « تحية للترك »[2] استعمل نفس الجواز فى الصدر دون العجز فى بعض الأبيات . ومن ذلك قوله : —

ويا غليوم أين لك الفرار

إذا « جرجى » وعسكره أغاروا ؟

فضاقت عن سفينهم البحار

وضاق البر عنهم والجفينا

---

(١) « الشوقيات » الجزء الأول ص ٥٤ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٥٢ .

ومن ذلك قوله أيضاً فى نفس القصيدة : —

ويوم « ملون »[1] إذا صحنا وصاحوا
ذكرنا الله من فرح وناحوا
ودارت بينهم بالراح راح
ودارت راحة الإيمان فينا

فهذه ثلاثة أبيات من نفس البحر الوافر كان القبض فيها فى الصدر دون العجز . وهو نفس الجواز الذى استخدمته روح شوقى فى أربعة أبيات من قصيدة التصدير هذه وفى الصدر دون العجز أيضاً . ولعل من ينقب فى قصائد شوقى المنشورة فى الشوقيات يجد مواقف أخرى مماثلة .

وهذه الأمور الدقيقة للغاية إن دلت على أمر فعلى قوة البينة المستقاة من شعر روح شوقى . وكيف أن هذا الشعر لا يحتوى على خصائصه فحسب من ناحية تراكيبه اللغوية وصوره الشعرية ، وعاطفته المتدفقة التى كانت وحى شعره ، الذى يضرب على أوتار القلوب لما فيه من عبقرية نابضة بالقوة وبالحياة ، بل أيضاً من ناحية الجوازات الشعرية المختلف على بعضها ، والتى لا يعرف موقف شوقى منها بالضبط إلا ندرة من المتضلعين جداً فى علم العروض ، فما بالك بوسيطة غريبة تماماً عن اللغة الفصحى ، وعن الشعر ببحوره وجوازاته ، كما هى غريبة بداهة عما كان يقره شوقى منها وما كان لا يقره بحسب سليقته الشعرية الفذة .

القصيدة الثانية

أما القصيدة الثانية فهى بضعة أبيات زاخرة بالمعانى وبالصور بعث بها كما قلت بعد فترة وجيزة من قصيدته السابقة — وكنا قد أصبحنا فى أوائل يونيه ١٩٦٥ — من تلقاء نفسه وبوحى من شعوره الفياض ، ورغبته الأكيدة فى تشجيع خدمة المعرفة الروحية وإقناع الناس بحقيقة الصلة بين أحياء الأرض وأحياء الأثير ، ورى انه قدينا سبها عنوان « هاديات الرجاء » وفيها يقول مشجعاً ومؤازراً ببلاغته المأثورة : —

(١) اسم موقعة بين الأتراك واليونانيين .

نشرت اليقين بطيبِ الوثوقْ   جلىٌّ لذى الفهم نور « الحقوقْ »

وأترعتَ كأس العريق الروِّى[١]   كذوب الرحيق وشهدٍ يفوق

فـــروِّى السراةَ[٢] من الباحثين   ومَنْ للرواء تدانى يذوق

وسقتَ البيانَ بصكّ اليقينِ   فضمّنت للروح عهـــد الصدوق

دعوتَ لعـــلمٍ[٣] حباه الثقاة   بأسطع ضوءٍ وأسمى شروق

* * *

تواثق[٤] جهدُكَ والراسخون[٥]   لدحض الشكوك ومحق[٦] العقوق[٧]

تعالى بكم بيرق[٨] الخالدين   كما الحق ذاع لهَدْىِ المشوق

فككتَ من الصفد[٩] كنه[١٠] الحياة   وأقدمت تغذو به من يتوق

فللجسم حقاً برو‌ء[١١] القـــدير   ويحيا دواماً بروح الشَفُوق[١٢]

بربك جئت تـلاد[١٣] النفيس   من الغيب يفحم[١٤] كل زهوق[١٥]

فـــا الصفحات كنوز الضنين   تلاقى الضمور[١٦] بشجو يعوقْ

وما هى محْل[١٧] يَبُوسُ القـرار   ولا بالقُحُول[١٨] تعانى الشقوقْ

* * *

ولـكن « كتابك » روضٌ نضيرٌ   بوَرْدٍ ندىٍّ وزَهْـر عَبُوق[١٩]

---

(١) الروى المشبع .   (٢) سراة القوم : سادتهم .   (٣) أى علم الروح .
(٤) تعاهد .   (٥) الراسخون فى علم الروح .   (٦) محق الشىء : أبطله .
(٧) العصيان .   (٨) علم .   (٩) القيد .   (١٠) كنه الحياة : جوهرها وأصلها .
(١١) برء بروءاً : خلق من العدم .   (١٢) الإله سبحانه .
(١٣) غريق .   (١٤) يسكت بالحجة .   (١٥) باطل .
(١٦) الهزال .   (١٧) الجدب .   (١٨) يبوسة .   (١٩) تفوح منه رائحة الطيب .

تلقيتَ منحـــة وعى الحكيم تخيَّر أقـــدس وِرْدٍ[1] يروقْ
ليقضى على غُـــلَّةٍ[2] التائهين بوادى الشكوك ودَرْبِ المرُوَق[3]
ويعلى المشاعلَ للمهتـــدين بشمس المعارفِ . لا بالبروقْ
وتحوى بحوثك ذُخْرٌ مكينٌ لأسمى المشارف حيث يسوقْ
منائر تسطع كالنيِّرين ضياها يناجى نفـــوسًا تتوقْ
لتكشف أن وراء الضباب منابت وَعْيٍ حباها السُمُوق[4]

* * *

فبالوعى تخـــلد روح الأمين إذا الدمّ غاض وَدَكّ العروق
وبالوعى يعـــلن للواثقين . سُموُّ الخلودِ وتبدو الفُرُوق[5]
لتفصح عن هاديات الرجاء لنشر السلام بدنيا الفَرُوق[6]

القصيدة الثالثة

أما القصيدة الآتية فقد بعث بها فى أواخر سبتمبر من سنة ١٩٦٥،ومن الطريف أنه — كما سبق أن قلت — وعد بإرسالها عن طريق صديق عزيز لا تربطه صلة ما بأسرة الدكتور سلامة سعد ، وكان ذلك بالقاهرة فى شهر أغسطس سنه ١٩٦٥ إذ رأيت أن أطلبها عن غير طريق وسيطة شوقى المألوفة وهى قرينة الدكتور سلامة مطبقاً — إلى حدما — طريقة « التراسل المتبادل » التى ابتكرها بعض علماء

---

(١) الماء الذى يورد . (٢) العطش الشديد . (٣) الخروج عن الدين .
(٤) سمق النبات سموقاً : علا وطال .
(٥) الفروق : جوع الأرواح .
(٦) الفروق : الشديد الجزع .
أى أن هاديات الرجاء من عالم الروح تنشر السلام فى دنيا الجزعين عند ماتطمئنهم على مصيرهم .

« جمعية البحث الروحى » بلندن . وبعد مداولة مع الروح حول مايحتمل أن تتضمنه القصيدةمن معان ٍ وافق على مبدأ الإرسال ، وعلى أن تدورحول فلسفة الخلود و بعض الحكم الروحية وأن تكون من البحر الكامل . ثم برّ شوقى بوعده و بعث بها بقرية ميت أبى غالب عن طريق نفس الوسيطة كالمعتاد وأشار فيها إلى وعده السابق بالإرسال ، وإلى وفاته بهذا العهد ، وقد أعطاها بنفسه عنوان:

« إلى أمد من الخلود لكم يدى » ، وفيها يقول : —

رعى العهود

أَمُدَلِّلَ الأكبادَ يومَ المولدِ(١) وَمُعَلِّلَ الطفلَ الوليدَ بسؤدَدِ(٢)

ما بين إشراق الحيـــاة وفضّها نَغَمٌ يعبِّر عن قرار المنشـــدِ

والمرء يكبر فى التواجد لائذاً بمقوّماتٍ تســتقيمُ لأمجَدِ

يبدى المشـــاعر رقّةً ومروءةً بين العباد كشعلةٍ للمهتدى

يخشى التحيّز كالغرير بحـــكمه ويرى النزاهة دعوةً المقتدى

يبنى السوَاء(٣) على صراطٍ يعتلى كالطود حصناً للطريد ومُنجدِ

أيّان يخطر كالحكيم ســبيله عفّ التبصر فى سديد المقصد

* * *

إن يلتزم رعى العهـــودِ فإنه قِمَمُ الوفاء ، يصونها أو يفتدى

والعيش عنده أن ينزّه نهجه فى زحمـــة الأيام دون تردد

ويقيّم المضـــمونَ غير مموّهٍ فينصع الفحوى و يُزرى بالردِى

---

(١) معناه يامن تدلل المخلوق فى يوم مولده .

(٢) ويامن تعلل الطفل الوليد برفعة شأنه .

(٣) السواء : العدل .

ويطوف بالأرجاء يَصْلُحُ داعياً   إن المكارم من كريم المحتِد[1]
ويجير ملهوفاً ويصفحُ ظالماً   ويرى العدالةَ أن يَصدّ المعتدى

* * *

شخصيّةٌ رسمت مناهج من سعى   فى نيِّراتٍ من سناء الموجد[2]
أوصافها فَرضت لزاماً فى الورى   تبدى قرائن من يُقرُّ ويهتدى
ما كان من حق النفوس تلكؤٌ   فى رغيها شرعاً لكل مؤيِّدِ
فالله مذ جبَل الرعية قد نهى   عما يعوّقُ سهلها بمُعَقّدَ
قد شاد فى الأخلاق كلّ مجمّلٍ   وأحقّ بالتأييد كلّ مشيّدِ
وأبان عُقبى العابثين بغيِّهم   وأتى المناوىء نقمةً بتوّعد
مذ قال للقوم اتقونىَ واعبدوا   بالنور والعرفان حتى الموعد
بعث الهداية فى العباد لينصفوا   أرواحهم كى يستعيذوا من غدِ
فالعمر يومٌ مارقٌ كسحابةٍ   والويل إن عبست بشجوٍ مُرعدِ

* * *

وذوو المدارك قد وعوا ما أيقنوا   من ناصع التبيان للمسترشد
فاستيقظت شُعَبُ الرغائب ترتضى   رَقْشَ الروائع فى هُدىً وتوددِ[3]
وبدت ميولٌ تستهيمُ وتعتلى   بالمستحبّ وبالمشوق الأرغد

---

(١) الأصل .   (٢) الله جل جلاله .   (٣) التودد لله .

فاقت صفاءً واستنارةَ فطنةٍ عصمَتْ هواها من شِثار مُعرْبِدِ
وَسَمَتْ بوعي العارفين بحقهم كيما تنال النفسُ كلَّ مجدَّدَ
تلك التي بذرى الكمال[1] تحصنت واستعذبت نهلا صفيَّ المورد
فنفت معاثر ما يكدِّر صفـوها وأتت قويم الرشد كل مُسَدَّد[2]

كم لائذٍ بالخلد يرقب بابه ؟

أنعم بمن يرضى التفـوق عادة يعلي الجـدارة في تقىً وتجلُّد[3]
سيقيم وزناً للحيـاة بنصها[4] يحدو السكينة في حمى المتعود
فيوجه التقدير صـوب محقق من مكـرمات العيش للمتزوِّدِ
ويلوح في الآفاق ضوء كفاحه متألقاً كالكوكب المتـوقد
ومتى ترفعت الميول عن السدى لهجَ الفـؤاد بلهفة المتعبِّد
متجاهلاً دنيا الزوالِ بما حوت حسماً لنزعَـةِ طيشه المتمرد
فيناصر الروح الأصـيل إذا دنا يرجو الدليل إلى حيـاةٍ مُخلَّد

***

يارب كم ذا في العباد من ارتضى شق الطريق كباحثٍ ومعبِّد[5] !
يغريه ما تدلي الغيـوب بحكمة تبيانهـا أنشودةٌ لمغـرِّد

---

(١) ذرى الكمال : أعلى درجاته .
(٢) مستقيم .
(٣) صبر .
(٤) برفعتها .
(٥) أي ممهد لهذا الطريق الروحي .

فيهيم كالطير الطليق بأوجها[1] ... يشجيه قرب بعد تيهِ[2] المبعَد[3]

يصغى لفحوى ما يُردّدَ فى العلا ... برَوِيها يرتاح كلُّ مُسَهّدِ

كيما يزول الكَربُ عن مُهَج الوَرَى ... فى روعةِ المأمولِ غـــير مُبَدّد

* * *

يارب عفوك إن وقفتُ مسائلاً ... بين الأحبة فى حنين المرشد

كم لائذٍ بالخـــلد يرقب بابه ... فى بسمة التوّاق رغم المرقد[4] !

يشجيه ركب الواصلين لروضـــةٍ ... فى عالم الروح الأمين فيقتدى

فيخفّ فى فرَح الموثّق للعـــلا ... فى الصفحة البيضاء كلُّ منضّدِ

هيهات ضـــيّعَ فى القِفار معالِمًا ... تهدِى خَطاه إلى السوىّ الأمجد

فيحط من بعد الجهاد رحاله ... فى دوحـــة الأبرار غير مهدّد

ياصحب هبوا للتحصن بالعلا

يارب كم تهفو النفوس لوقفـــةٍ ... بين الأماجـــد فى حمى المتفرّد !

كم فى الضمائر من تيقظ وَعيهـــا ... لتقى المصائر من أتونٍ موقَـــدِ !

وترى البسالةَ فى الوفاء لعـــالمٍ ... صافى المناهل فى عذوبة مَوْرِد[5]

يارب كم تبدى البريّة نزعـــةً ... تحدو الميول إلى الرصين الجيّدِ !

---

(١) أوج الغيوب أى العالم الخاق .

(٢) ضلال .

(٣) المبعد عن عالم الروح وعلمه .

(٤) المرقد الأخير أى القبر .

(٥) الإشارة إلى عالم الروح .

كيما يلاقيها السعودُ إذا ارتجت ... في عدّة الأخيار كل ممجّد

عقب استقامةِ مسلكٍ وبراءةٍ ... مما يضير مآرب المتمرّد

* * *

يا صَحْب هبوا للتحصن بالعلا ... من قبل ماتعنو النفوس لمُخمِد[1]

فالعيش في أوْج الخلودِ مراتبٌ ... روّادها من كل بُرْدٍ ترتدي[2]

آهٍ لحسرةِ من تيقن وارتأى ... عقبي الشكوك وريبةِ المتردد

لاقى الندامة في تواجد روحه ... في زُمرةٍ قد لاتليق بأرشد

فدعا خيوط الذكريات لنسجها ... كغلالة[3] تنساق للتجرّد[4]

هيهات من صَبَغ التهاونُ سعيَه ... عبر الطريق ليلتقي بممهّد

من بعد مضيعة التجمل بالحجى ... مذعاق في الإصلاح كلُّ معضّد[5]

كم مِن رثاءٍ يستحق لروحه ... من عاش في دنيا الغرور كمفرد[6] !

* * *

رحماك ربي ! والعياذ من الذي
في زيغ[7] جوّابٍ[8] سَرَى[9] كمُصفّد[10]

أين المقارن في الوجود بوعيه ... بين المسرّح في العلا ومقيّدِ ؟

---

(١) تحضم للذى يكتم الأنفاس أى للموت (٢) رواد الخلود من جميع الأجناس .
(٣) الغلالة : خرقة ساترة . (٤) المتجرد من الثياب .
(٥) معنى البيت كله : هيهات يلتقى عبر الطريق بأرض مستوية من صبغ التهاون سعيه
(٦) كأنه وحيد زمانه . (٧) الزيغ : الميل عن الحق .
(٨) الجواب : الذى يقطع البلاد . (٩) سار ليلا . (١٠) كمقيد .

كيما يفىء إلى الظلال من ارعوى ... عن غيه وسعى لنهج السُّجَّدِ[1]

* * *

يا صاحِ لا تهب الصعاب فما الدنا ... إلا مجالٌ للوبال[2] الأربَدِ[3]

فمن استبد به الشرود سينطوى ... بين الركام بغصةٍ ومُكمَّدِ

فانهض وجاهد للنجاة معانقاً ... سِرَّ الخلودِ وجُرَّ نورِ السيِّد[4]

فدعوا المكانة فى القلوب تقيةً ... للخالق الرحمن دون تردد

وتجمعوا حول الحقيقة واهتدوا ... شأن الحكيم إذا استقام بمَعْبَد

وتأهبوا قبل الرحيل لساعةٍ ... بالعسر أو باليسر خَتْمُ المولد

وتحمَّلوا بالصبر معركة الوفا ... إن الحياة جهاد كل مجنَّدِ

وارعوا الأمانة أن تُقدِّرِ دعوتى ... إنى أمدٌ من الخلود لكم يدى

عن القصيدة الرابعة

أما القصيدة الرابعة فقد أملاها شوقى فىشهر يوليه من سنة ١٩٦٥ فىمائة وستين بيتاً ، وهى ملحمة شعرية رائعة ، عامرة بأنفاسه ، نابضة بالحياة وبعبقريته النادرة . وقد أعطاها عنوان « تحية وتأييد لكتاب الإنسان روح لا جسد » ، وقد أجهدت بطولها الوسيطة الفاضلة وهدتقواها تماماً ، لأنها تبذل الكثير من العناء عند استخدام موهبتها الفريدة فى الجلاء السمعى .

وقد عالج شوقى فى هذه القصيدة عدة موضوعات فى التصوف ، ووصف الظواهر الوساطية ، وبعث برسالة إلى القراء ، وبين بعض أوصاف لعالم الروح ، وفند « أراجيف الغباء » عند منكرى الخلود ، ودخل معهم فى مساجلة شعرية سبح فيها فى الفضاء مع رواد الفضاء ، وحلق فى آفاق عالية من فن البلاغة المنظومة والخيال الواسع ، وسيجدها القارىء فى تصدير الجزء الثانى .

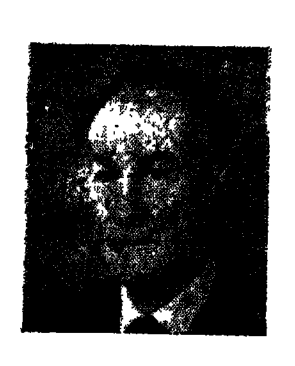
---

(١) الساجدون لله العابدون . (٢) الوبال : الشدة .

(٣) الأربد ما كان فيه عبرة . (٤) السيد : الله جل جلاله .

الحق احق أن يتبع

ولزيادة الاطمئنان إلى مستوى هذا الشعر ، وإلى مميزاته ، رأيت أن أعرض هذه القصائد كلها — ومنها القصائد التي تتضمن مؤازرة كريمة من روح أمير الشعراء لنا — على شاعر الشعراء الأستاذ الكبير محمد عزيز أباظة — عضو المجمع اللغوى وعضو المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية — لآخذ رأيه فيها . فأقر بأن فيها شاعرية شوقى من ناحية تراكيبها وأفكارها ومستواها فى اللغة والشعر ، وأن بعضها يعادل فى عمقه الجيد فى « الشوقيات » ، وبعضها الآخر يعادل المتوسط فى هذه « الشوقيات » . ولاحظ الأستاذ العلامة بحق أن هذا المستوى لا يملك أى شاعر معاصر أن يرقى إليه أو أن يحاول تقليد شوقى فيه ، لأن عبقرية شوقى تعصى على التقليد ، حتى إن صح نظرياً إمكان تقليد غيره من شعراء الصف الثانى أو الثالث . وقد أذن سيادته مشكوراً بنشر رأيه هذا .



شاعر العصر الأستاذ عزيز أباظة

وقيمة هذه الشهادة الضخمة من عالم عظيم ومن شاعر العصر لا يقدرها حق قدرها إلا من يعرف قوة الأواصر التى جمعته بشوقى عندما كان لا يزال بين ظهرانينا ، والتى لا تقل عن صلة الابن الوفى بالأب العطوف ، والتى وصلت بينه وبين شعره ونثره وفلسفته بعروة وثقى لا تنفصم .

ولا يقدر قيمة هذه الشهادة الضخمة أيضاً إلا من خبر الأستاذ الكبير محمد عزيز أباظة عن قرب ، وعرف كيف أنه لا يمكن أن يقدم مثل هذه الشهادة فى يسر ولا فى سهولة لما عرف عنه من تأنٍ شديد عند البت فى أية قضية ، فما بالك بأخطار قضية علمية فى مقامها الأول والأخير ، هذا إلى ما عرف عنه من وفاء شديد لذكرى أبيه فى الروح شوقى الخالد الذى يعتبره قد بز المتنبى فى الجيد من شوقياته .

وقد شهد أيضا بأن هذا الشعر يحوى واضحة خصائص شعر شوقى الأستاذ الدكتور أحمد الشايب عميد دار العلوم سابقاً ، ووكيل كلية الآداب وأستاذ الأدب العربى[1] .

* * *

وقد قدم رأياً صريحاً حاسماً أيضاً فى شأن هذا الشعر عالم معروف فى الأدب العربى،وفى الأوزان والقوافى،وهو الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى أستاذ الأدب والنقد « بكلية الدراسات العربية » بالجامعة الأزهرية . وقد تفضل فبعث إلينا خطاباً مؤرخاً فى٧أغسطس سنة ١٩٦٥ — يقول فيه «قرأت بإمعان القصائد التى وردت منسوبة إلى روح شوقى العظيم فى كتاب الإنسان روح لاجسد . ولاحظت أن فى هذه القصائد العديدة روح شوقى وشاعريته وموسيقاه وأوزانه ومعانيه وتفكيره وقوافيه كذلك . . . . والعجيب أن القاموس اللغوى لهذه القصائد هو قاموس شوقى . . . . والحقيقة أن كل الظروف والعوامل تنفى شبهة التقليد ، فضلا عن فقدان الشاعر الذى يستطيع تقليد شوقى فى كل بنائه الفنى لقصيدته فى الوقت الراهن . إن ذلك كله موضع عجب كبير . . . . .» .

كما يقول أيضاً فى نفس الخطاب عن أشعار روح المرحوم الأستاذ حفنى ناصف (ومنها ستجد قصيدتين فيما بعد) « وكذلك الأمر فى القصيدتين اللتين وردتا فى الكتاب من روح حفنى ناصف ، فشاعرية حفنى ناصف وملكاته اللغوية والأدبية والفنية متمثلة فيهما تمام التمثيل ... » ثم يضيف العالم الفاضل قائلا « ومن البدهى أن الإيمان بالروح ركن أصيل من الإيمان الدينى ، وأن أرواح الأموات موجودة لا تفنى . . . » .

هذه هى شهادة شاعر مبدع — إذ هو صاحب ديوان «أحلام الشباب» — وفى نفس الوقت عالم وأستاذ جامعى فى الأدب العربى ، وصاحب عدة

---

(١) راجع مجلة « عالم الروح » عدد مارس سنه ١٩٥٩ ص ٤ .

مؤلفات عميقة فى العروض والأوزان والأدب منها : « فن الشعر » (فى جزئين) و « شعر : أوزانه وقوافيه » و « ميزان الشاعر » و « العروض والقوافى » و « البناء الفنى للقصيدة العربية » و « مع الشعراء المعاصرين » و « قصة الأدب فى مصر » (فى خمسة أجزاء ، وقد عالج فى الجزء الخامس منه — فى تحليل عميق ودراسة مستفيضة — شاعرية شوقى) .

* * *

ونظن أنه بجانب هذه الشهادات الصريحة من ثقاة وعلماء مدققين، باحثين عن الحقيقة وحدها — ومقدرين قيمة أقوالهم وخطورة المقام الذى فيه يتحدثون — ينبغى أن تعتبر زائدة كل شهادة فى أى اتجاه آخر قد تصدر من متشاعر أو من متأدب ، ممن تعود بعضهم أن يلقى القول جزافاً قبل أن يحسن حتى مجرد قراءة هذه الأشعار أو يتفهم ما فيها من آيات البيان العميق والإعجاز الفنى واللغوى ، التى تميز أشعار شاعر التاريخ أحمد شوقى .

وأعتقد مخلصاً أن أى إنسان محايد — يبغى الوصول إلى وجه الحق — يمكنه أن يلمس دون كبير عناء ما فى هذه الشهادات من دقة وأمانة ، لأن التشابه بين الشعرين صارخ لايحتاج إلى كبير جهد فى التعرف عليه، ويظهر جلياً كلما ازداد القارىء اطلاعاً على القصائد العصماء من الشعر المتدفق التى لم يتسع المقام لنشرها فى هذا المؤلف ، وإنما نكتفى بأن نبين مكان نشرها ليرجع إليها من يشاء لزيادة الاطمئنان[1] . وذلك بالإضافة إلى البينة المستمدة من

---

(١) راجع من قصائد روح شوقى الأخرى المنشورة فى مجلة « عالم الروح » :

— فى عدد يناير سنة ١٩٥٦ قصيدة جميلة يتقدم فيها بالشكر لإطلاق اسمه على قرية بمديرية التحرير فى ٢٠ بيتا .

— وفى عدد أغسطس سنة ١٩٥٦ قصيدة عصماء عنوانها « عيد الجلاء » من سبعين بيتا .

— وفى عدد أكتوبر سنة ١٩٥٦ قصيدة عنوانها « نفثات الصدور » من ٢٢ بيتا .

— وفى عدد نوفبر سنة ١٩٥٦ قصيدة عنوانها « استعراض الماضى » (تتمة) من ٢٨ بيتا فى صورة رباعيات .

— وفى عدد ديسمبر سنة ١٩٥٦ من نفس المجلة قصيدة عنوانها « صوت من الغيب » فى ٧٥ بيتا فى صورة رباعيات .

شهادة وسطاء الجلاء البصرى الذين يرون روح أحمد شوقى واقفاً بجوار الوسيطة يملى عليها الشعر .

كلمة هادئة

أما المكابر فيأبى تماماً أن يسلم — وله عذره — بأن هذا شعر شوقى أو بالأقل يحوى نفس خصائصه أو يرقى إلى نفس مستواه وطابعه ، لأن التسليم بذلك معناه التسليم بصحة الدعوى الروحية فى طولها وعرضها معاً ، على خطورة هذه الدعوى إلى المدى الذى يتنافر حتماً مع إمكان التسليم بها فى يسر وبساطة تأباهما النفس الإنسانية ، وما طبعت عليه من مقاومة تامة لكل معرفة جديدة على ما بيناه بأسانيده فى مقدمة هذا المؤلف .

وهذا المكابر هيهات أن يقتنع بهذه الحقيقة البسيطة الواضحة ، وهى أن روح شوقى تملى على الوسيطة الفاضلة هذا الشعر الرائع لأسباب قد لا يعرفها هو نفسه ! وإن كان يعرفها فلن يصرح بها ، لأنها لن تخرج فى النهاية عن التمسك بشهادة الحواس ، أو بالأقل عن التمسك بما درج عليه من آراء ثابتة فى أمور شتى يتصور فيها العصمة التى تعلو على مستوى المناقشة المنطقية الهادئة

إن صاحبنا هذا أيسر له أن يتخيل عدة أمور كثيرة من أن يسلم مقتنعاً بصحة هذه الحقيقة الروحية الواضحة البسيطة: —

— فمن المتصور عنده مثلا أن تكون الوسيطة — لحكمة غير مفهومة — قد اتجهت إلى تقليد شعر شوقى تقليداً محكماً . . .

— وفى عددى فبراير ومارس سنة ١٩٥٧ من نفس المجلة يجد القارىء قصيدة أخرى عنوانها « ملك الموت ورسالته السامية » فى ٧٥ بيتا فى صورة رباعيات أيضا .
— وفى عدد أبريل سنة ١٩٥٧ رباعيات أخرى .
— وفى عدد فبراير سنة ١٩٥٨ قصيدة عنوانها «مأساة التفرقة المنصرية» فى ٤٠ بيتا .
— وكل ذلك بخلاف القصائد العديدة التى تنتظر من يتكرم بنشرها إن لم يكن خدمة للحقيقة الروحية ، فبالأقل خدمة لقضية الشعر العربى ، الذى لا يمكن أن ينازع أى إنسان محايد فى أن هذا الشعر من أجوده .

— وبصورة خفية — لم تكتشف بعد — قد ألمت بالعروض والأوزان العربية رغم صعوبتها البالغة ، وبصورة ما قد اتقنتها اتقاناً عجيباً .

— وبصورة ما قد أحاطت بطريقة شوقى وبشاعريته ، واستظهرت قاموسه اللغوى — الزاخر بالكلمات الصعبة ، الغنى غناء مفرطاً بالألفاظ الفصحى ، العامر بالمجاهل التى يتوه فيها اللغويون الكبار ....

— وبصورة ما قد حازت — وهى حائزة الابتدائية — القدرة على الحكمة الرائعة والفلسفة العميقة والبلاغة النادرة ....

— وبصورة ما قد اكتسبت خيالا خصباً متدفقاً ، فلم يعد لها — فحسب — خيال الشاعرة المقتدرة ، بل أيضاً خيال الشاعرة التى يلزمها أن تتخيل ما كان يمكن أن يتخيله أمير الشعراء فى مثل هذا الموقف أو ذاك ! وما كان يمكن أن تجود به قريحته الوقادة من خواطر ومن أفكار ! وما يتصور أن يصدر عنه من انفعالات وأشعار ، بعد أن انتقل إلى عالم الغيب واطلع على ما فى عالم الغيب من خفايا ومن أسرار ...

— وبصورة ما — مجهولة أيضاً — قد تتبعت أخبار هذا الشاعر المنتقل ، كيما تحى هذا الابن ، أو هذه الحفيدة ، أو هذا الصديق — كل فى مناسبته وباسمه الخاص — بنفس أفكاره ومشاعره وعواطفه المتدفقة المفرطة فى رقتها وعذوبتها . وكيما ترد على هذا الناقد أو ذاك بالأسلوب الذى يناسب كلا منهما ، إذ لكل مقام مقال ...

— وبصورة ما — خفية أيضاً — قد تغلغلت فى ميوله وذكرياته ومواجيده وانفعالاته نحو كرمة ابن هانىء ، ونحو ماضيه ، ونحو فنون الشعر التى كان يحبها ويجيدها ، وقوافيه وجواراته التى كان يقرها والتى كان لا يقرها ! ..

— وبصورة ما تشربت بنفس عواطفه المتدفقة نحو بلاده ونيله ، وعروبته وعقيدته . . . ونحو الفراعنة الذين كان يحب أن يناجيهم كثيراً

فى أشعاره ويحيا معهم روايات كاملة مثل قمبيز ومصرع كليوباترا وغيرهما، وهو ما يزال يفعله حتى الآن ...

— وفعلت كل ذلك الخداع الهائل سعيدة هانئة، وفى ثبات وإصرار عجيبين فلم يعصمها عاصم من خلق ولا من فضيلة ولا من إيمان راسخ عندها بالخلود، وبأن كل أعمالنا مسطورة فى سجل أمين ومعلنة يوماً للعالمين . . .

إن كل ذلك فى نظر صاحبنا المكابر الذكى متصور ومعقول ! ! ! ..

أما أن تكون وسيطة لروح شوقى فأمر فى نظره —غير متصور ولا معقول، حتى ولو كانت أمثال هذه الوساطة قد حققت فى الخارج، وصمدت على أعتى صور التحقيق والبحث العلمى الصارم لمدى قرن وربع من الزمان فى جامعات ومعاهد وأكاديميات علمية جادة تماماً .

أى أن صاحبنا الذكى هذا يهرب من الاقتناع بأمر واحد غير متصور — فى نظره — ولا معقول، عن طريق محاولة إقناع نفسه — وغيره — بعشرات من أمور — كلها — عبارة عن استحالات تامة، بحسب أى فهم لحقائق الأمور ! . فهو غير مقتنع بصحة أمر واحد يحتمل — حتى قبل البحث — الصحة والبطلان عن طريق محاولة إقناع نفسه وغيره بصحة عشرات من صور البطلان المحققة فى التخريج والاستنتاج، والاستحالات المؤكدة بحسب حقائق الحياة وإمكانيات النفس الإنسانية ونوازعها المسلم بها بعد البحث والتحقيق ! .

فلم يسجل تاريخ البشر حالة واحدة من قبل أمكن فيها لأى إنسان أن يستحوذ على كل هذه العبقريات مجتمعة، وأن يصبح مقلداً موهوباً فيما لا يقبل التقليد من مشاعر وانفعالات، ومن سكنات وخلجات، ومن عواطف وذكريات ومن مواهب وملكات.. وما أكثر ما يحتاجه تقليد شوقى من مواهب ومن ملكات . . . .

فتقليد سطور قليلة لكاتب معين مشكلة كبرى . . . فما بالك إذا كان التقليد شعراً لا نثراً ؟ ! ... وما بالك إذا كان التقليد يصل إلى قصائد كاملة يبلغ عدد أبيات بعضها أكثر من مائة بيت تفيض روعة وإبداعاً، ووصل

فى إحداها إلى مائةوستين بيتاً متدفقة فناً وإعجازاً ؟!... وما بالك إذا كان التقليد لشاعر العروبة الذى يعتبره البعض أعظم شعرائها على الإطلاق . فهو إن لم يكن قد بز المتنبي فهومعه على قدم المساواة؟! . وكل ذلك من سيدة لم يتجاوز حظها من الثقافة الشهادة الابتدائية منذ نصف قرن ؟[1]

بل فلندع جانباً حقائق الحياة وطبائع الأمور ، ولنتجاهل مؤقتاً مايمكن للنفس أن تقدر عليه من أمور وما لا تقدر ، ولنتساءل فى هدوء . . . هذه سيدة فاضلة لا تبغى مالا ، فقد أعطاها الله منه الشىء الكثير ، ولا تبغى شهرة لأنها تهرب بطبيعتها من مجتمعات الأدعياء والفضوليين وما أكثرهم ، كما تعيش هادئةفىضيعتها بقرية ميت أبى غالب تعالج المعدم والفقير وتحنو على الكبير والصغير...إذاً ما الذى يدعوها لكلهذا العناء؟هلهذا التحامل المغرض الذى تتعرض له أحياناً من تافه وجهول ؟ أو من متطفل دعى على مائدة العلم والأدب ؟ إنها لو نسبت كذباً هذا الشعر لنفسها لما فتح أحد فه بكلمة نقد ولا لوم ، ولكان لها بين فطاحل الشعراء شان ومكان .

لكنها ترفض ذلك يأباه لأنها ذات ضمير يقظ ، ولأنها تشعر أنها بما تتحمله من عناء الوساطة العقلية الراقية — وما أشده من عناء — تخدم حقيقة علمية خطيرة خدمة جليلة ثوابها عند الله تعالى وحده ، لا عند أحد من هؤلاء الأدعياء من الناقدين الجهلاء ، وكأن لسان حالها يقول « حسبى الله ونعم الوكيل » ، أما هؤلاء فلا اعتبار لموقفهم منى ولا تقدير ، فى مقام رسالة الروح وطهارة القلب والضمير ...

ومع كل هذه الحقائق الناصعة الناطقة بذاتها فإن صاحبنا الذكى هذا عنيد صعب المراس ، لم ولن يقتنع رغم وضوح الحجة وتدفق البرهان . . . لماذا ؟ . . .

لأن الأدلة والشواهد مهما تدفقت على صحة أى أمر من أمور الحياة

---

(١) من كلية البنات الأمريكية بشارع رمسيس بالقاهرة .

وكانت حاسمة فإن الاقتناع تلزمه أيضاً شجاعة الاقتناع وهى صفة نادرة ، وأندر منها شجاعة الاعتراف بالاقتناع . فليس المطلوب هو فحسب توافر البينات – وهى فى هذا الميدان بالذات أكثر من أن يحيط بها حصر الآن – بل المطلوب أولا وقبل كل شىء شجاعة الاقتناع هذه ، وهى نادرة فى بنى الإنسان حتى إذا تعلق الأمر بجزئية صغيرة من الجزئيات ، فما بالك إذا تعلق بدعوى هى أصل الحياة كلها . ويستوى فى ذلك العالم مع الجاهل والمثقف مع غير المثقف ، إذ كل الفارق بينهما هو فى أسانيد الاقتناع وأسلوبه قبل أن يكون فى طبيعة الاعتداد بالرأى القديم التى فطر عليها الإنسان من قدم ..

بين أمانة الكتابة وأمانة القراءة !!

وإذا أعوزت أى قارىء شجاعة الاقتناع هذه فقد أعوزته أيضاً أمانة القراءة فكما أنه قد يوجد الكاتب غير الأمين فى الكتابة قد يوجد أيضاً القارىء غير الأمين فى القراءة ، وكلاهما شر ، ولكن ثانيهما شر من الأول. لأن الكاتب غير الأمين ليس أكثر من دخيل يحاول أن يسطو على اقتناعك بغير رضائك ، وهو عرضة لأن تضبطه متلبساً أو غير متلبس قبل أن يلحق بك ضرراً يذكر .

أما القارىء غير الأمين فى القراءة فهو محتال على نفسه يريد أن يصل بالمراوغة إلى اقتناع مزيف سيصل إليه حتماً ، لأنه لا توجد قوة قادرة أن توقفه أو تتصدى له باعتراض ، ما دام قد اختار لنفسه بنفسه طريق المراوغة والخديعة الذاتية ، كيما لا يتزحزح قيد أنملة عما استقر فى ذهنه من قرائن خاطئة ومن خواطر لجة ، لها عنده كل المجد والسلطان ، إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولا !..

وهذا القارىء غير الأمين نحو نفسه هيهات أن يكتشف مراوغته لنفسه ، فهو يظلها هانئاً سعيداً ويظلم معها كل حقيقة وكل عدالة . وقد يكون فى نظر نفسه أو فى نظر الناس أديباً أو شاعراً مرموقاً ، لكن ملكة الأدب أو الشعر شىء وملكة الحكم النزيه العادل شىء آخر . وليس لهذا الحكم النزيه

العادل وجود مع الارتباط مقدماً بفكرة ثابتة ، ليس فى هذا المجال لحسب — مجال الأدب والشعر — بل فى كل مجال من مجالات العلم أو القانون أو غيرهما. وكم قاسى شوقى أثناء حياته الأرضية من أهواء عمالقة الأدب والشعر وكم يقاسى حتى الآن من صور النقد المغرض من أدباء ومن أدعياء .. وكم تصدى لهم ، ولا يزال يفعل ، ببلاغته المعهودة كما سنرى فى قصيدة التصدير للجزء الثانى ، وفى بعض أبياتها يقول :

وأنا أحذّر من عنيد مدّعٍ ‏ ‏ ‏ يبدى الظنون إزاء ما أتكلمُ
وأقول بالإشفاق لست مواربًا ‏ ‏ ‏ عبْر الأثير لمن عسى يتفهم
إن الخلود تكشفت أسراره ‏ ‏ ‏ تهب الشفاء أو العزاء لمن رُموا(١)

إلى أن يقول :

يا لوعة الأحياء ممن أرجفوا ‏ ‏ ‏ بجهالة ضد الخلود وأقسموا
هيهات فيهم من يفيق ومن يعى ‏ ‏ ‏ ما السدة(٢) العلياء ، أو ما تنعم !
فإذا رأيت الصابئين(٣) بضلةٍ(٤) ‏ ‏ ‏ وعداءهم للخلد أو من أسهموا(٥)
قل أزمن الجهل المسيطر فى النّهى ‏ ‏ ‏ ليطيل رقدة شاردٍ لا يفهم !

وهكذا يسترسل فى ملحمته الشعرية معهم التى سننشرها كاملة فى تصدير الجزء الثانى ، ومجموع أبياتها كما قلنا مائة وستين بيتاً من فحول «الشوقيات».

* * *

ويلزم أيضاً لحمل أمانة القراءة الأمينة القدرة على الإحاطة بالموضوعات العميقة ، وفهمها على نحوها الصحيح . وموضوع الروح بما يرتبط به من أمور ، وما يتفرع عنه من مباحث شتى ، وما تكشف عنه من حقائق فلسفية ورياضية ضخمة يعد وحدة مترابطة ، أكثر عمقاً — بل أكثر ارتفاعاً واتساعاً — من قدرة بعض العقول على الفهم والاستيعاب ، وعلى هضم الحقائق وتمثيلها . وهذا الاعتبار وحده كثيراً ما يخلق من أصحاب هذه العقول أعداء ألداء للروحية ، لأن الناس كما قلت فى التمهيد لهذا المؤلف أعداء لما جهلوا .

(١) من رماهم الدهر بالمرض أو بالحزن . ‏ ‏ (٢) باب السماء .
(٣) الخارجين عن الدين . ‏ ‏ (٤) مرة من ضل . ‏ ‏ (٥) جعلوا لهم أسهماً فيه .

وهؤلاء لا تعرفهم لحسب من عدم قدرتهم على الاقتناع، بل أيضاً من عدم الرغبة فيه . ولخشيتهم من الاقتناع فإنهم يرفضون أى اطلاع كاف أو استماع متأن ويهربون من أى بحث أو تحقيق محايد، ويحاربون بشدة كل من يدعوهم لشيء من ذلك ، مهما كان فى دعوته من إخلاص ، وفيها من رغبة خالصة فى الإقناع الأمين . ويصبح فى نظرهم عدواً لدوداً بل شيطاناً رجيماً ، وكأن من ذنبه أن يكون موضوع الروح أكثر عمقاً — وارتفاعاً واتساعاً — من قدرة بعض العقول على الفهم وعلى الاستيعاب !... وعلى ذلك فمثل هذا الشعر عندهم ليس من مستوى شعر شوقى ولا من فصيلته ، ومن يقول بذلك يكابر فى الحقائق ، ويفترى على الروح الكريمة وعلى ذكرى شوقى العظيم ، رحمه الله . ورحمنا جميعنا !...

وهؤلاء قد لا يكبد الواحد منهم نفسه مشقة الاطلاع على كل قصائد روح شوقى ، ولا على بعضها ، كيما يبدى رأيه فى روية ، بل تكفيه بضعة أبيات يقرأها فى عجلة — وفى انفعال مغرض — كيما يلقى الورقة ويستغفر الله آسفاً على هذا اللغو الذى ينسب زوراً لروح شوقى . وقد لا تكون لصاحبنا هذا أية دراية مع ذلك بشاعرية شوقى ولا بطريقته فى الأداء ، ولا أى اطلاع خاص فى الشوقيات أو فى غيرها . ولا أية قدرة خاصة على الحكم الصحيح المحايد فى القضايا الأدبية الخطيرة كهذه القضية المتصلة وثيق صلة بأخطر قضية علمية يبحثها بدون توقف — منذ قرن وربع — لفيف من أفضل العلماء والفلاسفة والمفكرين .

وإذا أسعفت الظروف السعيدة أحد هؤلاء المتأدبين بخطأ مطبعى أفقد البيت معناه أو وزنه — أو بخطأ استماعى أو إملائى — فقد وضح تماماً فى نظرهم خطورة الافتراء الخطير على روح شوقى . وهؤلاء يتجاهلون أن احتمالات الخطأ متوافرة فى هذا الشأن كما هى متوافرة فى غيره ، لأن السيدة الوسيطة لا تملك كما قلنا باللغة الفصحى سوى إلمام محدود جداً شأن كل حاصل على شهادة الابتدائية وحدها . ولأنها تستمع من مستوى فى الوجود

أعلى بكثير من مستوانا المادى ، ولذا تتحمل عناء بالغاً وهى تحاول بفضل موهبة الجلاء السمعى التى حباها الله بها الاستماع إلى الروح المهيمنة وهى تملى عليها الشعر كلمة فكلمة . وأثناء ذلك يبرز واضحاً احتمال الخطأ فى المتابعة أو فى الاستماع . وكل هذه أمور قد حققها الباحثون الجادون وأجمعوا على توافرها ، وهى لا تنفى صحة الموضوع بل بالعكس تثبت صحته ، لأن من يكتب هذا الشعر العالى فى تدفق وارتجال لا يمكن أن يقع فى بعض أغلاط الهجاء أو الإملاء الواضحة التى يكتشفها الإنسان لأول وهلة .

* * *

وهؤلاء تعرفهم أيضاً من انفعالهم الشديد من الحجج القوية ، فكلما قويت الحجة كلما اشتدت مقاومتهم للاقتناع وبدوا أكثر غضباً وانفعالا ! ولذا فإن البينة المستمدة من قصائد روح أمير الشعراء ـ لفرط قوتها ـ من أكثر البينات عندهم استثارة للاعتراض ، وأدعاها للهجوم على الروحية والروحيين !.. وهم يفعلون ذلك كما قلت غير متصنعين ولا متكلفين ، بل بدافع من غريزة الدفاع عن النفس عندما تغلق النفس على نفسها أبواب المعرفة وتقاوم كل جديد لا تقدر على فهمه واستيعابه ، هانئة سعيدة بما حصلت عليه من علم محدود ومن عرفان ضئيل .

وإذا كان هذا القول صادقا على كل معرفة جديدة يعجز العقل عن استيعابها لفرط عمقها أو اتساعها فهو يصدق من باب أولى فى هذا الميدان بالذات ، ميدان علم الروح لفرط اتصاله بجوانب عزيزة على نفس كل إنسان ، ومن حقه أن يشعر بجلالها وأن يحرص على عدم الاستهانة بها أو التهوين من شأنها فى رسم خطوط قدره ومصيره . وسيعلم القارىء عندما نعالج موضوع «الروح بين العلم والاعتقاد» فى الجزء الثانى أن علم الروح يضع هذه الجوانب العزيزة فى أعلى مكان ، ويحيطها بكل أسباب الجلال والاحترام ، ولكن بعد تنقيتها من شوائب كثيرة علقت بها على مر العصور والأجيال فى أذهان نفر من الجامدين والمتزمتين ، وما أكثرهم فى كل ملة ودين !

الزمن وأثره فى الاقتناع

ثم هناك عنصر الزمن، وما أدراك مادوره فى الإقناع بالأمور العويصة وإعداد الذهن لفتح مغاليقها !.. فالاقتناع لا يجىء بغتة، خصوصاً عند ما يراد لهذا الاقتناع أن يكون علمياً مؤسساً على أسانيد منطقية — تجريبية وفلسفية ورياضية — واضحة تنتهى إليه انتهاء محتوماً . وأعصى صور الاقتناع وأكثرها بطأ ما يجىء على خلاف ما تعودناه من أمور ، وما ألفناه من أسلوب معين فى التفكير .

فسلطان العادة على توجيه التفكير أقوى من أى سلطان آخر . والناس أنكروا صحة هذه الظواهر الروحية لمدة طويلة وقاوموها طويلا — ولا يزال عدد كبير فى بلادنا ينكرها وعلى أتم استعداد لأن يقاومها بعنف وبلا بحث ولا دراســة — لمجرد أنها تخالف ما تعوده من تفكير . وما استقرت عليه سرائره من أن « الموتى لا يتكلمون » . فما بالك عند ما يقال لهم بل هم على اتصال بنا أوثق مما نظن بكثير ، وهم يريدون أن يشعرونا بوجودهم ويعطونا أنباءهم ، ويملوا علينا من عالمهم آراءهم وأشعارهم رائعة، متدفقة ، ناطقة ، معبرة عن نفس شخصياتهم واتجاهاتهم التى ألفناها منهم عندما كانوا يعيشون بين ظهرانينا سادة مرموقين ، أو نكرات مغمورين .. ؟!..

إن كل ذلك لا يمكن أن يتقبله الفكر العادى بسهولة ولا بسرعة ، بل يحتاج إلى زمن كاف حتى يحدث البرهان أثره فى النفس كما يحتاج الدواء إلى زمن كاف حتى يحدث أثره فى صحة المريض . ولهذا الاعتبار أنكر الناس كل كشف جديد وقاوموه بشدة لمجرد أنه يخالف ما ألفوه من أسلوب معين فى التفكير أما عند ما يستقر الأمر الجديد فى عاداتهم وتقاليدهم فلا يعود محتاجاً بعد لأية حجة أو برهان .

كذلك كان الشأن دائماً مع الإنسان فى كل عصور تاريخه ، وفى كل فئاته وطبقاته . فعند ما كان الاتصال بالأرواح أمراً مألوفاً عند الفراعنة وعند الإغريق فى أزهى أيام حضارتهم ، كان موقف الأذهان من هذا

الموضوع كموقفها اليوم من الراديو أو التليفزيون أو الرادار لا يثير اعتراضاً ولا استغراباً ، ولا يحتاج لمن يدافع عنه باستمرار أو يثبت صحته ولا يقتضى أخذاً ورداً لا يكاد ينتهى أمره حتى يبدأ من جديد .

ولذا نجد فيما دوّن فلاسفة الإغريق الكبار الذين أضاءوا للإنسانية مشعل العرفان كلاماً كثيرا عن الخلود بوصفه حقيقة فلسفية ، كما نجد أقوالا كثيرة منهم عن الاتصال بالأرواح كما لو كان أمراً ثابتاً مقرراً فى أذهانهم ، وعن الأرواح المرشدة والملهمة ، وعن استشارة الأرواح فى معبدى « دلفى » و « دودونا » عن طريق كاهنات المعبدين .. على ما وضحناه عند ما تكلمنا عن « الروح عند الإغريق »[1] .

وهكذا الحال حتى فى أيامنا هذه فى الكثير من البلاد ، حيث أصبح الاتصال بالأرواح أمراً مألوفاً من أمور الحياة العادية عند الكثيرين يجرى علناً فى كل مكان وعلى كل صورة ، بدون أن يثير أدنى ضجة ولا أى اعتراض من أحد . وسيجىء هذا اليوم قريباً فى بلادنا ، بل أقرب مما يتصور الكثيرون سواء أرضى المتزمتون أم لم يرضوا . لأن السليقة الشرقية أقرب من غيرها إلى الاعتقاد بالروح ، وأرغب فى الاتصال بعالم الروح . وعندئذ سيكثر فى بلادنا الوسطاء الأقوياء والعلماء الجادون الباحثون ، وستتعدد المعاهد المتخصصة فى تحقيق الظواهر الوساطية للتثبت منها والخروج من ثبوتها بأخطر الدلالات التى ترتبط ارتباطاً مباشراً بأعماق كل إنسان فى حاضره وفى مستقبله القريب والبعيد . بل ترتبط فى الصميم بمعارف الإنسان الأخرى — وبديهياتها — من فيزياء وفلك وفسيولوجيا وفلسفة واعتقاد ، على ما سنعرض له تفصيلا وتباعاً فى الجزء الثانى من هذا المؤلف .

* * *

ولو كان يوجد فى بلادنا منذ الآن معهد مهتم ببحث الظواهر الوساطية — غير المألوفة أو غير العادية — لأمكنه أن يتبين إلى أى مدى تبدو

---

(١) راجع ما سبق فى ص ٥٩ — ٦٤ .

وساطة هذه الوسيطة الراقية جديرة بالبحث العلمى الجاد . فمن أين جاءها هذا التمكن التام من العروض والقوافى ؟ ومن أين جاءتها هذه الذخيرة الضخمة من ألفاظ الفصحى ومن أساليب البلاغة وفنون البيان ، وهى لا تكاد تدرك معنى ما تكتبه وهى فى حالتها الوساطية ...

ولماذا يحمل شعرها كل خصائص شعر شوقى ومميزاته وتراكيبه وقاموسه اللغوى ، ولماذا يجىء الشعر متدفقاً وغزيراً فى ظروف متصلة بأحمد شوقى بالذات — وبحفيدته وابنه وبمهرجانه وبذكرياته وبنقاده — دون غيرها من ظروف ؟ وكيف أنها تكتب أحياناً — كما كان يفعل شوقى — قصائد سهلة سلسلة لا تعقيد فيها ، نابضة بالحياة وبالعذوبة حين تكتب أحياناً أخرى قصائد عالية المستوى فكراً ولغة وأسلوباً فلا يفهمها إلا الراسخون فى البيان وفى اللغة الفصحى ، وفى الحالين معا تبرز وراء السطور طريقة شوقى وتراكيبه وخصائصه صارخة نابضة بالقوة وبالحياة ...

أما القول بأنها تكتب هذا الشعر من عندياتها فأقل ما يقال فيه إنه لا يصمد للنقد . فلماذا يتنصل الإنسان من كتابة شعر راق كهذا لو كان هو كاتبه الفعلى ؟... ألا يكفل مثل هذا الشعر لصاحبه مجداً دونه كل مجد آخر ، وخلود ذكر لا يطمع إليه عن أى طريق غيره ؟!... ولماذا لا يطاوعها بنانها على نظم الشعر إلا فيما يتعلق بشوقى بصورة دائمة أو بحفنى ناصف (فى حالات قليلة جداً) ؟ وكيف تكتب هذا الشعر الراقى بمثل هذه الإفاضة والتدفق وبغير أن تحتاج إلى التفكير فيه ؟ وكيف واتتها القدرة على تحدى جمعية الشعراء ، بل عدة هيئات وفى جملة مناسبات ، وإفحامها بمثل هذه البلاغة المعدومة النظير ؟!... إلى آخر هذه الأسئلة التى يحار الفكر فيها .

ألا أن هذه البينة المستمدة من وساطة الوسيطة الفاضلة قرينة الدكتور سلامة روفائيل سعد ، من أحسن البينات الأدبيـــة التى اطلعت عليها فى المراجع الروحية بوجه عام ، لذا اقتضت وقفة كافية عندها .

من أشعار روح حفني ناصف

الدكتور سلامة روفائيل سعد طبيب فاضل بارع وقد كان مفتشاً للصحة بعدة بلاد، واستقال منذ سنة ١٩٣٧ كما يعمل طبيباً حراً بمدينة شربين . وهو في نفس الوقت معالج روحي ممتاز وقد تفرغ تماماً للعلاج الروحي المجاني زهداً منه في أعراض الدنيا الزائلة بعد أن أعطاها الله منها الشيء الكثير ، وهو يباشر أيضاً — وفي عزلة تامة في ضيعته بقرية ميت أبي غالب — متعة الوساطة العقلية الراقية . وقد تلقى هو أيضاً بضع قصائد من المرحوم حفني ناصف شاعرنا الفقيد ، نشرت بدورها في مجلة «عالم الروح» وهي كانت تستحق عناية كافية في عرضها وبحثها كنا نحب أن يتسع لها هذا المقام لولا ضيقه . إنما نكتفي هنا بأن نسجل للوسيطين الكريمين — الدكتور سلامة والسيدة قرينته — هذه الخدمة الجليلة التي أدياها — في هدوء تام وتواضع عرف عنهما — لقضية الروحية ، بطريقة من لا يبتغي من أحد جزاء ولا شكوراً .



الدكتور سلامة سعد

كما نكتفي بقصيدتين كنموذج من شعر روح المرحوم الأستاذ حفني ناصف الأولى عنوانها «أكرم روح أمي الخالدة»[1] كتبها — بمناسبة عيد الأم — استجابة لطلب الدكتور سلامة وأملاها عليه شخصياً تحية منه إلى روح والدته : —

أمي سألت ملاك الشعر يسعفني	نظماً يليق لعل النظم ينصفني
حتى أسجل آي المدح في كلمي	على أسدد بعض الدين والمنن
قال الملاك[2] لمدح الأم يا ولدي	سحر البيان على الأيام ينقضي

(١) وقد انتقلت أمه إلى دار الخلد في سنة ١٩٠٥ . راجع القصيدة في مجلة عالم الروح عدد أبريل ١٩٥٩ ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) الكلام على لسان الملاك .

إذ لو أتيت عظيم القول أنظمه ... لا أرتضى بسوى الرحمن يلهمنى
استلهم الملكوت الخلد اكتبه ... إذ أن أمك فى العلياء ترمقنى
تكريم أمك والآفاق تكرمها ... عبق شذاه على الأيام ينعشنى

* * *

من لى بتسبحة ترضى رسالتها ... تبيانها برنين الحق مقترن
الشعر يعجز والأفكار والقـلم ... حتى الطيور إذا غنت لتنشدنى
هات الأريج وهات المسك نسكبه ... عبر الطريق وبين الأرض والسكن
هات المديح نظيم الدر ننشره ... فوق السحاب وحول الدار والوطن
هات الوفاء بلحن الحب ننشـده ... فوق الأرائك والأفنـان والقنن
هات القمارى وهات الطير نرقصها ... بين الغصون وفوق الأيك والفنن
ماذا المديح بمجد فى مكانتها ... فالله كرمها فى الآى والسنن

* * *

ما كنت أحلم والأيام غادرة ... أن الزمان بروح الأم يجمعنى
طيف الأمومة عدت اليوم أنظره ... والروح تظهر بين الصحو والوسن
يا فرحتى وبهاء الأم يظهر لى ... يا فرحتى وحنان الأم محتضنى
عادت لتثبت أن الروح خالدة ... بالحب أجذبها .. بالحب تجذبنى
أقوى القوى . وبهاء الله ينشره ... هذا الوجود بغير الحب لم يكن

* * *

قالت وقد بدأت تملى خواطرها(١) ... حب الأمومة قوانى ليظهرنى
حب الأمومة كان اليوم معتمدى ... حب الأمومة يهدينى ويرشدنى
روحى ترفرف حول البنت والولد ... حيث اتصال بمن أهوى يعاودنى
أمنيـة عرضت والله حققها ... عين العنـاية فى الآفاق تكلؤنى
منذ انتقلت وروحى لا تفارقكم ... فالحب يلزمنى والحب يربطنى
والموت يهدم ما الإنسان شائده ... إلا الأمومة قد تحيا مدى الزمن
ما أن خطرت بدار الخلد راضية ... حتى وجدت مكانى فيـه يسعدنى
إذ من هنا برضى الرحمن يمكننى ... دوما أرافقـكم فالشوق هيجنى

---

(١) الكلام على لسان الأم .

في الفرح أخطر إذ ألقاك ذا فرح ... أو كنت ذا شجن فالحزن يملؤنى
إن أنت كنت لأمر الله ممتثلا ... تلقَ السعادة والنشوى تلازمنى
والعكس لو بدرت منكم مخالفة ... نحو الإله فهذا الأمر يحزننى
والله يسمح للأرواح تسعفكم ... عند الشدائد أو فى ساعة المحن

* * *

واستبشرت خلجات الأم فى لهف ... يوم اتصلت بروح الحاذق الفطن[1]
إذ أمكن الوسطاء السير فى حذر ... نحو الكتابة فانقادت لمفتن[2]
ما أن سألت رئيس الحفل يسعدنى[3] ... حتى كتبت لكم شوقا يطالعنى
أما النصائح قد سطرتها زجلا ... ينساب فى درر كالشعر متزن
لما انتقلت لدار الخلد فى صغرى[4] ... والبعد عن فلذات الكبد روعنى
وازداد بى ألم فى القلب مسكنه ... واشتد بى لهفى والشوق أرقنى
ثم امتثلت لحكم الله فى جلد ... فالله كافأ لى صبرى وعوضنى
إن اتصالىَ بالأولاد مفخرة ... تذكى الأمومة فى قلبى وتسعدنى
والناس فى رحبات الخلد هائجة ... منذ اتصلت بكم والكل يحسدنى
صوت الأمومة مسموع لخالقها ... إذ يستجيب دعاء الأم من عدن
لما دعوت أجاب الله مسألتى ... فور السؤال وصوت الابن أسمعنى
إن الأمومة عند الله مسألة ... كبرى يكرمها فى السر والعلن

وأما الثانية — فهى رسالة إلى ولده مجد الدين حفنى ناصف — وقد أملاها على السيدة قرينة الدكتور سلامة ، وها هى كاملة (٥) : —

هلّ السعود وبات الفرح معتمدى
واستطربت(٦) خلجات(٧) الروح ياولدى
ناجيتَ روحىَ فاستشرت(٨) صبابتها
صوت الأحبة هاج الشوق فى كبدى

---

(١) السيد «س» وهو أول مرشد روحى اتصل بدائرة الدكتور الوسيط .
(٢) يقصد الكتابة التلقائية .   (٣) المرشد المهيمن على الجلسه .
(٤) إذ انتقلت فى سن العشرين .
(٥) راجع القصيدة فى مجلة « عالم الروح » عدد أبريل سنة ١٩٥٧ ص ١٨ — ٢١ .
(٦) اشتد طربها .   (٧) اهتزازات .   (٨) سارت سريعاً وعظمت.

قومى زهــور الربى واستبشرى طربا
ضمى الصفوف وهنى الروح واحتشدى
ناد البــلابل والورقاء تنشــدنى
لحن الطروب على النعماء والرغد(١)

* * *

كنت الشجى ولى بالروح مسغبة(٢)
أن أهتــدى لمطاف الآل بالرَشد
واليوم دان منالٌ كنت أرقبــه
فيه اعتصمت فصحّتْ آى معتقدى
إنى أهيم - رعاك الله — فى شغف
والروح أقرب فى نجواك من جسدى
آبت ترفرف فى هفهــاف حلتها
صنو الملائك فى أنوارها الجــدد
هذى — فديتك — بشرى الصادق ارتجعت
إن طالعتك ففى روع وفى نضــد(٣)

* * *

يالقية عرضاً(٤) بعد النوى وضحت
وضح الضحى بسماح الواحد الصمد
ماكان يدرك أن الروح إن وُهبت
ترتاد حى أليفٍ من خِبــا الأبد
كالشمس ترسـل بالإشعاع من وهج
ليست تروم دليـلاً قائم العـمد
فاعجب بنىّ لأطياف العلا مثلت
فى حيكم ورفات الخلق فى الوُهد(٥)

---

(١) رغد عيشه: طاب واتسع (٢) جوع شديد (٣) عز وشرف.
(٤) من دون روية أو قصد. (٥) وهد: وهدة فى الارض جمعها وهد.

إنى وحقك فى الأعجاب مثلكمو(١)
اصبحت مبتهجاً كالطائر الغردِ

* * *

لا غرو من وثبات الروح طافرة(٢)
هذى حدود(٣) إلهى القادر الأحد
سنّ التواجد للأرواح خالدة
ما بين منتصرٍ أو خاسر نكد
هذا يحلق للجنات فى مرح
يأتى الرحاب إلى الرحمن والسند
يبدى المفاخر بعد الآه والألم
وهو المظفر بالإقدام والعتد
أما المروّع بالخسران يا لهفى
يلقى السعير بذلّ الساهم الحشِدِ(٤)
إن يرتجِ مدد الرحمن يسعفه
عز النصير وما يؤتى من المدد(٥)
حال الوبال وبئس الحال إن وقعت
ليست تجير جريح الروح بالضُّمد(٦)

* * *

تلك الحقائق للأحياء موجزها
كم فى الحقائق هذى الطائف المردِ(٧)
والدر من غرر اللألاء فى كلمى
صفو جمانه من إحراز مقتصد(٨)

---

(١) الاعجاب ، جمع عجب (٢) طفر : وثب فى ارتفاع . (٣) حدود : أحكام
(٤) من لا يدع عند نفسه شيئا من الجهد والمال والإعانة . (٥) العون والغوث .
(٦) أربطة الجروح . (٧) الطائف: الخيال الزائل كطائف النوم . المرد : العاتى المتمرد .
(٨) أى كلام من مصير الخلائق فهو در ولؤلؤ صاف مما أحرزته روح المقتصد الإيضاح .

صاغ الوفاء نظيماً في تألقه
كم في الوفاء دواء الشارد السهد(١)

أنصت بربك وارع الله مغتبطاً
لست المهاتر للتغرير بالوكد

* * *

جاد التوافق في الأحياء(٢) فانفردت
روحي تكرم لقيا الشبل الأسد(٣)

يا منة (٤) برضا الرحمن ضوءتها
أخشى عليك من العذال والحسد

صوني الوداد وإني العهد أمهره
صوناً لرفعة مصداق على الأمد(٥)

أن استجيب لداعي الروح مرتضياً
تلك الرغيبة كالأرطاب والشهد(٦)

فالروح يمرح في العلياء مرتقباً
صفو التواجد لو في ألف محتشد(٧)

موضوعات الجزء الثاني

وبذلك ينتهي الجزء الأول ويليه الجزء الثاني بمشيئة الله تعالى متضمناً :

---

(١) من قل نومه . (٢) جادالتجالس أوالانسجام الروحي بين أحياء الأرض وأحياء الأثير .

(٣) يشير إلى اتصاله بابنه . (٤) يامنة : يقصد بها فرصة الاتصال بابنه .

(٥) فيامنة اللقيا صوني الوداد على هذا الاتصال ، وإني أختم على العهد أن أصون رفعة روحي الصادقة إلى المنتهى . (٦) الشهد أصلها الشهد وهو عسل النحل وتحركت الهاء للشعر .

(٧) فروح الشاعر يمرح في العلياء منتظراً صفو الاتصال الروحي ولو في ألف واحد مجتمعين في الجلسة .

الإنسان روح لا جسد

بحث في العلم الروحي الحديث

طبعة ثانية

الجزء الأول

فهرس

الصفحة

باب تمهيدي

فى علم الروح بين أنصاره ومناوئيه

الباب الأول

الصفحة

الباب الثانى

الباب الثالث

فى بعض الأسماء والمراجع

فى العلم الروحى الحديث ١٤٥

الصفحة

الباب الرابع

فى بعض البينات والوقائع

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الصفحة

تصويب الأخطاء المطبعية

رقم الصفحة	رقم السطر	خطأ	صواب
٢٤	١	يحوى منها	يحوى
٢٤	١٩	المتسكرين من	المتسكر
٥١	٨	صواتها	أصواتها
٦٢	هامش (١)	عند لفلاسفة	لفلاسفة
١٠١	١٧	لروحية	الروحية
١٣٥	هامش (١)	الطبعة	المجلة
٢٠٨	رقم الصفحة	٢٨٠	٢٠٨
٢٤٨	٢٠	اسكندناون	اسكندناوه
٤٢٨	٦	أولى	أول
٤٧٢	هامش (١)	وويشيه	وريشيه
٤٨١	٢٣	دوره	دور
٥٢٨	١٩	نقاد	انقاد
٥٤٦	٣	تى	آتى
٥٥٨	٤	لمقظة	يقظة
٦٠٣	٣	أعطاها	أعطاه






Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)